



أميرة الجليد

روايـة



المركز الثقافي العربي

جائزتي الأدب البوليسي والرواية البوليسية العالمية

كاميلا لاكبيرغ

أميرة الجليد

رواية

ترجمة: فاتن صبح

المركز الثقافي العربي

سما للنشر

كاميلا لاكبيرغ

أميرة الجليد

الكتاب
أميرة الجليد
تأليف
كاميلا لاكبيرغ
ترجمة
فاتن صبح
الطبعة
الأولى، 2013
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9953-68-585-4

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz@wanadoo.net.ma
بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 750507 01 ـ 352826 01
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

يتضمن هذا الكتاب ترجمة لكتاب:

Original Title: **Isprinsessan**

Author: **Camilla Lackberg**

First published by Warne, Sweden

Published by arrangement with Nordin Agency, Sweden

الفصل الأول

كان المنزل بارداً مهجوراً. وكان الصقيع يتغلغل في كل زاوية من زواياه. وكانت طبقة رقيقة من الجليد قد تكونت داخل حوض الاستحمام. وكان لونها يميل إلى الزرقة نوعاً ما.

خطر له أنها تبدو كأميرة نائمة هناك. أميرة من جليد. كانت الأرض من تحته حيث يجلس شديدة البرودة، لكن ذلك لم يزعجه، فمدّ يده ولامسها.

كانت الدماء التي تغطي معصميها قد تجمدت منذ زمن بعيد.

لم يشعر قط أنه يحبها بهذا الشغف كما يفعل الآن. أخذ يداعب ذراعها كما لو أنه يداعب الروح التي غادرت جسدها.

لم ينظر خلفه حين رحل، ولم يكن رحيله وداعاً أخيراً ولم يقل حتى كلمة «الوداع» بل «إلى أن نلتقي في المرة المقبلة».

لم يكن إيليرت بيرغ رجلاً سعيداً في حياته. كانت أنفاس متقطعة تخرج من فمه على شكل غيوم بيضاء صغيرة، لكن وضعه الصحي لم يكن مشكلته الكبرى.

لقد كانت سفيا رائعة الجمال في صباها، وبالكاد كان بيرغ يستطيع انتظار لحظة إحضارها إلى سرير الزوجية. كانت تبدو رقيقة حنونة وخجولة إلى حدٍّ ما. لم تظهر على حقيقتها إلا بعد مرور فترة لهفة لم تدم طويلاً. لقد أحكمت قبضتها حول عنقه وحياته كلها لما يقارب خمسين عاماً. لكن إيليرت كان يكتم سراً في صدره، وقد حظي للمرة الأولى بفرصة الحصول على بعض الحرية بعد أن حل خريف العمر، فرصة لم يكن ينوي أن يفرط فيها بأي ثمن.

لقد عمل جاهداً طوال حياته صيادَ سمكٍ، وبالكاد كان مدخوله يكفي لإعالة سفيا والأولاد. لم يكن لديهم بعد أن تقاعد سوى راتب ضئيل يعتاشون منه. لم تتوفر أمامه أي فرصة لأن يبدأ حياته من جديد لوحده في مكان ما وهو لا يملك فلساً واحداً في جيبه. وقد ظهرت أمامه الفرصة الآن كهدية من السماء وتوفرت له على طبق من فضة على نحو مضحك. وليست مشكلته إن رغب أحدهم في دفع مبلغ محترم من المال له كل أسبوع مقابل بضع ساعات من العمل. ولم يكن ليتذمر من الوضع مطلقاً، فالأوراق النقدية الموجودة داخل

الصندوق الخشبي خلف كومة السماد قد تكدست بشكل لافت خلال عام واحد فقط، وسرعان ما سيملك ما يكفي منها ويتمكن من الرحيل إلى أماكن أكثر دفئاً.

توقف ليلتقط أنفاسه عند المنحدر الأخير قبل الوصول إلى المنزل وأخذ يدلّل يديه المصابتين بداء المفاصل. لعل إسبانيا أو اليونان تساعدان في بث الدفء إلى الصقيع الذي ينبعث من أعماقه. اعتقد إيليرت أنه لا يزال أمامه عشرة سنوات على الأقل قبل أن يحين موعد موته، وكان ينوي أن يستفيد منها حتى الحدّ الأقصى ولتحل عليه اللعنة إن كان سيمضيها في المنزل مع عجوز شمطاء.

النزهة اليومية التي يقوم بها في وقت مبكر من كل صباح هي الساعات الوحيدة التي يمضيها بهدوء وسلام، كما كانت ضرورية بالنسبة إليه لأنه بحاجة إلى كثير من التمارين الرياضية. كان يسير دوماً على الطريق ذاتها ومن عرف عاداته من الناس كان يأتي غالباً للتحدث إليه. كان يستمتع بالتحدث على وجه الخصوص إلى الفتاة الجميلة التي تقيم في المنزل الواقع عند أبعد نقطة من أعلى التل بالقرب من مدرسة هاكباكن. لم تكن تأتي سوى خلال عطلة الأسبوع، ولم تكن تحضر برفقة أحد قط، بل تأتي وحيدة على الدوام، وكانت تشعر بالسعادة في التحدث عن أحوال الطقس مطولاً. كانت الآنسة ألكسندرا مهتمة أيضاً بالحديث عن فيالباكا القديمة، وكان يثير هذا الموضوع كذلك اهتمام إيليرت ويستمتع بمناقشته. تماماً كما يستمتع بتأمل جمال رفيقته والنظر إلى معاني وجهها المتناسقة. كان لا يزال يقدر الجمال ويميزة على الرغم من أنه صار متقدماً في العمر الآن. لقد دارت أحاديث كثيرة حولهما بالطبع، وساد الكثير من الهمس لكن إذا بدأ المرء يستمع إلى ثرثرات الآخرين فبالكاد يتسنى له الوقت للقيام بأي شيء آخر.

منذ حوالى العام، سألته ما إن كان يفكر مرة في زيارة المنزل طالما أنه كان يمر بالقرب منه أيام الجمعة صباحاً. كان المنزل عتيقاً ولم يكن السخان وأنابيب المياه صالحة للاستعمال. لم تكن ترغب بالعودة إلى الديار لتصل إلى منزل بارد تزوره أيام عطلة الأسبوع. اقترحت أن تعطيه المفاتيح بحيث يتمكن من دخوله وتفقده للتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام. كان هناك عدد من السرقات في المنطقة لذا كان يفترض به أن يتحقق من وجود أي إشارات تدل على إمكانية أن يكون أحدهم قد اقتحم المكان وعبث بالأبواب والنوافذ.

لم تكن المهمة تشكل عبئاً بالنسبة إليه، وكان يصله مرة كل شهر مغلف يحمل اسمه منتظراً في صندوق الرسائل، وكان يحتوي ما كان يعتبره مبلغاً محترماً من المال. خطر له أنه جميل أن يشعر المرء بأنه ذو فائدة. كان من الصعب أن يبقى عاطلاً عن العمل بعد أن أمضى طوال حياته يكد ويشقى.

كانت البوابة مقفلة بإحكام تصدر أنيناً حين يدفعها فتترنح مفسحة له طريق الدخول إلى ممر الحديقة الذي لا يزال مغطى بالثلوج. تساءل إن كان يفترض به الطلب إلى أحد الصبية تقديم المساعدة إليه بإزالة الثلوج المتراكمة، لأنه لا يستطيع طلب ذلك من امرأة فذلك ليس من عملها.

تعثر بالتفتيش عن المفاتيح متنبهاً لئلا تسقط من يده وتضيع بين طبقات الثلوج. إن اضطر لأن يجثم على ركبتيه لإحضارها فلن يتمكن من النهوض على قدميه مجدداً. كانت السلالم أمام المدخل زلقة مغطاة بالجليد، لذا كان عليه التمسك بالحاجز الحديدي الجانبي. كان إيليرت على وشك إدخال المفتاح في قفل الباب حين لاحظ أنه كان مفتوحاً قليلاً. فتحه أكثر ودخل المنزل مندهشاً.

«مرحباً، هل يوجد أحد هنا؟»

فكر أنه لعلها تكون قد وصلت في وقت مبكر أكثر من العادة اليوم. لكن سؤاله لم يلقَ أي جواب. لم يرَ سوى أنفاسه تخرج من فمه وتشكل ضباباً ما وأدرك أن المنزل بارد كالثلج. فجأة، لم يعد يعلم ماذا يفعل. لقد كان هناك خطب ما، وكان يظن أن السبب في ذلك لا يعود إلى السخان المعطل فقط.

أخذ يتجول بين الغرف فلم يلاحظ أن شيئاً قد تغير أو أن أحداً قد لمس شيئاً. كان المنزل مرتباً كما دائماً وكان جهازا التلفاز والفيديو في مكانيهما تماماً. بعد أن تفقد الطابق السفلي تماماً ذهب إيليرت إلى الأعلى. كانت السلالم مرتفعة جداً ووَجب عليه التمسك بالدرابزين جيداً. حين وصل إلى الطابق العلوي ذهب إلى غرفة النوم أولاً. كانت أنثوية المعالم والطابع بالكامل، وقد تم تأثيثها بذوق رفيع، وكانت مرتبة ونظيفة كما باقي غرف المنزل. كان السرير مرتباً عند طرفه حقيبة سفر. لا شيء قد أخرج منها على ما يبدو. كان يشعر أنه مجرد أحمق الآن، لعلها وصلت في وقت مبكر فوجدت أن سخان التدفئة لا يعمل فخرجت لإحضار من يقوم بإصلاحه، لكنه لم يقتنع فعلياً بالشرح الذي قدمه لنفسه. كان هناك خطب ما. كان يشعر بذلك يجري في أوصاله، تماماً كما يشعر أحياناً باقتراب العاصفة.

تابع تفقد بقية غرف المنزل بحذر. كانت الغرفة المجاورة عبارة عن مساحة واسعة يعلوها سقف منحدر تسنده أعمدة خشبية. وكان هناك مقعدان طويلان وضع كل منهما على أحد جانبي المدفأة. تجد هناك بعض الصحف والمجلات مبعثرة على الطاولة الصغيرة، لكن عدا ذلك، كان كل شيء في مكانه. عاد إلى الطابق السفلي، فوجد أن شيئاً لم يمس هناك أيضاً. لم يبد له المطبخ أو غرفة الجلوس مختلفين عن العادة. الغرفة الوحيدة التي لم يكن قد تفقدها هي الحمام. شيء ما جعله يتوقف قبل أن يدفع الباب. كان الصمت لا

يزال يخيم على أرجاء المنزل. وقف في مكانه يشعر بلحظة من التردد ويدرك أنه يتصرف بشيء من الحماقة قبل أن يفتح الباب بحزم.

بعد مرور بضع ثوانٍ كان يهرع نحو الباب الأمامي على قدر ما يسمح له عمره من السرعة. وتذكر في اللحظة الأخيرة أن السلالم زلقة فأحكم قبضته على الدرابزين لتفادي الوقوع والتدحرج على طول الدرج. مشى متثاقلاً يشق طريقه عبر الثلوج التي تغطي ممر الحديقة وأخذ يطلق الشتائم حين علقت البوابة. توقف على الرصيف في الخارج تائهاً لا يعرف ماذا يفعل. بعد أن مشى بضع خطوات على الرصيف في الخارج لمح أحدهم يقترب بخطى متسارعة وأدرك أنها تور ابنة إريكا. ناداها لتتوقف.

كانت تشعر بالتعب. كلا، لم تكن متعبة وحسب بل منهكة من التعب. أطفأت إريكا فالك جهاز الكومبيوتر وذهبت إلى المطبخ لتعيد ملء فنجان قهوتها. كانت تشعر أنها تقع تحت ضغوط مختلفة من كافة الاتجاهات. كان الناشرون يريدون المسودة الأولى من الكتاب في شهر آب، وبالكاد كانت قد بدأت الكتابة. فالكتاب الذي يدور موضوعه حول سيلما لاغرلوف وهو السيرة الذاتية الخامسة عن حياة كاتبة سويسرية كان يفترض به أن يكون أفضل إنتاجاتها، لكنها كانت مجردة بالكامل من أي رغبة بالكتابة. كان قد مضى أكثر من شهر على موت والديها لكن شعورها بالحزن والأسى عليهما كان لا يزال عميقاً كما في اليوم الذي تلقت فيه خبر وفاتهما. لم تجر مسألة تنظيف المنزل الذي كانا يعيشان فيه بالسرعة التي أملت أن تنتهي فيها. وكل ما فيه كان يوقظ الذكريات في نفسها. وقد استلزم توضيب الأغراض ساعات طويلة لأن كل غرض كان يعيد إليها صوراً من حياة شعرت أن أحداثها تعود تارة إلى زمن قريب جداً وطوراً إلى زمن بعيد جداً. لكن

لم يكن بالإمكان الاستعجال في سير عملية التعليب والتوضيب لأن جزءاً من شقتها في ستوكهولم كان مؤجراً لشخص آخر في الوقت الحاضر وخطر لها أنه يمكنها المكوث هنا في منزل أبويها في فيالباكا ومتابعة الكتابة. كان المنزل يقع على مقربة من بلدة سالفيك في منطقة هادئة وساكنة.

جلست إريكا على الشرفة المحاطة بالنوافذ ونظرت نحو الجزر والحواجز الصخرية. لم يفشل المشهد مرة في أن يخطف أنفاسها. كان كل من الفصول يطبع المكان بمناظر خلابة خاصة به وحده وها هي تراه اليوم مستحماً بنور الشمس الساطع الذي يلقي بشلالات من الضوء فوق طبقة سميكة من الجليد تغطي سطح البحر. كان والدها يحب يوماً كهذا.

أحست بغصة في قلبها وبدا جو المنزل فجأة خانقاً، فقررت الخروج في نزهة. كان مقياس الحرارة يشير إلى خمس عشرة درجة تحت الصفر وكانت ترتدي عدة طبقات من الملابس التي تقيها الصقيع. ومع ذلك لا تزال تشعر بالبرد عند خروجها من الباب، لكن سرعان ما بثت خطواتها السريعة الدفء في كافة أنحاء جسمها.

كان الهدوء يخيم في الخارج على نحو رائع. لم تر مخلوقاً آخر سواها في العراء ولم تسمع صوتاً واحداً سوى صوت أنفاسها. كان كل ذلك يشكل نقيضاً صارخاً لأشهر الصيف حين كانت البلدة تعانق الحياة. وكانت إريكا تفضل البقاء بعيداً عن فيالباكا خلال فترة الصيف. تدرك تماماً أن بقاء البلدة يعتمد على السياحة، ولم تتمكن مع ذلك من أن تبعد عنها الشعور بأن جماعات من الجراد تجتاح المكان كل صيف، وأن وحشاً متعدد الرؤوس كان يبتلع ببطء عاماً تلو الآخر بلدة الاصطياد القديمة عبر شراء منازل قريبة من المياه ويترك بلدتها تبدو وكأنها بلدة أشباح طوال تسعة أشهر من السنة.

لقد شكل صيد السمك مصدر رزق فيالباكا على مدى قرون. الطبيعة التي لا ترحم والصراع الدائم للبقاء، حيث كل شيء يعتمد على عودة سمك الرنكة جعل من الناس في البلدة أقوياء قساة القلب. ما لبثت فيالباكا أن أصبحت مكاناً جميلاً غنياً بالمشاهد الطبيعية الخلابة وأصبح يجتذب الأغنياء من السياح. كان السمك في الوقت عينه يفقد أهميته بوصفه مصدراً أساسياً للدخل، وخيّل لإريكا أنها ترى أعنقة السكان تنحني أكثر فأكثر مع كل عام يمر. كان الشبان منهم يغادرون والعجّز يحلمون بالأيام الخالية. كانت هي كذلك في عداد الأشخاص الذين اختاروا الرحيل.

سرعت الخطى أكثر فأكثر والتفتت يساراً نحو التل المؤدي إلى مدرسة هاكباكن. حين اقتربت إريكا من أعلى القمة سمعت إيلرت بيرغ ينادي بأعلى صوته ويتفوه بكلمات لم تفهمها حقاً. كان يلوح بكلا ذراعيه ويتقدم منها.

«إنها ميتة».

بالكاد كان إيليرت يتنفس، ويطلق شهقات قصيرة متقطعة ويصدر صوت صفير مزعج من رئتيه.

«اهدأ يا إيليرت وأخبرني ما الذي حصل؟»

«إنها ممدة هناك، ميتة، لا حياة فيها».

كان يشير إلى المنزل الكبير على قمة التلة ذي الإطار الأزرق الفاتح ويرمقها في الوقت عينه بنظرة متوسلة.

لم تمض بضع لحظات حتى فهمت إريكا ما الذي كان يقوله لها، لكن حين استوعبت كلماته دفعت البوابة العنيدة واندفعت نحو الباب الأمامي. كان إيليرت قد ترك باب المدخل مشقوقاً وقد تخطت العتبة بحذر غير واثقة مما قد تراه في الداخل. لكن ولسبب ما، لم يخطر لها أن تطرح السؤال مجدداً أصلاً وتتأكد أن ما سمعته صحيح.

تبعها إيليرت بقلق وأشار بصمت إلى أرض الحمام. لم تكن إريكا على عجلة من أمرها والتفتت ترمق إيليرت نظرة متعجبة. رأته شاحباً وكان صوته منخفضاً حين قال: «انظري هناك».

لم تكن إريكا قد أتت إلى ذاك المنزل منذ وقت طويل، لكنها كانت تعرفه جيداً يوماً وتعرف أين يقع الحمام تماماً. ارتعشت من البرد على الرغم من الملابس التي كانت تدفئها. فتحت باب الحمام على مهل ودخلته.

لم تعرف ما الذي تتوقعه تماماً من عبارة إيليرت المختصرة، لكنها حتماً لم تكن مستعدة لرؤية الدماء.

كانت أرضية الحمام وجدرانه بيضاً بالكامل فأتى لون الدماء المنسابة على الأرض وحول حوض الاستحمام صارخاً. ظنت للحظة أن تباين الألوان كان جميلاً قبل أن تدرك أن شخصاً حقيقياً كان مقتولاً داخل حوض الاستحمام.

على الرغم من التفاوت غير الطبيعي بين الأبيض والأزرق على الجثة، تعرفت إريكا فوراً إلى القتيلة. إنها ألكسندرا وينكر أو كارلغرن وفق اسم العائلة قبل الزواج، ابنة العائلة التي تملك المنزل. كانتا أفضل صديقتين أيام الطفولة لكن عهد الصداقة ذاك بدا لها أنه يعود إلى زمن بعيد بعيد. وبدت المرأة الممددة داخل الحوض مجرد غريبة.

لحسن الحظ أن عيني الجثة كانتا مغلقتين، لكن لون الشفتين كان أزرق فاتحاً. وكانت طبقة رقيقة من الجليد قد تكونت حول الجذع مخفية القسم السفلي من الجسد تماماً. ذراعها اليمنى المضرجة بالدماء تتدلى بهزال فوق حافة الحوض وأصابعها مغمسة ببركة من الدم المتجمد على الأرض. هناك شفرة حلاقة على الحافة وذراعها اليسرى لم يكن ظاهراً منها سوى الجزء الأعلى، إذ كان القسم أدنى

المرفق مغطى بالجليد. ركبتا أليكس كانتا كذلك عالقتين تحت الجليد وشعرها الأشقر الطويل مبعثر كالمروحة حول وجهها تتدلى أطرافه المتكسرة المقززة من على حافة الحوض.

تسمرت إريكا في مكانها لوقت طويل تتأملها بذهول. وكانت ترتجف من البرد والوحدة اللتين تمثلهما هذه اللوحة الجنائزية المروعة، ثم تراجعت إلى الوراء وغادرت المكان بصمت.

حصل كل شيء بعد ذلك بشكل غير واضح. اتصلت إريكا بالطبيب المداوم من هاتفها الخلوي وانتظرت برفقة إيليرت مجيئه ووصول سيارة الإسعاف. أدركت إريكا أنها تعاني آثار الصدمة ذاتها التي عاشتها عند تلقيها خبر وفاة والديها فسكبت لنفسها كأساً كبيرة من الكونياك حال وصولها إلى المنزل. لم يكن هذا ما قد ينصحها الطبيب بفعله، لكنه الأمر الوحيد الذي يوقف ارتعاش يديها.

لقد أعادها منظر أليكس إلى مرحلة الطفولة. كان ذلك منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً حين كانتا أفضل صديقتين، لكن على الرغم من أن كثيرين قد دخلوا حياة إريكا وخرجوا منها، كانت أليكس لا تزال الشخص الأقرب إلى قلبها. لم تكونا سوى طفلتين صغيرتين في ذلك الوقت وصارت إحداهما غريبة عن الأخرى عندما أصبحتا راشدتين. مع ذلك لاقت إريكا صعوبة في تقبل فكرة أن ألكس قد وضعت حداً لحياتها بيديها، وهو التفسير الوحيد الواضح لما سبق ورأته. ألكسندرا التي عرفت كانت إحدى أكثر الناس حيوية وثقة بين من عرفتهم في حياتها أو يمكن أن تتصورهم. كانت امرأة جذابة واثقة من نفسها متألقة تلفت أنظار جميع من يراها. وفقاً للكلام الذي تناهى إلى مسامع إريكا كانت الحياة تعامل ألكس برفق تماماً كما تخيلت أنها ستفعل، إذ كانت زوجة رجل ناجح ولطيف في آن معاً تدير معرضاً

فنياً في غوتنبرغ وتعيش في منزل واسع وكبير كما بيت المزرعة على جزيرة سارو، لكن خطأً ما قد حدث من دون أدنى شك.

شعرت إريكا أنها بحاجة لتحوير مركز اهتمامها فأخذت تنقر أرقام هاتف أختها في شرود.

«هل كنت نائمة؟»

«هل تمزحين؟ أيقظني أدريان في الثالثة فجراً وحين عاد ونام أخيراً عند السادسة صباحاً كانت إيما قد استيقظت وتريد اللعب».

«ألا يمكن للوكاس أن يصحو عنك ولو لمرة؟»

ساد صمت مشحون على الطرف الآخر من الخط وعضت إريكا طرف لسانها ندماً.

«لديه اجتماع هام اليوم وهو يحتاج للنوم. كما أن هناك الكثير من الاضطراب يسود عمله في هذه الفترة، إذ إن الشركة تمر في مرحلة استراتيجية دقيقة».

كان صوت آنا يعلو تلقائياً وتمكنت إريكا من سماع نبرة هستيريا مكبوتة. لطالما كانت أعذار لوكاس حاضرة ولعل آنا كانت تقتبس العذر الذي قدمه إليها حرفياً. لو لم يكن لديه اجتماع مهم لكان رازحاً تحت ضغط القرارات الهائلة التي عليه اتخاذها أو كانت أعصابه لتكون متوترة بسبب الضغط الذي يتعرض له كل رجل أعمال ناجح كما يقول. لذا، فإن مسؤولية تربية الأولاد تقع بكاملها فوق كاهل آنا. بوجود طفل يبلغ عمره ثلاث سنوات مفعم بالحركة وطفلة لا تتجاوز الأربعة أشهر، بدت آنا أكبر من سنواتها الثلاثين بزمن عند لقاء الأختين في مأتم والديهما.

صاحت آنا بالإنكليزية: «لا تهتمي للأمر حبيبتي».

«جدياً، ألا تظنين أن الوقت قد حان لتبدأي بالتكلم مع إيما باللغة السويدية؟»

«يعتقد لوكاس أننا يجب أن نتكلم الإنكليزية في المنزل. يقول إننا سننتقل للعيش في لندن مجدداً بأي حال قبل دخولها المدرسة».

كانت إريكا متعبة جداً من سماع تعابير لوكاس يعتقد، ولوكاس يقول، ولوكاس يرى أن . . . لم يكن صهرها يمثل في نظرها سوى نموذجاً ساطعاً عن أغبياء الطبقة الأولى المغفلين.

التقته آنا حين كانت تعمل مربية أطفال لدى إحدى العائلات في لندن، وافتتنت على الفور بكم الاهتمام الذي أبداه لها مضارب البورصة الناجح لوكاس ماكسويل الذي يكبرها بعشر سنوات.

تخلت عن خططها بدخول الجامعة وكرست حياتها بالمقابل لأن تكون الزوجة المثالية. المشكلة الوحيدة هي أن لا شيء يمكن أن يرضي لوكاس وأن آنا كانت متعودة على فعل ما يحلو لها مذ كانت طفلة وأنها قد محت كافة معالم شخصيتها بعد زواجها من لوكاس. ظلت إريكا تأمل أن تعود أختها إلى رشدها قبل مجيء الولدين وتترك لوكاس وتعود لعيش حياتها. لكن مع ولادة إيما أولاً ومن ثم أدريان، اضطرت إريكا لأن تعترف بالأمر الواقع وبأن صهرها قد أتى كي يبقى لسوء الحظ.

«أقترح أن نترك جانباً موضوع لوكاس وآراءه حول كيفية تربية الأولاد. أخبريني ما آخر إنجازات صغيري العمة الحبيبين؟»

«حسناً كالعادة كما تعلمين . . . أصيبت إيما بنوبة غضب البارحة وتمكنت من تمزيق ثياب الطفل قبل أن أمسك بها، أما أدريان، فإنه يتقيأ أو يصرخ من دون توقف لثلاثة أيام».

«يبدو أنك بحاجة لقليل من التغيير. ألا يمكنك أن تجلبي الولدين وتأتي لتمضية أسبوع هنا؟ يمكنني أن أستفيد فعلياً من مساعدتك في ترتيب عدد من الأمور. وسرعان ما سنحتاج لأن نهتم بمراجعة بعض القضايا العالقة معاً كذلك».

«حسناً، هذا ما كنا نخطط للتحدث معك بشأنه».

كالعادة كان صوت آنا يبدأ بالارتجاف بشكل ملحوظ حين تضطر للحديث عن أمرٍ مزعج، فأبدت إريكا فوراً حرصها. بدت كلمة كنا في حديث أختها منذرة بالشؤم والخطر. فما إن يدخل لوكاس أنفه في أي أمر حتى يعني أنه يسعى إلى تحقيق مصلحة شخصية ما ولو على حساب دمار كل المعنيين الآخرين.

انتظرت إريكا أن تتابع آنا حديثها.

«كنا نفكر أنا ولوكاس بالعودة إلى لندن ما إن يتمكن من تثبيت الشركة السويدية الفرعية على قدميها. لم نكن نخطط فعلياً لعبء الاهتمام بمنزل هنا وتحمل أعباء صيانته والمحافظة عليه، كما لن يكون ممتعاً بالنسبة إليك كذلك تكبد عناء الاهتمام بمنزل ريفي كبير. أعني أنه من دون عائلة و...».

عاد الصمت ليلقي بثقله من جديد وكان مهيباً.

«ما الذي تحاولين قوله؟»

لفت إريكا خصلة من شعرها المتجعد حول إصبعها، وهي عادة اكتسبتها منذ كانت طفلة وتعود إليها تلقائياً عند الشعور بالغضب.

«حسناً... يعتقد لوكاس أنه يفترض بنا بيع المنزل. سيكون من الصعب علينا الاحتفاظ به والاهتمام بشؤونه. كما أننا نريد شراء منزل في كينينغستون عند عودتنا إلى لندن. مع أن لوكاس يملك الكثير من المال، فإن المبلغ النقدي الذي سنحصل عليه إثر بيع المنزل سيشكل فارقاً. أعني أن منزلاً على الساحل الغربي في تلك المنطقة سيدر علينا ملايين الكورونات. الألمان مهووسون بالمناظر المطلة على المحيط وبنسيم البحر».

ظلت آنا مصرة على متابعة الحديث والدفاع عن وجهة نظرها،

لكن إريكا ظنت أنها سمعت ما يكفي منه وأقفلت الخط بهدوء في منتصف جملة ما. لقد نجحت آنا حتماً بتحوير مركز اهتمامه كالعادة.

لطالما كانت تتصرف كأم لآنا أكثر مما تؤدي دور الأخت الكبرى، إذ كانت تحميها وتقوم برعايتها منذ كانتا طفلتين. لطالما كانت آنا طفلة فريدة من نوعها فعلاً، كانت أشبه بريح عاصفة تسير خلف أهوائها من دون أي تفكير بالعواقب. كانت إريكا تضطر لإنقاذ آنا من أوضاع شائكة لمرات عديدة تعجز عن إحصائها. لقد قضى لوكاس على عفويتها بالكامل وقتل روح الفرح بالحياة فيها تماماً. كان هذا أحد أكثر الأمور التي لا تستطيع إريكا مسامحته عليه أبداً.

بدت أحداث اليوم السابق أشبه بحلم بغيض صباح اليوم التالي. كانت إريكا قد غطت في سبات عميق واستيقظت مع ذلك تشعر أنها بالكاد أغمضت عينيها. كانت تشعر بالتعب والإرهاق حتى أن كل مكان في جسدها كان يؤلمها. معدتها تقرقع بصوت مرتفع لكن نظرة سريعة داخل برادها أبلغتها أنه لا بد من زيارة إيفا ماركت للحصول على ما تأكله.

البلدة مهجورة، شبه خالية ولم يبد أي أثر لحركة التجارة الناشطة في ساحة إينغريد بيرغمان كما في موسم الصيف. كانت الرؤية واضحة من دون ضباب، ويمكن لإريكا أن ترى على طول الطريق حتى آخر جزيرة فالو الممتدة في الأفق. تحاذي كل من هذه الجزيرة وكراكهولمن ممراً ضيقاً يصل إلى الأرخبيل.

لم تصادف أحداً في الطريق إلا بعد أن اجتازت نصف المسافة نحو غالارباكن. كان لقاءً تفضل لو استطاعت تفاديه، وقد أخذت تبحث غريزياً عن طريق آخر تنفذ منه.

غرد صوت إيلنا بيرسون بنبرة فرحة قليلة الحياء وقالت: «صباح

الخير. ها هي كاتبتنا الصغيرة تسير تحت شمس الصباح إن لم أكن مخطئة».

تقلصت أمعاء إريكا انزعاجاً.

«أجل، كنت في طريقي إلى إيفا ماركت لشراء بعض الحاجيات».

«أيتها المسكينة، لا بد أنك شديدة الاضطراب بعد التجربة المروعة التي عشتها مؤخراً».

اهتزت ذقن إيلنا المثنية بانفعال، فخطر لإريكا أنها تشبه طائر دوري سمين. كان المعطف الصوفي الأخضر التموجات الذي يغطي كافة جسمها من كتفيها حتى أسفل قدميها، يعطي انطباعاً بأنه يخبىء تحته كومة كبيرة لا شكل محدد لها. يداها تقبضان على حقيبة يدها بقوة، والقبعة الصغيرة التي كانت تعتمرها لم تكن تناسب حجم رأسها. بدا أن القبعة مصنوعة من الشعر أما لونها فكان أخضر متموجاً كذلك، أما عيناها فكانتا صغيرتين غائرتين في طبقة سميكة واقية من الدهون، وكانتا في هذه اللحظة مركزتين على إريكا التي كان يفترض بها أن تجيب.

«أجل، لم تكن في الواقع تجربة ممتعة».

هزت إيلنا رأسها بشفقة وقالت: «صحيح، لقد إلتقيت السيدة روزنغرن صدفة وأخبرتني أنها مرت بالقرب من المكان ورأتك بالقرب من سيارة الإسعاف خارج منزل كارلغرن، وعلمنا فوراً أن شيئاً مرعباً قد حدث. وفي وقت لاحق من بعد الظهر حين صادف أن اتصلت بالدكتور جاكوبسون سمعت بالحادث المأساوي. أجل لقد أسرّ إلي المعلومات بالطبع وطلب مني عدم البوح بها لأحد، فالأطباء يتعهدون بالسرية وهو أمر يستحقون عليه الاحترام».

عادت تهز رأسها لتظهر كم تحترم قسَم الطبيب جاكوبسون بالحفاظ على السرية.

«بالنظر إلى أنها شابة وثرية وإلى ما هنالك، من الطبيعي أن يتساءل المرء عما قد يكون سبب موتها. لطالما كنت أعتقد شخصياً أنها تبدو مجهدة. لقد عرفت أمها بريجيت لسنوات طويلة وقد كانت امرأة دائمة التوتر، والجميع يعلم أن هذا أمر متوارث. هي أيضاً أصبحت متشامخة، أعني بريجيت سيما حين حصل كارل- إريك على وظيفة إدارية مرموقة في غوتبرغ. ما عادت حدود فيالباكا ترضيها، بل صارت تطمح للذهاب إلى المدينة الكبيرة التي تليق بها. لكني لا أخفيك أن المال لا يجلب السعادة لأحد. لو أنه أتيح لتلك الفتاة أن تترعرع هنا بدلاً من إبعادها عن جذورها ونقلها إلى المدينة لما آلت الأمور إلى ما آلت إليه. حتى أنني أظن أنهم رحّلوا الفتاة المسكينة إلى إحدى مدارس سويسرا، وأنت تعلمين كيف تجري الأمور في مثل تلك الأماكن. آه أجل، يمكن لتلك الأشياء أن تترك بصمتها الواضحة على روح الإنسان لمدى حياته. قبل رحيلهم من هنا، كانت الفتاة الأكثر مرحاً وحيوية التي أستطيع تصورها. ألم تتعودا اللعب معاً أنتما الاثنتين حين كنتما صغيرتين؟ حسناً برأيي . . .».

تابعت إيلنا التحدث مع نفسها وأخذت إريكا التي لم ترَ نهاية قريبة لشقائها البحث عن طريقة ما لإنهاء الحديث الذي كان يأخذ منحى مزعجاً مع مرور الثواني. ما إن توقفت إيلنا عن الكلام لالتقاط أنفاسها، رأت إريكا فرصة للنفاذ.

«كان الحديث معك بغاية الروعة، لكنني مضطرة للأسف إلى الذهاب. هناك الكثير من الأعمال التي تنتظرني. أنا واثقة أنك تتفهمين».

لبست إريكا قناع الحزن الأكثر إقناعاً، آملة أن تغويها باتخاذ الموقف ذاته والسكوت عن الكلام.

«بالطبع يا عزيزتي. لم أكن أفكر ولم يخطر لي ذلك قط، لا

أدري أين كان عقلي. لا بد أن كل ما جرى كان صعباً عليك، إذ حصل بعد حادثة والديك المأساوية بفترة قصيرة. عليك أن تغفري قلة وعي امرأة عجوز مثلي».

اغرورقت عينا إيلنا بدموع هددت أن تسقط في أي لحظة فسارعت إريكا إلى هز رأسها بلطف وإلى وداع محدثتها. أطلقت تنهيدة ارتياح وتابعت مسيرها نحو إيفا ماركت متأملة أن تتفادى لقاء سيدات مزعجات أخريات.

لكن الحظ لم يكن حليفها. فتعرضت لاستجواب معظم سكان فيالباكا المتحمسين ومضايقتهم. ولم تجرؤ على التنفس بحرية إلى أن رأت منزلها يلوح في الأفق. إلا أن إحدى الملاحظات التي سمعتها ظلت عالقة في ذهنها، والدا ألكس قد وصلا في وقت متأخر من الليلة الماضية إلى فيالباكا ويقيمان في الوقت الراهن لدى عمتها.

وضعت إريكا أكياس الخضار على طاولة المطبخ وبدأت ترتيب الأغراض. على الرغم من محاولاتها الجاهدة لم تكن المشتريات تضم القدر الذي كانت تفكر فيه من المأكولات الأساسية قبل وصولها إلى المتجر. لكن إن لم تشتر لنفسها بعض الهدايا التي تكافىء نفسها بها في يوم مزرٍ كهذا، فمتى سيكون ذلك؟ وكأن معدتها استجابت لأفكارها فبدأت تدمدم. وبسرعة البرق ملأت الصحن بالكعك المحلى بنكهة القرفة والتهمت ما فيه مع فنجان قهوة.

انتابها شعور رائع وهي تجلس وتتأمل المنظر الذي اعتادت رؤيته من نافذتها، لكنها لم تعتد الصمت المهيمن على المنزل. سبق لها أن أمضت أوقاتاً لوحدها فيه بالطبع لكن الأمر مختلف. كانت تدرك في ذلك الوقت أن أحداً سواها يسكن في المنزل وأنه يمكن لأي من قاطنيه أن يدخل من الباب في أي لحظة. أما الآن فبدا لنا المنزل جسداً بلا روح.

غليون أبيها لا يزال بجانب النافذة ينتظر من يملأه بالتبغ الذي لا تزال رائحته تملأ المطبخ. وقد خطر لإريكا أن الرائحة تتبخر من المكان مع كل يوم يمر.

لطالما أحبت رائحة التبغ. ولطالما كانت تجلس في حضن أبيها وهي صغيرة وتغمض عينيها وتلقي رأسها على صدره. كانت رائحة التبغ تتغلغل في ملابسه وتمثل إحساس الأمان الذي سيطر على عالم طفولتها.

علاقة إريكا بأمها كانت أكثر تعقيداً بأشواط. لم تتذكر أنه خلال فترة نموها كلها قد تلقت من أمها أي إشارة تدل على الحنان فلم تحصل منها على غمرة أو مداعبة أو كلمة دافئة تجلب إليها الطمأنينة. إلسي فالك كانت امرأة قاسية القلب لا تعرف المسامحة وتسيّر أمور المنزل وفق نظام صارم ولا تسمح لنفسها أن تشعر بالفرح إزاء أي شيء في الحياة. كانت متدينة إلى حدّ بعيد وكما كثيرين من سكان المجتمعات الساحلية في بوسلان قد نشأت في بلدة لا تزال متأثرة بتعاليم القس شارتو. وقد تعلمت منذ نعومة أظافرها أن الحياة بأكملها سلسلة من العذابات والمعاناة التي لا تنتهي، وأن المكافأة ستحصل عليها في الحياة الأخرى. لطالما تساءلت إريكا في سرّها عن الأسباب التي يمكن أن تكون قد جذبت أباها ذا الطبيعة المرحة والقلب الطيب إلى امرأة مثل إلسي، وقد انفجرت في إحدى أيام المراهقة وعبّرت عما يدور في رأسها في لحظة غضب. لم يحنق والدها عليها، بل جلس ببساطة ووضع ذراعه حول كتفها وطلب إليها ألا تقسو في إصدار الحكم على أمها. وشرح لها أن بعض الناس يلاقون صعوبة أكثر من الآخرين في التعبير عن مشاعرهم وإظهارها بينما يداعب وجنتيها اللتين كانتا لا تزالان محمرتين غضباً. رفضت إريكا أن تصغي لكلامه في ذلك الحين، وكانت لا تزال مقتنعة أنه يحاول التستر على

ما كان واضحاً بالنسبة إليها فقط، وهو أن أمها لم تحبها يوماً، وأن ذلك شعور ستحمله معها طيلة حياتها.

من دون تفكير أو تردد قررت إريكا زيارة والدي ألكسندرا. من الصعب على المرء أن يفقد أبويه، لكن ذلك يبقى جزءاً من النظام الطبيعي للأمور. أما خسارة الولد فلا بدّ تجربة فظيعة. وكانت يوماً مقربة من ألكسندرا كما يمكن لأفضل صديقتين أن تكونا. لقد كان ذلك منذ خمسة وعشرين عاماً لكن عدداً كبيراً من أسعد ذكريات طفولتها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بألكس وعائلتها.

بدا المنزل مهجوراً. فخالة ألكسندرا وخالها كانا يقيمان في تالغاتان، وهو شارع يتوسط المسافة بين ساحة فيالباكا الرئيسة ومخيم سالفيك. المنازل متكئة كلها على منحدر وممراتها تشق الطريق نزولاً باتجاه الطريق العام لناحية المياه. الباب الرئيس في الجهة الخلفية للمنزل، لم تتردد إريكا في نقر الجرس، دوى الصدى وملأ المكان قبل أن يموت ويتيح المجال لعودة الصمت. لم تسمع أي همسة تأتي من الداخل وبينما كانت تستدير وتهم بالرحيل فتح الباب ببطء.

«أجل؟»

«مرحباً، أدعى إريكا فالك، أنا هو الشخص الذي . . . ».

تركت تتمة الجملة معلقة في الهواء. وقد شعرت بأنها حمقاء لقيامها بالتعريف عن نفسها بهذه الطريقة الشديدة الرسمية. خالة ألكس، أوللا بيرسون كانت تعلم تماماً من تكون الشابة على الباب. فوالدة إريكا وأوللا كانتا ناشطتين في الكنيسة معاً لسنوات، وغالباً ما كانت أوللا تأتي إلى المنزل أيام الآحاد لتناول القهوة.

تنحت السيدة جانباً مفسحة المجال أمام إريكا للدخول. لاحظت

أنه ليس هناك من ضوء واحد ينير المنزل. لم يكن المساء ليحل قبل ساعات بالطبع، لكنه وقت الغروب والظلال تخيم على المكان. تنهدات مكبوتة كان يمكن سماعها من الغرفة التي تقع بعد قاعة الاستقبال. خلعت إريكا حذاءها ومعطفها، ووجدت نفسها تتحرك بهدوء وحذر مفرطين لأن الجو العام في المنزل لم يكن يسمح بأي شيء آخر. ذهبت أوللا إلى المطبخ وتركت إريكا تستدلُّ على طريقها لوحدها. حين دخلت غرفة الجلوس توقف النحيب. على أريكة مقطعية وأمام نافذة كبرى كان كل من بريجيت وكارل-إريك كارلغرن يجلس يائساً يعانق أحدهما الآخر. كانت الدموع تبلل وجنتي كل منهما، وشعرت إريكا أنها تقتحم حرمة خلوة خاصة جداً. لعله لا يجوز لها التدخل، لكن الوقت الآن قد تأخر كثيراً على القلق بهذا الشأن.

جلست قبالتهما على الأريكة بحذر وشبكت يديها فوق حضنها. ولم ينطق أحد بكلمة واحدة منذ دخولها الغرفة.

«كيف كانت تبدو؟»

لم تفهم إريكا بداية ما قصدته بريجيت بكلامها. كان صوتها رفيعاً وناعماً كالأطفال ولم تعرف بما تجيب.

«وحيدة». كانت تلك هي الكلمة الوحيدة التي نطقت بها أخيراً وندمت عليها فور خروجها من فمها، فتابعت تقول: «لم أقصد. . .» إلا أن الجملة كذلك ماتت وابتلعها الصمت.

«هي لم تقتل نفسها!»

بدا صوت بريجيت فجأة قوياً وصارماً. ضغط كارل- إريك على يد زوجته وهز رأسه موافقاً على كلامها. لعلهما لاحظا تعبير إريكا المشكك، لأن بريجيت كررت القول: «هي لم تقدم على قتل نفسها!

أنا أعرفها أكثر من أي شخص آخر في العالم، وأنا على يقين أنها لم تكن لتقدر على أخذ حياتها بيديها. لم تكن لتملك الشجاعة على فعل ذلك! يجب أن تدركي ذلك. أنت أيضاً كنت تعرفينها!»

كانت تستقيم في جلستها قليلاً مع كل مقطع تتلفظ به، ولاحظت إريكا كيف أن عينيها كانتا تلتمعان. كانت بريجيت تفتح يديها وتطبقهما بتوتر مراراً وتكراراً، وتنظر في عيني إريكا مباشرة إلى أن تجبر إحداهما على إبعاد نظرها. كانت إريكا أول من استسلم ونظر بعيداً عن محدثتها وأخذ يتأمل الغرفة. كانت لتفعل أي شيء من أجل أن تتفادى تركيز نظرها على والدة ألكسندرا المفجوعة.

كان جو الغرفة دافئاً ومريحاً إنما مبالغ في ديكورها بالنسبة إلى إريكا التي تميل إلى البساطة. الستائر معلقة بأناقة ومهارة مع كشاكش عريضة تتناسب مع وسائد الأرائك التي خيطت من القماش ذاته المطرز بالأزهار. والحلى الصغيرة تغطي كل زاوية من الغرفة التي تحتوي على زبديات خشبية محفورة يدوياً ومزينة بشرائط مطرزة بالإبرة إضافة إلى كلاب مصنوعة من البورسلين ذات أعين دامعة على الدوام. ما يشفع للغرفة المكتظة نافذتها الكبرى التي تطل على منظر خلاب. تمنت إريكا لو تستطيع إيقاف الزمن والاستمرار في النظر إلى الخارج بدلاً من الغرق في أسى أولئك الناس، لكنها التفتت في النهاية وعادت تنظر إلى الثنائي كارلغرن.

«أنا لست واثقة من ذلك فعلاً بريجيت. فصداقتنا أنا وألكسندرا كانت قبل خمسة وعشرين عاماً. ولا أعلم فعلياً أي شيء عنها. أحياناً لا تعرفين الشخص على حقيقته كما تظنين أنك تفعلين...».

حتى إريكا نفسها تمكنت من إدراك مدى ضعف القول الذي يخرج من فمها. بدت كلماتها أشبه بشظايا مرتدة عن الجدران. وكارل-إريك هو من تحدث هذه المرة، فحرر نفسه من قبضة بريجيت

المتشنجة وانحنى إلى الأمام وكأنه يريد ألا تفوت إريكا كلمة واحدة مما ينوي أن يقوله.

«أعلم أن الأمر يبدو وكأنه نكران لما حصل، ولعلنا لا نبدي الآن انطباعاً مترابطاً منطقياً. لكن حتى لو كانت ألكس قد أقدمت فعلاً على الانتحار لسبب ما، فما كانت مطلقاً، وأكرر كلمة مطلقاً، لتعتمد ذلك الأسلوب! لعلك تتذكرين كيف كانت ألكس هستيرية في خوفها من منظر الدماء. كانت إن أصيبت بجرح طفيف يجن جنونها إلى أن يضع أحدهم ضمادة عليه. كما كان يغمى عليها أحياناً لمجرد رؤية الدم. لذا أنا واثق تماماً أنها كانت تلجأ إلى وسيلة أخرى في قتل نفسها، كتناول حبوب منومة مثلاً. ما من طريقة بحق السماء تجعل ألكس تنجح في تناول شفرة وجرح نفسها في إحدى ذراعيها أولاً ثم في الثانية لتنزف حتى الموت. إضافة إلى أنه وكما تقول زوجتي: ألكس إنسانة ضعيفة لا تتحلى بالشجاعة للإقدام على أمر كهذا. ينبغي للمرء أن يتمتع بقوة داخلية تدفعه لاتخاذ القرار بوضع حدٍّ لحياته، وهي لم تكن تتحلى بهذا النوع من القوة».

كانت نبرة صوته قهرية. ومع أن إريكا كانت لا تزال مقتنعة أنها تصغي إلى آمال شخصين يائسين، لم يكن بوسعها إلا أن ينتابها طيف من الشك. وحين تفكر ملياً في الأمر تجد أن هناك خطب ما كان يلف الحدث برمته حين دخلت الحمام صباح الأمس. لا بدّ للمرء طبعاً أن يشعر بوجود خطب ما عند اكتشافه جثة، لكن كان هناك أمر غريب ما يعبق في جو الغرفة لا يناسب الحادثة. كان هناك حضور ما، طيف ما. كانت لا تزال مؤمنة بأن أمراً ما قد دفع ألكسندرا وينكر للانتحار، لكنها لم تتمكن من إنكار أن شيئاً ما حول الثنائي كارلغرن... شيء من الإصرار العنيد قد أصاب الوتر الصحيح.

وخطر لها فجأة كم أن ألكس الراشدة تشبه أمها. بريجيت

كارلغرن كانت امرأة قصيرة ونحيفة ذات شعر أشقر فاتح اللون أورثته لابنتها، إلا أنه وبدلاً من خصل ألكس الطويلة كانت هي تقص شعرها قصيراً حتى أذنيها بشكل أنيق. كانت بريجيت ملتحفة بالسواد وعلى الرغم من حزنها العميق كانت تدرك تماماً مدى إعجاب الناس بمظهرها بفضل التباين بين الشعر الفاتح والثياب الداكنة. حركات طفيفة كانت تفضح تفاخرها الزائف فتمرر تارة يدها على شعرها المصفف بعناية وتتأكد من إعادة ترتيب الياقة طوراً. تذكرت إريكا أن خزانة ملابس بريجيت كانت أشبه بمحجة فتيات الثامنة من العمر عاشقات التأنق، وأن علبة مجوهراتها كانت أقرب إلى النعيم الذي يمكنهن الوصول إليه بالخيال هذه الأيام.

كان زوج بريجيت الجالس إلى جانبها يبدو شخصاً عادياً. لا يعني ذلك أنه غير جذاب لكنه غير لافت للأنظار كزوجته. كان لكارل - إريك كارلغرن وجه طويل رفيع تعلوه خطوط واضحة من التجاعيد. وكان خط الشعر قد تراجع إلى الوراء فوق جمجمة رأسه. هو أيضاً كان يرتدي ملابس سوداء، إلا أن اللون الداكن وعلى عكس زوجته جعله يبدو أكثر بهتاناً. شعرت إريكا أن الوقت قد حان لتغادر المكان. وقد تساءلت ما الذي أرادت تحقيقه فعلياً من تلك الزيارة.

وقفت في مكانها ففعل كل من الزوج والزوجة. رمقت بريجيت زوجها بنظرة ملحة وكأنها تدفعه لقول شيء ما. من الواضح أن ما سيقوله كان أمراً قد سبق وناقشاه وتوصلا إلى اتفاق بشأنه قبل وصول إريكا.

«نود منك أن تكتبي مقالاً حول ألكس. سننشره في صحيفة بوسلانينجن. نريده أن يكون مقالاً يعرض لحياتها وأحلامها . . . وموتها. سيكون بمثابة إحياء لذكراها. الأمر يعني الكثير بالنسبة إلي وإلى بريجيت».

«لكن ألا تفضلان نشر المقال في صحيفة غوتبورغسبوستن؟ أعني أنها كانت تعيش في غوتبورغ أخيراً، وكذلك أنتما، لهذا السبب أطرح فكرة نشر المقال هنا».

«لطالما كانت فيالباكا موطناً لنا وستظل دوماً كذلك. وهو أمر ينطبق على ألكس كذلك. يمكنك الانطلاق من التحدث بهذا الشأن إلى زوجها هنريك. لقد سبق أن تكلمنا معه وأبدى استعداداً للمساعدة. ستحصلين بالطبع على أتعابك بالمقابل».

من الواضح أنهما بكلامهما هذا اعتبرا الموضوع منتهياً. من دون أن تكون إريكا قد قبلت فعلياً القيام بالمهمة، وجدت نفسها تقف على الدرج خارج المنزل تحمل بيدها رقم هاتف هنريك ويكنر وعنوان منزله، بينما الباب يقفل خلفها. على الرغم من أنها لم تكن ترغب فعلياً في تولي المهمة، كان عقل الكاتبة فيها قد بدأ يخطط لشيء ما. دفعت إريكا بالخطة جانباً وشعرت أنها شخص سيء لمجرد ورود الفكرة إلى رأسها. إلا أن تلك الفكرة ظلت تطاردها رافضة مغادرة عقلها. خطر لها تأليف كتاب خاص بها، وقد عثرت الآن على الفكرة التي تبحث عنها منذ زمن بعيد، ووجدتها ماثلة هنا أمام عينيها. فكرة تدور حول قصة امرأة تسير بقدميها لملاقاة مصيرها، وتقدم شرحاً عما قد دفع امرأة شابة وجميلة ومحظوظة إلى الإقدام على الانتحار. هي لن تأتي على ذكر اسم ألكس بالطبع في قصتها لكنها ستكون قصة ترتكز أحداثها على ما يمكن أن تنبشه حول مسار الحياة الذي اتبعته البطلة وقاد إلى موتها. كانت إريكا قد أصدرت أربعة كتب حتى الآن لكنها كانت جميعاً عبارة عن سير ذاتية لكاتبات أخريات بارزات. لم تكن الشجاعة على إصدار قصة خاصة بها قد ظهرت، لكنها كانت تعلم أن في داخلها كتباً تنتظر أن تدون على الورق. لعل هذه الفكرة تمنحها الحافز الذي كانت تحتاج،

والوحي الذي كانت تنتظر. إن حقيقة معرفتها بألكس يوماً ستصب في مصلحتها.

كانت تنتفض غضباً من الداخل ككائن بشري لمجرد التفكير بالأمر لكنها بوصفها كاتبة كانت تشعر ببهجة عارمة.

كانت الفرشاة ترسم خطوطاً عريضة فوق قماش الكتان. إنه يرسم منذ ساعات الفجر الأولى، وها هي المرة الأولى منذ عدة ساعات كذلك يتوقف ويتراجع بضع خطوات إلى الوراء ليتأمل ما صنعته يداه. كانت اللوحة تبدو لعين الناظر غير المتمرسة مجرد خربشات بالأحمر والبرتقالي والأصفر متداخلة في ما بينها على القماش. أما بالنسبة إليه فاللوحة عبارة عن مفهومي الإذلال والاستسلام وقد صيغا من جديد بألوان من شغف.

لطالما كان يرسم مستخدماً الألوان ذاتها. كان الماضي المتجسد في اللوحة يصيح بأعلى صوته ويسخر منه فيعود ليرسم بحنق وجنون متزايدين.

بعد مرور ساعة كاملة، أدرك أنه أفرغ قنينة الجعة الأولى لفترة الصباح. تناول القنينة الأخرى الأقرب منه متجاهلاً أنه نفض رماد سيجارته بداخلها الليلة الماضية. علقت ذرات الرماد فوق شفتيه لكنه ابتلع الجعة رشفة واحدة ورمى بالقنينة على الأرض بعد أن تأكد أنها فرغت حتى آخر قطرة.

سرواله الداخلي كان أصفر اللون من الأمام لا يعلم ما إن كان من الجعة أو من البول الجاف. لعله مزيج من الإثنين معاً، أما شعره الدهني كان يتدلى فوق كتفيه وصدره العاري ووجهه الشاحب ذي العينين الغائرتين. كان مظهر أنديرس نلسون يوحي بالاشمئزاز والدمار

لكن اللوحة المعلقة فوق القاعدة أمامه كانت تظهر موهبة تتناقض بشكل صارخ مع انحطاط مبدعها.

جلس على الأرض واستند إلى الحائط قبالة اللوحة مباشرة. إلى جانبه كانت قنينة جعة غير مفتوحة استمتع بالصوت الذي أصدرته حين نزع الغطاء عنها. كانت الألوان تصرخ بقوة في وجهه تعيد إليه ذكرى أمضى الجزء الأكبر من حياته يحاول نسيانها. لماذا تدمر كل شي الآن بحق السماء! لماذا لا تدع الأمور تسير كما هي وحسب! تلك السافلة الأنانية، لم تكن تفكر إلا في نفسها. كانت رقيقة وبريئة كأميرة لعينة. لكنه كان يعلم ماذا يستتر تحت هذا المظهر.

كانا من الطينة ذاتها. سنوات العذاب المتبادل قد صقلتهما وصهرتهما معاً وقد خطر لها مع ذلك أنها تستطيع منفردة أن تغير مسار الأمور ونظامها.

«اللعنة».

شتم مزمجراً من أعماقه ورمى اللوحة التي أمامه بقنينة الجعة نصف الممتلئة، لكنه اشتعل غضباً لما لم تتمزق. بالكاد انثنى قماش الكتان وانزلقت القنينة على الأرض. انتشر رذاذ الجعة فوق اللوحة وأخذت ألوان الأحمر والبرتقالي والأصفر تندمج وتتمازج مكونة أطيافاً وأشكالاً جديدة. أخذ يتأمل النتيجة ينتابه إحساس بالرضا.

لم يكن قد صحا من سكره بعد حفلة الساعات الأربع والعشرين الماضية الصاخبة. وقد أخذت الجعة مفعولها بسرعة على الرغم من سنوات تناول الخمر بشكل مكثف وقدرة الاحتمال الهائلة على المسكرات. أخذ يغرق ببطء في الضباب المعتاد لرائحة التقيؤ القديمة العالقة في أنفه.

كانت تملك مفتاحاً خاصاً بها للشقة. وكانت تنزع حذاءها من

قدميها في قاعة الاستقبال مع أنها كانت تدرك تماماً أنه لا جدوى من ذلك وأنه مجرد مضيعة للوقت، فخارج المنزل كان أكثر نظافة من داخله. وضعت أكياس الخضار وعلقت معطفها بأناقة فوق الوتد. لم يكن الإعلان عن وصولها بالفكرة السديدة لأنه سيكون قد أغمي عليه في هذا الوقت.

المطبخ الواقع إلى يسار الممر كان على حالته المزرية المعتادة. كومة من الصحون المتسخة التي تراكمت على مدى أسابيع لم يكن حوض غسل الصحون يتسع لها فانتشرت على الطاولة والكراسي والأرض كذلك. أما بقايا الطعام وقناني الجعة والزجاجات الفارغة كان يمكن رؤيتها أينما كان.

فتحت باب البراد لوضع الطعام الذي اشترته فأدركت أنها قامت بالخطوة في الوقت المناسب إذ كان البراد فارغاً. أمضت بضع دقائق في ترتيب المشتريات بداخله فامتلأ من جديد. وقفت في مكانها للحظة من دون حراك تستجمع قوتها.

كانت الشقة صغيرة بحجم علبة. كانت هي من جلب قطع الأثاث المعدودة لكنها لم تسهم كثيراً في تغيير المكان. كانت قاعدة حمل لوحات الرسم التي بجانب النافذة تحتل القسم الأكبر من الغرفة، وفراش رث يملأ إحدى زواياها. لم تتمكن مطلقاً من توفير مبلغ من النقود تستطيع دفعه مقابل شراء سرير لائق.

حاولت مساعدته في البداية للحفاظ على نظافة المكان ونظافته الشخصية. فكانت تمسح وترتب إثر الفوضى التي كان يخلفها أينما كان وتغسل ملابسه وتقوم بمساعدته على الاستحمام أحياناً. كانت تأمل حينها أن يتغير مسار الأمور، وتعود الحياة إلى مجراها الطبيعي. لكن سنوات طوال قد مضت على ذلك. وصلت الأمور إلى مرحلة لم تعد تقوى على مواجهتها. وكانت تكتفي الآن بأن تحرص على أن

يكون لديه طعام على الأقل يقتات به.

لطالما تمنت لو أنها لا تزال تتمتع بالطاقة التي كانت لها من قبل. كان الإحساس بالذنب الذي يثقل كاهلها وصدرها هائلاً. في الماضي حين كانت تجثو على ركبتيها لتزيل بقع التقيؤ كانت تشعر للحظات أنها تعوض عن إحساسها بالذنب، لكنها الآن تحمله في صدرها من دون أمل بإزالته.

نظرت إليه وهو مستند إلى الحائط فوجدته منهاراً بالكامل. كان مجرد مريض محطم نتن الرائحة يخفي وراء مظهره المتسخ المقزز موهبة نادرة لا تصدق. لقد تساءلت مرات لا تحصى كيف كانت الأمور لتكون لو أنها اتخذت خياراً مختلفاً في ذلك اليوم. أمضت السنوات الخمس والعشرين الماضية تتساءل كيف كانت الحياة لتبدو لو أنها أقدمت على تصرف مغاير. خمسة وعشرون عاماً ليس وقتاً قصيراً للتفكير والتذكر والاكتئاب.

أحياناً ما كانت تتركه ممداً على الأرض وترحل. كان البرد يتسلل من الخارج وشعرت بأن الأرض شديدة البرودة تحت قدميها المغطاتين بجوارب ضيقة. سحبته من ذراعه المدلاة إلى جانبه تخلو من الحياة فلم يستجب. لفت كلتا يديها حول معصم يده وأخذت تجره نحو الفراش. حاولت أن تقلبه وتضعه فوقها وارتعش جسدها قليلاً حين ضغطت بيديها فوق خصره الرخو العاري. تمكنت بعد قليل من المحاولات أن تضع معظم جسده فوق الفراش. ونظراً إلى عدم وجود أي غطاء تناولت معطفه من الممر ووضعته فوقه. سرع المجهود الذي بذلته نبضات قلبها وأصابها باللهاث فجلست على الأرض. ما كانت لتتمكن من القيام بما قامت به في هذا العمر لولا سنوات طويلة أمضتها في التنظيف والعمل الشاق. كانت تشعر بالقلق إزاء ما سيحصل يوم لا تعود قادرة على التكيف مع هذا الجهد الجسدي.

خصلة من الشعر الدهني كانت تتدلى فوق وجهه فأزاحتها بإصبعها برفق. لم تسر أمور حياتهما كما كانت تتخيلها لكنها كانت لتكرس ما تبقى من حياتها للحفاظ على القليل الذي بقي لهما.

كان الناس يبعدون نظرهم عنها حين تلتقيهم في الشارع لكن ليس بما يكفي من السرعة ما يجنبها ملاحظة طيف الشفقة فيهما. لطالما كان أنديرس مشهوراً في البلدة كلها وعضواً دائماً في المنظمة المحلية لمساعدة المدمنين على التوقف عن معاقرة الكحول. أحياناً ما كان يتسكع مترنحاً في أنحاء البلدة مطلقاً الشتائم والعبارات النابية لكل من يصادفه في الطريق. استحق الكراهية عن جدارة واستحقت هي الشفقة. يجب أن يكون الأمر معاكساً في الواقع فتحصل هي على كراهية الآخرين ويستحق هو شفقتهم عن جدارة، إذ كانت هي من يستدعي الكراهية وأنديرس من يستحق الشفقة. كان ضعفها ما أعطى حياتها هذا الطابع، لكنها لن تكون ضعيفة مطلقاً مجدداً.

ظلت جالسة في مكانها لساعات تلامس جبينه. أحياناً ما كان يتقلب في نومه لكن لمساتها كانت تعيد إليه هدوءه. خارج نافذة الغرفة، حيث هما، كانت عجلة الحياة تسير كالمعتاد. لم يتوقف الزمن إلا في الداخل.

حل نهار الإثنين مع ارتفاع في درجات الحرارة عما دون الصفر وغيوم محملة بالأمطار. لطالما كانت إريكا حذرة في قيادة السيارة لكنها تقود الآن بشكل أبطأ من العادة لتحظى بفرصة للمناورة والتحكم بالسيارة في حال انزلقت فوق الجليد. لم تكن القيادة من الأمور المحببة إلى قلبها لكنها كانت تفضل عزلة الوجود في السيارة على زحمة القطار أو الحافلات السريعة المكتظة بالناس.

عندما انعطفت إلى اليمين لاحظت تحسن حال الطريق السريع

وسمحت لنفسها زيادة السرعة قليلاً. كان يفترض بها لقاء هنريك ويكنر عند الظهر، مع ذلك غادرت فيالباكا باكراً وأصبح لديها متسع من الوقت لتقوم برحلة غير مستعجلة إلى غوتبرغ.

للمرة الأولى مذ رأت ألكس متجمدة كلوح من زجاج داخل حوض الاستحمام تفكر إريكا في الحديث الهاتفي الذي جرى بينها وبين آنا.

لا تزال حتى الآن تلاقي صعوبة في تصوّر أن أختها آنا ستسير فعلاً في معاملات بيع المنزل. إنه المكان الذي أمضيتا فيه طفولتهما في النهاية وإن والديها يصابان بالحزن إذا علما أنهما ستبيعانه. لكن كل شيء كان ممكناً بدخول لوكاس على الخط. لم تكن تستبعد إمكانية قيامه بذلك لأنها كانت قادرة على ملاحظة عدم تردده في القيام بأمور منحطة. لم يتوانَ على الذهاب بعيداً لكنه تجاوز حدوده كثيراً هذه المرة.

لكن وقبل أن تصاب بالقلق على المنزل فعلياً عليها أن تعرف ما هو موقعها تماماً في القضية من الناحية القانونية. إلى أن يحصل ذلك ستتصدى لأي إحباط يسببه لها مكر لوكاس ودهاءه. عليها أن تصب تركيزها في الوقت الحالي على لقائها المنتظر مع زوج ألكس.

بدا هنريك ويكنر لطيفاً على الهاتف وكانت الأخبار قد وصلته أصلاً حين اتصلت به. كان يمكن لها طبعاً أن تأتي إليه وتطرح بعض الأسئلة المتعلقة بألكسندرا، نظراً إلى أهمية المقال الذي ستكتبه عنها بالنسبة إلى والديها.

كانت إريكا تهتم كثيراً لأن ترى كيف يبدو منزل ألكس، على الرغم من أنها لم تكن متحمسة كثيراً لأن تشهد على حزن شخص آخر من العائلة. واللقاء مع والدي ألكس كان يفطر القلب. كانت تفضل بوصفها كاتبة أن تراقب الواقع من بعيد، وتعاينه من مسافة آمنة بشكل

موضوعي، لكنها كانت ستحظى في الوقت عينه على فرصة للتعرف إلى أولى الإشارات التي تدل على كيفية حياة ألكس كشخص راشد.

منذ اليوم الأول للقائهما في المدرسة، لم تنفصل كل من إريكا وألكس إحداهما عن الأخرى مطلقاً. وكانت إريكا تشعر بفخر عظيم لأن ألكس اختارتها صديقة لها. كانت ألكس أشبه بمغنطيس يجذب كل ما يقع في نطاقه. كان الكل يريد البقاء قريباً من ألكس، وكانت مع ذلك غافلة تماماً لموضوع شهرتها هذا. كانت منطوية على ذاتها على نحو يوحي بثقة بالذات أدركت إريكا كراشدة أنه غير اعتيادي بالنسبة إلى فتاة صغيرة. مع ذلك كانت ألكس منفتحةً على الآخرين كريمة النفس لا تظهر عليها أي من علامات الخجل على الرغم من تصرفاتها المتحفظة. وكانت هي من اختار إريكا صديقة لها في حين لم تكن إريكا أصلاً لتجرؤ على التقرب من ألكس من تلقاء نفسها. لم تنفصلا حتى العام الذي سبق انتقال ألكس واختفائها من حياتها نهائياً. أخذت ألكس تنطوي على نفسها أكثر فأكثر بينما أمضت إريكا ساعات تنتحب على صداقتهما الضائعة. ثم أتى يوم طرقت فيه باب منزل ألكس من دون أن تلقى أي إجابة. لا تزال إريكا تتذكر بعد مرور خمسة وعشرين عاماً بالتفصيل شعور الألم الذي أحست به حين أدركت أن ألكس قد غادرت هكذا ببساطة من دون أن تأتي على ذكر الرحيل أمام صديقتها ومن دون أن تودعها حتى. كانت لا تزال تجهل تماماً ما الذي حصل. ألقت كطفلة اللوم على نفسها بالكامل مفترضة أن ألكس قد ملت رفقتها ببساطة.

تابعت إريكا طريقها بقليل من الصعوبة مجتازة غوتبرغ باتجاه سارو. كانت تعرف طرقات المدينة بعد أن تابعت دراستها فيها لأربع سنوات لكنها لم تكن تملك سيارة حينئذٍ لذا بقيت غوتبرغ من هذا المنطلق مساحة خالية على الخريطة. لو كانت تستطيع القيادة على

الطرقات المخصصة للدراجات لكانت الأمور أسهل بكثير. كانت غوتبرغ عبارة عن كابوس بالنسبة إلى قائد معرض للخطر بوجود الكثير من الطرقات ذات الاتجاه الواحد، والممرات الدائرية المزدحمة بالسيارات، وأبواق القطارات المزعجة الآتية من كل اتجاه. بدا كذلك أن جميع الطرقات تسير نحو هيسينجن التي تقع شمال غرب المدينة. إن اتبعت المخرج الخاطىء سينتهي بها الأمر هناك لا محال.

كانت التعليمات الخاصة بالاتجاهات التي زودها بها هنريك واضحة وعثرت على العنوان من المحاولة الأولى، متمكنة من البقاء خارج هيسينجن هذه المرة.

فاق المنزل كل توقعاتها، إذ كان عبارة عن فيلا بيضاء اللون ضخمة يعود تصميمها إلى القرن الماضي، تطل على المياه مع مناظر رائعة تعد بليالي صيف دافئة قادمة. أما الحديقة التي كانت تختبىء تحت عباءة من الثلج الأبيض كانت مصممة بعناية وتحتاج إلى عناية جنائني محترف نظراً إلى مساحتها الواسعة.

قادت إريكا سيارتها نزولاً على طول طريق محاطة بأشجار الصفصاف من الجانبين واجتازت بوابة حديد ضخمة تؤدي إلى ساحة مفروشة بالحصى تقع أمام المنزل.

سلالم حجرية كانت تقود إلى بوابة المدخل الفخمة المصنوعة من خشب السنديان. لم يكن هناك جرس حديث على الباب فاضطرت لأن تطرقه بواسطة مقبض حديد. فتح الباب أمامها في الحال. كانت تتوقع أن ترحب بها إحدى الخادمات بثوبها وقبعتها الأنيقين لكن رجلاً استقبلها عند الباب عوضاً عن ذلك تعرفت إليه فوراً وأدركت أنه هنريك ويكنر بنفسه. كان حسن المنظر وسيماً من دون شك، وشعرت إريكا بالسعادة لأنها كرّست المزيد من وقتها وجهدها للاهتمام بمظهرها قبل مغادرة المنزل.

دخلت ردهة المنزل الكبرى ولاحظت مباشرة أنها أكثر اتساعاً من الشقة التي تعيش فيها في ستوكهولم برمتها.

«أدعى إريكا فالك».

«وأنا هنريك ويكنر. التقى أحدنا الآخر الصيف الماضي على ما أذكر. كان ذلك في المطعم الواقع بالقرب من ساحة إنغريد برغمان».

«أجل، هذا صحيح. في مقهى بريغان تحديداً. يبدو لي أن ذاك الصيف مضى عليه دهر بأكمله نظراً إلى الطقس الذي نشهده هذه الأيام».

دمدم هنريك كلاماً غير مفهوم رداً على ما قالته. وساعدها كي تنزع عنها معطفها وأرشدها إلى الطريق المؤدي إلى قاعة الاستقبال البعيدة عن الردهة. جلست على الأريكة بخجل وحذر شديدين. على الرغم من معرفتها المحدودة بالقطع الأثرية استطاعت أن تعلم أن الأريكة من الطراز القديم ولعلها قيّمة جداً. قبلت عرض هنريك تقديم القهوة لها. وبينما يسير متعرجاً متعثراً بوعاء القهوة ويتبادل معها الملاحظات والتعليقات بشأن سوء أحوال الطقس وبرودة الجو، كانت تراقبه خلسة مستخلصة أنه لا يبدو حزيناً لفقدان حبيب غال. لكن إريكا كانت تعلم أن ذلك لا يعني شيئاً بشكل محدد، إذ لمختلف الأشخاص طرق متنوعة للتعبير عن حزنهم وأساهم.

كان يرتدي سروالاً من نسيج قطني طويل مكوي بشكل متقن جداً وقميص أزرق فاتح اللون يحمل ماركة رالف لورين. كان شعره داكن اللون أقرب ما يكون إلى الأسود مقصوصاً بطريقة معاصرة أنيقة من دون أن يكون شديد التكلف. أما عيناه فكانتا بنيتين غامقتي اللون تمنحانه مظهراً جنوب أوروبياً نوعاً ما. يصادف أنها تفضل إلى حدّ بعيد نوعاً مختلفاً من الرجال لكنها لم تستطع إلا أن تتأثر بقوة جاذبية

هذا الرجل الذي يبدو أنه يخرج مباشرة من مجلة للأزياء. لا بد أن هنريك وألكس كانا يشكلان ثنائياً مبهراً وأنيقاً.

«يا له من منزل رائع».

«شكراً لك. أنتمي إلى الجيل الرابع من عائلة ويكنر التي كانت تقيم في هذا المنزل. جدي الأكبر، والد أبي أمر ببناء هذا المنزل في أوائل القرن الماضي والعائلة تقيم فيه منذ ذلك الوقت. لو كانت هذه الجدران تستطيع الكلام...» قام بحركة معبرة بيديه وابتسم لإريكا.

«حسناً، لا بد أن تشعر بشيء من الغرابة وأنت محاط بتاريخ العائلة».

«ربما، لكنها مسؤولية كبرى، تعرفين كيف هي الأمور وأنا أسير على خطى أسلافي وكل ما يتعلق بهذا الشأن».

أطلق ضحكة مكتومة خافتة ولم يبد لإريكا أنه يرزح كثيراً تحت عبء المسؤولية التي تكلم عنها. إلا أنه لم يسعها سوى أن تشعر أنها خارج المكان داخل هذه الغرفة الأنيقة وصارعت من دون جدوى لتجد طريقة مريحة في الجلوس على الأريكة الجميلة الإسبارطية الطابع. جثمت أخيراً على الحافة البعيدة وارتشفت قهوتها المسكوبة بفناجين صغيرة فاخرة بحذر. ارتعش إصبعها الصغير قليلاً لكنها قاومت الإحساس. كانت الفناجين مناسبة تماماً للوي الإصبع الصغير للشارب لكنه خطر لها أنها على الأرجح محاكاة تهكمية أكثر منها إشارة إلى ثقافة رفيعة متكلفة. كما أنها صارعت قليلاً لدى مواجهة صحن كبير من الكعك المحلى على الطاولة، لكنها خسرت المبارزة تماماً بوضع قطعة كبيرة في صحنها. وقدرت أنها تحتوي من السعرات الحرارية أكثر عشر مرات ما تناولته صباحاً.

«كانت ألكس تحب هذا المنزل كثيراً».

كانت إريكا تتساءل عن كيفية مفاتحته بالسبب الحقيقي لزيارتها

وسبب جلوسها في منزله. وكانت ممتنة حين أتى هنريك نفسه على سيرة ألكس.

«كم من الوقت عشتما هنا معاً؟»

«منذ أن تزوجنا، أي قبل خمسة عشر عاماً. لقد التقينا حين كان كلانا يتابع دراسته في باريس كانت هي تقرأ عن تاريخ الفنون وأنا كنت أحاول أن أكتسب ما يكفي من المعلومات حول عالم الأعمال لإدارة أمبراطورية العائلة. وقد تمكنت من ذلك لكن بالكاد فعلت».

كانت إريكا تؤمن بشدة أن لا وجود لكلمة بالكاد في قاموس هنريك ويكنر أو في حياته.

«بعد الزواج مباشرة، عدنا إلى السويد إلى هذا المنزل تحديداً. بعد أن توفي والدي ظل المنزل خالياً لبضع سنوات بينما كنت أنا في الخارج، لكن ألكس بدأت مباشرة عملية ترميمه وتجديده. كانت تريد لكل شيء أن يكون مثالياً وعلى أحسن حال. كافة التفاصيل الموجودة في المنزل، وكل شيء ترينه هنا من ورق الجدران إلى البسط والأغطية والأثاث إما كانت هنا في المنزل منذ بنائه واستعادت مظهرها السابق، وإما أن ألكس قامت بشرائها. كانت تجول على عدد هائل من التجار الذين يتعاملون بالقطع الأثرية لتجد القطع ذاتها التي كانت في المنزل أيام كان جدي الأكبر يسكنه. كانت لديها كومات من الصور قديمة التي تساعدها على الاختيار، وها هي النتيجة رائعة. وكانت في الوقت ذاته منشغلة بإقامة معرضها الخاص. ما زلت لا أفهم كيف كانت تجد الوقت الكافي للقيام بكل تلك الأمور في آن معاً».

«كيف كانت ألكس على المستوى الشخصي؟»

استغرق هنريك وقته قبل أن يجيب عن سؤالها.

«كانت جميلة وهادئة ومثالية بكل ما فيها من أعلى رأسها حتى

أخمص قدميها. لعلها كانت تبدو شخصاً عديم الفائدة، مزهواً بنفسه لمن لا يعرفها جيداً، لكن ذلك يعود إلى أنه لم يكن من السهل أن تدع أحداً يتدخل في حياتها أو يعرف تفاصيلها. ألكس من نوع الأشخاص الذي ينبغي على المرء المكافحة للتعرف إليهم والتقرب منهم».

كانت إريكا تعي تماماً ما الذي يقصده بكلامه. هالة العزلة التي كانت ألكس تحيط نفسها بها كانت وهمية وتسمها بالانطوائية حتى حين كانت لا تزال طفلة. ومع ذلك، كانت الفتيات اللواتي يطلقن عليها هذه الألقاب يتقاتلن في ما بينهن ليجلسن بالقرب منها.

«ما الذي تقصده تماماً؟»

نظر هنريك من النافذة وظنت إريكا للمرة الأولى منذ دخولها منزل عائلة ويكنر أنها لمحت طيف مشاعر ما تلوح خلف ذاك المظهر الخارجي الساحر.

«كانت تقوم بالأمور على طريقتها الخاصة وتفعل ما يحلو لها. لم تكن تأخذ شيئاً بعين الاعتبار ولا تأبه لأحد. لم تكن تلجأ إلى ذلك بدافع السوء ولم تكن تتعمد الأذى إذ إنه لم يكن لألكس أي علاقة بالمكر أو الخبث، لكنها كانت تفعل ما تفعل بدافع الحاجة. أكثر ما كان يهم زوجتي هو أن تتفادى الإصابة بأي أذى. كل ما عدا ذلك، وكل مشاعر أخرى تخرج عن هذا النطاق كان ينبغي أن تحتل المركز الثاني لمصلحة تلك الأولوية، لكن المشكلة أنها إن لم تكن تدع أحداً يخترق هذا الجدار خوفاً من أن يتبين أنه عدو ما فانتهى بها الأمر إلى أن أبعدت عنها الكل حتى الأصدقاء».

قال كلماته تلك وغرق في بحر من الصمت. ومن ثم نظر إلى إريكا وتابع بالقول: «كانت تتحدث عنك كثيراً».

لم تتمكن إريكا من إخفاء دهشتها. فنظراً إلى الطريقة التي انتهت

بها صداقتهما، افترضت إريكا أن صديقتها ألكس قد أدارت لها ظهرها للأبد وتخلت عنها من دون تردد أو نظرة إلى الوراء.

«لا أزال أذكر جيداً أحد الأمور التي أخبرتني بها مرة. ذكرت أمامي أنك كنت آخر صديقة حقيقية عرفتها يوماً وقالت بالحرف الواحد علاقة الصداقة النقية الأخيرة. فكرت أنه إحدى الأمور الغريبة التي يمكن لأحد قولها لكنها لم تأت على ذكر الموضوع مجدداً، وكنت قد تعلمت في حينها ألا أسألها مطلقاً. ولهذا السبب أخبرك أموراً عن ألكس لم أخبر بها أحداً آخر سواك. شيء ما ينبئني أنه بالرغم من كل السنوات التي مضت لا تزالين تحتلين مكاناً ما في قلب زوجتي».

«هل كنت تحبها؟»

«أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم. ألكسندرا كانت كل حياتي. كل ما كنت أفعله وكل ما كنت أقوله كان يتمحور حولها. ما يدعو للسخرية أنها لم تكن تلاحظ ذلك قط. لو أنها فقط سمحت لي التقرب إليها أكثر لما كانت ميتة اليوم. لطالما كان الجواب حاضراً نصب عينيها لكنها ما انفكت ترفض أن تراه. كانت زوجتي عبارة عن مزيج غريب من الجبن والشجاعة».

«يعتقد كل من كارل- إريك وبريجيت أنها لم تكن هي من وضعت حداً لحياتها».

«أجل، أعلم. يفترضان أني لن أصدق أنها فعلت ذلك أيضاً، لكن كي أكون صادقاً معك أعترف أني لا أعلم ما الذي أفكر به تحديداً. لقد عشت معها ما يزيد عن خمسة عشر عاماً، لأكتشف أني لم أكن أعرفها حق المعرفة».

كانت نبرة صوته لا تزال قاسية وواقعية إلى أبعد الحدود. وفقاً لتلك النبرة بالذات، كانت تفترض أنه يتحدث عن أحوال الطقس والمناخ ليس إلا، لكن إريكا أدركت أن الانطباع الأول الذي كونته

عن هنريك لم يكن دقيقاً تماماً. عمق مشاعره وحزنه كانا عظيمين. كل ما في الأمر أنه لم يكن يسمح لتلك المشاعر بالظهور إلى العلن على النحو الذي يعتمده كارل- إريك وبريجيت كارلغرن. بالنظر إلى تجاربها الخاصة ربما، فهمت إريكا بشكل غريزي أنه لم يكن يعاني من الحزن لوفاة زوجته وحسب، بل لأن حصوله على فرصة جعلها تحبه كما يحبها هو قد ضاعت من بين يديه إلى الأبد. إنه شعور تعرفه عن ظهر قلب.

«مما كانت خائفة؟»

«لقد طرحت السؤال على نفسي آلاف المرات. لكنني لا أعرف الإجابة عنه حقاً. ما إن حاولت التكلم معها بالأمر حتى أقفلت الباب على الموضوع ولم أتمكن من طرقه مجدداً. بدت المسألة وكأنها تخفي في داخلها سراً ما لا تستطيع أن تشارك به أحداً. هل يبدو ذلك غريباً لك؟ لكن، ولأنني لا أعرف ما كان ذاك السر فعلاً، لا أستطيع أن أجزم ما إن كانت هي قادرة على وضع حدٍّ لحياتها بنفسها أو لا».

«كيف كانت علاقتها بأهلها وأختها؟»

فكر مطولاً قبل أن يجيب قائلاً: «حسناً، كيف عساي أن أصفها لك؟ متوترة. وكأن الجميع يداري الآخر ويمشي على رؤوس أصابعه منعاً لخلق إزعاج ما لمن يحيط به. الشخص الوحيد الذي كان يقول ما يجول في خاطره على صوت عالٍ أختُها الصغرى جوليا، وهي شخص غريب الأطوار بجميع الأحوال. لطالما كان المرء يشعر أن حواراً آخر مختلف تماماً يدور وراء ذاك الذي يقال بصوت مرتفع على الملأ. لا أعلم كيف أشرح لك الأمر بالضبط. بدا وكأنهم يتحدثون بالألغاز، بلغة مشفرة، وكأن أحدهم قد نسي إعطاءهم كلمة السر».

«وماذا تقصد بقولك إن جوليا شخص غريب الأطوار؟»

«لعلك تعلمين أن بريجيت أنجبت ابنتها جوليا في مرحلة متأخرة من حياتها. إذ كانت قد تجاوزت سن الأربعين ولم يكن مخططاً لأن تحمل وتنجب. لذا كانت جوليا نوعاً ما أشبه بمدللة العائلة الساذجة. ولم يكن سهلاً جداً أن يكون لها أخت كألكس. لم تكن جوليا مجرد طفلة مرحة سهلة المعشر. ولم تصبح فتاة أكثر جاذبية عندما كبرت وتعلمين كيف كانت ألكس تبدو وإلى أي حدٍّ كانت تبدو جميلة. لطالما ركز كارل-إريك وبريجيت أقصى اهتمامها على ألكس وحدها وتم نسيان جوليا ببساطة. وكانت طريقتها في التعامل مع الأمر تقتضي الانطواء على نفسها أكثر فأكثر، لكنها تعجبني رغم ذلك. فهناك حتماً أمر ما تخفيه خلف هذا المظهر الفظ الخشن. آمل فقط أن يقوم أحدهم يوماً ما بالجهد الكافي لإيجاد ما يكون».

«كيف كانت ردة فعلها حيال وفاة ألكس؟ كيف كانت علاقة إحداهما بالأخرى؟»

«سيكون عليك على الأرجح أن تسألي بريجيت وكارل - إريك عن ذلك. لم يسبق لي أن رأيت جوليا منذ ستة أشهر. إنها تتابع دراستها لتصبح معلمة، شمالاً في أوميا، وهي لا تحبذ فكرة العودة إلى هنا مجدداً. حتى أنها لم تعد إلى الديار خلال فرصة عيد الميلاد العام الماضي. أما بالنسبة إلى علاقتها بألكس، فلطالما كانت جوليا تعبد أختها الكبرى. كانت ألكس قد بدأت ارتياد المدرسة الداخلية حين ولدت جوليا، لذا لم تكن توجد في المنزل كثيراً، لكن حين كنا نزور العائلة كانت جوليا تلحق بأختها كجرو صغير. لم تكن ألكس تحب ذلك كثيراً لكنها كانت تتركها وشأنها. أحياناً ما كانت تصاب بالغضب من جوليا وتنقض عليها بكلمات لاذعة، لكنها عادة ما كانت تتجاهل وجود أختها وحسب».

شعرت إريكا أن الحديث بينهما على وشك الوصول إلى نهايته.

كان السكون والصمت المطبق يسيطران على المنزل بالكامل عندما يتوقفان عن الكلام، وكان يمكنها أن تشعر أنه وسط كل هذه الفخامة والرفاهية صار المنزل مجرد بناء مليء بالوحدة والحزن بالنسبة إلى هنريك ويكنر.

وقفت إريكا من مكانها ومدت يدها تصافحه مودعة، فأخذ تلك اليد بكلتا يديه وتمسك بها للحظات طالت قبل أن يطلقها. ورافقها إلى الباب.

قالت له: «أعتقد أني سأمرّ بالمعرض قليلاً وألقي نظرة على المكان».

«إنها فكرة سديدة. لطالما كانت ألكس فخورة به إلى حدٍّ لا يصدق. لقد قامت بإنشائه والاهتمام به من الصفر، بمساعدة صديقة لها كانت زميلة الدراسة في باريس، وتدعى فرانسين بيجو. حسناً لقد تغير اسمها الآن ليصبح ساندبيرغ. عادة ما كانت تربطنا علاقة اجتماعية وطيدة بكل من فرانسين وزوجها، لكن الأمور تبدلت قليلاً وصارت أبطأ وتيرة عندما رزقا بأولاد. لعل فرانسين موجودة في المعرض الآن، سأتصل بها هاتفياً وأشرح لها من تكونين. أنا واثق أنها ستسرّ كثيراً بأن تقدم لك المساعدة وتحدثك قليلاً عن ألكس».

فتح هنريك باب المنزل لإريكا. شكرته للمرة الأخيرة وابتعدت عن زوج ألكس وتوجهت إلى سيارتها.

في اللحظة التي خرجت من السيارة أخذت الأمطار تنهمر غزيرة من دون توقف. كان المعرض في منطقة كالمارسغاتن بموازاة شارع التسوق الأساسي المسمى أفينين، لكن بعد مرور نصف ساعة من البحث عن موقف تركن فيه سيارتها استسلمت إريكا وتركتها في موقف هيدين. لم يكن المكان يبعد كثيراً، لكن المشي تحت زخات

الأمطار المتواصلة جعل المعرض يبدو وكأنه يبعد عشر كيلومترات. كما أن كلفة الموقف كانت اثني عشر كوروناً في الساعة. شعرت إريكا بمزاجها يتعكر. من الطبيعي ألا تجلب معها مظلة تقيها المطر، وعلمت أن خصلات شعرها المتجعد سرعان ما ستتشعث وتبدو أنها مصففة في المنزل بشكل سيء.

سرّعت الخطى في اجتياز شارع أفينين وبالكاد تمكنت من تفادي القطار رقم أربعة الآتي بسرعة جنونية باتجاه مولندال. بعد تخطي فالاند، حيث أمضت العديد من الأمسيات أيام الدراسة انعطفت يساراً متجهة نحو كالمارسغاتن.

كان المعرض الذي يحمل اسم غاليري أبستراكت يقع إلى اليسار مع واجهات كبيرة ونافذة تطل على الشارع. أصدر الجرس الموضوع فوق باب المدخل طنيناً لدى دخولها المكان، ولاحظت أن مساحة المعرض أكثر اتساعاً مما تبدو عليه من الخارج. كانت الجدران من الأرض حتى السقف مطلية باللون الأبيض منعاً لتشتيت انتباه الزائر عن النظر إلى الأعمال الفنية المعروضة.

في أبعد زاوية من المعرض لمحت امرأة تبدو فرنسية بما لا يدعو للشك. كانت تنضح بأناقة مطلقة وهي تناقش موضوع إحدى اللوحات مع واحد من زائري المعرض وتلوح بيديها بحماسة بينما تتكلم.

بدت لكنتها الفرنسية جذابة وهي تقول: «سأكون معك في الحال، أرجو أن تقومي بجولة على المكان بينما آتي».

أصغت إريكا لكلام المرأة ونفذت دعوتها بحذافيرها فشبكت يديها وراء ظهرها وأخذت تتجول ببطء في أرجاء صالة العرض وتتأمل الأعمال الفنية المتنوعة. وكما يشير اسم المعرض تماماً، كانت كافة اللوحات المعروضة منفذة بطريقة نظرية تجريدية، فكانت ترى المكعبات والمربعات والدوائر والأشكال الهندسية الغريبة الأخرى.

كانت إريكا تميل برأسها وتغمض عينيها نصف إغماضة محاولة أن تفهم ما يراه هاوُو الفنون في مثل هذه اللوحات، إلا أن المغزى كان يفوتها دوماً. وما كان عليها إلا أن تسلّم بأن الأمر يتخطى حدود استيعابها.

كانت مسمرة أمام إحدى اللوحات العملاقة المقسمة بشكل غير متساوٍ بين لوني الأحمر والأصفر حين سمعت من خلفها وقع خطوات كعبي حذاء فرانسين العاليين على الأرض المقطعة كما لوح الشطرنج.

قالت فرانسين : «مما لا شك فيه أن هذه اللوحة مذهلة».

«حقاً. إنها مميزة بالفعل. لكن لأكون صادقة معك لست فعلياً من هواة الرسم واللوحات. أعتقد أن زهور دوار الشمس لفان غوغ رائعة، لكن تلك هي أقصى حدود معرفتي بفن الرسم».

افتر ثغر فرانسين عن ابتسامة وقالت: «لا بد إذاً أن تكوني إريكا. لقد اتصل بي هنري للتو وأبلغني أنك في طريقك إلى هنا».

مدت يدها الناعمة، المنحوتة المعالم، فأخذت إريكا تمسح يدها التي لا تزال مبللة بقطرات المطر قبل أن تضعها في يد فرانسين.

كانت المرأة التي تقف قبالتها نحيفة قصيرة القامة تتمتع بأناقة النساء الفرنسيات المطبوعات على التميز بأسلوبهن الراقي في اللباس. لم يكن طول إريكا التي ترتدي جوارب ضيقة يتجاوز خمسة أقدام ونيف وشعرت مع ذلك أنها أشبه بعملاق مقارنة مع محدثتها.

كان شعر فرانسين أسود فاحماً. كانت تبعده عن جبينها إلى الوراء وتعقصه عند مؤخرة عنقها. كانت ترتدي ثوباً أسود ضيقاً يبرز قوامها بوضوح. لا بد أن اختيار اللون كان يعبر عن حزنها لموت صديقتها وزميلتها، إذ بدت أنها من الطراز الذي يفضل أساساً ارتداء الأحمر الفاقع أو ربما الأصفر. كانت تتبرج بشكل طفيف أنيق تماماً لكنها لم تستطع رغم ذلك إخفاء الإطار الأحمر البارز الذي يحيط

بعينيها. كانت إريكا تأمل من ناحيتها ألا تكون «ماسكرتها» قد سالت وهو حتماً أمل بائد.

«أظن أننا يجب أن نجلس بهدوء ونتناول فنجان قهوة بينما نتحدث. الطقس معتدل جداً اليوم، فلنخرج من الباب الخلفي».

قادت إريكا نحو غرفة صغيرة تقع خلف المعرض مجهزة على نحو كامل ببراد وميكروويف وآلة لصنع القهوة. كانت الطاولة صغيرة كذلك لا تتسع إلا لشخصين. ما إن أخذت إريكا مكانها حتى كانت فرانسين قد قدمت لها فنجان قهوة ساخن. لم تتقبل معدتها الفكرة بسهولة بعد عدد الفناجين التي تناولتها أثناء زيارتها لهنريك، لكنها كانت تعلم بعد خبرة اكتسبتها من المقابلات اللامتناهية التي أجرتها بهدف الحصول على معلومات تشكل مادة كتبها، أنه ولسبب ما يسهل على الناس التحدث أكثر وهم يحملون فنجان قهوة في يدهم.

«ما فهمته من هنري أن والدي ألكس قد طلبا منك أن تكتبي مقالاً إحياءً لذكرى ابنتهما».

«أجل. لم يسبق لي أن رأيت ألكس إلا في مناسبات قليلة على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية لذا أحتاج أن أكتشف المزيد عما كانت عليه كإنسان قبل أن أبدأ الكتابة».

«هل أنت صحفية؟»

«كلا. أنا أقوم بكتابة السير الذاتية. وأنا أؤدي هذه المهمة فقط لأن بريجيت وكارل - إريك طلبا مني ذلك. إضافة إلى أنني كنت أول من وجدها ميتة، أو تقريباً الأولى. وأشعر أني أحتاج بطريقة غريبة لأن أخلق صورة عن ألكس أحتفظ بها لنفسي، صورة حية لها. هل يبدو لك ذلك غريباً؟»

«كلا، على الإطلاق. أعتقد أنه من الرائع أنك تتكبدين كل هذا العناء لأجل ألكس ووالديها».

انحنت فرانسين فوق الطاولة ووضعت يداً ذات أظافر مطلية بعناية فوق يد إريكا.

شعرت إريكا بنفحة دافئة من الخجل تجتاح وجنتيها وحاولت ألا تفكر بمسودة الكتاب التي أمضت معظم ساعات اليوم الماضي تعمل على إنجازها.

تابعت فرانسين كلامها وقالت: «طلب إلي هنريك كذلك أن أجيب عن كافة الأسئلة التي تطرحين بصراحة مطلقة».

كانت تجيد تكلم اللغة السويدية بشكل لافت، حتى أنها كانت تنطق حرف الراء بسلاسة. ولاحظت إريكا أنها تقول هنري على الطريقة الفرنسية بدلاً من قول هنريك.

«أنت وألكس التقيتما في باريس، أليس كذلك؟»

«أجل، لقد درسنا اختصاص تاريخ الفنون معاً. التقت إحدانا الأخرى في اليوم الأول. كانت تبدو ضائعة وأنا شعرت أني تائهة أيضاً. أما الباقي فتفاصيل كما يقولون».

«منذ متى وأنتما تعرفان بعضكما بعضاً؟»

«دعيني أرى، احتفل كل من هنري وألكس بعيد زواجهما الخامس عشر في الخريف الماضي لذا يكون مضى على ذلك... سبعة عشر عاماً. لقد كنا ندير المعرض سوياً على مدى خمسة عشر عاماً».

صمتت فرانسين عن الكلام فجأة ودهشت إريكا حين أشعلت جليستها سيجارة. لسبب ما لم تتخيل أن فرانسين مدخنة. ارتعشت يد المرأة الفرنسية قليلاً وهي تشعل سيجارتها وأخذت منها نفساً عميقاً من دون أن ترفع نظرها عن إريكا للحظة.

أخيراً طرحت إريكا سؤالها تقول: «ألم تتساءلي أين عساها تكون

حين لم تظهر طوال كل تلك الفترة، لا بدّ أنها كانت مرمية هناك لأسبوع كامل قبل أن نعثر عليها».

خطر لإريكا أنها لم تفكر في طرح السؤال ذاته على هنريك.

ترددت قبل أن تجيب قائلة: «أعلم أن الأمر يبدو غريباً، لكن لا، لم يخطر لي ذلك قط. فألكس... ألكس كانت معتادة على القيام بما يحلو لها. يمكن لهذا أن يكون محبطاً بما لا يصدق لكنني أفترض أني أصبحت معتادة على الأمر على مر السنين معاً. لم تكن تلك المرة الأولى التي تغيب فيها لفترة طويلة. عادة ما كانت تظهر فجأة وكأن شيئاً لم يحصل. كما قامت بواجباتها على أكمل وجه حين اهتمت بالمعرض لوحدها بينما كنت أنا أمضي إجازة الأمومة. أتعلمين شيئاً، لا أزال أفكر أنه وبطريقة ما سيتكرر الأمر نفسه، وأنها ستفتح الباب في أي لحظة وتدخل منه. لكنني أعلم أنها هذه المرة لن تفعل». هددت إحدى الدمعات بالسقوط من عينيها عندما قالت الجملة الأخيرة.

أجابتها إريكا: «أجل هي لن تفعل». ثم أخذت تحدق إلى فنجان قهوتها لتتيح لفرانسين أن تجفف دموعها بتروٍّ.

ثم تابعت الحديث تسألها: «كيف كانت ردة فعل هنريك حين اختفت ألكس هكذا ببساطة؟»

«لقد سبق والتقيته. لا يمكن لألكس أن تقوم بأي أمر خاطىء بنظره. لقد أمضى هنري السنوات الخمس عشرة الأخيرة يعبدها. يا لهنري المسكين».

«لماذا تنعتين هنري بالمسكين؟»

«لم تكن ألكس تحبه. كان مجبراً على إدراك هذا الواقع عاجلاً أو آجلاً».

أطفأت سيجارتها الأولى وأشعلت الثانية.

قالت إريكا: «لا بد أن أحدكما قد حفظ الآخر عن ظهر قلب بعد سنوات طويلة من المعرفة العميقة».

«لا أعتقد أن أحداً قد عرف ألكس حق المعرفة. مع أنني كنت أعرفها ربما أكثر مما كان هنري يفعل. لطالما كان يرفض أن ينزع عن عينيه النظارة التي تعميه عن رؤية الحقيقة فلا يرى الأمور إلا زهرية وعلى خير ما يرام».

«أثناء حديثي معه، أشار هنريك إلى أنه طوال سنوات زواجه من ألكس كان يشعر أنها تخفي عنه شيئاً ما. هل تعلمين ما إن كان ذلك صحيحاً؟ وإن كان الأمر كذلك، فماذا يمكن أن يكون ذاك الأمر؟»

رفعت حاجبها المرسوم بدقة وقالت: «كانت تلك قوة إدراك غير اعتيادية. لعلي قللت من تقدير قدراته. بالنسبة إلى سؤالك الأول أقول أجل: لطالما كنت أعرف أنها كانت تخفي شيئاً ما. أما بالنسبة إلى السؤال الثاني فينبغي أن أجيب بكلا: لا أملك أدنى فكرة عما عساه يكون الأمر الذي تخفيه. على الرغم من سنوات صداقتنا الطويلة كانت هناك دوماً نقطة ما تشير ألكس إليها بالقول: إلى هذا الحد ولا كلمة زيادة عن ذلك. كنت أتقبل الأمر في حين أن هنري لم يفعل. كان ذلك ليحطمه عاجلاً أم آجلاً. وكان ليكون في وقت أقرب من ذلك بكثير».

«ولم كل ذلك؟»

ترددت فرانسين قبل أن تقول: «سيجرون تشريحاً على جثة ألكس، أليس كذلك؟»

تفاجأت إريكا لسماعها السؤال.

«أجل، هذا ما يقومون به دوماً في حال حصول عملية انتحار، لماذا تسألين؟»

«لأنني سأعرف حينئذٍ أن ما سأخبرك به سيظهر إلى العلن بجميع

الأحوال. سأشعر أنني لا أحمّل ضميري أي عبئ على الأقل».

سحقت عقب سيجارتها الثانية وأطفأتها بحذر. كانت إريكا في هذه الأثناء تحبس نفسها بتوتر توقعاً لما يمكن أن تسمع، إلا أن فرانسين تمهلت في إشعال السيجارة الثالثة. لم تكن أصابعها مصبوغة باللون الأصفر الذي عادة ما يميز المدخنين لذا توقعت إريكا أنها ليست مدخنة من النوع الثقيل كما تبدو الآن.

«لا بد أنك تعلمين في البداية أن ألكس كانت تزور فيالباكا بشكل متكرر أكثر من العادة على مدى الأشهر الستة الماضية أو لما يقارب هذه الفترة، أليس كذلك؟»

«أجل، الثرثرات والقيل والقال تسير على نحو جيد في البلدات الصغيرة. تشيع الأخبار المتناقلة أنها كانت تذهب إلى فيالباكا كل نهاية أسبوع تقريباً، وكانت تذهب لوحدها».

«لوحدها لا تعبر عن الحقيقة الكاملة».

ترددت فرانسين مجدداً. اضطرت إريكا لأن تضبط أعصابها وتمنع نفسها من أن تنحني فوق الطاولة لتهز المرأة قبالتها بقوة وتجبرها على البوح بما كانت تخفيه عنها. كانت تزداد تحرقاً لمعرفة المزيد حتماً.

«كانت تلتقي أحدهم هناك. كانت ترى رجلاً ما. حسناً، لم تكن المرة الأولى التي تقيم فيها ألكس علاقة مع رجل، لكن إحساساً كان ينبئني أن هذه العلاقة مختلفة عن سواها. للمرة الأولى على مدى السنوات التي عرفنا بعضنا فيها كانت تبدو مسرورة. وأعلم أنه لا يمكن أن تكون هي من أقدمت على الانتحار. لا بدّ أن أحدهم قام بقتلها، لا أشك بذلك».

«كيف يمكن لك أن تكوني واثقة هكذا؟ حتى هنريك بذاته ما كان يستطيع أن يجزم إذا كانت انتحرت أو تعرضت للقتل».

«لأنها كانت حاملاً».

أخذت إجابة فرانسين إريكا على حين غرة.

«وهل يعلم هنريك بالأمر؟»

«لا أعلم. لم يكن ابنه بأي حال. لم يسبق أن عاشا حياتهما الزوجية أو أقاما علاقة لسنوات عديدة. وحتى حين كانا يقيمان أي علاقة، كانت ألكس ترفض أن تحمل من هنريك. لم تكن تجدي كل توسلاته نفعاً. كلا. لا بد أن الرجل الجديد في حياتها كان أب الطفل الذي حملته، مهما كان».

«ألم تذكر مطلقاً من عساه يكون؟»

«كلا. لعلك وكما صرت تعلمين الآن أن ألكس كانت متكتمة جداً، ولم تكن تبوح بأسرارها لأحد. عليّ أن أعترف أني أصبت بصدمة هائلة حين أخبرتني بأنها تحمل طفلاً، لكن ذلك يشكل أحد الأسباب التي تجعلني أقتنع أنها لم تقتل نفسها حتماً. كانت مفعمة بالسعادة ولم تستطع ببساطة أن تحتفظ بالخبر لنفسها وتبقيه طي الكتمان. كانت تحب ذاك الطفل ولم تكن لتفعل أي أمر يؤذيه، فكيف بالحري أن تقدم على قتل نفسها. للمرة الأولى كنت أرى ألكسندرا مختلفة، مقبلة على الحياة متمسكة بها. أظنني كنت لأتعلق بها وأحبها أكثر». توقفت عن الكلام قليلاً وبدت نبرة صوتها حزينة وهي تتابع: «أتعلمين، كان لدي شعور كذلك أنها كانت تنوي أن تتصالح مع ماضيها. لا أعلم كيف بالضبط، إلا أن ملاحظات مختلفة وتعليقات من هنا وهناك كانت تمنحني هذا الانطباع».

فتح باب المعرض وسمعتا أحدهم يخبط قدميه بالأرض على ممسحة عند الباب في محاولة للتخلص من الثلوج العالقة بحذائه. وقفت فرانسين في مكانها وقالت: «لعل هذا أحد الزبائن. عليّ أن أذهب. آمل أني ساعدتك بطريقة ما».

«آه أجل. أنا ممتنة جداً لكونك كنت أنت وهنريك صريحين معي إلى هذا الحدّ. لقد ساعدتني كثيراً بالطبع».

بعد أن أكدت فرانسين للزائر أنها ستكون معه في غضون دقائق، رافقت إريكا إلى الباب. توقفتا أمام لوحة هائلة من قماش الكتان المرسوم عليها مربعاً أبيض اللون فوق صفحة زرقاء وتصافحتا مودعة إحداهما الأخرى.

«هل لي أن أسأل بداعي الفضول فقط، ما يمكن أن يكون سعر لوحة كهذه؟ أهو خمسة آلاف؟ عشرة آلاف؟»

ابتسمت فرنسين لها وقالت: «بل خمسون ألفاً».

أطلقت إريكا صفيراً بصوت منخفض وقالت: «حقاً، هكذا إذاً. ستظل الفنون والنبيذ الفاخر عالمين محاطين بالغموض التام بالنسبة إلي».

«أما أنا فبالكاد أستطيع أن أدون لائحة مشتريات مكتملة. لكل منا نقاط ضعفه وقوته».

ضحكت كل منهما. لفت إريكا المعطف حولها بشدة أكبر على الرغم من أنه كان لا يزال مبللاً وتوجهت إلى الخارج تحت وابل من المطر.

كانت الأمطار قد حولت الثلوج إلى مادة طينية وأخذت تقود سيارتها بأدنى حدٍّ من السرعة المسموح بها محافظة على سلامتها. بعد أن أضاعت ساعة كاملة في محاولة للخروج من هيسينجن انتهى بها المطاف على الطريق الخطأ، كانت الآن تقترب من أوديفالا. سمعت قرقعة خفيفة في معدتها فتذكرت أنها نسيت أن تأكل طوال النهار. انعطفت بالسيارة مبتعدة عن ممر القطارات القريب من مركز تورب للتسوق شمالي أوديفالا وتوجهت نحو ماكدونالد. التهمت

قطعة تشيزبرغر وهي تجلس داخل سيارتها في المرآب وسرعان ما كانت تعود مجدداً إلى القيادة على الطريق العام. كانت أفكارها تدور طوال الوقت حول ما دار من أحاديث بينها وبين كل من هنريك وفرانسين. لقد خلق ما أخبراها به صورة عن امرأة طوقت نفسها بأسوار دفاعية عالية وسجنت نفسها بداخلها.

أكثر ما كان يثير فضول إريكا لهفتها لأن تعرف من يكون والد طفل ألكس. تقول فرانسين إنها لا تعتقد إنه هنريك، لكن لا يمكن لأحد أن يكون متأكداً ما الذي يحصل داخل غرف نوم الآخرين، وما زالت إريكا تعتقد أنه احتمال قائم. وإن لم يكن كذلك، يبقى السؤال ما إذا كان الوالد هو الرجل الذي أشارت فرانسين أن ألكس كانت تذهب لرؤيته كل نهاية أسبوع في فيالباكا، أو ما إذا كان لديها حبيب آخر ما في غوتبرغ نفسها.

لقد تكوّن لدى إريكا انطباع أن ألكس تعيش نوعاً من حياة متوازية. كانت تفعل ما يحلو لها من دون أن تبالي أو تقلق كثيراً حول تأثير ذلك على المقربين منها، سيما هنريك. كما كان ينتاب إريكا شعور بأن فرانسين لاقت صعوبة في أن تفهم كيف يمكن لهنريك أن يتقبل الاستمرار في زواج تحكمه تلك الظروف. كما خطر لها أن فرانسين كانت تحتقره لهذا السبب. لكن إريكا كانت مع ذلك تفهم تماماً كيف يمكن لتلك الأمور أن تحصل. فها هي تراقب زواج آنا ولوكاس منذ سنوات.

كثيراً ما كانت إريكا تصاب بالإحباط حيال عدم قدرة آنا على تغيير وضعها ولا تكف تتساءل ما إذا كانت هي نفسها تشكل جزءاً من سبب عدم احترام آنا لذاتها. كانت إريكا تبلغ من العمر خمس سنوات حين ولدت آنا. من اللحظة الأولى التي رأت فيها أختها الصغرى وهي تحاول أن تحميها من الواقع الذي تحمله معها كجرح خفي. ما

كان على آنا أن تشعر بالوحدة والرفض مطلقاً بسبب نقص الأم في التعبير عن حبها لابنتيها. العناقات وكلمات الحنان التي لم تكن آنا تحصل عليها من والدتها كانت إريكا تعوضها لها بوفرة. كانت تهتم بأختها الصغرى بعين الأم وقلقها.

كانت آنا طفلة يسهل الوقوع في حبها، إذ كانت تتمتع بالمناعة التامة أمام أحداث الحياة الحزينة وتعيش اللحظة كما هي من دون تفكير بالماضي أو قلق من المستقبل. أما إريكا التي كانت أكبر من عمرها بسنوات والأكثر ميلاً للحزن كانت تذهلها طاقة أختها اللامتناهية على حب كل لحظة من حياتها وعيشها حتى النهاية. كانت مخاوف إريكا تصيب آنا بالحزن لكنها بالكاد كانت تطيق صبراً أن تجلس في حضنها أو تسمح لنفسها أن يعانقها أحدهم ويربت لها لوقت طويل. كبرت لتصبح مراهقة شقية جامحة، وفتاة أنانية مستقلة، تفعل ما يحلو لها تماماً. وفي لحظات من الصفاء، كانت إريكا تعترف لنفسها أنها بالغت إلى حد ما في حماية أختها وتدليلها. كانت تحاول أن تمنحها ما حرمت هي منه وحسب.

حين التقت آنا لوكاس كانت بمثابة فريسة سهلة له. وقد افتتنت بسحره الخارجي من دون أن تنجح في رؤية الصفات المخفية خلف هذا المظهر الساحر. وعمل هو ببطء شديد على تحطيم حبها للحياة وفرحها وقتل ثقتها بنفسها باللعب على وتر غرورها. وها هي اليوم تعيش في أوسترمالم كطائر جميل مسجون في قفص، لا تملك القوة على إدراك الخطأ الذي ارتكبته. كانت إريكا تأمل كل يوم أن تتصل بها آنا من تلقاء ذاتها وتطلب عونها. إلى أن يأتي ذلك اليوم، لا يسع إريكا سوى أن تنتظر وتظل حاضرة رهن الإشارة. لا يعني ذلك أنها كانت هي نفسها صاحبة حظ كبير في علاقاتها مع الآخر. كانت تعاني من سلسلة طويلة من العلاقات المحطمة التي خلفتها وراءها والوعود

المكسورة، وعادة ما كانت هي من تقطع العلاقة وتوصلها إلى النهاية. كان هناك شيء ما ينقطع فجأة مع وصول كل علاقة إلى مرحلة ما من التطور. كان هناك شعور عارم من الخوف يسيطر عليها حتى يكاد يخنقها، ويجبرها على التنحي والهرب بأسرع ما يمكن من دون أن تنظر إلى الوراء. لطالما كانت إريكا مع ذلك، وبقدر ما تسمح لها ذاكرتها، تواقة بشكل متناقض لأن ترزق بأولاد وتحظى بعائلة. ها هي اليوم تبلغ عمر الخامسة والثلاثين والسنوات تجري غفلة منها. اللعنة، لقد نجحت طوال النهار في أن تبعد فكرة لوكاس عن رأسها لكن ها هو الآن يسيطر على تفكيرها وكانت تدرك تماماً أنه يجب عليها أن تعلم ما مدى حساسية وضعها. كانت بجميع الأحوال متعبة جداً للتعامل مع الوضع الآن. يجب أن ينتظر الأمر إلى الغد. كانت تشعر بحاجة ماسة لأن تأخذ راحة في ما تبقّى من النهار من دون التفكير بلوكاس أو بألكسندرا ويكنر.

ضغطت أزرار الهاتف الخلوي بسرعة.

«مرحباً، أنا إريكا، هل ستكونان أنتما الاثنين في البيت الليلة؟ أظن أنني سأمر بكما قليلاً؟»

أطلق دان ضحكة دافئة وقال: «تسألين إن كنا سنكون في المنزل؟ ألا تعلمين ماذا هناك الليلة؟»

الصمت الذي خيم على الطرف الآخر كان ثقيلاً ينذر بأمر ما. فكرت إريكا ملياً لكنها لم تتمكن من أن تتذكر أي شيء مميز حيال هذه الأمسية. لم يكن يوم عطلة ولا عيد مولد أحد. لقد تزوج دان وبيرنيللا خلال الصيف لذا لا يمكن أن يكون هذا اليوم عيد زواجهما.

«كلا، لا أملك أدنى فكرة حقاً، هات أخبرني».

سمعت إريكا تنهيدة عميقة عبر الهاتف وأدركت أنه لا بد أن

تكون للحدث علاقة بالرياضة. لقد كان دان من هواة الرياضة الأوائل مما كان يسبب أحياناً بعض الحساسية مع زوجته بيرنيللا. وجدت إريكا أخيراً طريقتها الخاصة للثأر من كل الليالي التي اضطرت تمضيتها بحثاً عن حدث رياضي تافه ما على شاشة التلفزيون بينما يمضيان الوقت معاً. كان دان مشجعاً مهووساً بفريق الهوكي المدعو ديوغاردن، فسارعت إريكا إلى لعب دور المؤيد الشرس لنادي AIK الرياضي. إلا أنها كانت في الواقع لا تهتم مطلقاً بأنواع الرياضة عموماً وبرياضة الهوكي خصوصاً، مما بدا أنه يثير حفيظة دان أكثر فأكثر. وقد أصيب بالحنق فعلياً عندما خسر فريق AIK في إحدى المرات في حين لم يبد عليها أي تأثر أو حزن.

«السويد تلعب ضد بلاروسيا».

شعرت بأنها لا تفهم عما يتحدث وأطلق تنهيدة أخرى عميقة وقال: «أنا أتحدث عن الألعاب الأولمبية إريكا. ألا تعين أن مثل هذا الحدث العظيم يحصل الآن . . .؟»

«آه، أنت تعني مباراة الليلة، أليس كذلك؟ أجل بالطبع أعلم بشأن هذا الحدث. ظننت أنك تقصد أن شيئاً مميزاً آخر يحصل الليلة عدا ذلك».

كانت تتكلم بنبرة مبالغ فيها لتظهر بشكل واضح أنها لا تملك أدنى فكرة عن أن هناك مباراة الليلة. ابتسمت لأنها كانت تعلم أن دان كان يشد شعره لما تقوم به ويعتبر جهلها ولامبالاتها تكفيراً. لم تكن الشؤون الرياضية أمراً يمكن المزاح فيه معه.

«لكني مع ذلك سأقوم بزيارتكما لأشاهد المباراة معكما وأشهد كيف سيقوم سلامينغ بسحق الدفاع الروسي. . .».

«ماذا تقولين، سلامينغ؟ ألا تعلمين كم سنة مضت على تقاعده؟ أنت تمازحينني، أليس كذلك؟ قولي إنك تفعلين».

«أجل، دان، أنا بالتأكيد أمازحك. لست حمقاء إلى هذا الحد. سأزوركما وأتحقق من أداء صاندين، إن كان هذا يناسبك. إنه شاب رائع جداً بالمناسبة».

إلا أنه أطلق تنهيدة عميقة من جديد. هذه المرة لأنها كانت تتمتع بما يكفي من الجرأة لتدنس مثل هذا العملاق في عالم الرياضة وتنعته بصفة تتدنى عن مستوى الرياضي العظيم.

«حسناً، تعالي. لكنني لا أقبل أن يتكرر ما حصل المرة الماضية! لا ملاحظات مثيرة للاشمئزاز أثناء مشاهدة المباراة ولا تعليقات تافهة حول مدى جاذبية اللاعبين وإغرائهم في ملابس الهوكي، والأهم من كل ذلك، ممنوع أن تسألي إذا ما كان اللاعبون يرتدون أحزمة واقية أو إذا كانوا يلبسون فوقها سراويل تحتية، أتفهمين ما أقول؟»

كبتت إريكا ضحكة وقالت بنبرة جدية: «أقسم بشرفي الكشفي أني لن أدلي بأي تعليق مزعج، دان».

دمدم متذمراً وقال: «لم يسبق أن كنت في الكشافة يوماً».

«كلا، هذا تحديداً ما قصدته».

ثم ضغطت الزر وأقفلت الهاتف بسرعة.

* * *

يقيم كل من دان وبيرنيللا في واحد من المنازل المرصوفة الحديثة نسبياً في فالكيليدن. كانت المنازل ترتصف في صفوف مستقيمة على طول منحدر تل رابيكولن، وكانت تبدو متشابهة إلى حدّ بعيد بحيث يستحيل تقريباً أن تميز بينها. كانت منطقة مشهورة لإقامة العائلات التي لديها أولاد لسبب أساس يكمن في أن المنازل لا تطل على منظر الشاطىء ولم ترتفع أسعارها بالتالي إلى مبالغ خيالية كما البيوت المجاورة القريبة من البحر.

كان المساء بارداً ولا يمكن الذهاب في نزهة ليلية، إلا أن

السيارة قاومت بعناد ولم تشأ السير صعوداً في طريق التل المغطاة بالجليد التي لا يوجد تحتها سوى طبقة رقيقة من الرمال. انعطفت نحو الطريق المؤدي إلى منزل دان وبيرنيللا وهي تتنهد بعمق.

ما كادت إريكا ترن جرس الباب حتى سمعت وقع أقدام صغيرة تتراكض داخل المنزل. وما هي إلا لحظات حتى فتحت فتاة صغيرة الباب الأمامي وهي لا تزال ترتدي ملابس النوم. إنها ليزن، ابنة دان وبيرنيللا الصغرى. اشتعلت الفتاة الوسطى مالين غضباً لأنها تعتقد أنه من غير العدل أن تفتح ليزن الباب لإريكا بوجودها ولم تهدأ الجلبة إلا بعد أن علا صوت بيرنيللا الحازم متناهياً من المطبخ. كانت بيلينا، الإبنة الأكبر، في الثالثة عشرة من عمرها وقد لمحتها إريكا لدى مرورها في ساحة البلدة بالقرب من متجر آك الصغير لبيع الهوت دوغ، حيث اجتمعت زمرة من الصبية الصغار على دراجاتهم. من المؤكد أن دان وبيرنيللا سيوبخانها بشدة لذلك.

بعد أن ضمت كلاً من الصغيرتين إليها بشكل خاطف، اختفيتا بالسرعة التي ظهرتا فيها، وتركتا إريكا تعلق معطفها بهدوء وسلام.

كانت بيرنيللا تعد طعام العشاء في المطبخ وكانت وجنتاها زهريتين وقد لبست مئزراً مكتوب عليه بأحرف كبيرة أعط الطاهي قبلة. كانت بيرنيللا منهمكة على ما يبدو بتحضير الأطباق التي بلغت المرحلة الأخيرة وبالكاد لوحت لإريكا شاردة الذهن قبل أن تعود وتستدير لتهتم بالأوعية والطناجر التي يتصاعد منها بخار الطعام. تابعت إريكا السير نحو غرفة الجلوس، حيث تعلم أن دان سيكون موجوداً بانتظارها، وقد مدد ساقيه فوق الطاولة الزجاجية وقبض بيده اليمنى بشدة على آلة التحكم عن بعد.

«مرحباً. أرى أن الرجل المتعصب ذكورياً يجلس باسترخاء بينما زوجته يتصبب منها العرق تعباً في المطبخ».

«أهلاً بك إريكا. أجل، صحيح فكما تعلمين، إذا علمت النساء من الرجل في المنزل ومن له الكلمة الفصل ويحكم بيد من حديد فسوف يعرفن حدودهن».

ناقضت ابتسامته الدافئة كلماته وعلمت إريكا أنه مهما كان يتولى إدارة شؤون عائلة كارلسون فهو ليس دان حتماً.

ضمته إليه بشكل سريع وجلست على الأريكة الجلدية المريحة. عمدت هي أيضاً إلى وضع ساقيها فوق الطاولة وشعرت وكأنها في منزلها تماماً. شاهدا نشرة الأخبار على القناة الرابعة بصمت تام وأجواء هادئة ولم تكن تلك المرة الأولى التي تتساءل فيها إريكا ما إن كان بالإمكان أن تحظى هي ودان بالحياة ذاتها معاً.

كان دان صديقها وحبها الأول الكبير. أمضيا طوال فترة الدراسة الثانوية معاً ولم ينفصل أحدهما عن الآخر لثلاث سنوات. لكن كل منهما كان ينظر إلى الحياة بشكل مختلف واختار طريقاً خاصاً به. أراد دان أن يبقى في فيالباكا ويعمل في صيد السمك كما أبيه وجده من قبله في حين أن إريكا لم تكن تصدق أن تغادر البلدة الصغيرة. لطالما كانت تشعر بالاختناق هنا لأن مستقبلها يكمن في مكان آخر.

حاولا البقاء معاً لفترة بوجود دان في فيالباكا وإريكا في غوتبرغ إلا أن حياة كلٍّ منهما اتخذت منحى مختلفاً. بعد فراق أليم بينهما، نجحا رويداً رويداً في بناء علاقة صداقة لا تزال متينة وقوية بعد مرور ما يقارب خمسة عشر عاماً.

دخلت بيرنيللا حياة دان وكانت أشبه بغمرة مريحة في الوقت الذي كان يحاول فيه أن يعتاد على فكرة أن لا مستقبل لهما معاً هو وإريكا. كانت بيرنيللا إلى جانبه حين كان بأمس الحاجة إليها وكانت هي تعشقه بشكل ملأ الفراغ الذي تركته إريكا. كانت رؤيته مع شخص آخر تجربة مؤلمة بالنسبة إلى إريكا، لكنها أدركت تدريجياً أن

ذلك كان لا بد أن يحصل عاجلاً أم آجلاً، وأن الحياة تستمر بجميع الأحوال.

لدى دان وبيرنيللا الآن ثلاثة أولاد، وتعتقد إريكا أنهما بنيا مع مرور السنوات علاقة حب حميمة على الرغم من أنها كانت تلاحظ أحياناً نوعاً من القلق لدى دان.

لم تكن قصة إبقاء إريكا ودان على صداقتهما في البداية أمراً يخلو من الحساسية بالنسبة إلى بيرنيللا التي كانت تراقب زوجها بعين الغيرة وإريكا بعين الشك. لكن إريكا تمكنت ببطء وثبات أن تقنع بيرنيللا أنها لا تسعى وراء زوجها ومع أنهما لم تصبحا صديقتين، كانت تربطهما علاقة ودّ. كان من الواضح أن الفتيات تعشقن إريكا التي كانت عرابة ليزن.

«تفضلا إلى المائدة».

نهض كل من دان وإريكا من جلستهما المريحة وذهبا إلى المطبخ، حيث كانت بيرنيللا قد وضعت وعاءً على الطاولة يتصاعد منه البخار. لم تكن قد أعدت إلا مكاناً لشخصين على المائدة وقد رفع دان لذلك حاجبيه تعجباً.

«سبق أن تناولت الطعام مع الأولاد. هيا، تناولا العشاء أنتما الاثنين بينما أرسل البنات إلى النوم».

شعرت إريكا بالخجل لما تكبدته بيرنيللا من عناء من أجلها، لكن دان هز كتفيه ببساطة وأخذ يسكب بلامبالاة واضحة حصة كبيرة من مرق السمك الشهي على ما يبدو.

«أين كنت وكيف تسير أمور الحياة معك؟ لم نرك منذ أسابيع عديدة».

كانت نبرة صوته تحمل من القلق والاهتمام أكثر مما تعبر عن الاتهام، إلا أن إريكا ظلت تشعر بقليل من وخز الضمير لتقتيرها

الاتصال بهما في الفترة الأخيرة. لقد حصلت كثير من الأمور التي أبقتها منشغلة بأي حال.

أجابت إريكا: «حسناً، الأمور تتحسن، لكن يبدو أن نزاعاً سيحصل حول المنزل».

رفع دان نظره عن الطبق أمامه وقال مندهشاً: «ما الذي تقصدينه بكلامك؟ كلاكما تحبان ذلك المنزل، أنت وآنا يجب أن تتمكنا من التوصل إلى اتفاق بينكما».

«بالطبع يمكننا ذلك، لكنك نسيت أن لوكاس قد حشر أنفه في الأمر كذلك. إنه يشتم رائحة المال من الصفقة ولا يحتمل أن تفوته مثل هذه الفرصة. لم يسبق له أن أبدى يوماً اهتماماً برأي آنا ولا أفهم ما الذي عساه يتغير هذه المرة».

«لتحل عليه اللعنة. لو أتمكن فقط من أن أحظى به في ليلة لا قمر فيها، لحرمته من أن يشعر بالغرور طوال حياته».

ضرب قبضة يده بقوة على الطاولة ولم تشك إريكا للحظة أنه يمكن أن يسبب للوكاس أذى مبرحاً لو أراد. لطالما كان دان يتمتع ببنية قوية حتى خلال فترة المراهقة وقد أسهم العمل الشاق على متن سفن الصيد بتقوية عضلاته أكثر فأكثر، لكن الرقة البادية في عينيه كانت تكذب مظهره القاسي. لم تمتد يده يوماً لضرب أي كائن حي على حد علم إريكا.

«لا أريد الاستفاضة في الموضوع مع هذا، لا أعلم ما الذي ستؤول إليه الأمور. سأتصل غداً بماريان، إنها صديقة لي تعمل في مجال المحاماة وأعرف منها ما هي الإمكانات التي يمكن أن تحول دون بيع المنزل، لكني الليلة لا أود التفكير بالأمر. كما أن أموراً قد حصلت معي مؤخراً تجعل مجرد التفكير بالأمور المادية يبدو تافهاً».

توقف دان مجدداً عن تناول الطعام وقال: «أجل، لقد سمعت بما حدث. كيف كان شعورك عندما وجدت شخصاً ميتاً على هذا النحو؟»

فكرت إريكا ملياً بما يجب أن تقول.

«شعور بالحزن والخوف الشديدين في آنٍ معاً. آمل ألا أخضع لاختبار مماثل في حياتي كلها».

أخبرته عن المقال الذي كانت بصدد كتابته وعن الأحاديث التي دارت بينها وبين زوج ألكسندرا وزميلتها. كان دان يصغي إليها بصمت.

«ما لا أفهمه هو لماذا أبعدت عنها أكثر الأشخاص أهمية في حياتها. كان يجب أن ترى زوجها، إنه يعشقها حتماً. لكنني أفترض أن هكذا هو الأمر مع معظم الناس. هم يبتسمون ويبدون سعداء لكنهم مثقلين في الواقع بكل هموم الحياة ومشاكلها».

أوقفها دان فجأة عن الكلام.

«اسمعي إريكا، ستبدأ المباراة في غضون ثلاث ثوان تقريباً وأنا أفضل متابعة مباراة هوكي على الجليد من أن أستمع لتفسيراتك شبه الفلسفية».

«لا بأس بذلك. كما أنني جلبت معي كتاباً في حال كانت المباراة مملة».

كان دان قد أدار ظهره لإريكا ومشى قبل أن يلاحظ حتى نظرة الإغاظة في عينيها.

وصلا إلى غرفة الجلوس لحظة بدء المباراة تماماً.

رفعت ماريان سماعة الهاتف من الرنة الأولى.

«ماريان سوان تفضل».

«مرحباً، هذه أنا إريكا».

«مرحباً، لقد مضى وقت طويل. يا لها من مبادرة منك لطيفة أن تتصلي بي. كيف حالك؟ لقد كنت أفكر بك كثيراً».

تنبهت إريكا مجدداً أنها لم تعد تهتم بأصدقائها كما يجب في الآونة الأخيرة. كانت تعلم أنهم يشعرون بالقلق عليها لكنها لم تتمكن في الشهر الأخير من أن تظل على اتصال بأختها آنا حتى، إلا أنها كانت واثقة من أنهم يتفهمون.

لطالما كانت ماريان صديقة جيدة منذ أيام الجامعة. لقد درستا الأدب معاً لكن بعد مرور ما يقارب أربع سنوات من الدراسة، أدركت ماريان أن مهنة أمينة مكتبة لا تشكل طموحها الحقيقي في الحياة فغيرت اختصاصها لدراسة الحقوق. كان الاختيار ناجحاً على ما يبدو وها هي اليوم الشريك الأصغر على الإطلاق في إحدى أكبر شركات المحاماة المرموقة في غوتبرغ.

«حسناً أنا أبلي بلاءً حسناً في ظل الظروف الراهنة على ما أظن. ها قد بدأت أستعيد بعضاً من النظام في حياتي لكن لا تزال هناك الكثير من الأمور التي ينبغي التعامل معها».

لم تكن إريكا من النوع الذي يتصل لإجراء حديث قصير واستطاعت المحامية بحدسها الذي لا يخطىء أن تعرف أن إريكا لم تتصل لتلقي التحية فقط.

«إذاً، ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك إريك؟ يسعني أن أسمع أن شيئاً ما يدور في خاطرك، هيا، قولي لي ما الأمر».

«أشعر بالخجل حقاً لأني لم أتصل بك منذ وقت طويل، وأنني أتصل الآن لأنني بحاجة إلى المساعدة وحسب».

«لا تكوني تافهة، كيف يمكنني مساعدتك؟ هل هناك أي نوع من المشاكل حول العقار؟»

«أجل، يمكنك قول ذلك».

كانت إريكا تجلس على طاولة المطبخ تحرك بعصبية ظاهرة الرسالة التي وصلت صباحاً إلى صندوق البريد.

«آنا أو بالأحرى لوكاس يريد بيع المنزل في فيالباكا».

خرجت ماريان عن هدوئها المعتاد وانفجرت قائلة: «ما الذي تعنيه؟ من يظن نفسه بحق الجحيم؟ أنت تعشقين ذاك المنزل!»

شعرت إريكا فجأة بغصة في صدرها وأجهشت بالبكاء. هدأت ماريان عندئذٍ وأخذت تهدىء من روع إريكا عبر الهاتف.

«كيف هي حالك إذاً؟ هل تريدين أن أذهب إليك؟ أستطيع أن أزورك الليلة».

ظلت دموع إريكا تنهمر بغزارة فوق وجنتيها، لكنها تمكنت بعد بضع لحظات من أن تهدأ بما يكفي لتمسح دموعها وقالت: «هذا لطف منك حقاً، لكنني بخير فعلاً. لقد مررت بصعوبات كثيرة مؤخراً، تعلمين لم يكن ترتيب شؤون أمي وأبي سهلاً كما تأخرت على الناشر بإنجاز الكتاب ثم أتت مسألة المنزل... وفوق كل ذلك اكتشفت يوم الجمعة الماضي أن أفضل صديقات الطفولة قد توفيت».

شعرت بموجات من الضحك تتدفق في داخلها وقد أخذت تضحك بشكل هستيري فعلاً والدموع لا تزال تنساب من عينيها. وقد تتطلب توقفها عن الضحك بضع دقائق أخرى لتعود وتهدأ من جديد.

«هل قلت توفيت أم أني سمعت ذلك خطأً؟»

«ما سمعته صحيح لسوء الحظ. آسفة، قد يبدو ضحكي من الموقف مريعاً لكن ما تعرضت له صعب جداً. ألكسندرا ويكنر كانت أفضل صديقة لي مذ كنت صغيرة. لقد أقدمت على الانتحار بجرح نفسها في حوض الاستحمام في منزل العائلة في فيالباكا. لعلك تعلمين عمن أتكلم، أليس كذلك؟ يبدو أنها انتقلت هي وزوجها

هنريك ويكنر إلى أكثر مناطق غوتبرغ رقياً، إنهما جزء من الطبقة التي تختلطين بها كثيراً هذه الأيام، صحيح؟»

افتر ثغرها عن ابتسامة وعرفت أن ماريان تبتسم كذلك على الطرف الآخر من الخط. حين كانتا لا تزالان شابتين أيام الدراسة، كانت ماريان تعيش في منطقة ماجورنا في غوتبرغ وكانت تناضل من أجل حقوق الطبقة العاملة. وقد أدركت كل منهما مع مرور السنين أن خريجة المحاماة كانت مجبرة على التفكير في قضايا أخرى مختلفة بالكامل تتناسب مع طبقات المجتمع التي يفرض عليها عملها داخل شركة المحاماة العتيقة المرموقة التعامل معها. أصبحت ماريان ترتدي البدلات الأنيقة والسترات الرسمية ذات العقدة. وأصبحت حفلات الكوكتيل في أورغريت ما يحتل الأولوية والأهمية في حياتها، لكن إريكا كانت تدرك أن ماريان الظاهرية ليست سوى طبقة رقيقة تخفي وراءها الفتاة الحقيقية ذات الطباع المتمردة.

«أجل، أعلم من يكون هنريك ويكنر. حتى أنه لدينا بعض المعارف المشتركة، لكني لم أحظ يوماً بفرصة مقابلته شخصياً، يقال إنه رجل أعمال متحجر القلب، من النوع الذي يمكن أن يصرف مئة موظف من الخدمة قبل الفطور من دون أن يرف له جفن أو يفقد شهيته على الطعام حتى. زوجته كانت تدير معرضاً على ما أعتقد، أليس كذلك؟»

«أجل إنه معرض فني للوحات التجريدية».

أصابها كلام ماريان حول هنريك بالصدمة. لطالما كانت إريكا تعتبر أنها تجيد الحكم على الناس بشكل صائب. وقد بدا لها هنريك ويكنر بعيداً كل البعد عن رجل الأعمال القاسي القلب.

أغفلت موضوع ألكس وانتقلت للحديث عن السبب الحقيقي الذي كانت قد اتصلت من أجله أصلاً.

«تلقيت اليوم رسالة من محامي لوكاس. إنهم يستدعونني إلى ستوكهولم لعقد اجتماع نهار الجمعة المقبل بخصوص بيع منزل أمي وأبي، وأنا جاهلة تماماً في ما يخص القانون. ما هي الحقوق التي أتمتع بها؟ وهل لدي أي حقوق أصلاً؟ هل يمكن للوكاس أن يبيع المنزل حقاً؟»

عادت تشعر أن شفتها السفلى قد أخذت ترتجف مجدداً وأنها على وشك البكاء فأخذت نفساً عميقاً لتعيد تهدئة مشاعرها المتأججة. كانت طبقات الجليد تلتمع من نافذة المطبخ المطلة على الخليج بعد بضعة أيام انهمرت فيها الأمطار الغزيرة نهاراً من دون توقف وتبعتها ليالٍ تدنت فيها الحرارة إلى ما دون الصفر. لمحت عصفور دوري يحط على حافة النافذة فقالت في نفسها أنها ستتذكر أن تحضر طعاماً للطيور. رفع الدوري رأسه بشكل فضولي ونقر على شباك النافذة بخفة ولما تأكد أنه ما من شيء يصلح لتناوله هناك رفرف بجناحيه وطار بعيداً.

«كما تعلمين، أنا محامية شؤون ضريبية ولست محامية حقوق عائلية كي أعطيك إجابة مباشرة وواضحة. لكن دعينا نقوم بالأمر التالي، سأتحقق من الموضوع مع خبراء هنا في المكتب وأتصل بك في وقت لاحق اليوم. لست لوحدك في هذه المشكلة إريكا سأساعدك، أعدك بذلك».

كم كان رائعاً أن تسمع إريكا تطمينات ماريان الواثقة، وقد بدت لها الحياة أكثر إشراقاً بعد أن أقفلت الخط مع أنها لم تضف إلى معلوماتها شيئاً جديداً لم تكن تعرفه قبل إجراء المكالمة.

إلا أن القلق والاضطراب سرعان ما عادا يسيطران عليها مجدداً. أجبرت نفسها على متابعة العمل على كتابة السيرة الذاتية لكن وتيرة الإنتاج سارت ببطء. كان لا يزال أمامها أكثر من نصف الكتاب لتعمل

على إنجازه، وقد أخذ الناشرون يزدادون تململاً، إذ لم تسلمهم مسودة العمل. بالكاد كانت قد كتبت صفحتين حين أعادت قراءة ما كتبت وقررت أن ما ذكرته لم يكن ذا معنى وأدركت أنها قد أضاعت بضع ساعات سدى. لم تزدها كتابة السيرة الذاتية إلا إحباطاً بعد أن فقدت الشعور بمتعة العمل منذ زمن بدا لها طويلاً. فقامت بدلاً من ذلك بإنجاز المقال المتعلق بألكسندرا ووضعته داخل مغلف وأرسلته إلى عنوان صحيفة بوهالانينغن.

رأت بعد ذلك أن الوقت قد حان للاتصال بدان وإغاظته قليلاً حول الصدمة النفسية التي كادت تودي بحياته الليلة الماضية بعد الخسارة الفادحة التي مني بها فريق السويد.

كان المراقب ميلبرغ يشعر بالرضا والسرور بينما يربت على كرشه الكبير ويفكر ما إن كان يأخذ قيلولة. بالكاد كان لديه ما يفعله ولم يكن يهتم كثيراً أصلاً للعمل البسيط الذي يقوم به.

قرر في النهاية أنه سيكون ممتعاً أن يغفو قليلاً ويسمح لعملية الهضم أن تتم بهدوء وسلام بعد وجبة الغداء الدسمة التي تناولها. لكن ما إن أغمض عينيه حتى أعلنت دقات متتالية ملحة على باب مكتبه دخول سكريترة المخفر أنيكا جانسون تريد شيئاً ما.

«ماذا تريدين بحق السماء؟ ألا ترين أنني شديد الانشغال؟»

أخذ يعبث عشوائياً بكومة من الأوراق المكدسة أمامه على المكتب في محاولة منه أن يبدو منهمكاً فعلاً لكنه لم ينجح إلا في قلب فنجان القهوة فوق الأوراق. التقط عندئذٍ أقرب ما وصلت إليه يداه لتجفيف القهوة فلم تقع يداه إلا على طرف قميصه الذي بالكاد تجده تحت سرواله.

«اللعنة على كل ذلك، أنا المدير المسؤول هنا بحق السماء! ألم

تتعلمي كيف تظهرين القليل من الاحترام لرؤسائك في العمل وتطرقين الباب قبل أن تقتحمي المكتب بهذا الشكل؟»

لم تشعر برغبة إلى أن تذكر حتى أنها فعلت ما أشار إليه بالضبط. دفعتها الحكمة التي اكتسبتها مع العمر والخبرة إلى أن تنتظر بهدوء ريثما تنتهي فورة غضبه.

أخيراً سألها ميلبرغ بغضب: «أفترض أن لديك شيئاً تقولينه لي».

أجابت أنيكا بصوت مكبوت: «قسم الطب الشرعي في غوتبرغ يبحث عنك. إنه الطبيب الشرعي المدعو تورد بيدرسون لأكون أكثر تحديداً. يمكنك الاتصال به على هذا الرقم».

أعطته قطعة من الورق كانت قد طبعت عليها الرقم بشكل متقن.

«هل ذكر لك سبب اتصاله؟»

كان الفضول قد بدأ يتآكله. لا يتعاطون كثيراً مع الطب الشرعي في هذه الأرجاء. لعل هناك فرصة ما للقيام بعمل بوليسي حقيقي وإدخال تغيير على الروتين الممل.

أشار إلى أنيكا بالخروج من مكتبه بإيماءة من يده شارداً وحضن سماعة الهاتف بين أذنه وكتفه، ثم بدأ يطلب الرقم بشغف.

أسرعت أنيكا بالخروج من المكتب وصفقت الباب وراءها بقوة. جلست وراء مكتبها وأخذت تشتم وضعها كما اعتادت أن تفعل مرات عديدة في السابق وتلعن القرار الذي أتى بملبرغ إلى مخفر الشرطة المتواضع في تانومشيد. وفقاً للإشاعات المتزايدة التي تسمع في المخفر، فإن ملبرغ جعل من وجوده غير مرحب به في غوتبرغ بسبب إقدامه على التصرف بشكل متعسف مع أحد اللاجئين الذي كانت تحت رعايته.

من الواضح أنه لم يكن الخطأ الوحيد الذي اقترفه إلا أنه كان

الأسوأ والأكثر فداحة على ما يبدو، وقد طفح كيل رئيسه منه في النهاية. ولم ينجح التحقيق الداخلي الذي أجري حول المسألة في إثبات أي شيء ضده، لكن كان هناك قلق متزايد حيال ما يمكن أن يفعله ملبرغ، فتم نقله فوراً إلى رتبة مراقب في تانومشيد.

كل مواطن من سكان المنطقة الإثني عشر ألفاً المتقيدين بأغلبيتهم بالقوانين كان بمثابة تذكير مستمر بإنزال رتبته. اعتقد رؤساؤه في غوتبرغ أنه لن يتمكن من التسبب بأضرار فادحة في المنطقة حيث هو. وقد كان ظنهم في مكانه حتى الساعة. إلا أنه ومن ناحية أخرى لم يكن يقوم بالكثير أصلاً، فكف عن الناس خيره وشره على حدٍّ سواء.

كانت أنيكا تقوم بعملها على أكمل وجه في ما مضى، لكن ذلك كله قد انتهى بوجود ملبرغ كرئيس لها. لم يكن يكفي أنه كان فظاً معها على الدوام كان يرى نفسه أنه هدية بعثت بها السماء للنساء، وكانت أنيكا مَن يعاني من تبعات هذا التفكير. لم تكن التلميحات الساخرة والقرص على المؤخرة والملاحظات غير اللائقة سوى جزء مما كانت مضطرة لاحتماله على نحو يومي هذه الأيام. أما أكثر الملامح التي كانت تثير نفورها منه فتلك التسريحة الفظيعة التي كان يعتمدها ليغطي بها قمة رأسه الصلعاء. كان قد ترك خصلات شعره على أحد جانبي رأسه تنمو إلى حد كان الموظفون يتكهنون كم بلغ طولها ويسرح الشعر الطويل ويلفه حول قمة رأسه بطريقة أكثر ما تجعل رأسه يبدو شبيهاً بعش غراب مهجور.

ارتعشت أنيكا لمجرد التفكير كيف سيكون منظره عندما لا يكون شعره مصففاً على هذا النحو. وكانت ممتنة لأنها ليست مضطرة لأن تعرف ذلك.

تساءلت في سرها ما الذي عساه يريده قسم الطب الشرعي. سرعان ما ستكتشف ما الأمر بجميع الأحوال. كان المخفر صغيراً

جداً، حيث إن أي معلومة مثيرة للاهتمام كانت تنتشر في جميع أرجاء المنطقة خلال ساعة واحدة.

استمع بيرتل ملبرغ إلى رنين الهاتف بينما يراقب أنيكا تخرج من مكتبه.

كانت امرأة قوية وجميلة. قوامها رشيق ورفيع مع منحنيات متناسقة. لديها شعر أشقر طويل، نهدان بارزان ومؤخرة لافتة. لسوء الحظ أنها لم تكن ترتدي سوى تنانير طويلة وسترات واسعة. لعله يجب أن يلفت نظرها إلى أن الملابس الضيقة تناسبها أكثر. كان له الحق كرئيس للمخفر أن يبدي رأيه حيال مظهر موظفيه وزيهم.

كان يعلم أنها في السابعة والثلاثين من عمرها بعد أن تحقق من ملفها الشخصي. تصغره بما يزيد عن عشرين عاماً تقريباً، أي إنها من النوع المفضل لديه. وليهتمَّ سواه بالسيدات العجائز، فهو الرجل المثالي المناسب للسيدات الأصغر سناً والأكثر شباباً، بنضجه وخبرته وجاذبيته التي لا تقاوم، أضف إلى أنه ما كان يمكن لأحد أن ينتبه أو يعلم أنه فقد القليل من شعره مع مرور السنوات. تلمس قمة رأسه بحذر شديد واطمأن إلى أن مظهره كما يجب أن يكون.

«معك تورد بيدرسون».

«ألو، مرحباً. أنا المراقب برتل ملبرغ من مخفر شرطة تانومشيد، قيل لي إنكم كنتم تريدون التحدث إلي».

«أجل، صحيح. يتعلق الأمر بالجثة التي وصلتنا منكم. إنها امرأة تدعى ألكسندرا ويكنر. بدت الوفاة ناجمة عن انتحار».

كان فضول ملبرغ قد وصل إلى القمة حين أجاب بسؤال: «أجل، وماذا عن ذلك؟»

«لقد سبق أن أجريت تشريحاً للجثة أمس وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن الوفاة ليست ناجمة عن عملية انتحار حتماً. هناك من أقدم على قتل المغدورة».

«اللعنة!» أخذ ملبرغ يشتم مجدداً لأنه في أوج حماسته أوقع فنجان القهوة ثانيةً وانسكب ما قد تبقى فيه على الأوراق وسال على الطاولة. وعاد يستعمل طرف قميصه منشفةً يجفف بها المكتب ولطخها ببقع إضافية.

«كيف عرفت ذلك؟ أعني ما الدليل الذي يجعلك تقول إنها جريمة قتل وليست محاولة انتحار؟»

أجاب بيدرسون: «بإمكاني أن أرسل لك تقرير تشريح الجثة عبر الفاكس، لكني أشك أنك ستفهم منه الكثير. لذا دعني أبلغك بشكل مختصر أهم النقاط الواردة فيه. أمهلني لحظة لأضع نظاراتي!»

سمعه ملبرغ يهمهم بينما يلقي نظرة على التقرير أمامه. كان ينتظر سماع المعلومات بفارغ الصبر.

«حسناً دعني أرى. إنها أنثى في الخامسة والثلاثين من العمر، حالتها الصحية جيدة عموماً. لكنك تعلم كل تلك المعلومات. لقد مضى أسبوع كامل على وفاة المرأة تقريباً، لكن جثتها بقيت محفوظة بحالة جيدة جداً، ويعود هذا أولاً إلى الحرارة المتدنية في المكان الذي وجدت فيه الجثة، ذلك أن الجليد الذي كان يغطي القسم الأسفل من الجسد ساعد كذلك في الحفاظ عليه من التلف».

«هناك جروح عميقة على شرايين كلا المعصمين أحدثت بواسطة شفرة حلاقة تم العثور عليها في مسرح الجريمة. وكان وجود تلك الأداة ما دفعني للشك بداية. لكلا الجرحين العمق ذاته والاستقامة ذاتها، وهو أمر غير اعتيادي أبداً. حتى أنني أجرؤ على القول إن ذلك

لا يحصل مطلقاً في عمليات الانتحار. ويعود هذا في أن الناس عموماً إما يستعملون اليد اليسرى أو اليمنى ببراعة. الجرح على المعصم الأيسر يكون أكثر استقامة وعمقاً من ذلك الذي على الأيمن بالنسبة إلى شخص يستعمل يده اليمنى. هذا ما يحصل عندما تستعمل يدك للقيام بأمور خاطئة. ثم إني قمت بمعاينة أصابع كلا اليدين فتأكد عندئذٍ الشك باليقين. حافة الشفرة حادة جداً بما يعني أنه في معظم الحالات تترك جروحاً طفيفة لا يمكن رؤيها إلا عبر ميكروسكوب على يد مستخدمها. لا توجد أي آثار لتلك الجروح على أصابع ألكسندرا ويكنر. وهذا يشير إلى أن الشخص الآخر، ذلك الذي شطب معصميها قصد ربما أن تبدو العملية انتحاراً».

توقف بيدرسون عن الكلام قبل أن يتابع القول: «السؤال الذي طرحته على نفسي في ما بعد هو التالي، كيف يمكن لشخص القيام بذلك من دون أن يتعرض لمقاومة من جهة الضحية؟ أتى الجواب في تقرير فحص التسمم إذ وجدت بقايا مهدىء قوي في دم الضحية».

«ما الذي يثبته ذلك؟ ألا يمكن أن تكون قد تناولت حبة منوم ببساطة؟»

«هذا ممكن بالطبع. لكن لحسن الحظ أن العلم الحديث قد زود الطب الشرعي بعدد لا يستهان به من الطرق والوسائل. إحدى تلك الوسائل تتمثل بإمكانية قياس نسبة آثار الأدوية وحتى السموم في الجسم بدقة متناهية. وقد أجرينا الفحوصات عدداً من المرات على عينة من دم الضحية وكنا نتوصل في كل مرة إلى الخلاصة ذاتها: من المستحيل تماماً أن تكون ألكسندرا ويكنر قد تمكنت من جرح معصميها بنفسها، ذلك أنه في الوقت الذي توقف قلبها عن الخفقان بسبب خسارة الدم كانت أصلاً قد دخلت في حالة من الغيبوبة منذ فترة طويلة. لسوء الحظ أني لا أستطيع أن أزودك بمعلومات مؤكدة

حول الأوقات المحددة لحصول كلا الحالتين فالعلم لم يتطور إلى هذه الدرجة، لكن ما لا شك فيه مطلقاً أنها جريمة قتل وليست عملية انتحار. آمل بصدق أن تتمكن من تولي هذه المهمة. لا تحصل الكثير من جرائم القتل في المنطقة التي تقع تحت نطاق عملك على ما أظن، أليس كذلك؟»

حملت النبرة التي تعمدها بيدرسون في طرح السؤال الكثير من الشك، ما اعتبره ملبرغ انتقاداً موجهاً إليه مباشرة وبشكل شخصي.

«أنت محق، ليس لدينا الكثير من الخبرة في مجال جرائم القتل هنا في تانومشيد. لحسن الحظ أني عينت لتولي هذا المنصب هنا مؤقتاً، فنطاق عملي الحقيقي هو مقر الشرطة في غوتبرغ. سنوات الخبرة الطويلة التي أتمتع بها في هذا العمل تعني أنه لن تواجهنا أي مشكلة في تولي التحقيق في جريمة القتل في هذه المنطقة كذلك. ستكون هذه فرصة للسلطات المحلية أن تشهد كيف يتم العمل البوليسي الحقيقي. لن يطول الأمر كثيراً قبل أن تحل القضية. احفظ كلامي جيداً».

أدرك ملبرغ أنه بتعليقه الرنان قد أوضح تماماً للطبيب الشرعي بيدرسون أنه لا يتعامل مع مبتدىء قليل الخبرة. لطالما كان الأطباء يحبون التباهي والثرثرة. لقد أتم بيدرسون عمله بأي حال وحان الوقت الآن لأن يتولى اختصاصي محترف المسألة.

ذهل الطبيب المحقق للغرور الذي سمعه في صوت الشرطي وكاد ينسى أن يبلغه اكتشافين إضافيين يعتبرهما مهمين، فقال: «آه، كدت أنسى. كانت ألكسندرا ويكنر في الشهر الثالث من الحمل وقد سبق لها أن أنجبت مرة واحدة من قبل. لا أعلم ما إن كان للأمر علاقة بالتحقيق الذي ستجريه، لكن كثرة توافر المعلومات أفضل من قلتها، ألا تظن ذلك؟»

بالكاد صدر عن ملبرغ صوت أشبه بشخير رداً على السؤال وأقفل الخط بعد تبادل بضع لياقات عابرة. عند نهاية المكالمة كان إحساس بالشك ينتاب بيدرسون حيال الكفاءة التي ستتعقب القاتل، وإحساس بالمعنويات المرتفعة ينتعش في نفس ملبرغ وشعور متجدد بالحماسة.

تمت معاينة الحمام بشكل تمهيدي مباشرة بعد اكتشاف الجثة، لكنه الآن سيحرص على أن يتم مسح منزل ألكسندرا ويكنر زاوية زاوية.

الفصل الثاني

أخذ خصلة من شعرها بين يديه فذابت حبيبات الجليد وتركت راحتيه مبللتين، فما كان منه إلا أن لعق قطرات المياه بعناية.

انحنى واضعاً وجنته فوق حافة حوض الاستحمام متحسساً الصقيع يخترق جلده. كانت بغاية الجمال حتى وهي هنا تطفو على قشرة من الجليد.

كان الرابط لا يزال موجوداً. ما من شيء قد تغير أو أصبح مختلفاً عما كان. كانا من النوع ذاته.

تطلّب فتح يدها بعض الجهد منه، لكنه تمكن من وضع راحة يده في يدها وشبك أصابعه في أصابعها. كانت الدماء جافة ومتجمدة، وقد علق بعض منها على جلده.

لم يكن للوقت أي معنى حين يكون معها. كانت السنون والأيام أو الأسابيع تمر سواسية بلا شكل ولا نظام. الأمر الوحيد الذي كان يمكن أن يعني شيئاً هو وجود يده في يدها. لهذا السبب كانت الخيانة مؤلمة إلى هذا الحدّ. عادت تعطي الوقت معنى من جديد. لهذا السبب لن يسري الدم حاراً في عروقها مجدداً.

أعاد يدها إلى الوضعية التي كانت عليها قبل أن يرحل من دون أن ينظر إلى الوراء.

استيقظت إريكا من نوم عميق يخلو من الأحلام على صوت لم تتمكن من التعرف إليه بداية. وكان الهاتف قد دق مرات عديدة قبل أن تدرك أن رنينه هو الذي أيقظها. قفزت من السرير وأسرعت ترفع السماعة لتتلقى المكالمة قبل أن ينقطع الخط.

كان صوتها أجشاً حين قالت: «إريكا فالك تتحدث»، لكنها وضعت يدها فوق السماعة وتنحنحت بصوت عالٍ لتتخلص من البحة المزعجة.

«آسف، هل أيقظتك من النوم؟ أرجو أن تعذريني».

أجابت تلقائياً: «كلا، كنت مستيقظة»، لكن إريكا سمعت كم كانت نبرة صوتها تناقض بوضوح ما قالته. كان جلياً أن بحة النوم لا تزال عالقة فيه.

«حسناً، أعتذر بأي حال، أنا هنريك ويكنر. لقد اتصلت بي بريجيت للتو وطلبت إلي أن أتصل بك. يبدو أنها تلقت هذا الصباح مكالمة هاتفية من أحد رجال الشرطة الفطين في مخفر تانومشيد. لقد أمرها، بطريقة أو بأخرى، وطلب بكلام غير لائق أن تحضر إلى المخفر. ويبدو أيضاً أن حضوري مطلوب. لم يشأ المتحدث التكلم على سبب الاستدعاء، لكننا نملك فكرة عما قد يكون. بريجيت مصابة بالحزن، وبما أن كلاً من جوليا وكارل - إريك موجودين في

فيالباكا في هذه الأثناء لأسباب متعددة، أتساءل ما إن كنت تستطيعين أن تسديني خدمة كبرى بأن تذهبي لرؤيتها. أختها وصهرها في عملهما الآن لذا هي وحدها في منزلها. ستستغرق عودتي إلى فيالباكا بضع ساعات أخرى ولا أريدها أن تمضي وقتاً طويلاً إلى هذا الحد بمفردها. أعلم أني أطلب منك الكثير وأننا لا نعرف بعضنا معرفة وطيدة في الواقع، لكن ليس لدي شخص آخر ألجأ إليه».

«بالطبع سأذهب لرؤية بريجيت ما من مشكلة في ذلك مطلقاً. ليس علي سوى أن أرتدي ملابسي وأغادر. يمكن أن أصل لديها في غضون خمسة عشر دقيقة لا أكثر».

«لا بأس بذلك. سأكون ممتناً لك للأبد فعلاً. لطالما كانت حالة بريجيت غير مستقرة وأود أن يبقى أحد ما برفقتها إلى حين عودتي إلى فيالباكا. سأتصل بها وأبلغها أنك في الطريق إليها. سأكون هناك في وقت ما من بعد الظهر، لكي نتمكن من التحدث مطولاً. شكراً لك مجدداً».

أسرعت إلى الحمام لتغسل وجهها والنعاس لا يزال يدغدغ عينيها. ارتدت الملابس ذاتها التي ارتدتها أمس، وصففت شعرها على عجل ووضعت بعض الماسكرا على رموشها. وكانت وراء المقود في أقل من عشر دقائق تلت الاتصال. لم تستغرق القيادة من تالغاتان إلى سالفيك أكثر من خمس دقائق، لذا كانت بعد ربع ساعة بالضبط من اتصال هنريك ترن جرس الباب.

بدا أن بريجيت قد خسرت بضع باوندات من وزنها على مدى الأيام القليلة الماضية أي منذ آخر مرة التقتها إريكا في المعرض، وكانت ملابسها تتراقص واسعة فوق جسدها النحيل. لم يذهبا هذه المرة إلى غرفة الجلوس بل دعتها بريجيت إلى المطبخ.

«أشكرك لتكبد عناء المجيء. أنا متوترة جداً، ولا أستطيع ببساطة المكوث هنا قلقة أنتظر وصول هنريك».

«قال لي إنك تلقيت اتصالاً هاتفياً من مخفر شرطة تانومشيد، أليس كذلك؟»

«صحيح، عند الساعة الثامنة من هذا الصباح اتصل المراقب ملبرغ وأبلغني أنه علينا أنا وكارل - إريك وهنريك الحضور إلى مكتبه على الفور. شرحت له أن كارل - إريك خارج البلدة لمعالجة أمر طارىء في العمل، لكنه سيعود غداً. سألته ما إن كنا نستطيع تأجيل الموعد إلى ذاك الحين لكن على حدّ قوله إن ذلك غير مقبول أبداً وإنه يفترض بي في هذه الحال أن أحضر وهنريك إلى مكتبه. كان الرجل فظاً جداً أثناء المكالمة فاتصلت بهنريك على الفور طبعاً، فأبلغني أنه سيعود إلى هنا حالما يتمكن من ذلك. أخشى أني بدوت ربما حزينة نوعاً ما على الهاتف فاقترح عندئذٍ أن يتصل بك ويسألك إن كنت تستطيعين المجيء لتمضية بضع ساعات برفقتي. لعلك لا تريدين الغرق أكثر في المأساة التي تمر بها العائلة، لكني لا أعلم إلى من عساي ألجأ، إضافة إلى أنك كنت في أحد الأيام الغابرة بمثابة ابنة هذا المنزل، لذا خطر لي أنك ربما...».

«لا تعذبي نفسك بالتفكير في هذا الموضوع. يسرني تقديم المساعدة. هل ذكر لك الشرطي الأمر الذي يستدعيك بشأنه».

«كلا، لم ينطق المراقب بكلمة واحدة حول الموضوع، لكن لدي فكرة عما يريد التحدث بشأنه. ألم أقل لك إن ألكس لم تحاول الانتحار؟ ألم أقل لك ذلك؟».

لم يكن من إريكا عندئذٍ ومن دون تردد إلا أن وضعت يدها فوق يد بريجيت.

«بريجيت، عزيزتي، دعينا لا نتسرع في الوصول إلى النتائج. قد

تكونين على حق، لكن فلنبتعد عن التكهنات إلى أن نتأكد من الأمر تماماً».

أمضيتا ساعتين من الوقت مرتا بطيئاً، جالستين حول طاولة المطبخ. سرعان ما وصل الحديث بينهما إلى نهايته، ولم يكن يسمع في ظل السكينة سوى دقات ساعة الحائط في المطبخ. أخذت إريكا ترسم بسباتها الدوائر الموجوْدة على السطح الزلق للقماش الزيتي الذي يغطي الطاولة. كانت بريجيت ترتدي ملابس أنيقة وكان تبرجها خالياً من العيوب كما المرة الماضية التي رأتها فيها تماماً. إلا أن هالة من التعب والوهن لا يمكن تفسيرها كانت تحيط ببريجيت هذه المرة، بدت كما لو أنها صورة فوتوغرافية فقدت لمعانها وتمزقت أطرافها. لم تكن خسارة المزيد من الوزن تليق بها، إذ إنها كانت في المرة الماضية على حافة النحول، وقد أظهرت خسارة المزيد من الوزن عدداً إضافياً من التجاعيد حول عينيها وفمها. كانت بريجيت تحكم قبضتها على فنجان القهوة في يدها بحيث ابيضت مفاصل أصابعها. إن كانت فترة الانتظار طويلة ومملة بالنسبة إلى إريكا، فهي حتماً كانت لا تحتمل بالنسبة إليها.

«لا أفهم من ذا الذي أراد التخلص من ألكس وقتلها». اخترقت الكلمات الصمت كطلقات من الرصاص. وقد تابعت: «لم يكن لديها أي أعداء. كانت تعيش كأي شخص عادي آخر مع هنريك».

أجابت إريكا مجدداً: «لا نعلم بعد ما هو لب القضية. ما من جدوى من التكهن قبل أن نعرف ما الذي تريده الشرطة بالضبط». واعتبرت عدم تلقيها أي ردٍّ على كلامها من قبل بريجيت موافقة ضمنية على طرحها.

كان الوقت قد تخطى الثانية عشرة ظهراً بقليل حين ركن هنريك سيارته في المساحة الصغيرة المخصصة لركن السيارات أمام المنزل.

لمحتاه من نافذة المطبخ ونهضتا من مكانيهما ووضعت كلاً منهما معطفها ينتابها شعور من الارتياح لقدومه. وكانتا تنتظرانه في الممر جاهزتين للانطلاق حين رن الجرس. طبع كل من هنريك وبريجيت قبلتين سريعتين على وجنتي أحدهما الآخر قبل أن يحين دور إريكا لتلقى الترحيب ذاته. لم تكن معتادة على مثل تلك اللياقات الاجتماعية، وخشيت قليلاً في البداية أن تتعرض لموقف محرج إذا ما أدارت له بداية الوجهة الخطأ. لكنها تعاملت مع الوضع من دون مشكلة حتى أنها استمتعت للحظة بتنشق عطر ما بعد الحلاقة الذكوري لهنريك.

«ستأتين معنا، أليس كذلك؟»

كانت إريكا قد اجتازت نصف المسافة نحو سيارتها، فقالت: «حسناً، لا أعلم...».

«سأقدر لك مجيئك معنا حقاً».

التقت عيون إريكا وهنريك من فوق رأس بريجيت وصعدت إريكا في المقعد الخلفي لسيارة الـ BMW تطلق تنهيدة مخنوقة. لا بدّ أن نهارها سيكون طويلاً وحافلاً.

لم يستغرق الوصول إلى مخفر شرطة تانومشيد أكثر من عشرين دقيقة. وقد تحدثوا في هذه الأثناء عن أحوال الطقس والإخلاء التدريجي للريف من السكان. كانت الأحاديث تدور حول كافة المواضيع إلا تلك المتعلقة بسبب الزيارة الضرورية إلى مخفر الشرطة.

كانت إريكا في المقعد الخلفي تتساءل عما كانت تفعله هنا. أليس لديها ما يكفيها من المشاكل حتى تتورط في مسألة جريمة القتل تلك، هذا إن تبين أن الأمر فعلاً كذلك؟ سيعني ذلك أيضاً أن فكرة الكتاب الذي كانت تنوي تأليفه لا تساوي شيئاً. كانت قد تمكنت أن تضع تصميم المسودة الأولى، وكل ما ستفعله الآن رمي الأوراق التي

كتبت في سلة المهملات كذلك. حسناً، قد يجبرها ذلك على الأقل أن تصب كل تركيزها على إنهاء السيرة الذاتية، أو لعلها تتمكن من إنجاح الأمور بعد إدخال القليل من التعديلات. قد يتبين في الواقع أن ذلك أفضل إذ سيشكل إضفاء طابع الجريمة إلى الكتاب إضافة حقيقية.

أدركت فجأة أين كانت تجلس، وماذا كانت تفعل. لم تكن ألكس مجرد شخصية تم ابتكارها في كتاب تضبع أحداثه وتعدلها وتتلاعب بها كما يحلو لها، بل شخص حقيقي أحبه أناس حقيقيون حتى هي نفسها كانت تحب ألكس. نظرت إلى هنريك في المرآة الخلفية فوجدته هادئاً، لا مبالياً كما من قبل، على الرغم من أنه قد يعلم بعد دقائق معدودة أن زوجته قد قتلت ولم تنتحر. أليس صحيحاً أن معظم جرائم القتل يرتكبها شخص من ضمن أفراد العائلة؟ شعرت بالخجل مجدداً من نفسها لأنها فكرت على هذا النحو. بقليل من الجهد قطعت حبل أفكارها وشعرت بالامتنان لوصولهم إلى المخفر أخيراً. جل ما أرادته الآن هو الانتهاء من هذه القصة لتتمكن من العودة إلى اهتماماتها التافهة نسبياً مقارنة بهول الحدث.

كانت كومات الأوراق قد تكدست فوق مكتبه بشكل لافت. يا للعجب كيف أن مجتمعاً قليل العدد كتانوم يمكن أن تتمخض عنه كل تلك التقارير المختصة بالجرائم. لا بد أن معظمها يدور حول قضايا تافهة، إلا أنه يجب التحقيق في معلومات كل ملف ولهذا السبب هو يجلس هناك مضطلعاً بكل الواجبات الإدارية التي تستحق تقليده منصباً بيروقراطياً كما في أوروبا الشرقية. ليس من السيء إلى هذا الحد بأي حال أن يقدم ملبرغ المساعدة في حل بضعة قضايا بدلاً من الاسترخاء والتربيت على كرشه طوال النهار من دون القيام بعمل ذي فائدة، لكن

ذلك لا يتم من دون أن يمارس دور المدير على أكمل وجه. أطلق باتريك هيدشتروم تنهيدة يفكر في نفسه أنه من دون إحساس الفكاهة المقزز هذا ما كان ليصمد طوال هذا الوقت. وقد بدأ يتساءل مؤخراً ما إن كان ذلك كل ما خبأته الحياة له.

سيكون حدث النهار الأبرز شيء ما يقطع سير الأمور اليومية الروتينية. لقد طلب منه ملبرغ أن يتولى مقابلة والدة المرأة التي وجدت مقتولة في فيالباكا وزوجها. لا يعني ذلك أنه لا يشعر بحجم المأساة ولا يتعاطف مع عائلة الضحية، لكن جلّ ما في الأمر أن لا شيء مثير للاهتمام يحصل في عمله، ولم يستطع أن يمنع رعشة الحماسة من أن تسري في جسمه ويسرح في توقعاته.

لقد خضع في أكاديمية الشرطة للتدريب على كيفية التعاطي في حال إجراء المقابلات، لكنه حتى الآن لم تتسن له فرصة تطبيق ما تعلمه من مهارات في هذا المجال فاقتصرت على حوادث سرقة الدراجات الهوائية والمشاكل المحلية البسيطة. نظر باتريك إلى الساعة وأدرك أن الوقت قد حان للذهاب إلى مكتب ملبرغ، حيث ستتم المقابلة. من الناحية الفنية، لم يكن هذا اللقاء اليوم بمثابة استجواب رسمي، إلا أنه لا يقل أهمية مع ذلك. لقد وصلت إلى مسامعه من الثرثرات المتنقلة أن الوالدة لم تنفك تدّعي أن ابنتها لا يمكن أن تكون قد أقدمت على الانتحار. كان يشعر بالفضول حيال ما يدعو إلى مثل هذا الادعاء الذي تبين أنه صحيح في النهاية.

تناول دفتر ملاحظاته وقلمه وفنجان قهوته وسار في الممر. كانت يداه محملتين بالأغراض فاضطر لاستعمال مرفقيه وقدميه لفتح الباب، لذا وبعد أن وضع أغراضه واستدار نحو الموجودين وقع نظره عليها. قفز قلبه من مكانه وعاد صبي العشر سنوات الذي يحاول أن يشد ضفائرها. وبعد مرور ثانية أخرى صار ابن الخامسة عشرة الذي

يحاول إقناعها الركوب على دراجته والذهاب في نزهة. ثم أصبح في العشرين وفقد الأمل منها عندما انتقلت إلى العيش في غوتبرغ. أجرى عملية حسابية سريعة في عقله وتوصل إلى أنه مضت ست سنوات على الأقل منذ أن رأى إريكا آخر مرة. كانت لا تزال كما هي، طويلة القامة متناسقة القوام مفعمة الأنوثة، وقد لامست كتفيها خصلات شعرها المتجعد المتدرج من الأشقر الغامق إلى الفاتح. لطالما كانت إريكا معجبة بنفسها حتى وهي لا تزال فتاة صغيرة، وقد لاحظ أنها لا تزال تولي أهمية كبرى لتفاصيل مظهرها. شع وجهها دهشة لدى رؤيته إلا أن ملبرغ كان يرمقه نظرة حازمة فبالكاد ألقى عليهم التحية همساً.

كان يجلس قبالة مجموعة من الأشخاص متوتري الأعصاب. والدة ألكسندرا ويكنر كانت قصيرة القامة نحيفة تبالغ في وضع الحلي والمجوهرات برأيه. كانت قد صففت شعرها بذوق رفيع وارتدت بأناقة متناهية إلا أنها كانت سيئة المظهر لما يبدو عليها من إرهاق فضحته الهالات السوداء المحيطة بعينيها. لم تبد على صهرها الكثير من علامات الحزن والأسى. راجع باتريك المعلوات المتعلقة بخلفية الرجل. هنريك ويكنر، رجل أعمال ناجح من غوتبرغ ووريث ثروة هائلة تعود إلى عدة أجيال من الأسلاف. كان ينضح بتلك الصفات على أي حال. ولا يعود ذلك إلى وضوح فخامة الملابس التي يرتدي ولا لرائحة عطر ما بعد الحلاقة الأخاذ الذي يملأ الغرفة، بل إلى أمر آخر يصعب التعريف عنه بالكلام. لعلها الثقة الزائدة بالنفس الناجمة عن يقين بأنه يحتفظ بمكانة بارزة في هذا العالم وهو الذي لم ينقصه شيء في الحياة. كان باتريك واثقاً من أن هنريك يستطيع أن يتمالك نفسه في كل الظروف مهما كانت على الرغم من التوتر البادي على ملامحه.

كان الغموض يرتسم على وجه ملبرغ وقد نجح في الواقع من

دس قميصه المتنافر الألوان تحت سرواله من دون أن يتمكن من إخفاء بقع القهوة التي تلطخه. وقد أخذ يمرر يده اليمنى فوق تسريحة شعره المصففة على نحو مصطنع مبالغ فيه إلى أحد جانبي رأسه بينما يعاين كلاً من الأشخاص الجالسين أمامه بصمت متعمد. كان باتريك يحاول عدم النظر إلى إريكا مباشرة فأخذ يصب تركيزه على إحدى بقع القهوة على قميص ملبرغ.

«إذاً، على الأرجح أنكم تعلمون سبب استدعائكم إلى هنا اليوم». توقف ملبرغ فترة طويلة عن الكلام كي يفسح المجال لجملته لأن تترك الوقع المطلوب، ثم قال: «أنا المحقق بيرتل ملبرغ رئيس مخفر شرطة تانومشيد وهذا باتريك هيدشتروم الذي سيكون معاوني في هذا التحقيق».

أومأ إلى باتريك الذي كان يجلس نوعاً ما خارج نصف الدائرة المؤلفة من إريكا وبريجيت وهنريك الجالسين أمام مكتب ملبرغ.

مالت بريجيت بجسدها إلى الأمام في الكرسي وصرخت قائلة: «هل قلت تحقيق؟ لقد تعرضت ابنتي للقتل بحق السماء!» سارع هنريك عندئذٍ يضع يده حول كتفيها ليهدىء من روعها.

«أجل، لدينا ما يؤكد أن ابنتك لم تضع حدّاً لحياتها بنفسها، يمكننا حتماً حذف الاحتمال الذي يقول إنها أقدمت على الانتحار وفقاً لتقرير الطبيب الشرعي. لا يسعني بالطبع أن أغوص في تفاصيل عملية التحقيق لكن السبب الرئيس الذي يدعونا للتأكد من أنها قتلت ولم تنتحر هو أنه في الوقت الذي جرحت فيه معصميها كانت فاقدة الوعي. لقد عثرنا على نسبة هائلة من المهدئات في دمها. يبدو أنه وبينما كان مغمى عليها، قام شخص ما أو عدة أشخاص بوضعها في حوض الاستحمام في خطوة أولى وملأه بالمياه، وجرح معصميها بواسطة شفرة حلاقة في محاولة لجعل الأمر يبدو وكأنه عملية انتحار».

كانت الستائر مسدلة لتقي المكتب حرارة شمس منتصف النهار، وكان يخيم على أرجاء الغرفة جو من توتر ذي حدين، إذ كانت مشاعر الأسى لدى بريجيت تمتزج بارتياح واضح ناجم عن عدم إقدام ابنتها على الانتحار.

تناولت الوالدة منديلاً صغيراً مطرزاً من حقيبة يدها وأخذت تجفف طرف عينيها بعناية لئلا تفسد تبرجها وسألت: «وهل تعرفون من الفاعل؟»

شبك ملبرغ يديه فوق كرشه الكبير أمامه وأخذ يحدق في الأشخاص الثلاثة قبالته ثم تنحنح مصدراً صوتاً ينم عن سلطة، وقال: «لعل أحدكما يستطيع إخباري من الفاعل».

بدت دهشة هنريك حقيقية وهو يقول متعجباً: «نحن؟ وكيف لنا أن نعرف ذلك؟ لا بدّ أن يكون الفاعل شخص مختل عقلياً، فألكسندرا لا أعداء لها».

«هذا رأيك أنت وحسب».

خيّل لباتريك أنه لمح للحظة تعابير غريبة تملأ ملامح زوج ألكس ما لبثت أن اختفت بالسرعة ذاتها التي ظهرت فيها ليعود الهدوء ويخيم على وجه هنريك المتمالك النفس.

لطالما كان الرجال من أمثال هنريك يملأون قلب باتريك بشكوك تتبين صحّتها في وقت لاحق. إنهم الرجال الذين ولدوا ليعرفوا طعم النجاح ولا شيء سواه، رجال يحصلون على كل شيء بمجرد أن يشيروا إليه بإصبعهم. كان هنريك ذو طبيعة دمثة جذابة لكن باتريك تمكن من أن يرى خلف هذه الواجهة أطيافاً تشير إلى شخصية أكثر تعقيداً. وقد لمح طبيعة قاسية وشخصاً عديم الرحمة من وراء الملامح المهذبة وتساءل في سره عن سبب غياب الدهشة كلياً على وجه هنريك عند إفصاح ملبرغ عن تعرض ألكس للقتل. تصديق أمر ما

يختلف عن سماعه كحقيقة واقعة. هذا ما علمته إياه سنوات خبرته العشر كشرطي.

بدت بريجيت غاية في الدهشة وكأن المحقق قد تحول فجأة إلى يقطينة كبيرة أمام ناظريها وسألته: «وهل نعتبر من المشتبه بهم بالنسبة إليك؟»

«الإحصاءات تتحدث عن نفسها في حالات حدوث جرائم قتل، إذ إن الغالبية الساحقة من المعتدين نجدها عادة ضمن حلقة المقربين جداً من عائلة الضحية. حسناً هذا لا يعني أني أقول إن الأمر ينطبق على هذه الحالة لكني أثق أنكم تتفهمون أنه علينا أن نتحقق من صحة الموضوع. لن نغفل أي تفصيل ولن نترك سراً من دون أن نكشفه. سأكون كفيلاً بذلك شخصياً. إن خبرتي الواسعة في مجال جرائم القتل...» ووقفة درامية أخرى عن الكلام ذات معنى ثم يتابع: «أضمن لك حل القضية سريعاً، لكني أود من كل منكما أن يسرد لي سلسلة النشاطات والأعمال التي قام بها خلال الأيام التي قادت إلى الوقت الذي نشتبه أن ألكسندرا قد قتلت فيه».

سأله هنريك: «وأي وقت هو ذلك بالضبط؟ كانت بريجيت آخر شخص تحدث معها إلا أن أحدنا لم يتصل بها حتى نهار الأحد الماضي، لذا يمكن للجريمة أن تكون قد وقعت يوم السبت. اتصلت بها نهار الجمعة عند التاسعة والنصف مساءً تقريباً، لكنها عادة ما كانت تقوم بنزهة مسائية قبل أن تخلد للنوم فافترضت أنها خارج المنزل تتنزه».

«كل ما استطاع الطبيب الشرعي أن يفيدنا به هو أنها توفيت منذ حوالى أسبوع. من الطبيعي أن نتحقق من أقوالك حيال وقت اتصالك بها، لكن لدينا إحدى المعلومات التي تقول إنها قد فارقت الحياة في وقت ما قبل الساعة التاسعة مساءً من يوم الجمعة. لقد تمت عملية

القتل حوالي الساعة السادسة مساءً أي بعد وصولها إلى فيالباكا مباشرة، حيث اتصلت بشخص يدعى لارس ثيلاندر لتبلغ عن سخان ما معطل. لم يتمكن من الحضور فوراً لكنه وعدها بالمجيء في وقت لاحق من ذلك المساء لا يتجاوز التاسعة. وفقاً لما يرد في إفادته فإنه قد طرق باب المنزل عند الساعة التاسعة تماماً. لم يفتح له أحد فعاد إلى منزله بعد أن انتظر فترة وجيزة أمام الباب. لذا إن الفرضية التي نطرحها هي أنها ماتت في وقت لاحق من مساء اليوم الذي وصلت فيه في فيالباكا، ذلك أنه من غير المرجح أن تكون قد نسيت أن عامل التصليحات كان سيأتي إلى المنزل للكشف على السخان المعطل نظراً إلى برودة المنزل».

كانت خصلات شعره تنزلق مجدداً إلى الجهة اليسرى هذه المرة. لاحظ باتريك أن إريكا بالكاد تستطيع أن تبعد ناظريها عن هذا المشهد. لعلها كانت تكبح رغبة عارمة لأن تهرع نحوه وتعيد ترتيب الخصلة العنيدة. لقد تعرض كل من في المخفر للموقف عينه.

وجه ملبرغ سؤاله هذه المرة إلى بريجيت: «في أي ساعة قلت لي أنك تحدثت إليها عبر الهاتف؟»

تريثت للحظة تفكر قبل أن تقول: «حسناً، لست واثقة تماماً من ذلك. أظن في وقت ما بعد السابعة، ربما في السابعة والربع أو السابعة والنصف. لم نتحدث طويلاً لأن ألكس قالت لي إنها تنتظر زائراً ما. . .»، توقفت بريجيت عندئذٍ عن الكلام وشحب وجهها قبل أن تعود وتتساءل: «أيمكن أن يكون . . .؟»

أخذ ملبرغ يهز رأسه بحزم وقال: «هذا ممكن تماماً سيدة كارلغرن. لكن عملنا يقتضي أن نكتشف ما إذا كان ذلك صحيحاً، ويسعني أن أؤكد لك أننا سنوظف كل طاقاتنا للعمل على حل القضية. يعتبر تضييق حلقة المشتبه بهم إحدى المهمات الأولية في

نطاق عملنا، لذا أرجو منك أن تدلي بإفادتك حول كل ما قمت به عشية يوم الجمعة».

سألته إريكا: «وهل تريد مني أن أدلي بإفادتي كذلك؟»

«لا أعتقد أن ذلك سيكون ضرورياً. لكننا نود منك لو تخبرينا بكل ما رأيته حين دخلت المنزل يوم اكتشفت الجثة. يمكنك أن تدلي بإفادتك أمام المعاون هيدشتروم».

التفت الجميع ونظر إلى باتريك الذي هز برأسه موافقاً ونهضا من مكانيهما.

«إنها حادثة مأساوية سيما بوجود الطفل».

وجه الجميع أنظاره الآن ناحية ملبرغ.

أخذت بريجيت تنقل نظرها بين كل من ملبرغ وهنريك بتساؤل، وقالت متعجبة: «طفل؟»

«أجل، لقد كانت في الشهر الثالث من الحمل وفقاً للطبيب الشرعي. من المؤكد أن الخبر لا يشكل مفاجأة لكما، أيمكن أن يكون كذلك؟»

افتر ثغر ملبرغ عن تكشيرة أكثر منها ابتسامة وغمز هنريك بطريقة شريرة. ذهل باتريك كلياً لتصرف رئيسه الذي يفتقر إلى أدنى حدّ من اللباقة.

أخذ وجه هنريك يزداد شحوباً مع مرور الثواني حتى غدا لونه أبيض كقطعة من رخام. التفتت بريجيت نحوه تحدق فيه بذهول تام. شعرت إريكا أنها تسمرت في مكانها وكأنها صخرة تصعب زحزحتها.

«هل كنتما أنتما الاثنين سترزقان بطفل؟ لماذا لم تخبرني ذلك بحق السماء؟»

ضغطت بريجيت بالمنديل فوق فمها وأخذت تشهق وتبكي بشكل هستيري غير عابئة هذه المرة بالماسكرا التي أخذت تسيل فوق

وجنتيها كجدولين صغيرين. لف هنريك مجدداً ذراعه حول كتفيها بطريقة حمائية لكن نظراته لاقت نظرات باتريك من فوق رأسها. بدا واضحاً أنه لم تكن لديه أدنى فكرة حول حمل زوجته ألكسندرا. أما تعابير وجه إريكا اليائسة كانت تشير بوضوح إلى أنها كانت تعرف الخبر.

قال هنريك: «سنتحدث بالأمر حين نصل إلى المنزل بريجيت».
ثم التفت نحو باتريك وقال له: «سأحرص على أن تصلك إفادات بأقوالنا مكتوبة حول كافة نشاطات مساء يوم الجمعة. أفترض أنك تريد ربما أن تستجوبنا بشكل أكثر تفصيلاً ما إن تحصل على الإفادات».

هز باتريك رأسه مؤكداً ما سمع. ورفع حاجبيه ورمق إريكا نظرة ملؤها التساؤل.

قالت: «سأوافيكما في الحال هنريك. عليّ أن أتحدث للحظة إلى باتريك، نحن صديقان قديمان».

أخذت تسير ببطء في الرواق بينما هنريك يرافق بريجيت إلى الخارج متوجهاً إلى السيارة.

قال لها باتريك: «تخيلي أني أقابلك هنا، يا لها من مفاجأة». كان يترنح على عقبيه بتوتر واضح.

«أجل، لو أني فكرت بالأمر لتذكرت أنك تعمل هنا بالطبع».

كانت تضغط على قبضة حقيبة يدها بين أصابعها وتنظر إليها وقد أمالت برأسها إلى أحد الجانبين نوعاً ما. كانت كل حركاتها مألوفة جداً لديه.

«لقد مضى وقت طويل. آسف أني لم أستطع المجيء إلى المأتم. كيف تجري الأمور معك ومع آنا؟»

على الرغم من طول قامتها شعرت أنها صغيرة الحجم فجأة، أما هو فقاوم رغبة عارمة بأن يداعب وجنتيها.

«أمورنا تجري على خير ما يرام. آنا عادت إلى الديار بعد انتهاء مراسم الدفن مباشرة، لكني هنا منذ بضعة أسابيع أحاول أن أنظف المنزل. ليس الأمر سهلاً».

«سمعت أن امرأة من فيالباكا هي من اكتشفت جثة الضحية لكن لم يخطر لي أبداً أن تكون أنت. لا بد أن ذلك كان فظيعاً. أنتما صديقتان مذ كنتما طفلتين. أليس كذلك؟»

«صحيح. لا أعتقد أني سأتمكن من محو المنظر من رأسي. حسناً، علي أن أهرع إلى الخارج الآن، إنهما بنتظاري في السيارة. لعلنا نستطيع أن نلتقي في وقت لاحق. سأمكث في فيالباكا لفترة».

كانت في طريقها نحو المدخل حين سألها: «ما رأيك بتناول العشاء معي مساء السبت؟ أيناسبك أن نتناول العشاء في منزلي عند الثامنة مساءً؟ أنا متفرغ تماماً».

خرجت من الباب الرئيس تدير وجهها نحوه وقالت: «بالطبع، يبدو هذا رائعاً. سأراك عند الثامنة إذاً».

ما إن غابت عن ناظريه حتى ارتجل رقصة من الفرح في الرواق أثارت دهشة زملائه في القسم. لكن سرعان ما أفسدت فكرة ما عليه بهجته، إذ أدرك كم سيتطلب المنزل من ترتيب وتنظيف ليليق باستقبال ضيف. لم يشعر برغبة في القيام بكل ما له علاقة بالأعمال المنزلية بعد أن تركته كارين.

لقد عرف كل منهما الآخر منذ الولادة. لقد كانت أُماهما صديقتين حميمتين منذ الطفولة وكانتا مقربتين من بعضهما بعضاً كأختين. لقد لعب باتريك وإريكا معاً كثيراً حين كانا مجرد ولدين وليس من مبالغة في القول إن إريكا كانت حبه الأول. كان يؤمن في الواقع أنه ولد مغرماً بإريكا. لطالما كانت مشاعره حيالها تتميز بطعم طبيعي خاص. أما بالنسبة إلى إريكا فبالكاد كانت تعتبر إعجابه

الطفولي الطابع أمراً مسلماً به. لم يدرك أن عليه وضع أحلامه على الرف إلا بعد أن غادرت فيالباكا. وقد وقع في حب سواها بعد ذلك بالطبع. وكان على قناعة حين تزوج من كارين أنهما سيغدوان عجوزين معاً، إلا أن إريكا ظلت تحتل مكاناً ما في صميم قلبه. كانت تمر أحياناً عدة أشهر من دون أن يفكر فيها مطلقاً، وأحياناً كانت تخطر في باله مرات عديدة في اليوم.

كانت كومة الأوراق قد اختفت عن المكتب بسحر ساحر بينما هو في الخارج. أطلق تنهيدة عميقة وجلس وراء المكتب وسحب الصفحة الأولى. كانت وتيرة العمل روتينية بما يكفي للتفكير في لائحة الطعام ليوم السبت في الوقت نفسه. كان قد قرر سلفاً ما ستكون التحلية، لطالما كانت إريكا تحب الآيس كريم.

* * *

استيقظ على طعم كريه في فمه. لقد كانت ليلة الأمس حافلة إذ أتى أصدقاؤه إلى منزله بعد الظهر وظلوا يشربون حتى ساعات الصباح الأولى. لاحت في ذاكرته صورة الشرطة تمر بالمكان في ساعة ما من ليل الأمس، لكن الصورة لم تكن واضحة بما يكفي له. حاول أن يجلس في السرير، لكن الغرفة أخذت تدور من حوله فقرر البقاء حيث هو لفترة أطول.

كانت يده اليمنى تؤلمه وقد رفعها نحو السقف لينظر إليها. كانت مفاصل أصابعه مشققة بقوة ومغطاة بطبقة من الدماء الجافة. لا بدّ أن عراكاً ما قد جرى الليلة الماضية مما استدعى حضور الشرطة. أخذت ذاكرته تعود إليه تدريجياً. لقد أثار الشبان موضوع الانتحار. وأخذ أحدهم يطلق السباب والكلمات النابية ويشتم ألكس. فوصفها بعاهرة الطبقة العليا وحثالة المجتمع فاستشاط أندرز غضباً وتذكر بعد ذلك فورة الغضب التي انتابته وقد أخذ يضرب الشاب كالمجنون وهو ثمل

للغاية. كان قد أطلق شخصياً عليها بعض النعوت المماثلة والشتائم حين كان في قمة غضبه منها لأنها خانته. لكن الأمر هنا يختلف. لم يكن الآخرون يعرفونها، وكان هو وحده دون سواه يملك الحق في أن يطلق الأحكام عليها.

ملأ رنين الهاتف المزعج المنزل. حاول تجاهله لكنه قرر في النهاية أنَّ رفع السماعة والرد على المكالمة أقل إزعاجاً من السماح للضجيج بتهشيم دماغه.

كان يتلعثم بالكلمات وهو يقول: «أجل، أندرز يتكلم».

«مرحباً أنا أمك. كيف حالك؟»

انزلق على طول الحائط وجلس على الأرض وأجاب: «بأسوأ حال. كم الساعة الآن بحق السماء؟»

«إنها الرابعة بعد الظهر تقريباً. هل أيقظتك من النوم؟»

«كلا».

شعر برأسه ثقيلاً وكبيراً وكأنه يهدده بالسقوط بين ركبتيه في أي لحظة.

«كنت أقوم بالتسوق اليوم، وسمعت الكثير من الكلام الذي أود أن أطلعك عليه. هل تسمعني؟»

«أجل، اللعنة، أنا أسمعك».

«يبدو أن ألكس لم تنتحر. لقد تعرضت لعملية قتل. أردتك أن تعرف ذلك».

ساد صمت مطبق.

«ألو، أندرز؟ هل سمعت ما قلته لك؟»

«أجل، لقد سمعتك بالطبع. ماذا قلت؟ هل تعرضت ألكس... للقتل؟»

«أجل، هذا ما يقولونه في البلدة بأي حال. يبدو أن بريجيت

كانت في مخفر شرطة تانومشيد اليوم وقد أبلغوها المعلومات».

«اللعنة. اسمعي أمي، لدي الكثير من الأمور التي ينبغي أن أقوم بها. سنتحدث في ما بعد».

«أندرز؟ أندرز؟»

لكنه كان قد أقفل الخط.

تكبد عناءً هائلاً ليستحم ويرتدي ملابسه. ولم يشعر أنه عاد إلى حالته الطبيعية نوعاً ما إلا بعد أن تناول حبتي تيلينول. حاولت قنينة الفودكا في المطبخ إغواءه لكنه رفض أن يضعف أمامها ويستسلم. عليه أن يكون في وعيه الكامل الآن أو الحدّ الأدنى من وعيه نسبياً على الأقل.

رن الهاتف مجدداً لكنه تجاهله. تناول دفتر أرقام الهاتف من الخزانة في قاعة الاستقبال ووجد سريعاً الرقم الذي كان يبحث عنه. كانت يداه ترتجفان وهو يضغط على الأزرار. وبدا له أن الهاتف قد رن مئات المرات.

سرعان ما قال حين رفعت السماعة على الطرف الآخر من الخط: «مرحباً، هذا أندرز. كلا لا تقفل الخط، اللعنة. علينا أن نتحدث . . . حسناً، لا تملك العديد من الخيارات كما تعلم، عليّ أن أخبرك . . . سأكون في منزلك بعد ربع ساعة. ويستحسن بك أن تكون هناك. . . ولا آبه من لديك سواي، اللعنة! وتذكر من سيكون الخاسر الأكبر هنا. . . هذا هراء. سأذهب الآن. أراك في غضون ربع ساعة».

خبط أندرز سماعة الهاتف بقوة. أخذ بضعة أنفاس عميقة ثم ارتدى معطفه وخرج. لم يعبأ حتى بإقفال الباب وراءه. عاد الهاتف في الشقة يرن بعنف مجدداً.

* * *

كانت إريكا منهكة لدى وصولها إلى المنزل. كان الصمت محموماً في السيارة طوال طريق العودة وفهمت إريكا أن هنريك أمام خيار صعب. هل يجدر به أن يخبر بريجيت أنه ليس والد طفل ابنتها، أو يبقى صامتاً ويأمل لو أن التحقيق لم يثر الموضوع؟ لم تحسده إريكا على الموقف الذي هو فيه ولم تستطع التكهن كيف كانت لتتصرف لو كانت هي مكانه. لا تشكل الحقيقة دوماً الحل الأفضل.

كان الظلام قد حلَّ وشعرت إريكا بالامتنان لأن والدها قد وضع خارج المنزل مصابيح أوتوماتيكية تضيء تلقائياً مع اقتراب أي شخص من المنزل. لطالما كانت تشعر بالخوف من العتمة. ظنت حين كانت طفلة أنها ستتخلص من خوفها هذا مع الوقت ذلك أن الراشدين لا يخشون العتمة، أليس كذلك؟ لكنها في الخامسة والثلاثين من العمر ولا تزال تنظر تحت السرير لتتحقق أن لا شيء يتململ هناك في العتمة. يا له من أمر يدعو للشفقة.

بعد أن حرصت على إضاءة كافة الأنوار في المنزل، سكبت إريكا لنفسها كأساً كبيرة من النبيذ وتكورت فوق أريكة الخيزران المجدول على الشرفة. كان الظلام حالكاً، كانت تحدق أمامها مباشرة من دون أن ترى شيئاً. إنها تشعر بالوحدة. كان هناك عدد من الأشخاص الحزانى على موت ألكس وكثر ممن تأثروا لوفاتها. لكن إريكا لم يكن لديها إلا آنا الآن. أحياناً ما كانت تتساءل ما إن كانت آنا تفتقدها أصلاً.

كانت هي وألكس فتاتين مقربتين جداً لكن مع انسحاب ألكس من حياتها رويداً رويداً واختفائها نهائياً عند انتقالها من البلدة، شعرت إريكا أن العالم قد انتهى. لم يكن لديها سوى ألكس قي هذه الدنيا ولم يكن لديها من يهتم لأمرها سوى أبيها.

وضعت إريكا كأس النبيذ الأحمر من يدها بقوة فكادت تكسر

قاعدته. كانت تشعر باضطراب منعها من أن تجلس في مكان واحد بهدوء. كان عليها أن تفعل شيئاً ما. لم يكن ينفعها الادعاء بعدم التأثر لموت ألكس شيئاً. أكثر ما كان يزعجها أن الصورة التي تحتفظ بها عن ألكس التي عرفتها يوماً لم تكن تتفق مع تلك التي كونها عنها أهلها وأصدقاؤها. حتى لو كان الناس يتغيرون من مرحلة الطفولة إلى البلوغ إلا أن جوهر شخصيتهم يظل واحداً. أما ألكس التي يصورونها لها غريبة عنها بالكامل.

نهضت من مكانها وارتدت معطفها مجدداً. كانت مفاتيح سيارتها لا تزال في الجيب، فتناولت في اللحظة الأخيرة مصباحاً صغيراً ودسته في الجيب الأخرى.

بدا المنزل الواقع على قمة التل مهجوراً تحت الأضواء البنفسجية المتسللة من إنارة الشارع. ركنت إريكا سيارتها في الموقف خلف المدرسة. لم تشأ أن يراها أحد تدخل المنزل.

أمنت الشجيرات المنتشرة في المكان غطاءً مناسباً تماماً تسللت من تحته إلى الشرفة بحذر. أملت أنهم لا يزالون يحتفظون بعاداتهم القديمة ورفعت ممسحة الأرجل أمام الباب. وجدت مفتاح المنزل الإضافي مخبأً تماماً في المكان عينه الذي كان يوضع فيه منذ خمسة وعشرين عاماً. أصدر الباب صوت صرير خافت حين فتحته لكنها أملت ألا يكون أحد من الجيران قد سمع شيئاً.

انتابها شعور غريب وهي تقتحم منزلاً تحت جنح الظلام. جعلها خوفها من العتمة تتنفس بصعوبة، فأجبرت نفسها على أخذ بعض الأنفاس العميقة لتستعيد هدوء أعصابها. امتنت لتذكرها المصباح الصغير في جيب معطفها وتضرعت بصمت أن تكون البطاريات فيه لا تزال صالحة ومشحونة بالطاقة. وكانت كذلك بالفعل. وجعلها الضوء المنبعث من تلك الآلة الصغيرة تهدأ قليلاً.

سلطت شعاع الضوء حول أرجاء غرفة الجلوس الكائنة في الطابق السفلي. لم تكن تعرف ما الذي تبحث عنه هنا في هذا المنزل. أملت ألا يرى أحد الجيران أو عابر سبيل ما الضوء في المنزل ويستدعي الشرطة.

كان جو الغرفة منعشاً وجميلاً، لكن إريكا لاحظت أن أثاث السبعينيات البرتقالي والبني الذي تتذكره جيداً من أيام الطفولة قد حلت مكانه قطع خفيفة من تصميم اسكندنافي بحت مصنوع من الخشب البتولا. أدركت أن ألكس قد وضعت لمساتها على أثاث المنزل. كان كل شيء في مكانه موضوعاً بعناية وترتيب متناهيين بما يمنح المكان نفحة من الكآبة. لم تكن هناك من تجعيدة واحدة على الأرائك أو مجلة ما ملقاة بلامبالاة على طاولة القهوة. لم ترَ شيئاً يستحق المعاينة عن قرب أكثر من هذا الحدّ.

تذكرت أن المطبخ يقع خلف غرفة الجلوس مباشرة. كان المكان كبيراً، فسيحاً ونظيفاً لا يعكر أناقته إلا فنجان قهوة متروكاً على رف الصحون. عادت إريكا إلى غرفة الجلوس وصعدت السلالم إلى الطابق العلوي. حين وصلت انعطفت يميناً ودخلت غرفة النوم الرئيسة. كانت إريكا قد عرفتها على أنها غرفة كل من والدي ألكس لكن من الواضح أنها أصبحت الآن غرفة ألكس وهنريك. هذه الغرفة كذلك مرتبة بذوق رفيع لكنها كانت تحمل طابعاً أكثر غرابة. فالأقمشة كانت تتوزع بين البني الشوكلاتة والماجنتا، وكانت أقنعة خشبية إفريقية تغطي الجدران، كانت الغرفة بشكل عام فسيحة ذات سقف مرتفع مما أعطى الثريا الضخمة المدلاة منها أناقة وجمالاً. من الواضح أن ألكسندرا قد قاومت إغراء ترتيب منزلها على الطريقة المستوحاة من البحر، وهذا أسلوب شائع معتمد في المساكن الصيفية. كل شيء يحمل رائحة البحر بدءاً بالستائر المطرزة بالأصداف البحرية إلى

اللوحات المعقدة كان يلقى إقبالاً هائلاً ويحقق مبيعات مرتفعة في الأسواق الصغيرة المنتشرة في فصل الصيف في فيالباكا.

لاحظت إريكا أن أحدهم كان يعيش في هذه الغرفة خلافاً للغرف الأخرى التي بحثت فيها، إذ كانت بعض الأغراض الشخصية موزعة هنا وهناك، فعلى الطاولة بقرب السرير كانت توجد نظارات وكتاب شعر لغوستاف فرودينغ وعلى الأرض بضعة جوارب وعلى السرير عدد من السترات المتروكة على الغطاء. شعرت إريكا للمرة الأولى أن ألكس كانت تعيش فعلاً في هذا المنزل.

أخذت إريكا تبحث داخل الأدراج والخزانات بحذر. كانت لا تعرف بعد ما الذي تبحث عنه وشعرت كأنها تسترق النظر وهي تعبث بملابس ألكس الداخلية الحريرية الجميلة. لكن ما إن قررت الانتقال للبحث في الدرج التالي حتى سمعت صوتاً يشبه الحفيف آتٍ من أسفل الدرج.

توقفت فجأة عن الحراك وجمدت يدها فوق حمالات الصدر والملابس التحتية المطرزة بالدانتيل. سمعت بوضوح صوتاً ما في الطابق السفلي يخترق الصمت الذي يسود المنزل. سمعت صوت باب ما يفتح ويغلق بهدوء. نظرت إريكا حولها مرتعبة، فالمكان الوحيد للاختباء في الغرفة كان تحت السرير أو داخل إحدى الخزانات بالقرب من الحائط. شعرت فجأة أنها مصابة برهاب الأماكن المغلقة. لم تستطع الحراك إلا بعد أن سمعت صوت وقع أقدام على الدرج، فانتقلت بهدوء غريزي نحو أقرب خزانة. حمداً لله أن باب الخزانة فتح من دون أدنى صرير فسارعت إلى الدخول بين الملابس وأغلقته وراءها. لم تحظ بالفرصة المناسبة لتتعرف إلى هوية الشخص الذي دخل المنزل لكنها استطاعت أن تسمع بوضوح اقتراب صوت وقع الخطوات أكثر فأكثر. توقف الشخص أمام باب غرفة النوم للحظة قبل

أن يدخل. أدركت فجأة أنها كانت تحمل شيئاً ما بيدها. لقد قامت من دون تفكير بالتقاط الغرض الذي كان يصدر صوت الحفيف في الدرج. فدسته داخل جيب معطفها بحذر.

بالكاد كانت تجرؤ على التنفس. بدأ أنفها يشعرها بالحكاك وحاولت يائسة هزه لتتخلص من المشكلة، لكن الشعور زال سريعاً لحسن الحظ.

كان الدخيل يفتش الغرفة. بدا كأنه ـ أو كأنها ـ يقوم بما كانت تقوم به تماماً قبل مقاطعتها. كانت الأدراج تفتح وتنغلق بسرعة. أدركت إريكا أن الخزائن ستكون التالية فتضاعف شعورها بالخوف وملأت قطرات العرق جبينها. ماذا يسعها أن تفعل؟ الحل الوحيد بنظرها كان أن تحشر نفسها أكثر فأكثر داخل الخزانة وتختفي وراء الملابس بقدر ما تستطيع. كانت محظوظة لدخولها خزانة تحتوي العديد من المعاطف الطويلة وقد حشرت نفسها بينها بحذر وجعلت منها ستاراً تحتجب خلفه. كانت تأمل ألا يبان الجزء البسيط من قدميها.

تنشقت رائحة كرات العث العفنة، آملة من قلبها أن تكون قامت بعملها على أكمل وجه وألا يكون هناك أي بعوض يعبث في العتمة. كما أملت ألا يكون الشخص الموجود في المنزل على بعد بضعة أمتار منها هو قاتل ألكس نفسه. تعمدت إريكا تجاهل حقيقة عدم توجيه أي دعوة لها لدخول المنزل وفكرت في نفسها أنه من سوى القاتل يملك أسباباً تدفعه للتسلل خلسة إلى منزل ألكس.

فُتحت أبواب الخزانة فجأة فشعرت إريكا بنفحة من الهواء المنعش تلفح جسمها والمنطقة العارية من قدميها. حبست أنفاسها وانتظرت.

لم تكن الخزانة على ما يبدو تخبىء أي أسرار أو مقتنيات ذات قيمة، ليس بالنسبة إلى الشخص الذي يقوم بالبحث على الأقل.

وسرعان ما انغلقت الأبواب مجدداً. كما فتحت الأبواب الأخرى وأقفلت بالسرعة ذاتها تقريباً، وسمعت في اللحظات التالية وقع خطوات المقتحم وهو يغادر غرفة النوم وينزل السلالم. لم تجرؤ على الخروج من الخزانة إلا بعد مرور فترة من الوقت وبعد أن سمعت صوت الباب الرئيس يقفل. كان أمراً رائعاً أن تتمكن من أن تتنفس بحرية من دون أي قيود تكبت أنفاسها.

بدت الغرفة تماماً كما كانت حين دخلتها إريكا. بغض النظر عمن كان الزائر فقد تمت عملية التفتيش بعناية من دون أن تترك أي أثر. باتت إريكا مقتنعة أن المقتحم لم يكن ينوي السرقة. أخذت تنظر عن كثب إلى الخزانة حيث كانت تختبىء، فحين حشرت نفسها والتصقت بالجدار الخلفي للخزانة، شعرت بشيء ما يضغط على ربلة ساقها. أزاحت الملابس من طريقها فرأت أن ما أحست به كان عبارة عن لوحة زيتية على قماش. كانت موضوعة في الخلف وظهرها إلى الخارج. أخرجتها من مخبأها وأدارتها نحوها وأخذت تنظر إليها. كانت لوحة بغاية الروعة. حتى إريكا بخبرتها المتواضعة أدركت أن فناناً محترفاً ما قد رسمها. اللوحة كانت تصور ألكسندرا وهي عارية تماماً تستند إلى أحد جانبيها ورأسها مرتاح في راحة يدها. وقد اختار الرسام ألواناً دافئة مما أضفى على وجه ألكس طابع السكينة والهدوء. تساءلت إريكا في سرها عن سبب وضع لوحة بهذا الجمال في الجهة الخلفية لخزانة الملابس. أدركت إريكا وفقاً لما رأته في اللوحة، أن ليس لدى ألكسندرا شيء تخجل به. كان جسدها جميلاً كما صورته اللوحة. لم يفارق إريكا الشعور بأن هناك أمراً ما مألوفاً في هذه اللوحة. هناك شيء ما رأته من قبل بارزاً أمامها بوضوح. لم تكن اللوحة بحدّ ذاتها طبعاً إذ لم يسبق لها أن رأتها، لذا لا بدّ أنه أمر آخر يدفعها للشعور على هذا النحو. المساحة في أسفل اللوحة لجهة

اليمين لم تكن تحمل توقيعاً وحين قلبتها للناحية الأخرى لم ترَ شيئاً كذلك سوى 1999 وهو لا بد العام الذي رسمت فيه اللوحة. أعادت اللوحة بحذر إلى مكانها في الجهة الخلفية للخزانة وأغلقت الباب.

نظرت إريكا من حولها في أرجاء الغرفة للمرة الأخيرة. كان هناك شيء لم تستطع وضع إصبعها عليه ببساطة. كان هناك شيء ناقصاً لكنها لم تتمكن من التعرف إليه أو تفكر ما قد يكون. لعلها ستتعرف إليه لاحقاً. لم تجرؤ على البقاء في المنزل لفترة أطول. أعادت المفتاح إلى حيث وجدته ولم يعد إليها الشعور بالأمان إلى أن أصبحت داخل سيارتها وأدارت المحرك. كانت هذه الأمسية حافلة بما يكفي من التشويق والإثارة. قد يتمكن بعض من الكونياك القوي من أن يهدىء من روعها ويخفف من اضطرابها. لماذا اختارت بحق السماء أن تذهب إلى ذلك المنزل وتفتش فيه؟ انتابتها رغبه بصفع نفسها بقوة عقاباً على حماقتها وغبائها.

حين ركنت سيارتها في الموقف لاحظت أنه بالكاد مرت ساعة على مغادرتها المنزل. تفاجأت جداً إذ كانت تشعر أن دهراً من الزمن قد مرّ.

كانت ستوكهولم بأبهى حللها، لكن إريكا كانت تشعر مع ذلك أن غيمة كانت تحوم فوق رأسها. عادة ما كانت تستمتع كثيراً بأشعة الشمس اللامعة على طرقات ريدارفياردن وهي تجتاز فاستربرون، لكن اليوم لم يكن الأمر كذلك. كان وقت الاجتماع مقرراً في الساعة الثانية من بعد الظهر. وهي تمعن التفكير في الأمور كافة طوال الطريق من فيالباكا، وحاولت سدىً التوصل إلى حلول. لقد أوضحت لها ماريان لسوء الحظ وضعها القانوني. إن أصر كل من آنا ولوكاس على بيع المنزل، عليها أن تجاريهما وتنصاع لهما. البديل الوحيد المتوفر

أمامها هو أن تشتري منهما حصتهما من المنزل بحسب سعر السوق ووفقاً للأسعار التي تستحقها المنازل في فيالباكا. لم تكن تملك ولو جزءاً بسيطاً من ذلك المبلغ الضخم. بالطبع لن تبقى حالها على ما هي عليه إذا بيع المنزل، فالنصف الذي يشكل حصتها منه يساوي بضعة ملايين كورون، لكنها لك تكن تهتم للمال. ليس هناك من مال في الدنيا كلها يستطيع أن يعوضها خسارة المنزل. شعرت بالاستياء لمجرد التفكير أن شخصاً ما من ستوكهولم يظن أن قبعة بحار تحمل ماركة معروفة ما ستجعل منه أحد قاطني الساحل وتسمح له أن يستأصل الشرفة الأمامية الكبيرة ويستبدلها بنافذة شاملة الرؤية. لا يمكن لأحد أن يقول إنها تبالغ في ما تقول وهي التي شهدت على حصول ذلك مراراً وتكراراً.

وصلت إريكا إلى مكتب المحامي في رونبرغسغاتان في أوسترمالم. كان المبنى مذهلاً بواجهته الرخامية وأعمدته الضخمة. تحققت من مظهرها في مرآة المصعد للمرة الأخيرة. كانت قد انتقت ملابسها الفاخرة بعناية على نحو يناسب المكان الذي كانت تقصده والأشخاص الذين ستوجد بينهم. تلك هي المرة الأولى التي تحضر فيها إلى هنا، لكنها تمكنت من أن تتخيل بسهولة أي نوعٍ من المحامين يمكن للوكاس أن يكون قد أوكلهم عنه. وقد اقترح عليها في بادرة تنضح بالتحضر المزيف طبعاً أن تصطحب محاميها هي أيضاً. لقد اختارت إريكا أن تأتي لوحدها لأنها ببساطة لا تستطيع دفع أتعاب المحامي.

لقد أرادت في الواقع أن تلتقي آنا والولدين قبل بدء الاجتماع وتتحدث معهم قليلاً ربما. على الرغم من المرارة التي كانت تشعر بها حيال تصرفات آنا إلا أنها قررت أن تقوم بما في وسعها لضمان استمرار علاقتهما.

من الواضح أن آنا لم تكن تشاركها وجهة نظرها، إذ اعتذرت متذرعة أن اللقاء سيسبب الكثير من الضغوطات وأنه من الأفضل أن يلتقوا جميعاً في مكتب المحامي. وقبل أن تتمكن إريكا من أن تقترح أن يريا بعضهما في وقت لاحق بعد الاجتماع سارعت آنا تقول إن عليها أن تسرع بعد الاجتماع للقاء صديقة ما. خطر لإريكا أنه يا لها من صدفة غريبة. كان واضحاً أن آنا ترغب في تفاديها. لكن السؤال هل إن آنا قد اتخذت المبادرة من تلقاء نفسها أو أن لوكاس كان يرفض السماح لها لقاء إريكا بينما هو منهمك في العمل على المسألة ولا وقت لديه لمراقبة ما قد يحصل بين الأختين.

كان الجميع حاضراً في المكتب عند دخولها. راقبوها بصمت وقد رسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة ومدت يدها لمصافحة محاميي لوكاس الذي بالكاد أومأ لها في حين لوحت لها آنا من وراء ظهره بخفة. اتخذ الجميع أماكنهم وبدأت المفاوضات.

لم يستغرق الأمر برمته وقتاً طويلاً. شرح المحاميان بلهجة جافة عملية الطابع ما كانت تعرفه إريكا أصلاً وهو أن آنا ولوكاس يتمتعان كامل الحقوق في المطالبة ببيع المنزل، وأنه يحق لإريكا إن كانت قادرة على شراء حصتهما من المنزل بنصف سعر السوق أن تفعل ذلك وإن لم تكن قادرة أو لم ترغب بذلك فإنه سيتم عرض المنزل للبيع ما إن تحدد قيمته الفعلية من قبل مثمن مستقل.

نظرت إريكا في عيني آنا مباشرة وسألتها: «هل تريدين فعلاً القيام بذلك؟ ألا يعني لك المنزل شيئاً؟ تخيلي ما الذي يمكن لماما وبابا أن يفكرا به إذا علما أنك تريدين بيع المنزل ما إن يرحلا. هل هذا ما تريدينه حقاً، آنا؟»

رأت بطرف عينها مدى انزعاج لوكاس وتقطيبة حاجبيه عند تشديدها على كلمة آنا.

نظرت آنا أمامها وأخذت تنفض بأصابعها ذرات الغبار عن فستانها الأنيق. كان شعرها الأشقر الجميل معقوصاً بإحكام إلى الوراء.

«وما الذي عسانا نفعله بذلك المنزل أو بم نستخدمه؟ ليست المنازل العتيقة سوى مصدراً للمتاعب، ثم فكري بالمال الذي سنجنيه من بيعه. أنا واثقة أن ماما وبابا كانا سيقدران كثيراً نظرتنا إلى المسألة بشكل عملي. أعني متى سيكون الوقت الذي نستعمل فيه المنزل؟ لوكاس وأنا سنشتري منزلاً صيفياً في أرخبيل ستوكهولم ليكون لنا مكاناً قريباً من المدينة. قولي لي ما الذي ستفعلينه بالمنزل بأي حال؟»

ابتسم لوكاس بازدراء لإريكا بينما ربت على كتف آنا بقلق صوري مزيف. كانت لا تزال غير قادرة على النظر في عيني إريكا مباشرة.

أصيبت إريكا بالذهول مجدداً لمدى الإرهاق الذي يبدو على أختها الصغرى. كانت أكثر نحافة من العادة، والفستان الأسود الذي كانت ترتديه كان يتهدل واسعاً حول صدرها وخصرها. كانت هالات سوداء تحيط بعينيها وخيِّل لإريكا أنها رأت كدمة زرقاء على خدها الأيمن تخفيها تحت طبقة من الماكياج. انتابتها فورة من الغضب حيال ضعفها إزاء الموقف وأخذت تحدق بلوكاس. نظراً إلى أنه قد أتى مباشرة من العمل، كان يرتدي الزي الرسمي وهو عبارة عن بدلة بلون رمادي فاتح وقميص أبيض ناصع وربطة عنق رمادية لماعة. كان يبدو أنيقاً وراقياً. كانت إريكا على ثقة أن كثيرات هن النساء اللواتي يجدنه جذاباً. إلا أنه خيل إليها أن هناك طيف من القسوة يطغى على ملامح وجهه ذي الشكل المثلث والوجنتين البارزتين والشفاه المرسومة. كانت جميع معالم وجهه تبرز بحدة أكثر إذ كان يعتمد أن يصفف شعره إلى الوراء دوماً بعيداً عن جبينه. لم يكن نموذجاً للرجل الإنكليزي المتورد اللون كان أكثر شبهاً بالنروجيين ذوي الشعر الأشقر

الفاتح والعيون الزرقاء الداكنة. شفته العليا ملتوية للأعلى وممتلئة كما شفاه النساء مما أعطاه مظهراً متبلداً يكاد بالأحرى يكون منحطاً. لاحظت إريكا أنه يسترق النظر من حين إلى آخر إلى فتحة صدرها فعمدت تلقائياً إلى إقفال سترتها. انتبه لردّ فعلها مما أثار انزعاجها. لم تشأ أن يلاحظ أن لديه أدنى تأثير عليها.

حين انتهى الاجتماع أخيراً، استدارت إريكا على عقبيها ببساطة ورحلت من دون أن تكلف نفسها حتى عناء إلقاء تحية الوداع بطريقة لائقة. لقد سبق أن قيل كل ما يمكن قوله بالنسبة إليها. سوف يتصل بها أحدهم ليحضر من أجل تثمين المنزل الذي سيوضع في ما بعد برسم البيع بأقرب فرصة ممكنة. لم يجد كل ما بذلته من محاولات للإقناع أي نفع. لقد خسرت المعركة وانتهى الأمر.

كانت قد قامت بتأجير شقتها في فاساستان لثنائي ظريف يحضر لشهادة الدكتوراة، لذا ما كان باستطاعتها العودة إلى هناك. لم تكن لديها أي رغبة بالانطلاق في رحلة تستغرق خمس ساعات إلى فيالباكا فركنت سيارتها في إحدى المرائب في ستوربلان وذهبت للجلوس في هاملغاردسباركن. كانت بحاجة لأن تستجمع أفكارها. بدا لها الهدوء المسيطر على المخيم الجميل كواحة وسط صحراء ستوكهولم، وقد وفر لها المكان المناسب تماماً للتأمل والتفكير الملي، وهذا ما كانت تحتاجه تماماً.

لا بدّ أن الثلج قد تساقط منذ برهة قصيرة على المدينة وغطاها، إذ كان العشب لا يزال مكسواً برداء أبيض جميل. وفي ستوكهولم لا يستغرق تحول الثلوج من اللون الأبيض إلى طبقة رمادية متسخة أكثر من يوم أو اثنين. وضعت قفازيها على مقعد في المنتزه وجلست عليهما ليحميانها من صقيع المقعد.

لم تكن التهابات المسالك البولية أمر يمكن التساهل معه، فهذا

آخر ما كانت تريده في ظل ما تعيشه حالياً من أحداث.

سمحت لنفسها أن تسرح بأفكارها بعيداً بينما تراقب الناس يتدافعون أسراباً على الممر. كانت فترة منتصف فرصة الغداء. كادت تنسى كم تكون الأجواء ضاغطة في ستوكهولم، حيث الجميع يتدافعون دوماً على عجلة من أمرهم يركضون وراء شيء لن يحصلوا عليه مطلقاً في الواقع. شعرت بحنين مفاجىء إلى فيالباكا. لعلها لم تدرك إلى أي مدى أحست بالاسقرار على مدى الأسابيع القليلة الماضية التي أمضتها هناك. كان لديها الكثير من الأمور التي تتطلب المعالجة بالطبع، لكنها اكتشفت سكينة لم تعرفها في ستوكهولم مطلقاً. إن كنت تعيش وحيداً في ستوكهولم فأنت حتماً شخص منعزل عن بقية الناس. أما في فيالباكا فيستحيل أن تشعر بالوحدة وهو أمر جيد وسيء في آن معاً. هناك يهتم الناس لشؤون جيرانهم ويحرصون على قرب المسافات في ما بينهم. يمكن للأمور أن تتخطى الحدود أحياناً، لكن إريكا لم تكن تهتم لكل القيل والقال. وبينما هي جالسة هنا تراقب صخب المدينة، شعرت أنها عاجزة عن العودة إليها.

عادت أفكارها تسرح نحو ألكس مجدداً كما يحصل لها كثيراً مؤخراً. لماذا كانت تذهب إلى فيالباكا كل نهاية أسبوع يا ترى؟ من كانت تلتقي هناك؟ والسؤال الذي يحتل الأهمية الكبرى: من هو والد الطفل الذي كانت تحمل؟

فجأة تذكرت إريكا قصاصة الورق التي كانت قد دستها في جيب معطفها أثناء وقوفها في العتمة داخل خزانة الملابس. لم تفهم كيف أمكن لها أن تنساها حين وصلت إلى المنزل قبل أول من أمس. بحثت داخل جيبها الأيمن وسحبت منه ورقة متجعدة. بأصابع عارية من القفازات متجمدة من البرد أخذت إريكا تفتح الورقة على مهل وتبسط تجعداتها.

كانت عبارة عن نسخة من مقال وارد في صحيفة بوهوسلانينغن. لم يكن هناك أي تاريخ مذكور على القصاصة، لكن وفقاً لنوع الخط والصورة الملتقطة بالأبيض والأسود أدركت أنها لا تعود إلى زمن حديث. كانت الصورة تشير إلى أنها التقطت في السبعينيات. تعرفت بسهولة إلى الشخصين اللذين يظهران في الصورة والرواية التي يتناولها المقال. لماذا كانت ألكس تحتفظ بهذا المقال بالذات في أسفل الدرج في غرفة النوم؟

وقفت إريكا من مكانها وأعادت المقال إلى جيبها. لم تكن لتجد الإجابة هنا في هذا المكان وقد حان الوقت للعودة إلى المنزل.

كانت مراسم الجنازة أنيقة ومهيبة في آنٍ معاً. كانت كنيسة فيالباكا تمتلىء بالناس الذين لا يعرف معظمهم من تكون ألكسندرا وحضر لمجرد إرضاء فضوله. جلس الأهل والأصدقاء على المقاعد الخشبية الأمامية في الكنيسة. إضافة إلى والدي ألكس وهنريك لم تتعرف إريكا إلا إلى فرانسين. وقد جلس بقربها على المقعد رجل أشقر طويل القامة افترضت أنه زوجها. عدا ذلك لم يكن هناك الكثير من الأصدقاء الذين لم يشغلوا إلا الصفين الأماميين من المقاعد الخشبية الطويلة مؤكدين بذلك الصورة التي كانت إريكا قد رسمتها عن ألكس. من المؤكد أنه كان لديها الكثير من المعارف لكن قلة منهم كانت تندرج ضمن دائرة الأصدقاء المقربين. ما تبقى من مقاعد الكنيسة كان يمتلىء بالفضوليين المنتشرين هنا وهناك.

كانت إريكا قد اختارت مقعداً لها على الشرفة. لمحتها بريجيت خارج الكنيسة فدعتها للانضمام إليهم، فاستجابت لطلبها بداعي اللياقة. نفاق أن توجدَ هناك بين أفراد العائلة والأصدقاء، فألكس لم تكن سوى شخص غريب بالنسبة إليها.

تلوت إريكا مربكة على المقعد غير المريح. كانت تقتاد طوال فترة طفولتها هي وآنا إلى الكنيسة أيام الآحاد. كان من الممل جداً بالنسبة إلى طفلة مثلها أن تمكث هناك تستمع للموعظات والتراتيل التي يصعب تعلمها حتماً. كانت إريكا تؤلف قصصاً خيالية في رأسها لتمضي الوقت وتسلي بها نفسها. عدد من القصص الزاخرة بالأعمال البطولية حول التنانين والأميرات، كانت تدور أحداثها في رأسها دون أن تلقى طريقها لتدون على الورق. إريكا ترتاد الكنيسة أقل مما كانت عليه خلال فترة المراهقة نظراً إلى مواقفها المعارضة منها بقوة. أما حين كانت تنصاع وتذهب، كانت القصص الملحمية تستبدل بروايات أخرى أكثر رومنسية. ما يدعو للسخرية أنها لم تكن تعرف ما إن كان يفترض بها أن تشكر حضورها قداديس الكنيسة أو تلقي عليها باللوم في اختيارها لمهنتها.

لم تكن إريكا قد اعتنقت أي نوع من الديانات، فالكنيسة بالنسبة إليها كانت مجرد مبنى جميل متجذر في التقاليد ليس أكثر من ذلك. والموعظات التي سمعتها طوال فترة طفولتها لم تحفز في داخلها أي رغبة لقبول هذا النوع من الإيمان، إذ غالباً ما كانت تتطرق لأمور جهنم والخطيئة وتفتقد لحس الإيمان المشرق بالله الذي كانت تعرف أنه موجود من دون أن تكون قد اختبرته شخصياً. لقد تغيرت الأمور كثيراً الآن، حيث كانت تقف أمامها على المذبح امرأة بثياب راعي الأبرشية تتحدث عن النور والأمل والمحبة بدلاً من الخطيئة الأبدية المميتة. تمنت إريكا لو قدمت لها هذه الصورة عن الله بينما كانت تكبر وتفتح عينيها على الدنيا.

من مكانها المنعزل نوعاً ما، رأت إريكا شابة تجلس إلى جانب بريجيت في المقعد الأمامي. كانت بريجيت تحكم قبضتها على يد الشابة وتلقي برأسها من حين إلى آخر على كتفها. أدركت إريكا أنها

لا بدّ أن تكون جوليا، أخت ألكس الصغرى. كانت تجلس في مكان بعيد جداً فصعب عليها رؤية ملامح وجهها بوضوح، لكن لم يصعب عليها أن تلاحظ أن جوليا تلك كانت تجفل على ما يبدو للمسة بريجيت. تسحب يدها كل مرة من يد أمها كلما أمسكت بها، إلا أن بريجيت كانت إما تدّعي عدم الانتباه أو لا تعي فعلاً ردّ فعل ابنتها نظراً إلى الحالة التي كانت فيها وتمسك بيدها من جديد.

أشعة الشمس تملأ المكان مخترقة النوافذ العالية الملونة. أما المقاعد فكانت قاسية غير مريحة، وقد بدأت إريكا تشعر بألم كريه في أسفل ظهرها. كانت ممتنة أن المراسم لم تستغرق طويلاً نسبياً. وقد مكثت في مكانها حيث هي تراقب الناس عند نهاية الموعظة يغادرون الكنيسة بخطىً متأنية.

في الخارج الشمس ساطعة، بما لا يحتمل، من قلب سماء صافية. حشد من الناس كان يتقدم في مسيرة مهيبة على طول طريق التل الممتدة نحو مدفن الكنيسة والقبر المحفور حديثاً، حيث سيوارى نعش ألكس الثرى.

ما خطر لإريكا أبداً كيف يمكن أن تجري عملية الدفن خلال فصل الشتاء حين تكون الأرض جليدية إلى أن توفي والديها وحضرت مأتهما. وقد باتت تعلم الآن أنه يتم تسخين المساحة، بحيث يصبح حفر القبر ممكناً. تكون المساحة الخاضعة للتسخين فسيحة بما يكفي لتتسع للنعوش التي ستطمر.

على الطريق نحو المدفن المختار لألكس، مرّت إريكا بالقرب من مدفن والديها. كانت آخر من يمشي في المسيرة فتوقفت قليلاً أمام ضريحيهما. كانت طبقة سميكة من الجليد قد تكونت على الحافة فأخذت تزيلها برفق. ألقت نظرة أخيرة على الضريحين وأسرعت نحو الجمع الصغير المحتشد على بعد مسافة غير بعيدة. بقيت أعين

الفضوليين بعيدة على الأقل عن مراسم الجنازة ولم يبق سوى الأقارب والأصدقاء. لم تكن واثقة من أنها تريد التقدم والانضمام لكنها قررت في اللحظة الأخيرة أن ترافق ألكس إلى مثواها الأخير.

كان هنريك يقف في الصف الأمامي ويدس يديه في جيبيه ويحني رأسه للأمام وعيناه مسمرتان على النعش الذي بدأ يغطى بالأزهار رويداً رويداً. معظم الورود كانت حمراء اللون.

تساءلت إريكا في سرها ما إن كان هو كذلك يلتفت من حوله ويفكر أن والد الطفل الذي كانت تحمله ألكس في أحشائها موجود هنا بين الجمع الحاضر في المقبرة.

حين أنزل النعش في الأرض، أطلقت بريجيت تنهيدة عميقة حزينة طويلة. كارل- إريك كان حازماً غير دامع العينين. يبذل أقصى ما استطاع لدعم بريجيت جسدياً ومعنوياً. جوليا تقف على مسافة تبعد قليلاً عنهما، وقد كان هنريك محقاً في وصفها على أنها أشبه بإوزة بشعة في العائلة. على خلاف أختها الكبرى، كانت جوليا تلك صاحبة شعر أسود فاحم مع خصل قصيرة مقصوصة على نحو غير مرتب بالكاد يسمى تصفيفة. كانت ملامحها قاسية وعيناها غائرتان في وجهها تظهر من تحت أهداب طويلة. لم تكن تضع أي نوع من التبرج وكانت تبدو على بشرتها علامات واضحة من آثار البثور التي ملأت وجهها في فترة المراهقة. بدت بريجيت أكثر نحولاً وهشاشة من العادة عند وقوفها إلى جانب جوليا. كانت ابنتها الصغرى أطول بأربع إنشات تقريباً، ذات كتفين عريضين وجسد ثقيل سمين لا شكل له.

وقفت إريكا مذهولة تراقب سلسلة المشاعر المتناقضة التي تتصارع كالزوابع فوق ملامح وجهها. كانت أحاسيس الغضب والألم تتبادل فتحل إحداها مكان الأخرى بسرعة البرق. لم يكن هناك من أثر لأي دموع في عينيها، وكانت هي الوحيدة التي لم ترم وردة فوق القبر

وأول من أدار ظهره ومشى متوجهاً إلى الكنيسة ما إن ووريَ النعش الثرى.

تساءلت كيف يمكن أن تكون طبيعة العلاقات بين الأختين.

من الطبيعي ألا تكون الأمور سهلة بوجود مقارنة دائمة مع ألكس وأن تكون هي أقل مرتبة دوماً. عبّر رحيل جوليا التي أدارت ظهرها لكل ما يحصل عن رفض واضح، سيما بعد أن مشت بعيداً وانفصلت عن بقية المجموعة. كان كتفاها منحنيين بما يدل على ازدراء.

اقترب هنريك من إريكا وقال لها: «سوف نتقبل التعازي بعد قليل ويسرنا أن تنضمي إلينا».

أجابته إريكا مترددة: «أنا حقاً لا أعرف».

«يمكنك البقاء ولو لفترة قصيرة على الأقل».

هزت برأسها وقالت: «حسناً، سأبقى. وأين سيكون ذلك؟ هل في منزل أوللا؟»

«كلا، كنا قد فكرنا بتقبل التعازي هناك، لكننا قررنا في النهاية الذهاب إلى منزل بريجيت وكارل- إريك. على الرغم مما حصل هناك، أعلم أن ألكس كانت تحب ذلك المنزل. كل منا لديه ذكريات سعيدة هناك، فأي مكان سيكون أفضل منه لتذكرها؟ مع أنني أتفهم أن الأمر قد يكون صعباً نوعاً ما بالنسبة إليك. أعني أنه لم تكن لديك ذكريات جيدة من زيارتك الأخيرة إلى هناك».

احمرت إريكا خجلاً حين فكرت بزيارتها الأخيرة الفعلية إلى ذلك المنزل وأبعدت ناظريها بسرعة وقالت: «لابأس بذلك».

قادت سيارتها وركنتها مجدداً في الباحة خلف مدرسة هاباكن.

كان المنزل قد امتلأ بالناس حين دخلت وتساءلت إن كان عليها أن

تستدير على عقبيها وتعود من حيث أتت. كانت لحظة القرار قد حسمت حين تقدم هنريك منها وأخذ معطفها من يدها، كان الأوان قد فات على تغيير رأيها.

كان الناس يتحلقون حول طاولة الطعام، حيث كانت مائدة تضم أشهى الأطباق. اختارت إريكا فطيرة كبيرة وحبة ڤريدس وسارعت إلى زاوية الغرفة، حيث تتمكن من تناول وجبتها ومراقبة بقية الناس بهدوء وصمت.

بدا جمع الناس مبتهجاً بشكل غير اعتيادي في ظل ما حصل، وكانت الأصوات المنخفضة مشحونة على نحو محموم. حين نظرت إلى الناس من حولها، بدت وجوههم جميعاً مطبوعة بملامح متوترة أثناء إجراء الأحاديث الجانبية. كانت فكرة تعرض ألكس للقتل تحوم مخيمةً على المكان وراء قناع من التشنج المحموم.

أخذت إريكا تعاين الغرفة بدقة وتراقب الوجوه كل وجه على حدة. كانت بريجيت تجلس على حافة إحدى الأرائك تمسح عينيها بمنديل بينما كارل-إريك يقف وراءها واضعاً إحدى يديه على كتفها بطريقة مربكة ويحمل صحن الطعام باليد الأخرى. هنريك كان يتجول في الغرفة على نحو محترف متنقلاً بين مجموعة وأخرى مصافحاً الأيدي تارة وموميئاً برأسه طوراً لكل من يتقدم إليه بالتعازي مذكراً الناس أنه لا يزال هناك قهوة وحلويات. كان المضيف المثالي بكل ما للكلمة من معنى، كما لو أنه في حفل استقبال وليس في مراسم تقبل التعازي بوفاة زوجته. الأمر الوحيد الذي كان يظهر مدى الجهد الذي يبذله ليقوم بما يقوم به كان ذاك النفس العميق الذي يأخذه ولحظة التردد القصيرة التي يمضيها مع نفسه وكأنه يستجمع قواه قبل أن ينتقل إلى جماعة أخرى ويتحدث إليها.

الشخص الوحيد الذي كان يغرد خارج سرب المناسبة الحزينة

ويتصرف بغرابة مع الجميع كان جوليا. كانت قد جلست على الشرفة ورفعت إحدى ركبتيها وسندتها إلى حافة ما وأخذت تحدق إلى البحر. كل من كان يحاول التقرب منها والتودد إليها بلطف أو إسماعها بعض كلمات التعزية كان يقابل بالنفور الحاسم. لقد تجاهلت كافة محاولات التحدث إلى أحد وأصرت على التحديق إلى المدى الأبيض البعيد.

شعرت إريكا بلمسة ناعمة على ذراعها فجفلت بطريقة لاإرادية فسكبت بعضاً من قهوتها على صحن الفنجان.

ابتسمت لها فرانسين معتذرة وقالت: «أعذريني، لم أقصد أن أروعك».

«لابأس، كنت شاردة الذهن فحسب».

أومأت فرانسين ناحية الشخص الذي بدا لهما من النافذة وقالت: «وهل كنت تفكرين بجوليا؟ لقد رأيتك تراقبينها».

«صحيح. علي أن أعترف أنها تثير اهتمامي. إنها منعزلة عن بقية أفراد العائلة بالكامل. ولا أستطيع أن أجزم ما إن كانت مفجوعة لموت ألكس أو أنها منبوذة من تلك العائلة لسبب ما لا أفهمه».

«لعل أحداً لا يفهم جوليا مطلقاً، لكن هي أيضاً لم تمض حياة سهلة ربما. كانت الإوزة البشعة التي ترعرعت بين حسناوين. لطالما تم تجاهلها وتهميشها. لا يعني ذلك أنهم كانوا يتعمدون معاملتها باحتقار كلياً، بل كانت غير مرغوب فيها ببساطة. لم تأت ألكس على ذكرها على سبيل المثال طوال فترة وجودنا معاً في فرنسا. وقد تفاجأت كثيراً حين انتقلنا إلى السويد واكتشفت أن لدى ألكس أخت صغرى. كانت تتحدث عنك أكثر مما كانت تتحدث عن جوليا. لا بدّ أن علاقة مميزة جداً كانت تجمعكما أنت وهي، أليس كذلك؟»

«لا أعلم في الواقع، فقد كنا مجرد فتاتين صغيرتين. وكما كل

الأولاد في ذلك العمر كنا شقيقتين بالدم وما أردنا الافتراق عن بعضنا أبداً، وكل تلك الأمور التي يفكر فيها الأولاد. لعل الأمور ذاتها كانت ستحدث لنا حتى لو أن ألكس لم ترحل. الأمور ذاتها التي تحصل للفتيات الأخريات اللواتي يكبرن ويصبحن مراهقات. كنا لنتقاتل على الشبان ويكون لدى كل منا ذوق مختلف في الملابس وتنتهي الأمور بيننا بأن تنخرط كل منا في دائرة اجتماعية مختلفة وتتخلى إحدانا عن الأخرى من أجل أصدقاء آخرين يناسبوننا أو يناسبون وضعنا أو الوضع الذي نود أن نكون فيه. لكن بالتأكيد كان لألكس أثر كبير على حياتي حتى في مرحلة البلوغ. أظنني ما استطعت يوماً التخلي عن الشعور بأنني تعرضت للخيانة. لطالما تساءلت ما إن كنت أنا قد قلت شيئاً أو فعلت أمراً ما بشكل خاطىء أغضبها مني. أخذت تبتعد عني يوماً تلو الآخر إلى أن رحلت نهائياً. حين التقينا كراشدتين، كانت مجرد شخص غريب بالنسبة إلي. أشعر أني بطريقة غريبة أني أتعرف إليها من جديد».

فكرت إريكا بكومة الأوراق المكدسة في المنزل. لم تكن حتى الآن قد توصلت إلى مجموعة من الانطباعات والوقائع الممزوجة مع أفكارها الخاصة وانطباعاتها. لم تكن تعرف أي شكل ستعتمد في صياغة المادة التي بين يديها، لكنها كانت تعرف أنه أمر تود القيام به وحسب. أخبرها حدس الكاتب في داخلها أن تلك كانت فرصتها لكتابة موضوع حقيقي، إلا أنها لم تكن تعرف الحد الذي يفصل بين حاجاتها ككاتبة وعلاقتها الشخصية بألكس. كانت ميزة الفضول التي تعتبر أساسية في كتابة شيء ما تحثها على البحث عن حلٍّ للغز موت ألكس على الصعيد الشخصي أكثر منه الصعيد المهني. كان يمكن لها أن تختار صرف النظر عن ألكس وقدرها وتدير ظهرها للمجموعة الحزينة التي تحيط بها وتكرس نفسها للاهتمام بشؤونها الخاصة،

لكنها كانت بدلاً من ذلك تقف وسط غرفة مليئة بأشخاص لا تعرفهم حقاً.

خطر لها فجأة أنها كادت تنسى اللوحة الزيتية التي رأتها في خزانة ألكس مخبأة وراء الملابس. أدركت الآن لماذا بدت لها الألوان الدافئة المستخدمة في تصوير جسد ألكس العاري في اللوحة مألوفة إلى هذا الحد.

التفتت إلى فرانسين وقالت: «أتعلمين، حين التقيتك في المعرض...»

«أجل، ماذا؟»

«كانت هناك لوحة بجانب الباب مباشرة. اللوحة الزيتية الكبيرة ذات الألوان الدافئة، ألوان الأصفر والبرتقالي والأحمر...».

ابتسمت فرانسين وقالت: «أجل، عرفت عن أي لوحة تتكلمين. ماذا بشأنها؟ لا تقولي لي إنك هاوية شراء لوحات فنية».

«كلا، بل كنت أتساءل وحسب... من هو الفنان الذي رسمها؟»

«حسناً، إنها قصة حزينة جداً. يدعى الرسام أندرز نلسون. إنه في الواقع من هنا، من فيالباكا. كانت ألكس من اكتشفته. إنه موهوب جداً. لكن ولسوء الحظ إنه مدمن كبير على شرب الكحول مما سيدمر مستقبله كفنان على ما يبدو. لا يكفي اليوم أن يسلم الرسام لوحاته لمعرض ما ويتأمل أن تلاقي نجاحاً. يجب أن يتحلى الفنان نفسه بمهارة التسويق للوحاته كذلك كما يحتاج لأن يوجد في افتتاح المعارض وحضور كافة المناسبات العامة وعيش حياة الرسام بكل ما للكلمة من معنى. أندرز نلسون مدمن خمر دائم الثمالة لا يصلح لأن يكون رفيقاً حضارياً. نبيع له بعض اللوحات من حين إلى آخر لزبائن يتذوقون الفن ويدركون قيمته ما إن يروه، لكن أندرز لن يكون نجماً

كبيراً في سماء فن الرسم. لأكون صادقة معك، إنه يتمتع بإمكانيات هائلة حتى لو شرب إلى حد قتل نفسه، فالرسامون المتوفون يحظون دوماً باستحسان الرأي العام».

رمقت إريكا المخلوقة الموجودة أمامها بذهول تام.

لاحظت فرانسين ملامح وجهها، وأضافت: «لا أقصد أن أكون تهكمية إلى هذا الحد. لكن يغيظني كثيراً أن يكون أحدهم بهذه الموهبة الفريدة ويبددها عبر الإسراف بالشرب. لا تشكل المأساة سوى جزء من حياته. كان محظوظاً بأن عثرت عليه ألكس وعلى لوحاته وإلا ما كان استمتع بجماليتها إلا مدمني فيالباكا وإني أجد صعوبة في أن أصدق بأن هؤلاء بإمكانهم تقدير النواحي الجمالية للفن».

ها هي قطعة من الأحجية تجد مكانها، لكن لم تستطع أن تتخيل بأي صورة كيف أن هذه القطعة تتوافق مع الأحجية الكبرى. لماذا عسى ألكس تخبىء لوحة صورها فيها أندرز نلسون عارية تماماً في الجهة الخلفية لخزانة الملابس؟ يكمن أحد التفسيرات في أنها كانت هدية تنوي تقديمها لهنريك أو لحبيبها ربما، أو أن ألكس قد عهدت إنجاز لوحة لها إلى رسام تقدر موهبته. لكن ذلك لم يبد حقيقياً. كانت اللوحة تصور منحى حسياً وجنسياً يتخطى علاقة بين شخصين غريبين. كان هناك نوع من الرابط الذي يجمع بين ألكس وأندرز. لكن من ناحية ثانية، كانت إريكا تعي تماماً أنها ليست من متذوقي الفن ولا ضليعة به وأنه يمكن لحدسها أن يكون خاطئاً كلياً.

همس ما بدأ يسمع في أنحاء الغرفة. وقد صدر أولاً عن المجموعة الأقرب إلى الباب ثم أخذت الدائرة تتوسع لتشمل الضيوف الآخرين. التفت الجميع نحو الباب، حيث يشق ضيف لم يتوقع حضوره مطلقاً الطريق بين الحضور داخلاً دخول الفاتحين. حين

عبرت نيللي لورنتز الباب حبس الجميع أنفاسه ذهولاً. فكرت إريكا في المقال المأخوذ من الصحيفة الذي وجدته في غرفة نوم ألكس. أمكنها أن تشعر كيف أن الحقائق غير المترابطة في الظاهر تملأ رأسها وتدور في دوامة غريبة بشكل لا معنى له.

منذ أوائل الخمسينيات وأسباب العيش في فيالباكا تتغير وفقاً لأحوال معمل لورنتز لتصنيع المعلبات. ما يقارب نصف السكان أقوياء البنية من المقيمين في فيالباكا كانوا في عداد موظفي هذا المعمل. وكان ينظر إلى عائلة لورنتز على أنها العائلة الملكية في البلدة الصغيرة. وبما أن فيالباكا لم تكن مقراً فعلياً للمجتمع الراقي فقد شكلت عائلة لورنتز طبقة بحدّ ذاتها. من موقعهم المرتفع في الفيللا الضخمة على رأس التل كانوا ينظرون إلى فيالباكا بفوقية تتسم بالحذر.

بدأ المصنع بالعمل عام 1952 على يد فابيان لورنتز. كانت العائلة قادمة من سلسلة قديمة من الصيادين، وكان يتوقع منها أن تسير على خطوات أسلافها، إلا أن مخزون السمك كان يقل مع الوقت، وفابيان الشاب يتحلى بالطموح والذكاء، ولم تكن لديه أي نية في شق طريقه وكسب القليل على خطى أبيه.

بنى معمل تصنيع العلب بيديه العاريتين، وحين توفي في أواخر السبعينيات ترك لزوجته نيللي تجارة قوية وثروة هائلة. خلافاً لزوجها الذي كان محبوباً جداً، كان يذيع صيت نيللي لورنتز على أنها متعالية وباردة. لم تعد تظهر في البلدة علناً بل تقيم وكأنها ملكة، اجتماعات خاصة لضيوف تقوم بدعوتهم إلى منزلها. لذا كان دخولها عبر الباب يمنح شعوراً بالأهمية. سوف يوفر ذلك مادة دسمة لثرثرات البلدة على مدى الأشهر القليلة المقبلة.

كان الصمت يخيم على الغرفة لدرجة يمكن أن تسمع رنين إبرة لو رميت أرضاً. سمحت السيدة لورنتز بلطف أن يساعدها هنريك بنزع معطف الفرو وتعليقه ودخلت الغرفة تتأبط ذراعه. قادها إلى الأريكة التي تتوسط الغرفة، حيث يجلس كل من كارل-إريك وبريجيت. كانت بالكاد تومىء برأسها محيية قلة مختارة من الضيوف الآخرين أثناء مرورها ولم تستأنف الأحاديث في القاعة إلا بعد أن وصلت إلى والدي ألكس. سرت أحاديث قصيرة حول الحدث بينما الجميع يشد سمعه إلى ما يقال على الأريكة.

من بين القلة الذين منحوا شرف إلقاء التحية عليهم كانت إريكا نفسها. من الواضح أنها تستحق ذلك نظراً إلى الشهرة النسبية التي كانت تتمتع بها ككاتبة، حتى أنه تمت دعوتها لتناول الشاي مع نيللي لورنتز بعد موت والديها، لكن إريكا رفضت الدعوة بلباقة متذرعة بأنها لا تزال في فترة حداد.

ها هي الآن تراقب نيللي بفضول بينما تقدم أحر التعازي لكل من كارل-إريك وبريجيت. كانت تنتاب إريكا الشكوك حيال وجود أدنى مشاعر التعاطف في وجدان نيللي ذات الجسد النحيل. كانت بغاية النحول وقد برزت عظام معصميها من تحت ثوبها الجميل. لا بد أنها أمضت طوال حياتها في تجويع نفسها ليكون جسمها رفيعاً وفقاً للموضة ولم تدرك أن استدارات فترة الشباب الطبيعية لا تعود جذابة مع التقدم في العمر. كان وجهها مثلث الشكل حاد الملامح ناعماً وخالياً من التجاعيد بشكل مدهش مما دعا إريكا للشك في أنها خضعت لعمليات تجميل، وأن يكون المبضع قد ساعد في إعادة الطبيعة إلى مسارها الصحيح. كان شعرها أكثر ملامحها أناقة، وقد كان غزيراً فضي اللون مصففاً على الطريقة الفرنسية الأنيقة، إلا أنه كان مشدوداً كثيراً إلى الوراء، بحيث بدت بشرة جبهتها مشدودة

كذلك مما أظهرها بمظهر المتفاجىء نوعاً ما. قدرت إريكا أن نيللي تلك لا يقل عمرها عما يزيد عن ثمانين عاماً. يشاع أنها كانت راقصة أيام شبابها، وأنها التقت فابيان لورنتز حين كانت تشكل أحد أفراد فرقة لرقص الباليه على أحد مسارح غوتبرغ، حيث لا تجرؤ أي من فتات الطبقة الراقية الحضور. كانت إريكا تظن أنها لمحت طيف الراقصة التي كانت عليه في الطريقة التي لا تزال تتحرك بها. لكن وفقاً للقصة الرسمية، فإنها لم ترتد يوماً مدرسة لتعليم الرقص بل كانت ابنة قنصل مهم من ستوكهولم.

بعد مرور بضع دقائق من المحادثات الهامسة، تركت نيللي الوالدين المفجوعين وخرجت إلى الشرفة للجلوس مع جوليا. لم تظهر على أحدهم علامات تعجب تدل على أنهم وجدوا ما حصل غريباً، فتابع الجميع أحاديثهم مراقبين الثنائي غير المتجانس.

عادت إريكا تقف وحيدة في الزاوية بعد أن تركتها فرانسين لتتابع جولتها على الحضور. كان يسعها أن تراقب كلاً من جوليا ونيللي من مكانها من دون أن يزعجها أحد. للمرة الأولى في ذلك اليوم رأت إريكا طيف ابتسامة يلوح على وجه جوليا التي نزلت من على الحافة وجلست بالقرب من نيللي على أريكة الخيزران . كانتا تجلسان ورأسيهما متقاربين تتحدثان همساً.

ما الذي يمكن أن يجمع بين ثنائي غير متجانس إلى هذا الحدّ؟ ألقت إريكا نظرة باتجاه بريجيت وكانت الدموع قد توقفت أخيراً تنساب على وجنتيها وأخذت تصب نظرها على ابنتها ونيللي لورنتز، وقد بدت عليها علامات الرعب واضحةً. قررت إريكا أن تلبي دعوة السيدة لورنتز في النهاية. لعله من المثير للاهتمام أن تجري معها حديثاً خاصاً.

غمرها شعور هائل بالارتياح وهي تغادر أخيراً المنزل الواقع على التل وتتنشق بفرح هواء الشتاء المنعش من جديد.

كان باتريك يشعر بالقليل من التوتر. لقد مضى وقت طويل منذ أن تناول العشاء مع امرأة، فكيف إن كان يشعر بانجذاب قوي نحوها. يجب أن يكون كل شيء بحالة ممتازة.

كان يدندن بينما يقطع الخيار للسلطة. بعد عناء كبير وتساؤل كثير، قرر أخيراً أن يعدّ قطع لحمة للعشاء وها قد أصبحت مقطعة في الفرن تكاد تنضج. أما الصلصة فكانت تصدر صوتاً بدورها فوق الموقد وشعر بمعدته تنعصر جوعاً عندما وصلت رائحتها الشهية إلى أنفه.

كانت فترة بعد الظهر محمومة، إذ لم يتمكن من أن يغادر عمله باكراً كما كان يأمل فاضطر لتنظيف المنزل في وقت قياسي. لم يكن يدرك كم كانت حالته مزرية منذ أن تركته كارين، لكن حين رآه بعيني إريكا أيقن أنه سيتطلب منه مجهوداً هائلاً.

شعر بقليل من الحرج لوقوعه في فخ فترة العزوبية التقليدي، فترك المكان من دون ترتيب والبراد خالياً من الطعام. لم يكن يفهم حقاً أي عبء كانت كارين تريحه منه. كان يعتبر أن نظافة المنزل وترتيبه وحسن إدارته أمور مفروغ منها ولم يخطر له يوماً العمل الذي يتوجبه للحفاظ على ترتيبه. كانت هناك الكثير من الأمور التي يعتبرها أمراً مفروغاً منه في الواقع.

حين رنت إريكا جرس الباب نزع عنه المئزر كالمجنون وألقى نظرة سريعة على شكله في المرآة ليتفقد شعره. لا تزال بعض الخصلات تعانده كالعادة مع أنه وضع عليه الجل بسخاء.

بدت إريكا رائعة كما هي دوماً، كانت وجنتاها تميلان إلى

الزهري الفاتح بسبب البرد وشعرها الأشقر المتجعد الغزير يندثر فوق ياقة معطفها. عانقها سريعاً وسمح لنفسه أن يغمض عينيه للحظة ويتنشق رائحة عطرها، ثم دعاها إلى الداخل.

كانت المائدة مرتبة وقد بدآ بتناول المقبلات بينما ينتظران أن يصبح الطبق الرئيس جاهزاً. أخذ ينظر إليها غير مصدق بينما تستمتع بمذاق الأفوكادو المحشو بالقريدس. لم يكن طبقاً يصعب تحضيره في الواقع.

قالت له إريكا وهي تتناول قضمة أخرى من الأفوكادو: «لم يخطر لي مطلقاً أن تجهز بهذه السرعة عشاءً يضم ثلاثة أطباق مختلفة».

«صحيح، بالكاد أستطيع أن أصدق أني قمت بذلك بنفسي. لكن لا بأس، أهلاً ومرحباً بك في مطعم هيدشتروم».

طقطقا الكأسين واستمتعا بشرب النبيذ الأبيض البارد، ثم تناولا طعامهما لفترة بصمت مؤنس.

نظر باتريك إلى إريكا من تحت خصلة شعر حجبت عينه وقال: «كيف هي حالك؟»

«لقد أمضيت بعض الأسابيع الممتعة».

«لماذا أتيت معهما إلى المقابلة؟ لا بدّ أنه لم تكن لك أي صلة بألكس أو عائلتها منذ عدة سنوات».

«أجل، لعل ذلك يعود إلى ما يقارب خمسة وعشرين عاماً. لست واثقة تماماً لم أتيت أصلاً. أشعر وكأني اجتذبت إلى دوامة ما ولا أعرف من أين المنفذ لأهرب أو إن كنت أريد الهروب فعلاً. أظن أن بريجيت تنظر إلي على أنني تذكار من الأيام الجميلة. أضف إلى أنني مجرد دخيل على العائلة، لذا قد أمثل لهم نوعاً من الأمان».

توقفت إريكا عن الكلام قليلاً ثم تابعت: «هل أحرزت أي تقدم في القضية؟»

«آسف، لا أستطيع أن أقول أي شيء عن القضية».

«كلا، أفهمك. اعذرني لم أفكر بالسؤال قبل أن أطرحه».

«لا مشكلة. لكنني ظننت أنه بإمكانك مساعدتي. لقد أمضيت مع العائلة وقتاً طويلاً حتى الآن، كما أنك كنت تعرفينهم من قبل. هل لك أن تخبريني قليلاً عن انطباعاتك حول تلك العائلة وما الذي تعرفينه عن ألكس؟»

وضعت إريكا الشوكة من يدها وحاولت تنظيم أفكارها وانطباعاتها الخاصة بالترتيب الذي أرادت عرضها به أمام باتريك. وقد أخبرته بكل ما كانت تعرفه واكتشفته بما في ذلك انطباعاتها الخاصة حول الأشخاص الذين وجدوا في حياة ألكس. وكان باتريك يستمع إليها بانتباه حتى بينما نهض من مكانه ليزيل صحون المقبلات عن الطاولة ويستبدلها بالطبق الرئيس. كان يقاطعها بين الحين والآخر ليطرح عليها سؤالاً. كان مندهشاً لكم المعلومات التي تمكنت إريكا من كشفها خلال تلك الفترة القصيرة. وبعد أن أخبرته كذلك عما تعرفه عن ألكس من ماضيهما معاً، تحولت فجأة المرأة التي لم تكن بالنسبة إليها سوى ضحية جريمة إلى شخص له وجه وكيان.

«أعلم أنك لا تستطيع التحدث عن القضية باتريك، لكن هل لك أن تخبرني ما إذا عثرت الشرطة على أي خيوط؟ هل لديك أدنى فكرة عمن يكون القاتل؟»

أطلق باتريك تنهيدة ولامس بطرف إصبعه حافة كأسه، وقال: «كلا، علي أن أعترف أننا لم نحرز الكثير من التقدم في تحقيقاتنا. إن عثورنا على خيط ما مهما يكن أو أي دليل على الإطلاق سيكون مرحباً به إلى حدّ بعيد».

قالت له إريكا بعد تردد: «قد يكون لدي شيء تجده مثيراً للاهتمام». مدت يدها إلى حقيبة يدها وأخذت تبحث بداخلها. سحبت قصاصة ورق وأعطته إياها من فوق الطاولة. تناولها منها باتريك وفتحها وقرأ ما جاء فيها باهتمام بالغ لكنه رفع حاجبه تعجباً حين انتهى.

«وما علاقة هذا بألكس؟»

«هذا ما كنت أتساءل عنه أيضاً. لقد وجدت هذا المقال في درج ما في الغرفة مخبأً تحت ملابس ألكس الداخلية».

«ماذا تقصدين بوجدته؟ متى تسنت لك الفرصة لتبحثي في أدراجها؟»

لاحظ أنها تحمرّ وتساءل عما كانت تخبئه عنه.

«حسناً، لقد ذهبت في إحدى الليالي إلى منزلها وألقيت نظرة في الأرجاء».

«فعلت ماذا؟»

«أجل، أعرف قصدك، ليس عليك أن تقول شيئاً. كان عملاً أحمق بالكامل، لكنك تعرفني، أقدم على التصرف أولاً ثم أفكر به». كانت تطلق كلماتها بسرعة كي تتفادي المزيد من التوبيخ وأضافت: «بأي حال، لقد وجدت هذه الورقة في الدرج ونجحت في أخذها معي».

تراجع في اللحظة الأخيرة عن سؤالها ماذا تعني بنجحت في أخذ الورقة معها. كان من الأفضل له ألا يعرف.

سألته إريكا: «ما الذي يمكن أن تعنيه تلك الورقة؟ إنه مجرد مقال حول حادثة اختفاء حصلت منذ ما يقارب خمسة وعشرين عاماً. ما الرابط الذي يمكن أن يكون بينه وبين ألكس».

لوّح باتريك بالمقال وسألها: «ما الذي تعرفينه أيضاً عن هذه؟»

«لا شيء سوى موضوع المقال الذي على الورق وأن نيلز لورنتز، ابن فابيان ونيللي لورنتز اختفى من دون أن يترك له أي أثر في شهر كانون الثاني من العام 1977. لم توجد له أي جثة. جرت العديد من التخمينات حول الحادثة مع مرور السنوات حيث اعتقد بعضٌ أنه مات غرقاً وجرف التيار جثته إلى البحر. وتسود بعض الشائعات التي تقول إنه اختلس مبلغاً كبيراً من المال من أبيه وهرب من البلد. ما سمعته أنا شخصياً هو أن نيلز لورنتز كان شخصاً سيئاً لذا يميل معظم الناس إلى تصديق الاحتمال الثاني. كان الابن الوحيد ومن الواضح أن نيللي أفرطت في تدليله وإفساده. ما من شيء استطاع تعزيتها أو التخفيف عنها بعد اختفائه ولم يتجاوز فابيان لورنتز هذه الخسارة وتوفي إثر نوبة قلبية بعد سنة واحدة تقريباً. وريث الثروة الوحيد هو اليوم أخ بالرضاعة تبنياه حوالي سنة قبل اختفاء نيلز. وقد تبنته نيللي رسمياً بعد مرور بضعة سنوات من موت زوجها. حسناً، هذه مجرد عينة عن ما يدور من الثرثرات المحلية. لا زلت عاجزة عن فهم كيف يمكن أن يكون لذلك علاقة بموت ألكس. التعاطي الوحيد الذي تم بين العائلتين كان أيام عمل كارل-إريك في مكتب معمل لورنتز لتصنيع العلب، وذلك حين كنا أنا وألكس لا نزال صغيرتين وقبل أن تنتقل عائلة ألكس إلى غوتبرغ. لكن ذلك جرى منذ خمسة وعشرين عاماً».

تذكرت إريكا فجأة أحد الروابط الأخرى. أخبرت باتريك عن حضور نيللي مراسم استقبال التعازي وكيف أنها كرست كل اهتمامها تقريباً بجوليا.

«لا فكرة لدي كيف يمكن لأي من هذا أن يكون له علاقة بالمقال، لكن لا بد من وجود أمر ما. لقد ذكرت فرانسين كذلك وهي شريكة ألكس في المعرض الفني أنها كانت تعتقد بأن ألكس

كانت تريد أن تتصالح مع ماضيها. هذا على حدّ علم فرانسين، لكن أظن أن ما قالته له معنى. يمكن أن تسمي ذلك حدس امرأة لا أكثر أو ما يحلو لك، لكني أشعر أن هناك رابطاً ما».

شعرت بشيء من الخجل لأنها أدركت أنها لم تخبر باتريك الحقيقة بأكملها. كانت لا تزال هناك قطعة صغيرة إنما غريبة جداً من الأحجية لم تخبره عنها، إلى أن تعرف المزيد عنها على الأقل.

«حسناً، لا يسعني حتماً أن أجادل في حدس المرأة. هل ترغبين في المزيد من النبيذ؟»

«أجل، لو سمحت».

نظرت في أرجاء المطبخ وسألته: «إنه منزل جميل. هل قمت بتصميم الديكور بنفسك؟»

«كلا، لا يسعني أن أمنح نفسي هذا الشرف. كانت كارين من يمتلك موهبة الديكور».

«حسناً إذاً، إنها زوجتك كارين. ما الذي حصل فعلياً بينكما أنتما الاثنين إذاً؟»

«حسناً، إنها القصة القديمة ذاتها في الواقع. تلتقي الفتاة بمغني سيء في إحدى الفرق ممن يرتدون سترة جلدية حتى الخصر. تقع الفتاة في حبه وتطلق زوجها وتنتقل للعيش مع المغني السيء».

«لا بد أنك تمازحني!»

«لسوء الحظ لا لست أمزح. لقد تخلت عني من أجل لايف لارسن المغني المعروف وسارق القلوب في فرقة ليف الراقصة الأكثر شهرة في بوهوسلان. إنه الرجل الذي ترافقه أجمل فتيات الهوكي على الساحل الغربي. أجل، لا يسعني فعل الكثير لأنافس رجلاً متسكعاً يرتدي الشرابات».

نظرت إليه إريكا مندهشة.

ابتسم لها باتريك وقال: «حسناً، لعل هذا مبالغ به نوعاً ما لكنه قريب من الصورة عموماً».

«لا بد أن ذلك كان فظيعاً، أنا واثقة أن الأمر لم يكن سهلاً بالنسبة إليك».

«لقد شعرت بالأسى على نفسي لفترة لكن لا بأس بذلك الآن. لا أعني أن الأمر جيد لكن لا بأس به أقول».

عمدت إريكا إلى تغيير الموضوع وقالت: «كان لخبر حمل ألكس وقع القنبلة على الجميع». كانت تحدق بباتريك وقد انتابه شعور بأن هناك شيء ما أكبر من ملاحظتها البريئة ظاهرياً.

تابعت إريكا: «يبدو على أي حال أنها لم تشارك زوجها الخبر السعيد».

انتظرها باتريك كي تكمل حديثها بصمت، وقد بدا له بعد برهة أن إريكا مصممة على متابعة الكلام حول الموضوع ذاته، لكنها كانت تتحدث بصوت منخفض ونبرة لا تزال مترددة بعض الشيء.

«وفقاً لأفضل صديقاتها، فإن الطفل الذي تحمله لم يكن من زوجها».

رفع باتريك أحد حاجبيه وأخذ يصفر متعجباً لكنه لم يقل أي كلمة أملاً منه أن يحصل على مزيد من المعلومات من إريكا.

«أخبرتني فرانسين أن ألكس كانت تلتقي أحدهم هنا في فيالباكا، حيث كانت تأتي كل نهاية أسبوع لتراه. وفقاً لما قالته فرانسين، فإن ألكس لم تكن ترغب مطلقاً بالإنجاب من هنريك، لكن الأمر كان مختلفاً مع هذا الرجل. كانت سعادتها عارمة بالطفل الذي في أحشائها، ولهذا السبب كانت فرانسين تصر بقوة على أن موتها لم يكن انتحاراً. بنظرها، كانت ألكس سعيدة للمرة الأولى في حياتها».

«هل كانت تعلم من هو ذاك الرجل؟»

«كلا، لم تكن تعلم من يكون. كانت ألكس تحتفظ بالأمر لنفسها».

«لكن لماذا زوجها يتقبل ذهابها إلى فيالباكا لوحدها كل نهاية أسبوع من دونه؟ هل كان يعلم أنها تقابل أحدهم هناك؟»

تناول باتريك جرعة أخرى من النبيذ وبدأ يشعر أن وجنتيه تأخذان بالاحمرار. لم يكن متأكداً ما إن كان احمرار وجنتيه يعود إلى النبيذ نفسه أو إلى وجوده مع إريكا.

«من الواضح أن علاقة غير اعتيادية كانت تربطهما. لقد التقيت هنريك في غوتبرغ وانتابني شعور أن حياة كل منهما تسير على سكتين متوازيتين بالكاد تتقاطع إحداهما مع الأخرى. كما أنه يستحيل أن نجزم ما يعرفه وما لا يعرفه من الحديث القصير الذي أجريته معه. كان للرجل وجه قاسي الملامح كالصخر. أظن أن مهما كان الذي يعرفه فقد حرص على أن يبقيه لنفسه».

كان باتريك يحلل قبل أن يسألها: «يمكن لذلك النوع من الأشخاص أن يكون أحياناً أشبه بطنجرة الضغط. يستمر البخار بالتجمع إلى أن ينفجر يوماً ما. أتظنين أن ذاك ما حدث؟ أتعتقدين أن الكيل قد طفح مع الرجل المنبوذ فقتل زوجته الخائنة؟»

«لا أعلم باتريك. لا أعلم حقاً، لكنني أعتقد أنه يجب أن نستمر في شرب النبيذ ونتحدث عن كل الأشياء طالما أنها لا تتعلق بالجريمة والموت المفاجىء».

وافقها باتريك الرأي بسرور ورفع كأسه لشرب نخب.

انتقلا للجلوس على الأريكة، حيث أمضيا بقية الأمسية يتحدثان باسترخاء حول كل ما يجري تحت الشمس إلا موضوع ألكس. أخبرته عن حياتها وعن الجلبة القائمة حول المنزل وعن حزنها على موت والديها. وأطلعها هو على غضبه وشعوره بالفشل بعد طلاقه وحالة

الإحباط التي أصابته حين وجد أنه عاد إلى الصفر مجدداً، حيث كان قد بدأ يشعر أنه جاهز لإنجاب الأولاد وتأسيس عائلة، وأنه بات مستعداً ليصدق أن بإمكانه تمضية حياته مع كارين ويشيخان معاً.

حتى فترات الصمت القصيرة التي كانت تسود بينهما لم يكن يشوبها التوتر بل كانت لحظات يمنع نفسه فيها من الانحناء نحو إريكا وتقبيلها. لقد امتنع وفاتته الفرصة.

الفصل الثالث

كان هو يراقب من بعيد بينما يحملونه إلى الخارج. أراد أن ينتحب ويرتمي بجسده فوق جسدها ويحتفظ بها إلى الأبد.

لقد رحلت الآن بحق. وسيعبث الأغراب بجسدها ويجرون فيه حفراً. لن يتمكن أحد من رؤية مدى جمالها على النحو الذي رآه هو.

لن تكون بالنسبة إليهم سوى قطعة لحم، مجرد رقم على ورقة من دون حياة ولا روح.

أخذ يمرر يده اليسرى على راحة اليد اليمنى. لقد داعبت تلك اليد البارحة ذراعها. ضغط براحته على وجنته وحاول أن يتحسس بشرتها الباردة على وجهه.

لكنه لم يشعر بشيء. ها قد رحلت.

كانت الأضواء الزرقاء تلتمع والناس يهرعون، يروحون ويجيئون من المنزل وإليه. لماذا كانوا على عجلة من أمرهم؟ ألم يفت الوقت؟

لم يره أحد. كان غير مرئي، لطالما كان غير مرئي.

لا يهم طالما أنها هي رأته. وستتمكن من رؤيته دوماً. حين سمرت عينيها الزرقاوين عليه شعر أنه تمت رؤيته وهذا يكفيه.

لم يتبق شيء الآن. لقد انطفأت شعلة الحياة منذ زمن طويل. كان يقف في الظلال ويراقب حياته تتسلل من بين يديه مغطاة ببطانية

صفراء من المستشفى. لم يكن هناك من خيارات كثيرة في نهاية المطاف. لطالما كان يعي ذلك، وقد حانت الساعة أخيراً. كان يتوق لقدومها وقد عانقها بكليته.

لقد رحلت وانتهى الأمر.

بدت نيللي متفاجئة قليلاً عندما قامت إريكا بالاتصال بها. وقد تساءلت إريكا للحظة ما إن كانت تختلق أموراً من لا شيء على الرغم من أنه لم يسعها سوى أن تستغرب حضور نيللي غير المتوقع لتقبل التعازي بوفاة ألكس. هذا من دون ذكر الطريقة التي حصرت بها حديثها مع جوليا. قد يكون صحيحاً أن كارل-إريك قد عمل لدى فابيان لورنتز كمدير للمصنع إلى أن انتقلت العائلة للعيش في غوتبرغ لكن لم يكن هناك أي علاقات اجتماعية بين العائلتين على حد علم إريكا. كان مستوى عائلة كارلغرن المعيشي أدنى بكثير من متطلبات عائلة لورنتز وشروطها للقبول بالاختلاط الاجتماعي.

كانت صالة الاستقبال التي أرشدت إليها عند وصولها غاية في الجمال. كانت تطل على منظر أخاذ يمتد من المرفأ وينفتح على الأفق اللامتناهي خلف الجزر. في يوم ممطر كهذا، كان المنظر ليضاهي أجمل أيام الصيف المشمسة سيما حين تعكس صفحة الجليد المغطاة بالثلوج أشعة الشمس المشرقة.

جلست المرأتان على إحدى الأرائك الفخمة وقدمت لإريكا الفطائر على صينية فاخرة مصنوعة من الفضة. كان طعمها لذيذاً جداً لكن إريكا حاولت السيطرة على شهيتها كي لا تبدو مبتذلة، قليلة الذوق. كما أن نيللي لم تأكل سوى قطعة واحدة مخافة أن تضيف غراماً من اللحم إلى عظامها البارزة.

أخذت الأحاديث تنساب بسلاسة ولباقة بينهما في البداية. ولم يكن يسمع في فترات التوقف عن الكلام سوى دقات الساعة على الحائط مرفقة بصوت جرعات الشاي الساخن الطيب المذاق. وقد حرصت كل منهما على إبقاء الأحاديث بينهما حيادية الطابع فتطرقت إلى رحيل الشبان عن فيالباكا وانتشار البطالة وازدياد مأساوية الأوضاع بسبب شراء السياح منازل البلدة القديمة الجميلة وتحويلها إلى مساكن صيفية عصرية. انتقلت نيللي للتحدث قليلاً عن الوضع على أيام شبابها حين أتت إلى فيالباكا بعد زواجها بفترة قصيرة. أخذت إريكا تصغي إلى كلامها باهتمام شديد وتطرح عليها بعض الأسئلة من حين إلى آخر بشكل لائق.

بدا الأمر وكأنهما كانتا تلفان وتدوران حول موضوع كانتا تعلمان أنهما ستأتيان على ذكره عاجلاً أم آجلاً.

كانت إريكا من تحلى بالشجاعة أخيراً لطرح الموضوع، فقالت: «حسناً، المرة الأخيرة التي رأينا فيها بعضنا كانت مناسبة حزينة».

«بل مناسبة مأساوية. يا للشابة المسكينة».

«لم أكن أعلم أنك تعرفين عائلة كارلغرن إلى هذا الحد».

«لقد عمل كارل-إريك لدينا لعدة سنوات وقد التقينا بعائلته طبعاً في عدة مناسبات. بدا لي أنه من الواجب أن أقوم بتعزيته وزوجته بنفسي». خفضت نيللي فجأة نظرها ولاحظت إريكا أنها تحرك يديها في حضنها بعصبية ظاهرة.

«لكني لاحظت أن معرفتك بجوليا وطيدة أيضاً. مع العلم أنها لم تكن قد ولدت حتى حين كانت عائلة كارلغرن تعيش في فيالباكا، أليس كذلك؟ أو أني مخطئة؟»

لم يدل تصلب ظهرها وحركة رأسها الخفيفة إلا على انزعاج واضح من السؤال. لوحت بيدها المغطاة بالحلي والجوهرات وقالت:

«كلا، فمعرفتي بجوليا حديثة العهد، لكنني أظن أنها شابة رائعة. أعلم أنها قد لا تتمتع بالجمال الخارجي الذي كان لأختها لكن بخلافها كانت تتحلى بقوة الإرادة والشجاعة بما يجعلني أعتبرها أكثر إثارة للاهتمام من شقيقتها الحمقاء المتعجرفة».

سارعت نيللي عندئذٍ تغطي فمها بيدها. إضافة إلى أنها نسيت للحظة أنها تتكلم على شخص ميت فقد أظهرت ولو لجزء من الثانية صدعاً في مظهرها المتحضر الزائف. جل ما رأته إريكا في تلك اللحظة كان الكراهية الخالصة. لماذا قد تكره نيللي لورنتز امرأة بالكاد تعرفها، فألكس لم تكن إلا مجرد طفلة في ذاك الوقت؟

قبل أن تحظى نيللي بفرصة تصحيح زلة لسانها، رن هاتف المنزل. اعتذرت وقد بدا على ملامحها ارتياح ظاهر وذهبت لتتلقى المكالمة.

استغلت إريكا فرصة بقائها وحدها لتلقي نظرة خاطفة على أرجاء الغرفة. كانت جميلة جداً من دون أدنى شك إلا أنها كانت تخلو تماماً من أي طابع شخصي أو لمسة خاصة. كانت يد مصمم الديكور الخفية تحوم في كافة أنحاء الغرفة. الألوان متناسقة جميعها حتى أصغر تفصيل. لم تستطع إريكا عندئذٍ إلا أن تقارن بين ما تراه عيناها وبساطة الأثاث الموجود في منزل والديها، حيث لا يمكن أن تجد شيئاً وضع لأجل المظاهر أو الزينة فقط، بل تم شراء كل غرض موجود على مرّ العقود وفقاً للحاجة إليه. إريكا تعتقد أن جمالية الأغراض حتى العتيقة منها لكثرة الاستعمال أكثر جمالاً من هذه الغرفة المزركشة. الغرض الشخصي الوحيد الذي أمكن لإريكا رؤيته كان صفاً من الصور العائلية الموضوعة على رف الموقد. انحنت فوق تلك الصور وأخذت تتمعن فيها عن قرب. بدت أنها موضوعة وفقاً للترتيب الزمني لالتقاطها من اليسار إلى اليمين بدءاً بلوحة بالأبيض

والأسود لزوج أنيق بحلة الزفاف. كانت نيللي تشع جمالاً بثوب زفافها الأبيض الذي يعانق جسدها إلا أن فابيان بدا غير مرتاح ببذلته.

في الصورة التالية كانت نيللي تحمل طفلاً بين ذراعيها وإلى جانبها فابيان لا يزال جدياً قاسي الملامح. كان هناك صف طويل من صور الأولاد من مختلف الأعمار وحدهما أحياناً ومع نيللي أحياناً أخرى. في الصورة الأخيرة على الرف بدا نيلز لورنتز وهو في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً. إنه الولد الذي اختفى. بعد الصورة الأولى التي تضم كافة أفراد العائلة بدا وكأن نيللي ونيلز هما الشخصان الوحيدان المتبقيان. مع أن فابيان كان على الأرجح غير متحمس للوقوف أمام عدسة الكاميرا، فوقف وراءها لالتقاط الصورة لبقية أفراد العائلة. كانت هناك صور واضحة للابن المتبنى، جان التقطت له لوحده.

حولت إريكا انتباهها إلى إحدى الطاولات الموجودة في زاوية الغرفة. كانت مصنوعة من خشب الكرز الأسود ومغطاة بقطع جميلة مطرزة يدوياً أخذت إريكا تتلمسها بطرف إصبعها بإعجاب. عدا ذلك كانت الطاولة عارية بالكامل وبدا أن لا حاجة لها سوى استكمال الديكور. انتابتها رغبة بأن تسترق النظر داخل الأدراج لكنها لم تكن تعلم كم سيطول غياب نيللي عن الغرفة. من الواضح أن المكالمة كانت تستغرق وقتاً طويلاً لكن صاحبة المنزل قد تعود إلى الغرفة في أي لحظة. استرعت سلة المهملات الموجودة في إحدى الزوايا انتباه إريكا. كانت تحتوي على بعض الأوراق المجعدة فتناولت طابة الورق الأولى على السطح وأخذت تملس تجعيداتها برفق وتقرأ محتوياتها باهتمام متزايد. كانت دهشتها أكبر من ذي قبل حين أعادتها بعناية إلى سلة المهملات حيث كانت. لا شيء في أحداث هذه القصة كلها يبدو على ما هو عليه.

سمعت أحدهم يتنحنح خلف ظهرها. التفتت لتجد جان لورنتز يقف بالباب وقد رفع حاجبيه وأخذ يراقبها بتعجب، فتساءلت في سرها منذ متى وهو يراقبها.

«إريكا فالك أليس كذلك؟»

«أجل، صحيح. لا بدّ أن تكون جان ابن نيللي، أليس كذلك؟ أو أنني مخطئة؟»

«هذا صحيح أيضاً. يسرني لقائك. يجب أن تعلمي أنك تشكلين محور الأحاديث التي تدور هنا في البلدة عموماً».

افتر ثغره عن طيف ابتسامة خبيثة وتقدم نحوها يمد يده لمصافحتها. صافحته بتردد. شيء ما في هذا الشاب أثار القشعريرة في جسمها كله. ظل واضعاً يده بيدها لفترة أطول مما كان ينبغي نوعاً ما، وقد قاومت رغبة بسحبها.

بدا أنه كان قادماً مباشرة من اجتماع عمل وقد ارتدى بذلته الرسمية المكوية بعناية وحمل في يده حقيبة جلدية سوداء. كانت إريكا تعلم أنه من يدير أعمال العائلة وبنجاح تام.

كان يصفف شعره إلى الوراء مبالغاً قليلاً بوضع الجل عليه. وكانت شفتاه تميلان إلى الامتلاء والانتفاخ، أما عيناه فجميلتان بأهدابهما السوداء الطويلة. لولا الفك العريض القوي وغمازة الذقن العميقة لبدا أشبه بالإناث. لقد منحه مزيج الملامح الحادة والحيوية المفعمة مظهراً غريباً، وكان يستحيل الحكم ما إن كان جذاباً أو لا. لقد وجدته إريكا شخصاً منفراً لكنها حكمت عليه بناءً على حدس ما انتابها وليس بشكل موضوعي.

«ها قد نجحت أمي أخيراً بجذبك إلى هنا. عليّ أن أخبرك أنك كنت من بين الأوائل على لائحة الزائرين الذين تود استقبالهم منذ أن تم نشر الكتاب الأول لك».

«فهمت. حسبما علمت فقد استقبل كحدث القرن الأهم هنا. كانت أمك قد دعتني سابقاً لكن لم تتسنَّ لي فرصة مناسبة للقيام بزيارة منزلكم حتى اليوم».

«لقد سمعت عن حادثة موت والديك، يا له من أمر مأساوي. دعيني أعبر لك عن خالص تعازي الحارة».

نجح في الابتسام بتعاطف لكن الشعور لم يلقَ الطريق إلى عينيه.

عادت نيللي إلى الغرفة فانحنى جان يقبل أمه على وجنتها. دعته يفعل تعلو وجهها علامات اللامبالاة.

«كم جميل منك يا أمي أن تتمكني من إقناع إريكا بالمجيء لزيارتنا أخيراً. كنت تتطلعين إلى هذا اللقاء منذ زمن بعيد».

«أجل أصبت، إنه لأمر جميل حقاً».

جلست على الأريكة وقطبت حاجبيها لألم مفاجىء أصابها وأمسكت بذراعها اليمنى وجذبتها إلى صدرها.

«ما الأمر يا أمي؟ هل تشعرين بألم ما؟ هل أحضر لك الدواء؟»

انحنى جان فوقها بعطف ووضع كلتا يديه على كتفيها لكنها سرعان ما أزاحتهما بقسوة ظاهرة.

«كلا، أنا لا أعاني من شيء يستدعي القلق. إنها آلام وأوجاع التقدم بالعمر، هذا كل شيء. ما من داع لتقلق كما قلت، ألا يجدر بك أن تكون في المصنع بأي حال؟»

«بلى، لكنني مررت بالمنزل لأخذ بعض الأوراق. حسناً أفترض أني يجب أن أدعكما على انفراد أيتها السيدتين الجميلتين. لا تجهدي نفسك كثيراً أمي وتذكري ما قاله لك الطبيب...».

لم تجب نيللي بكلمة واحدة بل اكتفت بإصدار صوت أشبه بالشخير تذمراً. بدا القلق والتعاطف على ملامح جان حقيقياً لبرهة،

لكن إريكا تكاد تقسم أنها لمحت طيف ابتسامة صغيرة على زاويتي فمه حين غادر الغرفة وعاد يلتفت نحوهما ثانية.

«إياك أن تشيخي أبداً. تبدو لي فكرة الفايكينغ عن القفز من فوق الصخور والانتحار أكثر جاذبية بمرور كل سنة. الأمر الوحيد الذي أتمناه هو أن أصاب بحالة حادة من الخرف تكفي لأعتقد أني عدت فتاة في العشرين من العمر مجدداً. سيكون ذلك ممتعاً حقاً». ابتسمت نيللي عندئذٍ بمرارة.

لم يبد الموضوع مثيراً يستحق النقاش، فتمتمت إريكا بكلام مبهم ما رداً عليها وغيرت موضوع الحديث.

«إنها مدعاة ارتياح بأي حال أن يكون لديك ابن تعتمدين عليه في متابعة سير أعمال العائلة. لقد فهمت أن جان وزوجته يعيشان هنا معك».

«مدعاة ارتياح، أجل، قد تكون كذلك».

ألقت نيللي نظرة سريعة على رف الموقد حيث صف الصور، من دون أن تضيف أي كلمة ولم تجرؤ إريكا على طرح أي سؤال آخر يتعلق بالموضوع.

«حسناً، كفانا حديثاً عني وعن شؤون عائلتي، أخبريني عنك، هل تعملين على كتاب جديد في الوقت الراهن؟ علي الاعتراف أنني أحببت كتابك الأخير عن سيرة حياة كارين بوي. إنك تجعلين الأشخاص يبدون أحياء بطريقة ما. لماذا لا تكتبين إلا عن النساء؟»

«أظن أن الأمر حدث صدفة في البداية، فقد كانت أطروحتي الجامعية تدور حول موضوع كاتبات سويديات عظيمات فأصبحت مع الوقت مهووسة بهن وأردت أن أعرف المزيد عنهن كأشخاص. لقد بدأت كما تعلمين ربما بوضع كتاب عن آنا ماريا لينغرين بما أني لم أكن أعرف عنها سوى القليل. وهكذا تطورت الأمور رويداً رويداً.

وها أنا أقوم حالياً بتأليف كتاب آخر حول سيلما لاغرلوف وإني أصادف الكثير من المواضيع المماثلة المثيرة للاهتمام».

«ألم تفكري يوماً بكتابة شيء آخر، أعني. . . كيف عساي أشرح لك، خارج إطار السير الذاتية؟ إنك تتمتعين بالموهبة والأسلوب الجميل في الكتابة وسيكون جميلاً جداً أن نقرأ قصة خيالية من تأليفك».

حاولت إريكا ألا تبدو غارقة بالذنب وهي تقول: «لدي بعض الأفكار بهذا الشأن، لكني منهمكة في الوقت الحالي بالعمل على مشروع سيلما لاغرلوف. وسنرى ما الذي سيحدث بعد ذلك».

نظرت إلى الساعة وقالت: «بالحديث عن كتاباتي. . . يجب أن تعذريني فأنا مضطرة لأن أنصرف الآن لسوء الحظ. على الرغم من أن مهنتي لا تتقيد بوقت محدد من المهم أن ألتزم بجدول زمني صارم. يجب أن أعود إلى المنزل وأقوم بإنجاز الفرض اليومي. شكراً جزيلاً على الشاي والفطائر اللذيذة».

«ما من داعٍ للشكر، لقد سررت كثيراً بزيارتك».

نهضت نيللي برشاقة عن الأريكة. لم يكن هناك الآن أي أثر لآلام التقدم في العمر على ما يبدو.

«سأرافقك إلى الخارج. كانت خادمتنا فيرا تقوم بالمهمة في ما مضى لكن الأيام تغيرت. لم تعد الخادمات لائقات المظهر كما أنه بالكاد يمكن إيجاد من تثقي بأدائه المهمة كما يجب. كنت أود لو أستطيع إبقاءها قدر ما أشاء بما أننا نستطيع تحمل أعباءها المادية لكن جان يرفض بشدة. يقول إنه لا يريد وجود أي غريب في المنزل. لا بأس بذلك طالما أنها تأتي مرة في الأسبوع للقيام بكافة أعمال التنظيف. لا يسهل فهم الشبان دوماً هذه الأيام».

من الواضح أنهما قد توصلتا الآن إلى نوع من الإلفة بينهما ذلك

أنه حين مدّت إريكا يدها لتصافح نيللي مودعة، تجاهلت المضيفة اليد واقتربت لتطبع قبلتين خفيفتين على وجنتيها. باتت تعرف إريكا تلقائياً الآن أي وجنة تدير أولاً. كانت قد بدأت تشعر أنها مرتاحة جداً في المجالس رفيعة المقام وأنها أصبحت تنتمي إلى الطبقة الراقية.

سارعت إريكا في العودة إلى المنزل. لم تشأ أن تخبر نيللي عن السبب الحقيقي وراء استعجالها الرحيل. نظرت إلى ساعة يدها فوجدت أنها قد أصبحت الثانية إلا ثلثاً من بعد الظهر. كان المخمن العقاري سيصل إلى منزلها عند الثانية ليقدر ثمن المنزل قبل عرضه للبيع. صرت إريكا أسنانها لمجرد التفكير أن أحدهم سيتجول في أرجاء المنزل متطفلاً لكن لم يكن بيدها حيلة سوى السماح للأمور بأن تأخذ مجراها الطبيعي.

كانت قد تركت السيارة في المنزل فأخذت تسرّع الخطى لكي تصل في الوقت المحدد، لكن خطر له فجأة أنه يمكن للمخمن أن ينتظر فعادت تمشي ببطء. لم العجلة في النهاية؟

سرت إلى مخيلتها أفكار أكثر إشراقاً، فعشاء ليلة السبت في منزل باتريك فاق كل توقعاتها. على الرغم من أنهما كانا من العمر ذاته، فإن إريكا تنظر إلى باتريك على أنه الأخ الأصغر المسلي والمزعج أحياناً. كانت لا تزال تتوقع أن يكون باتريك ذاك الصبي المزعج نفسه، إلا أنها فوجئت بلقاء رجل ناضج حنون يتمتع بحس الفكاهة. عليها أن تعترف أنه لا يبدو سيئاً على الإطلاق. وتساءلت إلى متى ستنتظر قبل أن يصبح الوقت مناسباً لتقوم بدعوته بدورها لتناول العشاء في منزلها كي ترد له دعوته ليس إلا.

خدعها التل الأخير المؤدي إلى منطقة سالفيك، إذ خيل إليها أنه مستوٍ في ما هو منحن متعرج وعر. كانت تلهث بشدة حين انعطفت

إلى اليمين وتسلقت المنحدر الصغير الأخير المؤدي إلى المنزل.
توقفت عن السير فجأة عند وصولها إلى القمة. كانت سيارة من نوع مرسيدس متوقفة أمام منزلها وكانت تعلم تماماً من المالك. لقد ظنت أن أحداث اليوم لن تكون مضنية كما العادة لكنها كانت مخطئة على ما يبدو.

كان لوكاس متكئاً على الباب الأمامي للمنزل وقد شبك ذراعيه فوق صدره وقال: «مرحباً إريكا».

«هلا أخبرتني ما الذي تفعله هنا؟»

«أتجدين هذا الترحيب يليق بصهرك العزيز؟»، كانت لكنته السويدية تدل على أنه ليس إلا غريباً لكن جملته كانت تخلو من الأخطاء اللغوية تماماً.

فتح ذراعيه بشكل مخادع وكأنما يريد أن يعانقها بحرارة لكن إريكا تجاهلته. أدركت أن هذا ما كانت تتوقعه بالضبط في النهاية. لم تخطىء يوماً في فهم لوكاس ونواياه. لهذا السبب كانت تتوخى الكثير من الحذر بحضوره. جل ما كانت ترغب به في هذه اللحظة هو أن تمشي نحوه مباشرة وتوجه صفعة إلى ذاك الوجه المبتسم، لكنها كانت تعرف أنها ستكون عندئذٍ قد أقدمت على فعل قد تندم عليه لاحقاً.

«لقد طرحت عليك سؤالاً، هيا أجبني ما الذي تفعله هنا؟»

«حسناً، إن لم أكن مخطئاً... دعيني أرى... فإن ربع ما هو موجود هنا بالضبط ملك لي».

كان يشير بيده نحو المنزل، لكن من يعلم، قد يكون قصده أن ربع العالم ملك له. يا لثقته بنفسه التي لا تعرف الحدود.

«نصف المنزل لي والنصف الآخر لآنا، أنت لا تملك شيئاً فيه مطلقاً».

«قد لا تكونين ضليعة بقانون الملكية المشتركة، أعني تماماً كما

لم تكوني ضليعة بإيجاد شخص أحمق بما يكفي يرتبط بك. لكن وفقاً لذاك القانون، يتقاسم الثنائي المتزوج كل شيء بالتساوي بما في ذلك ملكية منزل على البحر».

كانت إريكا تعي فعلاً أن تلك هي الحقيقة تماماً وأن ما يقوله صحيح. وقد لعنت والديها في تلك اللحظة لأنهما لم يكونا بعيدي النظر بما يكفي ليحرصا أن تعود ملكية المنزل لابنتيهما فقط دون سواهما. كانا يعلمان أي نوع من الرجال هو لوكاس لكن لم يخطر لهما ربما أنه لم يتبق أمامهما الكثير من الوقت على قيد الحياة. لا أحد يحب أن يعترف بحقيقة حتمية الموت بأي حال، وقد أجلا كما العديد من الناس مسألة اتخاذ مثل ذاك القرار.

اختارت ألا تبتلع الطعم وتعترض حول ملاحظته البذيئة بخصوص عدم ارتباطها بأحدهم بعد. إنها تفضل أن تصبح عانساً لبقية حياتها على أن ترتكب غلطة الزواج من شخص منحط مثل لوكاس.

تابع كلامه قائلاً: «أريد أن أكون موجوداً هنا عند وصول المخمن العقاري. لا يضر المرء أبداً أن يعرف كم سيكون الربح الصافي الذي سيحققه. نريد أن تجري الأمور بسلاسة، أليس كذلك؟»

عاد ثغره يفتر عن تلك الابتسامة الشيطانية مجدداً. فتحت إريكا باب المنزل واندفعت أمامه. تأخر المخمن في الوصول، لكنها باتت تتمنى أن يحضر سريعاً. لم تحبذ فكرة وجودهما لوحدهما هي ولوكاس.

دخل المنزل بعدها. علقت سترتها وبدأت تجوب المطبخ لا تعرف ماذا تفعل. الطريقة الوحيدة الأفضل للتعامل معه كانت في تجاهله. سمعت وقع أقدامه بينما يتجول في أرجاء المنزل ويتفقد محتوياته. إنها المرة الثالثة أو الرابعة التي يأتي فيها إلى المنزل. لم يكن الجمال الذي يكمن في البساطة من بين الأمور التي تنال

استحسان لوكاس ولم يكن في ما مضى قد أبدى ولو لمرة واحدة أدنى اهتمام بزيارة عائلة آنا. كان الشعور متبادلاً مع والدهما الذي لم يكن يطيق صهره مطلقاً. وكانت آنا تأتي لزيارة العائلة مع الولدين فقط من دون زوجها.

لم تعجبها مسألة تجول لوكاس في أرجاء المنزل على هواه ولا طريقة تفقده للأغراض الموجودة فيه، إذ كان يتلمس الأثاث والتحف التي تزين المكان قطعة قطعة. قاومت إريكا رغبة عارمة بأن تمشي خلفه ممسكة بمنفض غبار تزيل به الآثار عن كل ما كانت تقع عليه يداه. وقد انتابها شعور عميق بالارتياح لرؤية رجل رمادي الشعر ينعطف بسيارة الفولفو ويدخل الموقف. أسرعت تفتح له الباب ثم ذهبت إلى مكتبها وأغلقت الباب وراءها. لم تشأ أن تراقبه وهو يتجول في منزل الطفولة ويقيّم محتوياته كم تساوي من الذهب، أو أن يخمن سعر كل متر مربع فيه.

كان جهاز الكومبيوتر جاهزاً والملف مفتوحاً بانتظار أن تعود للعمل. لقد استيقظت باكراً ذاك الصباح على غير عادة وأنجزت قسماً كبيراً من العمل. لقد دونت أربع صفحات من مسودة الكتاب الذي تضعه حول حياة ألكس كما أعادت قراءتها. كانت لا تزال تواجهها العديد من المشاكل حيال الصيغة التي ستعتمدها في وضع الكتاب. عندما ظنت في البداية أن موت ألكس ناجم عن عملية انتحار فكرت في تأليف كتاب يجيب عن السؤال الكبير، لماذا. كان ليكون أشبه بسيرة ذاتية. لكن الآن مادة الكتاب باتت تتخذ أكثر فأكثر طابع روايات الجريمة، وهو النوع الذي لم يكن يجذبها بالتحديد. كانت أكثر اهتماماً بقضايا الناس وبالعلاقات التي تربط في ما بينهم والدوافع النفسية التي تحركهم. وتعتقد أن ذلك ما تغفله معظم الروايات التي تدور حول الجريمة على حساب التحدث عن عمليات القتل الدموية

ومشاهد العنف التي تسبب الخوف والقشعريرة للقارىء. كانت تمقت جميع الكليشيهات المستخدمة في تلك الروايات وأرادت أن تكتب عن مواضيع أكثر اتصالاً بالحقيقة والواقع، عن أمور تحاول وصف الأسباب التي تدفع أحدهم لارتكاب أسوأ الخطايا وأفظعها بسلب كائن بشري آخر حياته. كانت قد كتبت حتى ذلك الحين كافة الأحداث وفقاً للترتيب الزمني مدونة على الورق كل الكلام الذي قيل على مسامعها حرفياً مرفقاً طبعاً بملاحظاتها الخاصة والاستنتاجات التي توصلت إليها. ينبغي عليها أن تعمد إلى تشذيب المادة التي بين يديها وتعصرها لتقترب من الحقيقة قدر المستطاع. كما أنها لم تكن قد فكرت بعد بكيفية صياغة ردود فعل أقرب الناس إلى ألكس وأغلاهم على قلبها.

شعرت بالندم لأنها لم تطلع باتريك على كل شيء حول زيارتها لذلك المنزل حيث توفيت ألكس. عليها أن تخبره عن الزائر الغامض الذي حضر للمنزل أثناء وجودها فيه، كما عن اللوحة التي وجدتها مخبأة في الجهة الخلفية لخزانة ملابس ألكس. عليها أن تفصح عن الشعور الغامض الذي انتابها بأن شيئاً ما كان ناقصاً من الغرفة، شيئاً ما كان موجوداً هناك حين دخلت إليها أولاً ثم اختفى. لم تكن تتجرأ على أن تتصل به الآن وتعترف أن ثمة المزيد الذي ينبغي أن تقرّ به. لكنها وعدت نفسها أنه إذا أتيحت لها الفرصة مجدداً سوف تطلعه على بقية التفاصيل كاملة.

كان يمكن لها أن تسمع وقع خطوات كل من لوكاس والمخمن العقاري وهما يتجولان في أرجاء منزلها. لا بدّ أنه خطر للمخمن أنها تتصرف بغرابة كبيرة بعد أن فتحت له الباب واستقبلته بالكاد ملقية التحية عليه لتغادر بعد ذلك مسرعة وتقفل باب المكتب عليها. لم يكن المخمن ليلام على الوضع الذي وصلت إليه الأمور. لذا قررت

العض على جرحها وإظهار بعضٍ من اللياقة التي تعلمتها.

حين دخلت غرفة الجلوس وجدت لوكاس مستفيضاً بشرح روعة الضوء الذي تسمح النوافذ الكبيرة المقطعة بإدخاله مستعملاً أروع الأوصاف وأبلغها في التعبير. يا للغرابة، لم يخطر لإريكا أن المخلوقات التي تختبىء تحت الصخور قد تقدّر الضوء. كانت تتصور لوكاس على أنه مجرد خنفساء عملاقة لماعة، وتمنت لو أنها تستطيع استئصاله من حياتها بمجرد الدوس عليه بكعب حذائها العالي.

«أرجو أن تعذر عدم لباقتي، لم أكن أقصد استقبالك على هذا النحو غير اللائق، لكن كانت هناك بعض الأمور الملحة العالقة التي أجبرت على العمل عليها».

افتر ثغر إريكا عن ابتسامة عريضة ومدت يدها لتصافح المخمن الذي عرّف عن نفسه على أنه كييل إيك. أكد لها أن تصرفها لم يزعجه على الإطلاق، إذ إن بيع المنازل مسألة عاطفية بامتياز وإن هناك الكثير من القصص التي يستطيع أن يرويها في هذا الإطار... صارت ابتسامتها أكثر عرضاً حتى أنها سمحت لنفسها أن تطبق رموشها وتفتحها بسرعة باحتيال. كان لوكاس يراقبها بارتياب لكنها تجاهلته.

«حسناً، لا أنوي المقاطعة إلى أين توصلتما؟»

«كان صهرك للتو يظهر لي مدى جمالية غرفة الجلوس. عليّ أن أعترف أنها تدل على ذوق رفيع فعلاً. كما أن الأضواء المتسللة من النوافذ تمنحها لمسة جمالية خاصة».

«أجل، إنها جميلة بالفعل، أليست كذلك؟ إنه لمن المحزن أن تفسد الرياح العاتية جماليتها».

«أي رياح تقصدين؟»

«لسوء الحظ أن النوافذ ليست مقفلة بإحكام. لذا حين تهب

الرياح مهما كانت خفيفة، عليك أن تحرص على أن تكون مرتدياً أفضل زوج من الجوارب الصوفية وأكثرها قدرة على بعث الدفء. لكن لا تقلق يمكن إصلاح كل شيء باستبدال النوافذ جميعها».

أخذ لوكاس ينظر إليها بحنق، إلا أن إريكا تظاهرت بعدم ملاحظة وجوده. وعمدت بدلاً من ذلك إلى جرِّ كييل بيده ومرافقته. لو كان لوكاس كلباً لكان يهز ذيله بغضب الآن.

«افترض أنك ألقيت نظرة على الطابق العلوي لذا اسمح لي ننزل سوياً إلى القبو. ليس عليك أن تقلق بشأن رائحة العفن، إذ لن تتعرض لأي خطر طالما أنك لا تصاب بالحساسية. لقد عشت في الأسفل أنا شخصياً ولم أتعرض لأي أذى حقيقي. لقد أكد لي جميع الأطباء الذين زرتهم أن حالة الربو التي أعاني منها لا علاقة لها مطلقاً بتلك العفونة».

كانت قد وضعت اللمسات الأخيرة وختمت جملتها بأن غرقت في نوبة من السعال الحاد اضطرتها لإحناء ظهرها. لمحت لوكاس عندئذٍ بطرف عينها يزداد احمراراً. كانت تعلم أن ادعاءاتها المبالغ بها قد تفضح عدم دقتها عند التحقق من وضع المنزل عن كثب. لكن إلى أن يحين ذلك الوقت ستعزي نفسها قليلاً بإغاظة لوكاس والتلاعب بأعصابه.

بدا الارتياح واضحاً على كييل عند خروجه إلى الهواء النقي بعد أن اطلع من إريكا المتحمسة على كافة معالم القبو الجيدة. ظل لوكاس ملتزماً الصمت واللامبالاة طوال الفترة المتبقية من الجولة على أرجاء المنزل. وقد تساءلت بشيء من الانزعاج ما إن بالغت كثيراً في تصرفاتها الطفولية المزعجة. كانت تعلم أن التقويم الحقيقي للمنزل سيظهر أن نقاط الضعف المزعومة في المنزل لا أساس لها من الصحة، لكنها تعمدت أن تجعل من لوكاس ماكسويل أضحوكة، مع

أنها كانت تدرك تماماً أنه لن يتساهل مع الأمر ولن يدعه يمر مرور الكرام. بشيء من الخوف، راقبت إريكا المخمن يبتعد بسيارته ملوحاً بسرور بعد أن وعدها بأن مخمناً عقارياً محلفاً سيتصل بها ويتفحص كل زاوية من المنزل بدءاً بالعلية وصولاً إلى القبو.

تبعها لوكاس إلى قاعة الاستقبال ولم تشعر بعد مرور لحظة إلا أنها مسمرة إلى الحائط ويد لوكاس محكمة بوحشية حول عنقها. لم يكن وجهه يبعد عن وجهها سوى بضع إنشات وقد جعلتها حدة الغضب التي رأتها تفهم للمرة الأولى لماذا يصعب على آنا إلى هذا الحد قطع علاقتها بلوكاس. ما رأته إريكا بأم عينها رجل لا يقف شيء في طريقه ولا يعيقه أي عائق مهما كان من الوصول إلى مبتغاه. تجمدت في مكانها وقد أعجزها الخوف عن القيام بأي حركة.

«إياك أن تفعلي ذلك مجدداً، أبداً، أتسمعين؟ لا أحد يسخر مني على هذا النحو من دون أن يتحمل العواقب، لذا احذري ما الذي تفعلينه!»

كانت الكلمات تنطلق من فمه بوحشية بالغة بحيث تغطى وجهها بلعابه. اضطرت لأن تقاوم رغبة في مسحه. وقفت بدلاً من ذلك مكانها كعامود من الملح تتضرع في أعماقها أن يخرج من منزلها ويرحل. وقد أصيبت بالدهشة حين فعل فأفلت عنقها فجأة واستدار على عقبيه متوجهاً نحو الباب الرئيس. ما إن كانت على وشك أن تطلق تنهيدة من أعماقها ارتياحاً حتى استدار نحوها مجدداً، ولم تلبث أن وجدته بخطوة واحدة يقف أمامها ثانية. قبل أن تتمكن إريكا من القيام بأي رد فعل كان قد شدها من شعرها وضغط فمه على فمها. أقحم لوكاس لسانه بين شفتيها وأحكم قبضته على نهدها بحيث شعرت أن القطعة الحديدية في حمالة صدرها قد انغرزت بجسدها. ابتسم لها والتفت نحو الباب واختفى تحت ظلال برد الشتاء. لم

تتجرأ إريكا على الحراك إلا بعد أن سمعت صوت هدير محرك سيارته يبتعد. سقطت في مكانها على الأرض ولا يزال ظهرها إلى الحائط وأخذت تمسح فمها بظاهر يدها تشعر بالقرف. بدا لها أن قبلته أكثر تهديداً من محاولته خنقها. أحست بأنها قد بدأت ترتعش، فضمت ساقيها بذراعيها وألقت رأسها على ركبتيها وأجهشت بالبكاء. لم تكن تبكي على حالها بل على حال آنا.

لم يكن صباح أيام الإثنين من كل أسبوع هانئاً في عالم باتريك، إذ إنه لا يتحول إلى كائن حقيقي قبل الحادية عشرة صباحاً. استيقظ مما يشبه حالة الذهول حين أصدرت كومة الأوراق الملقاة على طاولة مكتبه صوتاً هائلاً. كانت طريقة إيقاظه عنيفة وبضربة واحدة تضاعف كم الملفات المكدسة مما جعله يتأوه تذمراً.

افتر ثغر أنيكا جانسون عن ابتسامة ماكرة وقد سألته ببراءة: «ألم تقل إنك تريد الاطلاع على ما كتب حول عائلة لورنتز على مدى السنوات الماضية؟ ها إنها هنا تفضل. لقد قمت بعمل رائع في البحث عن كل كلمة كتبت عنهم يوماً، وما الذي حصلت عليه مقابل كل تلك الجهود؟ تأوه وتذمر، ليس إلا. لماذا لا تكافئني بأن تكون ممتناً لي طوال حياتك بدلاً من ذلك؟»

ابتسم باتريك قائلاً: «حتى امتناني الأبدي لن يكون كافياً أنيكا. لو لم تكوني متزوجة لتزوجت أنا بك وأغرقتك بالفرو والماس. لكن بما أنك كسرت قلبي وأصريت على الاحتفاظ بزوجك المعتوه ذاك، عليك أن تكتفي بكلمة شكراً ببساطة. . . وبامتناني الأبدي طبعاً».

من شدة غبطته لاحظ أنه جعلها تحمر خجلاً هذه المرة.

«حسناً، لقد تخطيت حدودك قليلاً. لماذا تريد أن تطلع على كل تلك الملفات؟ ما علاقة ذلك بالجريمة التي حصلت في فيالباكا؟»

«لا فكرة لدي عن ذلك صدقيني. لكن دعينا نسميه حدس امرأة».

رفعت أنيكا حاجبيها تعجباً وتأكدت أنها لن تحصل على مزيد من المعلومات منه في الوقت الراهن، لكنها كانت تشعر بالفضول يتآكلها. الجميع يعرف عائلة لورنتز حتى هنا في تانومشيد وإن كان هناك ما يربطهم بهذه الجريمة، فلا بد أنه نبأ مثير جداً للاهتمام والنشر. هذا أقل ما يمكن أن يقال.

رفع باتريك نظره بعد أن أقفلت الباب خلفها. إنها امرأة مجتهدة بالفعل. كان يأمل بصدق أن تحتمل البقاء تحت إمرة ملبرغ لأطول فترة ممكنة. ستكون خسارة المخفر كبيرة إذا ما قررت يوماً أنها اكتفت بما يحصل ورحلت. أجبر نفسه على التركيز على كومة الأوراق التي وضعتها أنيكا أمامه. بعد أن تصفحها سريعاً عرف أنه سيمضي بقية النهار في قراءتها كلها. استند في كرسيه إلى الوراء ورفع قدميه ووضعهما فوق المكتب وتناول الملف الأول.

كان بعد مرور ست ساعات يدلك رقبته المتشنجة وقد شعر بأن عينيه تحرقان وتدمعان. قام بقراءة المادة التي بين يديه وفقاً للترتيب الزمني فبدأ أولاً بكدسة الصحف الأكثر قدماً. كان ما قرأه مذهلاً، لقد كتب الكثير عن فابيان لورنتز والنجاحات التي حققها على مرور السنين. معظم ما كتب عنه كان إيجابياً وبدا أن الحياة قد ابتسمت لفابيان لوقت طويل. لقد أقلعت الشركة التي أسسها بسرعة مذهلة وتبين أن فابيان رجل أعمال يتمتع بموهبة كبيرة أو بالأحرى بذكاء حاد. تم نشر خبر زواجه من نيللي على صفحات الأخبار الاجتماعية مرفقاً بصور تظهر الثنائي الأنيق بثياب السهرة. ثم بدأت صور نيللي وابنها نيلز تظهر على تلك الصفحات. بدا أن نيللي لا تكل ولا تتعب من المساهمة في العديد من الأعمال الخيرية والمناسبات الإجتماعية،

حيث كان نيلز يظهر دوماً إلى جانبها، تبدو على وجهه غالباً علامات الرعب ويده تضمها يد أمه بأمان.

حتى حين بلغ سنوات المراهقة وكان ينبغي به أن يكون أكثر حذراً من أن يشاهد برفقة أمه علناً، كنت تراه إلى جانبها على الدوام وهي تتأبط ذراعه وملامح الاعتزاز تبدو على وجهه. خطر لباتريك أنه يبدو متملكاً لأقصى الحدود. بات فابيان أقل ظهوراً وما كان يتم ذكره إلا عند الحديث عن صفقة أعمال مهمة.

إحدى المقالات كانت تختلف عن سواها وقد لفتت انتباه باتريك. كانت مجلة *"Allers"* الأسبوعية قد نشرت مقالاً خاصاً وكاملاً عن نيللي في منتصف السبعينيات حين قامت بتبني رضيع، وهو صبي يأتي من خلفية اجتماعية مأساوية، وفقاً للوصف الذي أعطته المجلة. كانت نيللي تظهر في الصورة بكامل أناقتها وتبرجها تضع ذراعها حول صبي في الثانية عشرة من عمره داخل غرفة الجلوس. كانت ملامح وجهه تنم عن جرأة وتجهم في آنٍ معاً. بدا أن الولد على وشك إزاحة تلك الذراع النحيلة من العظام عن كتفيه حين التقطت لهما الصورة. أما نيلز الذي كان شاباً في منتصف العشرينيات في ذلك الوقت كان يقف بجانب أمه من غير تبسم كذلك. كانت ملامحه صارمة وأكثر جدية من قبل وكان يرتدي بدلة سوداء ويصفف شعره للوراء. بدا مندمجاً في جو العائلة الأنيق في حين بدا الصبي الأصغر سناً دخيلاً كإصبع متقرح.

كان المقال ينضح بالمديح حيال التضحية والمساهمة الكبرى في المجتمع التي كانت نيللي تقوم بهما من خلال احتضان هذا الولد وتبنيه. لقد تمت الإشارة إلى أن الولد قد عاش مأساة ما أثناء طفولته، وهي صدمة نقل عن لسان نيللي أنها ساعدته على تخطيها. كانت على ثقة أن البيئة الصحية والمحبة التي كانوا يمنحونها للولد ستجعله يتعافى

مما اختبره بسرعة وتؤهله لأن يكون شخصاً منتجاً في المجتمع. وجد باتريك نفسه يشعر بالأسى على الصبي، يا لشقائه.

بعد مرور عام واحد تقريباً، استبدلت الصور الاجتماعية البراقة والتقارير العائلية الدافئة بعناوين مطبوعة بأحرف سوداء كبيرة تقول: «وريث عائلة لورنتز مفقود». ظلت الصحف المحلية تطن بالخبر على مدى عدة أسابيع، وبدا الخبر مهماً لدرجة أن تقوم صحيفة غوتسبورغ بوستن نفسها بنشره على صفحاتها. العناوين المثيرة للانتباه أرفقت بعدد وافر من التكهنات المتعلقة بما يمكن أن يكون قد حصل للورنتز الشاب وتفشت التحليلات والاجتهادات التي تروح بين صحيحة ولا أساس لها من الصحة. وتمت إذاعة كافة الاحتمالات القابلة للتصديق وتلك التي لا يمكن تصديقها، فذكر أنه اختلس كامل ثروة أبيه وفرّ إلى جهة لا يمكن الإفصاح عنها وأنه يعيش حياة مترفة، أو أنه قد لجأ إلى الانتحار لأنه اكتشف أنه ليس فعلاً ابن فابيان لورنتز الذي أوضح صراحة أنه لن يدع لقيطاً يكون وريثاً لثروته الطائلة. لم يتم نشر مثل تلك الإشاعات بكثير من الكلمات، بل تم الاكتفاء بالتلميح إليها ضمنياً بشكل متحفظ عليه، إلا أن أي شخص يتمتع بأدنى حس من المنطق كان ليقرأ الخبر واضحاً بين السطور.

أخذ باتريك يفرك جبينه، إذ لم يستطع أن يفهم ولا بأي وسيلة كيف يمكن أن يربط بين حادثة اختفاء تمت منذ خمسة وعشرين عاماً وجريمة القتل التي يحقق فيها حالياً، لكن شعوراً قوياً كان ينتابه بوجود صلة ما بين الواقعتين.

فرك عينيه متعباً وتابع قراءة ما تبقى من كومة الأوراق التي شارفت على النهاية. بعد مرور بعض الوقت من دون ورود أي معلومات جديدة حول مصير نيلز، بدأ الرأي العام يفقد اهتمامه بالموضوع وبالكاد صار يتم التطرق إلى حادثة الاختفاء. حتى ظهور

نيللي على صفحات الأخبار الاجتماعية بات نادراً بعدئذٍ إذ لم يكتب عنها ولو مرة واحدة خلال التسعينيات. احتل خبر وفاة فابيان مساحة كبيرة على صفحة الوفيات في صحيفة بوهيسلانينغن، مع الوصف المعتاد على أنه كان أحد أعمدة المجتمع وأنجح رجال الأعمال. كانت تلك المرة الأخيرة التي يتم ذكره فيها.

إلا أن الأخبار التي تدور حول جان، الابن المتبنى كانت في ازدياد دائم. أصبح بعد اختفاء نيلز الوريث الوحيد لأعمال العائلة وقد قفز مباشرة إلى تولي منصب الرئيس والمدير التنفيذي للشركة ما إن بلغ عامه الواحد والعشرين. أخذت الشركة تزدهر أكثر فأكثر تحت قيادته وباتت صفحة الأخبار الاجتماعية تعرض أخبارهما هو وزوجته ليزا على نحو دائم.

توقف باتريك فجأة عن القراءة. طارت إحدى الأوراق على الأرض فانحنى والتقطها وأخذ يقرأها باهتمام شديد. كان المقال يعود إلى أكثر من عشرين عاماً. وقد وفر لباتريك قدراً هائلاً من المعلومات المثيرة للاهتمام حول جان وحياته قبل أن ينتهي به الأمر في أحضان عائلة لورنتز. كانت معلومات مربكة إنما مذهلة. لقد تغيرت حياته رأساً على عقب حين أصبح جزءاً من عائلة لورنتز. بقي السؤال الأهم ما إن كان جان نفسه قد تغير على هذا النحو الجذري.

أخذ باتريك ينقر الأوراق بحزم على الطاولة أمامه ليسوي أطرافها المتجعدة. كان يتساءل ما الذي عسى أن يفعله الآن. لم يكن يملك شيئاً حتى الآن سوى حدسه وحدس إريكا. أمال بكرسيه إلى الوراء ورفع قدميه فوق المكتب وشبك يديه وراء رأسه. أغلق عينيه وحاول أن يخلق نوعاً من النظام في أفكاره المشتتة، بحيث يتمكن من تقويم الخيارات واعتماد أحدها بدلاً الآخر، لكنه أخطأ على ما يبدو بإغماض عينيه، لأنه منذ تناوله العشاء ليلة السبت الفائت مع إريكا

وهو لا يستطيع أن يتخيل أحداً أو شيئاً سواها ولا يمكن أن تغمض عيناه على صورة غير صورتها.

أجبر نفسه على فتح عينيه مجدداً والتركيز على لون الحائط الأخضر الذي يبعث الكآبة. كان بناء المخفر يعود إلى أوائل السبعينيات وقد وضع تصميمه على الأرجح شخص متخصص بهندسة المؤسسات الحكومية، شخص يميل بطبيعته إلى الزوايا القائمة والطين والطلاء الأخضر المتسخ. لقد حاول إضفاء نوع من الحياة على المكتب بإحضاره بعض النباتات ووضعها على حافة النافذة وتعليق بعض اللوحات على الجدران. وكان يحتفظ بصورة لكارين على مكتبه حين كان لا يزال متزوجاً. على الرغم من نفض الغبار عن المكتب عدد من المرات منذ إزالة الصورة يظن أنه لا يزال يرى المكان الذي كانت توضع فيه تماماً. سارع إلى وضع حاملة الأقلام في تلك البقعة بعناد وعاد إلى تقويم خياراته. ما الذي ينبغي به فعله حيال المادة التي بين يديه؟

كان هناك فعلياً مسارين للتحرك. يكمن الأول في التحقق من هذا الدليل بنفسه مما يعني العمل عليه في أوقات فراغه. كان ملبرغ يحرص دوماً على أن يكلفه بمهمات وأعباء تكفي لأن تبقيه منشغلاً طوال النهار. لم يتعمد في الواقع قراءة المقالات أثناء الدوام إلا لرغبة منه بالتمرد والتسبب بالمشاكل. كان سيدفع ثمن ذلك السهر قسماً طويلاً من الليل لإنجاز ما هو مطلوب منه في الوقت المحدد. لم يكن متحمساً لفكرة أن يمضي ما تبقى له من وقت فراغ قليل للقيام بالأعمال التي أوكلها إليه ملبرغ، لذا سيحاول على الأقل تجربة الخيار الثاني.

إذا ما ذهب إلى ملبرغ وعرض عليه المسألة بشكل مباشر قد يحصل على الإذن بملاحقة تلك الخيوط خلال ساعات العمل. كان الغرور نقطة ضعف ملبرغ القاتلة، فإذا عرف كيف يلعب على هذا

الوتر بشكل صحيح قد ينجح في كسب موافقته. باتريك يعي تماماً أن المحقق ينظر إلى قضية ألكس ويكنر على أنها بطاقة العودة المضمونة إلى قوات شرطة غوتبرغ. بناءً على كل ما وصل إلى مسامعه من شائعات، كان باتريك يؤمن أن ملبرغ قد حطم جميع جسور العودة إلى ما كان عليه وفقد الأمل كلياً باستعادة مكانته، لكنه مع ذلك سيتمكن من استغلال غرور الرجل في محاولة لتحقيق مصلحته الخاصة. إذا استطاع المبالغة قليلاً بمدى ارتباط القضية بعائلة لورنتز، ملمحاً ربما إلى حصوله على إشارات تدل على أن جان قد يكون والد الطفل الذي تحمله ألكس، قد يدفع ملبرغ لمجاراته والموافقة على طرحه. قد لا يكون التصرف الذي سيقدم عليه أخلاقياً بالكامل لكنه كان يشعر في قرارة نفسه أن الرابط بين موت ألكس والعائلة المذكورة يمكن إيجاده في كومة الأوراق الموجودة أمامه.

بحركة خفيفة واحدة منه أنزل قدميه عن المكتب ودفع الكرسي إلى الوراء بقوة جعلتها تسير على عجلاتها إلى أن ارتطمت بالحائط. جمع باتريك كافة النسخ وذهب إلى الناحية الأخرى من الرواق الشبيه بغرفة محصنة تحت الأرض. قبل أن يتمكن من تغيير رأيه خبط باب مكتب ملبرغ بقوة وظن أنه سمعه يقول له: «تفضل بالدخول».

أصيب بالصدمة كما دائماً كيف يمكن لرجل لا يفعل شيئاً مطلقاً أن يكدس كومة هائلة من الأوراق فوق مكتبه. كانت كومات الأوراق تغطي كل بقعة من مكتبه. في كل مكان فوق النافذة، على الكراسي وعلى كل شبر من الطاولة كانت الأوراق مكدسة بغير ترتيب يتجمع عليها الغبار. كان رف الكتب الموجود خلف المحقق على وشك الانهيار لثقل حمولته من الملفات، وقد تساءل باتريك منذ متى لم تر تلك الأوراق الضوء. كان ملبرغ يتحدث على الهاتف عندما فتح الباب لكنه أشار إليه بالدخول. تعجب باتريك لما كان يحدث. كان ملبرغ

يشع كنجمة عيد الميلاد المعلقة على رأس شجرة من وراء النافذة. خطر لباتريك أنه لو لم تكن أذنيه تعترضان الطريق لكانت الابتسامة لفت رأسه كله.

كان حديث ملبرغ على الهاتف مقتضباً وتضمنت جمله ما يأتي:

«أجل.

أجل، بالطبع.

كلا، مطلقاً.

أجل، هذا واضح.

قمت باللازِم.

كلا ، بحق السماء.

أجل، أشكرك جزيلاً سيدتي وأعدك بأن ألاحق الموضوع شخصياً وأعاود الاتصال بك».

خبط سماعة الهاتف مزهواً بفرحة الانتصار محدثاً صوتاً مدوياً جعل باتريك يقفز من مكانه.

«هكذا تجري الأمور!»

ظل ملبرغ يشع فرحاً واغتباطاً، فخطر لباتريك أن تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها أسنان ملبرغ ظاهرة، وقد كانت ناصعة البياض ومنتظمة تماماً داخل فمه. كانت مثالية جداً.

رمقه ملبرغ نظرة توقع ففهم باتريك أنه يريد منه أن يسأله عما يحدث. وقد فعل كالولد المطيع إلا أنه لم يتوقع الإجابة التي حصل عليها، «لقد أمسكت به! أنا أمسكت بقاتل ألكس ويكنر!».

كان ملبرغ وكأنه خرج من جلده لشدة الحماسة فلم يلاحظ أن تصفيفة شعره قد تشعثت وانسدلت على أحد أذنيه. كانت تلك المرة الوحيدة التي يشعر فيها باتريك أنه يود لو يقلب على ظهره ويتقهقه من الضحك للمنظر الذي رآه. لقد تجاهل حقيقة لجوء المحقق إلى كلمة

أنا في معرض كلامه في إشارة واضحة إلى أنه لا يملك أي نية بتشاطر النصر الذي حققه مع أي من العاملين معه. عمد باتريك عندئذٍ إلى أن أمال بجسمه إلى الأمام وأسند مرفقيه إلى ركبتيه وسأله بحماسة: «ما الذي تعنيه بقولك إنك أمسكت بقاتل ألكس ويكنر؟ هل حصل أي تقدم مفاجىء في معرفتنا للأمور؟ مع من كنت تتحدث على الهاتف؟»

رفع ملبرغ يده ليوقف سيل الأسئلة المتدفقة عليه واستند في كرسيه إلى الوراء وشبك يديه فوق كرشه. كانت تلك لحظة تجرع كأس الانتصار حتى الثمالة والاستمتاع بها حتى آخر قطرة.

«حسناً، باتريك، حين تمضي في الخدمة الوقت الذي أمضيته أنا ستعرف أن التقدم المفاجىء في المعرفة أمر لا يأتي صدفة ولا يقدم إليك على طبق من فضة بل شيء تكتسبه بجهدك. نظراً إلى خبرتي الواسعة ومهاراتي الفائقة إضافة إلى جهدي في العمل تمكنت من إحراز تقدم في حل القضية. لقد اتصلت بي سيدة تدعى داغمار بيتران ونقلت إلي بعض الملاحظات المثيرة للاهتمام، وكانت قد لاحظت حدوث بعض الأمور المريبة قبل اكتشاف الجثة مباشرة. حتى أني أجرؤ على القول إنها ملاحظات بغاية الأهمية ستقودنا حتماً إلى وضع القاتل الخطير الذي نلاحقه خلف القضبان».

شعر باتريك بقلة صبره كإبر تخز أعماقه، لكنه كان عاقلاً بما يكفي ليدرك أن كل ما عليه فعله هو انتظار ملبرغ ليفرغ ما في جعبته. سيصل حتماً إلى صلب الموضوع، لكن باتريك كان يأمل أن يفعل قبل أن يقرر تقديم استقالته.

«أجل أتذكّر أننا تولينا قضية ما هنا في غوتبرغ، في خريف العام 1967...».

أطلق باتريك تنهيدة من الأعماق واستعد لفترة طويلة من الانتظار.

عثرت إريكا على دان، حيث كانت تتوقع تماماً. كان ينقل بعض القطع والمعدات الثقيلة على متن المركب بسهولة وكأنه لا يحمل سوى أكياس مليئة بالقطن. كانت هناك لفائف كبيرة من الحبال وعدة البحّارة ومصدات ضخمة. إريكا تستمتع برؤيته يعمل. كان يرتدي سترة من صناعة يدوية وقبعة وقفازات والبخار الأبيض يتصاعد من فمه مع كل نفس يأخذه ويزفره، بدا وجوده مكمّلاً تماماً للوحة خلفه. الشمس تتربع في قبة السماء وقد عكست صفحة الثلج أشعتها على ظهر المركب. الصمت المطبق يخيم على المكان. يعمل بفعالية من أجل هدف معين وقد لاحظت إريكا أنه يستمتع بكل لحظة تمر. هذا عالمه الحقيقي، المركب والبحر والجزر البعيدة. تعلم أنه يرسم في مخيلته صورة الجليد، وقد بدأ بالذوبان والمركب الذي سماه فيرونيكا يشق عباب الماء منطلقاً نحو الأفق البعيد بأقصى سرعته. لم يكن فصل الشتاء سوى فترة من الانتظار الطويل. ولطالما كان قاسياً على الذين يقطنون الساحل. في الأيام الخوالي، إذا كان فصل الصيف جيداً، يصطادون ما يكفي من أسماك الرنكة ويحفظونها بالملح فتشكل مؤونتهم وتكفيهم فصل الشتاء بطوله. وإن لم يكن كذلك كانوا يضطرون لإيجاد طريقة أخرى تؤمن قوتهم وتبقيهم على قيد الحياة. كما العديد من الصيادين الذين يعيشون على الساحل، لم يكن دان يستطيع العيش من صيد السمك وحسب، لذا كان يرتاد مدرسة ليلية، حيث يعمل الآن كأستاذ بديل لآخر سويدي في ثانوية تانومشيد بضعة أيام في الأسبوع. كانت إريكا تعتقد أنه أستاذ كفوء جداً لكن قلبه وعقله كانا هنا وليس داخل غرفة الصف.

كان مستغرقاً تماماً، مأخوذاً بعمله على متن المركب. أخذت تسير نحوه على رؤوس أصابعها بهدوء بغية مراقبته لبرهة من دون إزعاجه إلى أن لاحظ أنها تقف هناك على رصيف الميناء. لم تستطع

أن تمنع نفسها من مقارنته بباتريك. كان الرجلان يختلفان كلياً من حيث المظهر. كان شعر دان أشقر جداً بحيث كان يبدو تحت شمس الصيف الساطعة وكأنه أبيض اللون. أما شعر باتريك الغامق كان شبيهاً بلون عينيه. كان دان يتمتع بجسم رياضي مفتول العضلات في حين أن باتريك كان طويل القامة يميل إلى النحول، إلا أنهما كانا ليكونا أخوين من ناحية تقارب الشخصية. كان كلاهما هادىء الطباع، لطيفاً في التعامل مع الآخرين مع حس هادىء للفكاهة يظهر في الأوقات المناسبة تماماً. لم يسبق لها في الواقع أن لاحظت كم يتشابه الرجلان من حيث المزاج والطباع. وكان هذا يرضيها إلى حدٍّ ما. لم تشعر بأي سعادة في أي من العلاقات التي مرت في حياتها منذ انفصالها عن دان. طوال تلك السنوات وهي إما تبحث عن شريك أو ينتهي بها الأمر في إقامة علاقات مع رجال من نوع مختلف بالكامل. كانت كما تصفها آنا شخصاً غير ناضج في علاقاته. وغالباً ما كانت ماريان تقول لها: «أنت تحاولين تربية صبية بدلاً من أن تجدي لنفسك رجلاً ناضجاً. لذا لا عجب من ألا تنجح أي علاقة تقيمينها». لعلهما كانتا على حق. لكن السنوات كانت تمر سريعاً، وعليها أن تعترف أنها قد بدأت تشعر بقليل من الخوف. كما أن موت والديها كان بمثابة نداء مفترس يدعوها لتصحو من غفلتها وترى ما الذي يفوتها في الحياة. ثم أتت ليلة السبت الماضي وقادتها فجأة للتفكير بباتريك هيدشتروم.

قطع صوت دان حبل أفكارها حين قال: «حسناً مرحباً. منذ متى وأنت تقفين هنا؟»

«منذ فترة قصيرة وحسب. خطر لي أن رؤيتك منهمك في العمل أمر مثير للاهتمام».

«حقاً، إنها حتماً ليست الطريقة التي تعتاشين منها، فأنت

تحصلين على أجرك بمجرد أن تستلقي على ظهرك طوال النهار وتبتكرين أموراً في رأسك. يا للسخافة».

ابتسم كل منهما للآخر. إنه الموضوع القديم المألوف الذي يشكل محور خلافهما الدائم.

لوحت إريكا بسلة كانت تحملها بيد واحدة وقالت: «ها قد جلبت معي شيئاً لذيذاً يبعث الدفء».

«آه، حقاً، ولماذا هذه المعاملة المترفة؟ ما الذي تريدينه الآن؟ جسدي؟ أو روحي؟»

«كلا، شكراً يمكنك الاحتفاظ بكليهما. على الرغم من أنني أظن أن الخيار الأخير سيمثل الخلاص في حالتك».

أخذ دان السلة من يدها وساعدها لتجتاز رصيف الميناء ممسكاً بيدها بيد ثابتة قوية. كادت تقع على ظهرها إلا أن دان أنقذها بإحكام ذراعه حول وسطها. أزالا معاً الثلج من على سطح إحدى علب توضيب السمك وجلس كل منهما على قفازه بعد وضعه بحذر فوق العلبة وبدآ يفتحان السلة. ابتسم دان مغتبطاً حين فتح إبريق الشوكلاتة الساخنة الحافظ للحرارة ورأى سندويشات السالامي الملفوفة بترتيب بورق الألمنيوم.

قال لها بفم يمتلىء بقضمة كبيرة من سندويش السالامي: «أنت جوهرة نادرة».

جلسا صامتين لبرهة مكرسين إهتمامهما لالتهام الطعام فقط. كان الجلوس تحت شمس الصباح يبعث السكون في النفس وقد تخلصت إريكا من الشعور بالذنب حيال افتقادها حس التنظيم في حياتها المهنية. كانت قد عملت جاهدة طوال الأسبوع الماضي على إنجاز المسودة وتظن أنها تستحق بعض الراحة.

«هل سمعت شيئاً عن ألكس ويكنر مجدداً؟»

«كلا، يبدو أن الشرطة لا تحرز أي تقدم في التحقيقات التي تجريها».

«حسناً، وفقاً لما سمعته في أوساط البلدة، أنت قادرة على الوصول إلى معلومات من الداخل».

منحها دان ابتسامة تدل على غيظ. لم تكفّ إريكا يوماً تندهش لسرعة تفشي الأخبار والقيل والقال. لم تكن تملك أدنى فكرة كيف أن خبر لقائها بباتريك قد انتشر في كافة أنحاء البلدة.

«لا أملك أدنى فكرة عما تتكلم».

«صحيح؟ هيا أخبريني إذاً إلى أي حدٍّ تماديتما بعلاقتكما أنتما الاثنين؟ هل ذهبتما في جولة اختبارية بالسيارة أو ماذا؟»

ضربته إريكا على صدره لكنها لم تتمكن من أن تمنع نفسها من الضحك.

«كلا، لم أصطحبه في جولة اختبارية بالسيارة. لا أعرف حقاً ما إن كان الموضوع يثير اهتمامي أو لا، أو بالأحرى أنا مهتمة بالأمر لكنني لا أعلم ما إن كنت سأسمح لنفسي في أن أغوص في الموضوع أكثر من هذا الحدّ. لنفترض أنه يهتم لأمري فليس بيدي حيلة. قد لا يكون الأمر كذلك على الإطلاق بأي حال».

«أنت تلعبين دور الشخص الجبان بكلام آخر».

كانت إريكا تكره أن يكون دان محق دوماً في ما يقول. كانت تظن أحياناً أنه يعرفها جيداً.

«أجل أنت محق يجب أن أعترف أني أشعر بانعدام الأمان نوعاً ما».

«حسناً، أنتِ هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقرر ما إن كان سيستفيد من الفرصة المتاحة له أو لا. هل فكرت يوماً كيف يمكن أن يكون الأمر لو نجح كل شيء بينكما؟»

فكرت في الأمر قليلاً، لقد كانت تفكر بالأمر على كل حال طوال الأيام القليلة الماضية، لكن السؤال بحد ذاته كان فرضياً في هذه المرحلة. كل ما فعلاه في النهاية هو أن تناولا الطعام معاً. هذا كل شيء.

«حسناً أظن أنه يجب أن تمضي قدماً. خوضي المغامرة. ليس هناك من شيء تخسرينه...».

سرعان ما عمدت إريكا إلى تغيير الموضوع: «في ما يتعلق بألكس، يصدف أني وجدت أمراً غريباً».

كانت نبرة دان زاخرة بالفضول حين سألها: «آه، حقاً وما هو ذلك الأمر؟»

«حسناً، لقد كنت في منزلها منذ بضعة أيام وقد عثرت على ورقة مثيرة للاهتمام».

«أنت كنت ماذا، أين؟»

لم تشعر إريكا برغبة في الإجابة عن السؤال، فكان كل ما فعلته أن لوحت بيدها رداً على صدمته وتابعت: «إنه عبارة عن نسخة من مقال قديم حول حادثة اختفاء نيلز لورنتز. هل لديك أدنى فكرة لماذا يمكن لألكس أن تحتفظ بمقال يعود إلى أكثر من خمسة وعشرين عاماً مخبأ أسفل الدرج الذي تضع فيه ملابسها الداخلية؟»

«درج الملابس الداخلية! إريكا ماذا تقولين بحق السماء؟»

رفعت يدها في إشارة لإيقافه عن الكلام وتابعت تقول بهدوء: «ينبئني حدسي أن لذلك علاقة بالسبب الذي قتلت من أجله. لا أعلم كيف يمكن ذلك، لكني أشتم رائحة كريهة في الأمر. أضف إلى أن أحدهم قد دخل المنزل وفتشه بدقة بينما كنت هناك. لعل ذاك الشخص كان يبحث عن المقال كذلك».

حدق دان فيها وشهق: «هل أنت مجنونة؟» ثم غدت نبرة صوته

أعلى على نحو مصطنع حين قال: «ما شأنك أنت بكل هذا بحق السماء؟ إنه من واجب الشرطة أن تحقق وتكشف من هو قاتل ألكس».

«أجل، أعلم ذلك، ليس عليك أن تصرخ بوجهي، أستطيع سماعك فلست صماء. أعي تماماً أن هذا ليس من شأني، لكن سبق أن تورطت مع أهلها، ثم إننا كنا مقربتين جداً في يوم من الأيام، وثالثاً، أنا أجد صعوبة في نسيان المسألة برمتها بما أنني كنت من وجدها مقتولة».

تعمدت إريكا أن تغفل إخباره بشأن الكتاب الذي تؤلفه. كانت كلما ذكرت الموضوع بصوت عالٍ تبدو لها الفكرة وقحة وشريرة. كما كانت تظن أن دان يبالغ بردود أفعاله. لطالما كان هكذا يبالغ في الاهتمام بها وبأمورها. كان حري بها أن تعترف بأن ذهابها إلى منزل ألكس والتفتيش فيه لم يكن عملاً ذكياً جداً نظراً إلى الظروف القائمة.

وضع يديه على كتفيها وأجبرها على النظر إليه وقال لها: «عديني أنك ستتخلين عن كل هذا، إريكا». كانت النظرة التي رأتها في عينيه تدل على قسوة وتصلب وهو أمر غير اعتيادي بالنسبة إلى دان.

«لا أريد أن يصيبك أي مكروه وإذا استمريت في حشر أنفك في المسألة أخشى أن تنقلب الأمور على رأسك. دعي المسألة جانباً».

اشتدت قبضة دان على كتفي إريكا بينما يحدق في عينيها. أصيبت إريكا بالخيبة لكلامه وفتحت فمها لتجيب، لكن قبل أن تتمكن من التفوه بكلمة واحدة سمعت صوت بيرنيللا آتياً من جهة رصيف الميناء.

«هكذا إذاً، أنتما الاثنين تمضيان أوقاتاً حميمة سوياً على ما أرى».

كانت نبرة صوتها تحمل برودة لم تسمعها إريكا من قبل. كانت

عيناها تحدقان شراً ولم تكف تفتح قبضتها وتغلقها. تجمد كلاهما وتسمر في مكانه لسماعه صوت بيرنيللا، وكانت يدا دان لا تزالان على كتفي إريكا، لكنه نزعهما بسرعة البرق وكأنهما لذعاه واتخذ فوراً وضعية الاستعداد.

«مرحباً حبيبتي. هل انتهيت باكراً اليوم من العمل؟ لقد أتت إريكا للتو وجلبت معها الغداء وأرادت أن نتحدث قليلاً».

أخذ دان يهذي كلاماً غير مفهوم فيما إريكا تنقّل ناظريها بينه وبين بيرنيللا بتعجب. بالكاد كانت تعرف الشخص الذي يقف أمامها. كانت بيرنيللا ترمقها نظرة كراهية عميقة وتغلق قبضة يدها بقوة، بحيث ابيضت مفاصل أصابعها. تساءلت إريكا للحظة ما إن كانت ستنقض عليها. لم تكن تعرف ما الذي يجري بالضبط، لقد مرت سنوات عديدة منذ أن أوضحت علاقتها بدان. كانت بيرنيللا تعرف أنهما لا يكنان أي مشاعر لبعضهما بعضاً، أو هذا ما كانت تظنه إريكا على الأقل، فهي لم تعد واثقة من ذلك الآن. السؤال الأهم هنا هو ما الذي دفع بيرنيللا إلى التعبير عن رد فعلها هذا؟

كانت لا تزال تنقل ناظريها بين كل من دان وبيرنيللا. لاحظت أن هناك صراع على احتلال موقع القوة وبدا لها أن دان يخسر المعركة. لم يكن لديها ما تقوله حيال هذا الموقف فقررت أنه من الأفضل أن تنسحب بهدوء وتدعهما يحلان المشكلة لوحدهما.

وضبت على عجل إبريق الشوكلاتة والفنجانين ووضعتها في السلة. كانت في طريقها على رصيف الميناء حين سمعت صوتَي دان وبيرنيللا الغاضبين يخترقان صمت المكان.

الفصل الرابع

كان يشعر بوحدة تعجز الكلمات عن وصفها. كان العالم خالياً وبارداً من دونها وما كان يستطيع شيئاً يحيل به البرودة دفئاً. كان الألم ليكون أقل حدة حين يتقاسمه معها. وقد بات بعد رحيلها وكأنه مجبر على احتمال الألمين معا وًهو شعور يتخطى كثيراً ما ظن أنه قادر على احتماله. كان يجرّ نفسه بتثاقل على مرّ الأيام والدقائق والثواني. لم يكن للحقيقة من وجود خارج إطار كيانه، وكان رحيلها الأبدي كل ما يدركه.

كان يمكن تقسيم الشعور بالذنب أجزاءً متساوية وتوزيعه على المذنبين. لم يكن ينوي أن يحمله لوحده. لم يكن ينوي ذلك مطلقاً.

نظر إلى يديه. لكم يكره هاتين اليدين اللتين حملتا الجمال والموت في آن معاً. إنها الثنائية التي لا تحمل المقارنة وقد تعلم أن يتعايش معها. لم تكن يداه جميلتين إلا حين تلمسانها. كان الشعور ببشرته على بشرتها يطرد جميع الشرور بعيداً ويجبرها على الرحيل لبرهة. كانا يغذيان في الوقت ذاته أمنيات أحدهما الآخر المخفية. الحب والموت، الكراهية والحياة؛ أضداد حولتهما إلى فراشتين تطيران في حلقات تقترب أكثر فأكثر من لهب النار. كانت هي من احترقت أولاً.

كان يشعر بحرارة تلك النيران على رقبته. لقد بات الموت وشيكاً الآن.

كان تشعر بالتعب وقد أرهقها تنظيف قذارة الآخرين وأنهكها وجودها الذي يخلو من المعنى والفرح. كانت الأيام تسير تلو الأيام لا فرق بينها بالنسبة إليها. كانت متعبة تنوء تحت عبء الشعور بالذنب الذي يغرقها يوماً بعد يوم. كانت متعبة من الاستيقاظ كل صباح والذهاب إلى النوم كل مساء وهي تتساءل عن حال أندرز.

وضعت فيرا إبريق القهوة على النار ليغلي. كانت دقات الساعة على الحائط الصوت الوحيد الذي يمكن سماعه في ظل الصمت الثقيل. جلست إلى طاولة المطبخ تنتظر أن تجهز قهوتها.

لقد أمضت النهار بطوله في تنظيف منزل عائلة لورنتز. كان المنزل كبيراً جداً بحيث استنزف كل ساعات النهار. كانت تفتقد أحياناً الأيام الخوالي وتحن إليها. كانت تفتقد الشعور بالأمان لذهابها إلى العمل في مكان واحد ولحالتها عموماً حين كانت مدبرة منزل أكثر عائلات شمال بوهوسلان ثراءً، لكنها لم تكن تشعر بذلك دوماً، وغالباً ما تكون مسرورة لعدم اضطرارها إلى الذهاب إلى هناك كل يوم، وعدم الحاجة لأن تنحني أمام نيللي لورنتز وتقدم لها فروض الطاعة. إنها المرأة التي تمقتها فيرا بما يتخطى الحدود والمنطق والتي ظلت تعمل مع ذلك لديها عاماً تلو الآخر إلى أن تخطاها أخيراً الزمن الذي بات يعتبر مدبرات المنزل موضة قديمة. أمضت ما يزيد عن

ثلاثين عاماً وهي تهمس: «أجل، شكراً لك سيدة لورنتز؛ بالطبع سيدة لورنتز؛ في الحال سيدة لورنتز». فيما تكبت رغبة عارمة بوضع يديها القويتين حول عنق نيللي النحيل واعتصاره إلى أن تلفظ المرأة أنفاسها الأخيرة، كانت الرغبة تجتاحها في بعض الأحيان فتجبرها على إخفاء يديها تحت المئزر بغية ألا تلاحظ سيدتها مدى ارتعاشهما.

أصدر الإبريق صفارة مشيراً إلى أن القهوة قد أصبحت جاهزة. نهضت فيرا من مكانها بصعوبة وبذلت جهداً في أن تقوّم انحناء ظهرها وأحضرت فنجاناً عتيقاً متشققاً وسكبت قهوتها. كان ذاك الفنجان آخر أثر متبقٍّ من الطقم الذي تلقته في زفافها وقد قدمه إليها والدي آرفيد هدية يوم زواجهما. كان مصنوعاً من البورسلين الدنماركي الممتاز. كانت له خلفية بيضاء رسمت عليها الأزهار زرقاء اللون، وهي بالكاد فقدت لماعيتها على مر السنين. كان هذا الفنجان آخر قطعة متبقية منه. حين كان آرفيد على قيد الحياة كانا يستعملان صحون البورسلين الفاخرة، لكن بعد مماته لم يعد يبدو لها الفرق بين الأيام العادية والمناسبات الخاصة أمراً مهماً. كانت السنوات قد تركت بصماتها في إتلاف وكسر العدة لكثرة استعمالها، وقد عمل أندرز على القضاء على ما تبقى منها في غمرة هذيان عارمة منذ ما يزيد عن عشر سنوات. كان هذا الفنجان آخر مقتنياتها القيّمة.

أخذت ترتشف القهوة بمتعة متناهية ولما لم يتبق سوى بضع قطرات سكبتها في صحن الفنجان وشربتها مع قطعة من السكر وضعتها بين أسنانها لتتخلص من آثار البقع الداكنة. كانت قدماها منهكتين ومتقرحتين بعد يوم طويل من التنظيف فرفعتهما على الكرسي المقابل لتشعر ببعض الراحة.

كان منزلها صغيراً ومتواضعاً، وقد عاشت فيه أكثر من أربعين عاماً، وكانت تنوي المكوث فيه حتى يوم وفاتها. لم يكن المنزل

عملياً جداً في الواقع، إذ كان يقع أعلى تلة شديدة الانحدار، وغالباً ما كانت تضطر في طريق العودة إليه إلى التوقف عن السير عدداً من المرات والتقاط أنفاسها. وقد كان أكثر سوءاً من حيث المظهر إذ بدا مهترئاً وشبه منهار من الداخل والخارج. لم يكن موقعه بهذا السوء بالنسبة إلى بعضهم، مع ذلك كان بإمكانها أن تجني مبلغاً محترماً من المال إذا باعته وقامت بشراء شقة بدلاً منه لكن الفكرة لم تجذبها يوماً أو تقنعها. كانت تفضل أن يتعفن وينهار من حولها على أن تبيعه وتنتقل إلى مكان آخر.

إنه المنزل الذي عاشت فيه مع آرفيد، في النهاية، سنوات زواجهما السعيد المعدودة. على ذاك السرير في غرفة النوم نامت للمرة الأولى خارج منزل والديها، حيث أمضت ليلة زفافها. وعلى فراش ذاك السرير بالذات حبلت بأندرز. وحين كان بطنها الكبير يسير أمامها ولم تستطع النوم على أي جهة سوى جانبها كان آرفيد يستلقي خلفها ويداعب بطنها ويهمس في أذنها كيف ستكون حياتهم في المستقبل ويحدثها عن الأولاد الذين سيولدون ويعيشون تحت سقف هذا المنزل. كان يخبرها عن أصوات الضحك التي ستملأ منزلهما في السنوات المقبلة، ويقول لها إنه عندما يكبر الأولاد ويغادرون المنزل ليعيشوا حياتهم هما سيكبران سوياً ويجلسان في كرسيين هزازين أمام الموقد ويتحدثان عن الحياة الرائعة التي أمضياها معاً. كانا في العشرينيات من عمرهما في حينها، مجرد شابين لم يخطر ببال أحدهما ما الذي ينتظره خلف الأفق أو ما سيخبأ له القدر.

وعلى طاولة المطبخ هذه بالذات كانت تجلس حين تلقت الخبر. طرق الشرطي بول الباب الأمامي يحمل قبعته بيده وقد عرفت ما الذي ينتظرها ما إن رأته. رفعت إصبعها ووضعته على شفتيها تبلغه فيها عدم الكلام وأشارت إليه بالدخول إلى المطبخ. أخذت تتهادى خلفه

وقد أثقلتها أشهر الحمل التسع وشرعت تعد القهوة بتأن وبشكل منهجي. جلست إلى الطاولة تحدق بالرجل الجالس قبالتها ينتظران أن تجهز قهوتهما بصمت. أما هو فلم يجرؤ على النظر إليها فأخذ يتأمل الجدران المحيطة بهما ويشد ياقة قميصه بتوتر. لم تشر إلى الشرطي بأن يبدأ كلامه إلا بعد أن وضعت فنجاناً من القهوة الساخنة على الطاولة أمام كل منهما. لم تكن هي حتى ذلك الوقت قد تفوهت بكلمة واحدة، بل كانت تصغي لصوت طنين في رأسها لا ينفك يرتفع. رأت شفتي الشرطي تتحركان، لكن لم تخترق كلمة واحدة مما كان يقوله رنين النغمات المتنافرة التي كانت تملأ رأسها. لم تكن بحاجة لأن تسمع شيئاً أصلاً. كانت تعلم أن آرفيد بات الآن في قعر البحر يتمايل مع أعشاب الماء. ما من كلام في العالم سيغير ذلك الواقع. ما من كلام سيتمكن من أن يبعد الغيوم السوداء التي أخذت تتلبد في السماء إلى أن حولت الصفحة في الأعلى رمادية بالكامل.

أطلقت فيرا تنهيدة من الأعماق على طاولة المطبخ ذاتها بعد مرور عدد من السنوات. آخرون ممن فقدوا أحباء لهم قالوا إن صورتهم تخبو مع السنين. بالنسبة إليها كان الأمر معاكساً تماماً. كانت صورة آرفيد تغدو أكثر وضوحاً مع الأيام حتى أنها كانت تراها أحياناً بغاية الوضوح أمامها وتشعر بالألم وكأنه طوق حديدي يشتد حول عنقه ويعتصر قلبها. كان شبه أندرز الصارخ لأبيه نعمة ونقمة في آن معاً. وهي تعلم أنه لو بقي آرفيد على قيد الحياة لما حصل أي سوء. منه تستمد قوتها، لو كان لا يزال بجانبها كانت لتكون قوية كما يجب.

أجفلت فيرا لصوت رنين الهاتف. كانت مستغرقة جداً في ذكرياتها القديمة ولم تكن تحب أن يقاطعها الرنين ويزعجها. كان عليها أن ترفع قدميها عن الكرسي قبالتها، حيث أراحتهما وتمشي بعجز نحو الهاتف الذي كان في غرفة الاستقبال.

«هذا أنا، ماما».

كان أندرز يتلعثم ويبتلع نصف الكلام، وقد أعلمتها سنوات الخبرة عن مرحلة الانتشاء التي وصل إليها بالضبط، إنها تلك التي تسبق فقدان الوعي بحوالي نصف المسافة. أطلقت تنهيدة وقالت:

«مرحباً أندرز، كيف حالك؟»

تجاهل سؤالها، لا يمكن تعداد الأحاديث المشابهة التي أجرتها.

كان بإمكان فيرا أن ترى انعكاسها في المرآة التي في قاعة الجلوس من حيث تقف وتضع السماعة على أذنها. كانت المرآة قديمة ومهترئة مع بقع سوداء على الزجاج، وأخذت تفكر في مدى تشابههما. كان شعرها أشعث رمادي اللون تتخلله بعض الخصل التي لا تزال تعكس لونه الأصلي الغامق. كانت تسرح شعرها دوماً إلى الوراء وتعقصه عند أعلى رأسها وتقصه بنفسها بواسطة مقص صغير أمام مرآة الحمام. ما من معنى لتبذير المال والذهاب إلى صالون تجميل. كان وجهها مليئاً بتجاعيد حفرتها سنوات من القلق اللامتناهي، أما ثيابها فكانت تتماشى تماماً مع مظهرها العام، إذ عادة ما كانت ترتدي ملابس لا لون لها، لكنها عملية وكانت تركز في معظم الأحيان على اللونين الزيتي والرمادي. سنوات العمل الشاق وقلة الشراهة على الطعام جنباها السمنة التي تتصف بها كثيرات من نساء جيلها. كانت على العكس من ذلك تبدو نحيلة وقوية كالحصان.

أدركت فجأة معنى الكلام الذي كان يقوله أندرز على الطرف الآخر من الخط فأبعدت ناظريها عن المرآة تشعر بالصدمة.

«أمي، سيارات الشرطة تنتشر في الخارج. إنها دورية كبيرة بحق السماء. لا بد أنهم يلاحقونني أنا. لا بدّ من ذلك. ماذا علي أن أفعل بحق السماء؟»

سمعت فيرا الخوف في صوته يزداد حدة، ونغمة الرعب تتصاعد

مع كل مقطع يتلفظ به. سرت موجة من الصقيع في عروقها. ولمحت في المرآة أنها تحمل سماعة الهاتف بيد غادرتها الدماء فغدت بيضاء تماماً.

«لا تفعل شيئاً أندرز. انتظرني فقط، أنا قادمة».

«حسناً، لكن أسرعي بالله عليك. ليست هذه طريقةِ الشرطة في الوصول عادة أمي، إذ إنهم غالباً ما يأتون بسيارة واحدة. أما الآن فهناك ثلاث سيارات في الخارج وقد أضاءت شاراتها الزرقاء وأطلقت صفارات الإنذار. اللعنة...».

«أندرز، اسمع جيداً ما سأقول. خذ نفساً عميقاً الآن وهدىء من روعك. سأقفل الخط الآن وسآتي إليك بأسرع ما يمكن».

أمكنها أن تتأكد من أنها نجحت في أن تهدىء قليلاً من روعه، لكن ما إن وضعت سماعة الهاتف حتى رمت المعطف عليها وهرعت نحو الباب من دون أن تعبأ بإقفاله خلفها.

اجتازت بسرعة موقف السيارات خلفِ الساحة التي كانت مكاناً لانتظار سيارات الأجرة واختارت الطريق المختصر خلف مستودع تحميل البضائع لمتجر إيفا للمنتجات الغذائية. اضطرت لأن تمشي بوتيرة أكثر بطئاً بعد ذلك واستغرقت ما يقارب عشر دقائق للوصول إلى المبنى، حيث الشقة التي يعيش فيها أندرز.

وصلت في الوقت المناسب لترى رجلي شرطة ضخمي البنية، قويين قد كبلا يديه بالأصفاد واقتاداه بعيداً. أحست بصرخة تخترق صدرها لكنها سارعت إلى خنقها حين لاحظت أن كافة الجيران قد أصبحوا خارج الشبابيك وأخذوا يصبون أنظارهم عليها كصقور جارحة. لم تكن لتسمح مطلقاً أن تقدم لهم عرضاً مجانياً إضافياً، يكفي ما شاهدوه حتى الآن. ما عادت تملك الآن سوى كرامتها. كانت فيرا تكره الإشاعات التي تعلم يقيناً أنها تلتصق بها وبأندرز

كالعلكة. كان هناك دوماً الكثير من الهمس الذي يدور سراً في الزوايا، إشاعات ستعود لتنطلق مجدداً بسرعة البرق وتنتشر في كل مكان. كانت تعلم ما الذي سيقولونه عنها: «مسكينة هي فيرا، أولاً يغرق زوجها، ثم يدمر ابنها حياته بالإسراف في تناول الخمر. إنها شخص اتكالي جداً». أجل، كانت تعلم بالضبط أن هذا ما سيقولونه. لكنها تعرف أيضاً أنها ستفعل ما بوسعها للحد من الأضرار. لا يمكنها أن تنهار الآن، لأن كل شيء عندئذٍ سينهار كبناء من أوراق اللعب. التفتت فيرا إلى أقرب شرطي منها وهي امرأة شقراء لا يليق زي رجال الشرطة الذي يوحي بالعنف بامرأة مثلها حسب رأيها. لم تكن قد تعوَّدت على التدبير الجديد المعتمد بتوظيف النساء أو على الفكرة التي تقول إنه يمكن قيامهن بأي وظيفة يرغبن بها.

«أنا والدة أندرز نلسون. ما الذي يحصل هنا؟ إلى أين تقتادونه؟»

«لا يسعني تزويدك بأي معلومات لسوء الحظ. عليك التحقق من الأمر مع مخفر الشرطة في تانومشيد. سنأخذه إلى هناك، إنه قيد الاعتقال».

شعرت بقلبها يعتصر ألماً مع كل كلمة تسمعها. فهمت أن الأمر لا يتعلق هذه المرة بعراك سببه الثمالة. أخذت سيارات الشرطة تقلع الواحدة بعد الأخرى وتبتعد. رأت أندرز في السيارة الأخيرة جالساً بين رجلي شرطة وقد التفت نحوها وأخذ يحدق فيها إلى أن غابت عن ناظريه.

رأى باتريك السيارة التي تقل أندرز نلسون متجهة نحو تانومشيد. كان يظن أن الوجود الكثيف للشرطة أمر مبالغ به قليلاً. لكن ملبرغ أبى إلا أن يقيم عرضاً. تم استدعاء المزيد من قوات الشرطة في أودفيللا لتقديم المساعدة في عملية إلقاء القبض. النتيجة الوحيدة التي

نجمت عن ذلك برأي باتريك كانت أن أربعة من الرجال الستة الموجودين في المكان أضاعوا وقتهم سدى بالحضور.

كانت هناك امرأة تقف في مرآب السيارات تراقب وحيدة رحيل سيارات الشرطة.

«أنت والدة القاتل إذاً؟» قالت لينا والتن رئيسة شرطة أودفيللا التي بقيت كذلك في المكان لمساعدة باتريك على تفتيش شقة أندرز نلسون.

«تعلمين تماماً يا لينا أنه لا ينعت بالقاتل قبل أن يتبين أنه مذنب فعلاً وتثبت إدانته. سيبقى إلى ذلك الحين يعتبر بريئاً تماماً مثلنا أنا وأنت».

«أشك بذلك إلى حدٍّ بعيد. إني أراهن براتب عام كامل على أنه هو المذنب».

«لو كنت واثقة فعلاً إلى ذاك الحدّ بأنه المذنب الحقيقي بارتكاب الجريمة لكنت راهنت على مبلغ أكبر بكثير من قيمة الراتب الزهيد الذي تتقاضينه».

«هاها، يا لها من نكتة مضحكة، لقد أضحكتني فعلاً. إن اللجوء إلى السخرية حول الأجور والرواتب مع شرطي آخر أشبه باصطحاب شخص مصاب بالشلل في نزهة بحق السماء».

كان باتريك مضطراً لأن يتفق معها ويعترف بأنها على حق في ما تقول: «كلا، حقاً. قد لا يكون هناك الكثير لنتوقعه من هذا الرجل. هل لنا أن نصعد إلى شقته الآن؟»

لمح والدة أندرز لا تزال مسمرة هناك في مكانها تحدق في أثر دورية الشرطة مع أن السيارات قد اختفت عن الأنظار منذ زمن بعيد. انتابه شعور حقيقي بالأسف حيالها وفكر للحظة أن يقترب منها ويتوجه إليها ببعض كلام المواساة للتخفيف عنها، إلا أن لينا أخذت

تشده من كمّ قميصه وتشير إليه لمرافقتها نحو مدخل المبنى والصعود إلى شقة الرجل. أطلق تنهيدة عميقة وهز كتفيه بلامبالاة ولحق بها إلى الداخل بخطىً سريعة ليقوم بالمهمة الموكلة إليه بتفتيش المنزل.

قاما بمحاولة فتح باب شقة أندرز نلسون لكنهما وجدا أنه لم يكن مقفلاً وأن بإمكانهما الدخول مباشرة إلى غرفة الاستقبال. أخذ باتريك ينظر من حوله وعاد يطلق تنهيدة أخرى في غضون أقل من دقيقة. كانت الشقة بحالة مزرية، مثيرة للشفقة، وتساءل كيف عساه يجد أي غرض ذي قيمة وسط هذه الفوضى العارمة التي تعم المكان. كانا يدوسان على قوارير فارغة منتشرة في جميع أرجاء ردهة الاستقبال قبل أن يذهبا لاستطلاع أحوال المطبخ وغرفة الجلوس.

أخذت لينا تهز رأسها بقرف وقالت: «اللعنة على هذا المكان».

تناول كل منهما قفازين مطاطين من جيبه ولبسه في يده. وقد اتفقا من دون كلام أن يبدأ باتريك بتفتيش غرفة الجلوس في حين تذهب لينا لاستكشاف الأمور في المطبخ.

يثير الوجود في غرفة الجلوس لشقة أندرز الشعور بنوع من الانفصام في الشخصية. كانت غرفة قذرة مليئة بالنفايات تكاد تغيب عنها الأغراض الشخصية وقطع الأثاث كلياً. كانت تبدو أشبه بغرفة سكير كلاسيكية الطابع تعرضت لحادث انهيار مفاجىء. كان باتريك قد عاين الكثير من الأماكن المشابهة أثناء سنوات عمله الطويلة في قطاع الشرطة. لكن لم يسبق له طوال مدة خدمته أن دخل شقة مدمن على الكحول تعج جدرانها باللوحات الفنية. كانت الرسومات قريبة جداً الواحدة من الأخرى، بحيث كانت تملأ كل فسحة من الجدران كافة على ارتفاع ثلاثة أقدام من أرض الشقة وحتى السقف. كان المنظر أشبه بانفجار من الألوان جعل عيني باتريك تحرقان وتدفعانه ليكبت دافعاً خفياً بوضع يديه فوقهما لحمايتهما من قوة تأثير المشهد.

كانت اللوحات تجسد أفكاراً مجردة مرسومة بألوان دافئة أصابت باتريك بصدمة هائلة وكأن أحدهم وجه لكمة إلى معدته. كان الشعور مادياً جداً أصابه في الصميم ووجد نفسه يكافح ليظل واقفاً على رجليه. اضطر أن يجبر نفسه على الإشاحة بنظره بعيداً عن اللوحات التي بدت تقفز عن الحائط وتصطدم به.

أخذ يفتش بين أغراض أندرز بحذر. لم يكن هناك الكثير من الأمور التي تسترعي الانتباه. وقد شعر باتريك للحظة بامتنان كبير للحياة المترفة التي يعيشها مقارنة بما يراه أمامه. وبدت جميع مشاكله فجأة تافهة وبسيطة. أذهلته إرادة الإنسان وعزمه القوي على البقاء على قيد الحياة، على الرغم من غياب أي معنى أو قيمة للحياة التي يعيشها ويختار مع ذلك المضي قدماً يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة. هل بقي من سبب واحد يدعو لأي نوع من البهجة في حياة مثل حياة أندرز نلسون؟ هل سبق للرجل أن اختبر يوماً المشاعر التي تجعل الحياة تستحق أن يحياها، هل سبق أن شعر بالفرح أو المتعة أو الابتهاج لأي شيء كان؟ هل عاش يتوقع حدوث أمر ما يبعث السعادة إلى قلبه؟ أم أن كل شيء كان مجرد محطة أخرى على الطريق بانتظار جرعة الخمر التالية؟

لم يترك باتريك شيئاً في غرفة الجلوس لم يخضعه لتفتيش دقيق. أخذ يتحسس الفراش ليرى ما إن كان يخبىء شيئاً بداخله، وفتح كافة أدراج الخزانة الوحيدة الموجودة في المكان وفتش تحتها. عمد إلى رفع اللوحات واحدة تلو الأخرى عن الحائط والتحقق من وجود شيء خلفها. لم يعثر على شيء بالمرة. ولم يثر شيء أدنى اهتمامه. ذهب إلى المطبخ ليرى ما إن كانت لينا أكثر حظاً منه.

«يا له من خنزير متعفن. كيف يمكن لامرىء أن يعيش على هذا النحو؟»

بملامح يملأها القرف أخذت لينا تفتش محتويات سلة القمامة التي أفرغتها على صحيفة.

سألها باتريك: «هل وجدت ما يدعو للاهتمام؟»

«إلى حدٍّ ما. لقد عثرت على بعض الإيصالات بين النفايات. أما قائمة الاتصالات المفصلة في فاتورة الهاتف فيجب التحقق منها عن كثب. كل ما عدا ذلك يبدو نفايات لا معنى لها».

سحبت القفازات المطاطية من يدها بقوة ضربة واحدة وسألته: «ما رأيك بما حدث؟ هل نستطيع أن نسميه يوماً مثمراً؟»

نظر باتريك إلى ساعة الحائط فأدرك أن ساعتين من الوقت قد مضتا على وجودهما هنا وأن الظلام قد حل في الخارج.

«أجل، يبدو أنه لا يسعنا فعل المزيد لهذا اليوم. كيف ستذهبين إلى منزلك؟ هل تودين أن أقلك؟»

«لقد أتيت بسيارتي، لذا لا بأس. شكراً بأي حال».

غادرا الشقة ينتابهما شعور بالارتياح وقد حرصا على ألا يتركا الباب من دون إقفال كما وجداه لدى وصولهما.

كانت أنوار الشارع قد أضيئت حين خرجا إلى موقف السيارات. كما كانت الثلوج قد بدأت تتساقط بهدوء بينما كانا في الداخل فوجب على كل منهما إزالة طبقة منها عن زجاج سيارته الأمامي. بينما كان باتريك يبتعد بسيارته متوجهاً نحو محطة الوقود Okay Q8 شعر بشيء ما يطفو إلى سطح تفكيره، كان يضايقه طوال النهار ويؤرقه. في خضم الهدوء الذي كان يخيم داخل السيارة ووحدته مع أفكاره كان عليه أن يقر بأن هناك خطب ما حيال اعتقال أندرز نلسون، هناك قطبة مخفية لم تبد له صحيحة. لم يكن واثقاً أن ملبرغ قد وجه الأسئلة المناسبة لدى استجوابه الشاهد الذي بناءً على شهادته تم إحضار أندرز

إلى المخفر. كان باتريك قد اتخذ قراره بينما يقود على التقاطع المؤدي إلى محطة الوقود. أدار المحرك بقوة وانعطف متجهاً إلى وسط فيالباكا بدلاً من الذهاب إلى تانومشيد. كان يأمل أن تكون داغمار بيتران في المنزل.

وجدت إريكا نفسها تفكر بيدي باتريك. عادة ما كانت تنظر أولاً إلى يدي الرجل ومعصميه. كانت تظن أنه يمكن لليدين أن تكونا مثيرتين بما لا يصدق. يجب ألا تكونان صغيرتين لكن ينبغي ألا تكونا كبيرتين كذلك بحجم غطاء كرسي المرحاض. يفترض بأن يكون شكلهما مناسباً ومتناسقاً، وأن تبدوان قويتين خاليتين من الشعر ناعمتي الملمس مفعمتين بالحيوية. كانت يدا باتريك تطابقان الوصف تماماً.

انتزعت نفسها من أحلامها الوردية. أقل ما يقال إنها كانت مجرد أحلام عقيمة، لم يكن يجدي نفعاً أن تسترسل في عواطفها إلى هذا الحد بما يشعرها برعشة في الأمعاء. حتى أنها لم تكن واثقة إلى كم من الوقت ستبقى في هذه المنطقة. بعد أن يتم بيع المنزل، لن يبقى هناك من سبب يدعوها للبقاء في فيالباكا وستكون شقتها في ستوكهولم عندئذٍ بانتظار عودتها، إضافة إلى الحياة التي كانت تعيشها مع أصدقائها. لن تشكل الأسابيع القليلة التي أمضتها في فيالباكا بأحسن الأحوال سوى فترة استراحة فاصلة في حياتها. وسيكون من الغباء أن تبنى في ظل كل ما تقدم قصوراً رومنسية في الهواء بطلها صديق الطفولة القديم.

نظرت إريكا إلى الفجر المنبثق في الخارج عند الأفق البعيد، على الرغم من أنها لم تكن تتجاوز الثالثة وأطلقت تنهيدة عميقة. كانت غارقة في سترة واسعة لا تناسب حجمها تعوَّد والدها ارتداءها إلى البحر في الأيام الباردة. أخذت تبعث الدفء في يديها عبر دسهما

داخل كمي السترة الطويلين بعد ثنيهما إلى الداخل. كانت تشعر بقليل من الأسى على نفسها في تلك اللحظة. لم يبد هناك ما يدعو للشعور بالسعادة في هذه الفترة. ألكس قد توفيت والمنزل رهن التثمين والبيع ولوكاس ومضايقاته لها والكتاب الذي كان يسير العمل به بطيئاً، كانت كل هذه الأعباء تحني ظهرها وتثقل كاهلها وتضيق على أنفاسها. إضافة إلى أنها كانت تشعر أن هناك الكثير من الأمور التي استجدت بعد موت والديها وما انفكت تحثها على التعامل معها، لقد تركا لها الكثير بعد رحيلهما على الصعيدين العملي والعاطفي. لم تعد قادرة مؤخراً على متابعة أعمال التنظيف، وقد كانت هناك أكياس نفايات نصف ممتلئة وعلباً كرتونية منتشرة في جميع أنحاء المنزل، أما في داخلها فكانت هناك أيضاً مساحات نصف ممتلئة وخيوط متفلتة وعُقد عاطفية لم تجد لها حلاً.

أمضت طوال فترة بعد الظهر تعيد في رأسها مشهد الخلاف الذي رأته بين بيرنيللا ودان. لم تستطع أن تستوعبه ببساطة أو تفهم معناه. لقد مضى زمن طويل منذ أن حدث أي احتكاك أو تنافر بينها وبين بيرنيللا، وقد تم توضيح كل شيء بينهما منذ سنوات عديدة. أو هذا ما كانت تظنه إريكا على الأقل. لماذا تصرفت بيرنيللا على هذا النحو إذاً؟ لماذا صدر عنها ردّ الفعل ذاك؟ فكرت إريكا مطولاً بأن تتصل بدان لكنها لم تجرؤ على ذلك مخافة أن ترد عليها بيرنيللا. لم تكن قادرة على مواجهة صراع آخر الآن لذا خطر لها أن تولي الموضوع المزيد من التفكير. ستدع الأمور تهدأ في الفترة الراهنة وتأمل أن تكون بيرنيللا قد تصرفت على هذا الشكل لأنها فهمت الموضوع بشكل خاطىء أو تعاني من انزعاج ما وأن كل شيء سيكون على خير ما يرام في المرة المقبلة التي تلقيان فيها، إلا أن المشهد ظل يحفر عميقاً في مخيلتها ويسيطر على تفكيرها. لم تكن فورة غضب بيرنيللا

العارمة عبثية أو عادية، كان هناك شيء ما أكثر عمقاً مما يبدو. وكانت ستضحي بأي شيء لتعرف ما عساه يكون.

كان تأخرها في إنجاز الكتاب يسبب لها ضغطاً نفسياً هائلاً وقد اتخذت قراراً بأن تزيل هذا العبء عن ضميرها الذي لا ينفك يؤنبها وتفرغ بعض الوقت للكتابة. جلست أمام شاشة الكومبيوتر في غرفة المكتب وأدركت أن عليها أن تخرج يديها من مخبأهما الدافىء من أجل أن تبدأ الطباعة. سارت الأمور بشكل متعثر في البداية لكنها سرعان ما ابتكرت بعد برهة بعض الأفكار المميزة والكتابات المعبرة. كانت تشعر بالغيرة من الكتّاب الذين يستطيعون التقيد من تلقاء أنفسهم بنظام محدد للكتابة والالتزام به. كان عليها أن تجبر نفسها على الجلوس والكتابة في كل مرة. لم يكن ذلك نابعاً من كسل أو خمول بل من خوف دفين من أن تكون قد خسرت قدرتها على كتابة أي كلمة منذ المرة الأخيرة التي فعلت ذلك. كانت تخشى كثيراً أن تجلس إلى مكتبها وتثبت أصابعها على لوحة مفاتيح الكومبيوتر وتسمر عينيها على الشاشة أمامها وتعجز عن الإتيان بأي فكرة تكتبها. كانت تخاف كثيراً من ألا يكون هناك سوى الفراغ، بأن تخلو جعبتها من الكلمات فلا تخطر لها فكرة واحدة وتدرك في النهاية أنها لن تتمكن من وضع جملة واحدة على الأوراق أمامها. في كل مرة لا يحصل لها ذلك كانت تشعر بالارتياح. ها هي أصابعها الآن تتنقل بسرعة بين الأحرف وتتسابق فوق لوحة المفاتيح وكأنها تطير بحرية. كانت قد ملأت في غضون ساعة واحدة ما يزيد عن صفحتين كاملتين. وقد شعرت بعد أن أتمت كتابة ثلاث صفحات إضافية أنها تستحق جائزة عن جدارة فسمحت لنفسها أن تمضي بضع ساعات في العمل على قصة ألكس.

كان جو الزنزانة مألوفاً جداً بالنسبة إليه إذ لم تكن تلك المرة

الأولى التي يمكث فيها هناك. ليالي الثمالة الطويلة والقيء المنتشر على الأرض كانت أحداثاً يومية بالنسبة إليه حين تكون الأوضاع التي يمر بها عصيبة فعلاً. إلا أن الأمور كانت مختلفة هذه المرة وخطيرة.

استلقى على أحد جانبيه فوق السرير النقال القاسي متكوراً على نفسه متخذاً وضعية الجنين وأسند رأسه إلى يديه لكي يتفادى الشعور بالسطح البلاستيكي ملتصقاً بوجهه. كانت تسري قشعريرة باردة في كافة أنحاء جسده، سببها مزيج من برودة جو الزنزانة وحرمان جسمه من الكحول.

كل ما أخبروه به هو أنه كان مشتبهاً به في قتل ألكس. ثم دفعوا به إلى داخل السجن وقالوا له أن ينتظر. ماذا الذي كانوا يظنون أنه سيفعله غير ذلك في مثل هذا المكان البارد؟ هل سيعطي دروساً في رسم الأجسام الحية مثلاً؟ أخذ أندرز يبتسم إلى نفسه بامتعاض.

كان شارداً يسرح بأفكاره ويعيش داخل عالمه بما أنه لم يجد شيئاً من حوله يشغله أو يلفت نظره. كانت الجدران مطلية بلون أخضر باهت فوق طبقة من الطين المتشقق مع بقع رمادية كثيرة في أمكنة تقشر الدهان. كان يلون تلك الجدران في مخيلته بألوان قوية ساطعة فكان يلون بالأحمر بقعة وبالأصفر أخرى. سرعان ما كانت رقعاً مبهجة تطمس اللون الأخضر الباهت الكريه. وسرعان ما كانت الغرفة بعين عقله تعج بفوضى من الألوان المتنافرة، عندئذٍ فقط تمكن من تركيز أفكاره.

كانت ألكس قد ماتت. لم تكن تلك فكرة يستطيع الهروب منها حتى لو أراد. فموتها كان حقيقة لا تقبل الجدل. كانت قد ماتت ومات كل مستقبل له معها.

سيأتون ليأخذوه قريباً. سيعمدون إلى دفعه بقوة وخشونة وسيسخرون منه ويضربونه إلى أن تظهر الحقيقة جلية مجردة ترتعش

أمام عينيه. لم يكن يستطيع إيقافهم أو منعهم. لم يكن يعرف أصلاً ما إذا كان يريدهم أن يتوقفوا حقاً. هناك أمور كثيرة لم يعد يعرفها في الواقع. لا يعني ذلك أنه كان يعرف الكثير من قبل، إذ لم يكن هناك سوى أمور قليلة تمتلك ما يكفي من القوة لتخترق ضباب الكحول الذي كان يتعوض به. وحدها ألكس كانت تمتلك تلك القوة. وحدها معرفته بأنها كانت تتنفس الهواء ذاته في مكان ما، تنتابها الأفكار ذاتها وتشعر بالألم ذاته. كان ذلك الأمر الوحيد الذي لطالما استطاع أن تكون له قوة العبور بكافةِ الاتجاهات وشق الطريق عبر ذاك الضباب الغدار الذي كان يقوم بما وسعه لطمس كل ذكرياته في ظلمات رحيمة.

بدأت ساقاه تتراخيان من التعب بينما يتمدد فوق السرير، لكنه تجاهل الإشارات التي يبعث بها جسده ورفض بعناد أن يزيح ناظريه عن البقعة. إذا تحرك قد يخسر السيطرة على الألوان التي تغطي الحائط ويضطر إلى العودة عندئذٍ للتحديق بالمنظر البشع الشنيع مجدداً.

كان يستطيع في لحظات أكثر صفاء في التفكير أن يرى بعض السخرية أو التهكم على الأقل في كل ذلك. الحقيقة التي لا مفر منها تتجسد بكونه ولد تتملكه رغبة للجمال لا يمكن إشباعها في الوقت الذي كان محكوماً عليه أن يعيش حياة سيئة الظروف تملأها القذارة والفساد. لعل النجوم كانت قد خطت له قدره قبل أن يولد حتى، أو قد أعاد كتابته بنفسه في ذاك النهار المشؤوم.

فقط لو أن . . . كثيرة هي المرات التي كان تتمحور أفكاره حول تلك الـ لو، ويداعب مخيلته نوع الحياة التي كان ليعيشها لو . . . لعلها كانت لتكون حياة كريمة مع عائلة ومنزل وهواية تكون مصدراً للمتعة بدلاً من أن تكون عنواناً للحزن والأسى. كان يحلم بأطفال

يلعبون في الحديقة خارج المنزل فيما رائحة الأكل الشهية تتسلل من المطبخ. إنها قمة الحلم المصور في الأنشودة الرعوية للفنان والرسام كارل لارسون ترافقها نفحة مشرقة واعدة تحوم على أطراف الحلم الوهم. لطالما كانت ألكس تتوسط هذه اللوحة. لطالما كانت تحتل المركز ويكون هو الكوكب الذي يدور ويدور حولها.

كانت أحلامه تبعث دائماً شعوراً دافئاً بداخله لكن سرعان ما كانت البرودة تحل مكان هذه الصورة الدافئة وتلطخها الظلال الزرقاء والقشعريرة. كان يعرف تلك الصورة جيداً، لقد أمضى ليالٍ طويلة لا تحصى يمعن في تأملها بسلام وصمت، بحيث بات قادراً على معرفتها وحفظ أدق تفاصيلها. كانت الدماء أكثر ما يخشاه في تلك اللوحة؛ اللون الأحمر الذي يتضارب بقوة مع الأزرق. أما الموت فكان حاضراً هناك كالعادة. كان يحوم على الأطراف ويفرك يديه بفرح منتظراً منه أن يأتي بخطوته، أن يقدم على تحرك ما أن يفعل أي شيء مهما كان، أي شيء على الإطلاق. لكن كل ما يستطيع فعله هو أن يدّعي أنه لم ير الموت، أن يتجاهله إلى أن يختفي. لعل الصورة تستعيد عندئذٍ تألقها ولمعانها. لعل ألكس تبتسم إليه من جديد تلك الابتسامة التي تلهب روحه وتمزق قلبه. لكن الموت كان رفيقاً مألوفاً جداً بما يمنع تجاهله. لقد مضت سنوات عديدة على معرفتهما أحدهما بالآخر لكن هذه المعرفة لم تزدد جاذبية مع السنين. حتى أجمل اللحظات التي عاشها مع ألكس كان الموت يقحم نفسه فيها حائلاً بينهما بإلحاح وإزعاج.

كان صمت الزنزانة يجلب الراحة إلى نفسه. أمكنه أن يسمع من البعيد أصوات الناس وهم يتحركون في المكان لكن الصوت بدا بعيداً جداً مما جعلهم وكأنهم في عالم آخر. لم ينتزعه من حالة الحلم التي يعيشها إلا سماعه بعد حين أحد الأصوات تقترب منه. كان هناك وقع

خطوات في الرواق تتقدم بحزم نحو باب زنزانته. سمع قرقعة القفل ثم رأى الباب يفتح ويظهر عليه محقق سمين قصير القامة. أنزل أندرز قدميه من فوق حافة السرير بسأم واضح ووضعهما على الأرض. لقد حان وقت التحقيق معه، لربما آن الأوان لينتهي من المسألة.

كانت آثار الكدمات قد بدأت تخبو بما يكفي لتحاول إخفائها تحت طبقة سميكة من التبرج. نظرت آنا إلى نفسها في المرآة فوجدت أنها أصبحت تبدو منهكة ومبتذلة. كان بإمكانها أن ترى العلامات الزرقاء تحت جلدها تظهر بوضوح من دون ماكياج. حتى أن إحدى عينيها كانت لا تزال حمراء. شعرها الأشقر كان باهتاً لا حياة فيه بحاجة للقص والترتيب. لم تعبأ يوماً بالاتصال بمصفف الشعر لأخذ موعد. لم تكن تمتلك الطاقة لذلك ببساطة. كانت تستهلك كل قوتها في العناية بالأولاد والاهتمام بحاجاتهم اليومية والحرص على الحفاظ ما أمكن على ما تبقى من كرامتها. كيف وصلت الأمور إلى هذا الحدّ؟

عقصت شعرها فوق قمة رأسها وأخذت ترتدي ملابسها بعناء محاولة كل جهدها أن تتحرك على نحو لا تشعر فيه بألم أضلعها. لقد كان يحرص سابقاً على أن يوجه إلى جسدها ضربات يمكن أن تخفي آثارها تحت ملابسها. لكنه أخذ يغفل عامل الحرص على مدى الأشهر الستة الماضية وبات يوجه اللكمات إلى وجهها.

إلا أن الضرب بحدّ ذاته لم يكن الجزء الأسوأ في الخبر، بل كان اضطرارها للعيش دوماً تحت وطأة التهديد بتوجيه ضربات لاحقة، وانتظار المرة المقبلة... اللكمة المقبلة. أكثر الأمور قسوة وظلماً كان إدراكه لهذه الحقيقة واللعب على وتر الخوف لديها. كان يدّعي أنه يرفع يده ليضربها ليغير رأيه فجأة فيأخذ بمداعبتها والابتسام لها. أحياناً ما كان يضربها لسبب غير واضح. وأحياناً من دون سبب إلا

مزاجية مطلقة. لا يعني ذلك أنه كان بحاجة إلى سبب ما، إذ إنه أثناء مناقشة ما قد يشتريان لطعام العشاء أو أي برنامج تلفزيوني يشاهدان كانت لكمته تتوجه إليها فجأة لتستقر على معدتها، فوق رأسها، على ظهرها أو في أي مكان يستهدفه من جسمها. من ثم كان يكمل الحديث من دون إضاعة أي دقيقة ومن دون أن ينقطع حبل أفكاره، وكأن لا شيء حدث فيما تهوى هي على الأرض لاهثة تكاد تختنق لتحصل على بعض الهواء. كان يستمتع بالشعور بالقوة.

كانت ملابس لوكاس تنتشر في كافة أنحاء الغرفة، وكانت تقوم بمجهود كبير في التقاطها قطعة قطعة وتعليق النظيف منها في الخزانة ورمي المتسخ في سلة الغسيل. وحين عادت الغرفة لترتيبها المعتاد، ذهبت للتحقق من وضع الولدين. أدريان كان ينام بسلام على ظهره وقد وضع الدمية في فمه أما إيما فقد كانت تلعب بهدوء في سريرها. وقفت آنا في الباب للحظة تتأملها، كانت تشبه لوكاس إلى حدّ بعيد، لها ملامح وجهه القاسي الطَّموح والعينين الزرقاوين بلون البحر. حتى أنها كانت قد أخذت عنه العناد والتشبث برأيها.

كانت إيما أحد الأسباب التي تمنعها من التوقف عن حب لوكاس. عدم حبها له كان يعني إنكاراً لجزء من إيما. كان يشكل جزءاً من ابنتهما ولهذا السبب كان يشكل جزءاً من آنا نفسها. كما أنه كان أباً صالحاً وطيباً مع الولدين. أدريان كان لا يزال صغيراً جداً ليفهم ما يجري لكن إيما كانت تعبد لوكاس، ولم يكن بوسع آنا أن تنتزع الطفلة من أبيها ببساطة. كيف يمكن لها أن تأخذ الولدين بعيداً عن ملاذهما الآمن؟ كيف ستتمكن من تمزيق كل ما هو مألوف ومهم بالنسبة إليهما؟ سيكون عليها بدلاً من ذلك أن تكون قوية بما يكفي من أجلهم جميعاً، عندها سيتمكنون من الخروج من هذه المحنة معاً. لم تكن الأمور على هذا النحو في البداية، لكن يمكن لها أن تكون

بخير من جديد طالما أنها قوية. فقد أخبرها في النهاية أنه لا يود أن يضربها حقاً وأن ما كان يفعله كان لصالحها لأنها لم تكن تفعل ما كان ينبغي عليها القيام به. لو أنها تستطيع أن تبذل المزيد من الجهد بعد وأن تكون زوجة صالحة. كان يقول لها إنها لا تفهمه. لو أنها تستطيع أن تعرف ما الذي يسعده، لو أنها تستطيع أن تقوم بما هو صائب كي لا تستمر في تخييب أمله بها على الدوام.

لم تكن إريكا لتفهم شيئاً لو أخبرتها، أجل أختها إريكا باستقلاليتها ووحدتها، بشجاعتها واهتمامها الجامح الخانق لم تكن لتفهم شيئاً مما يجري. أمكن لآنا أن تسمع نبرة الازدراء في صوت إريكا وقلة الاحترام وكاد ذلك يدفعها إلى الجنون. ما الذي تعرفه هي عن تحمل المسؤولية وإنجاح الزواج والحفاظ على حسن سير العائلة؟ ما الذي تعرفه هي عن حمل عبء على كتفيها تنوء تحته لشدة ثقله وبالكاد يسمح لها الوقوف بشكل مستقيم. كل ما كان على إريكا القلق بشأنه هو نفسها. لطالما كانت الشخص الذي يدعي أنه يعرف كل ما يجري. كان اهتمامها الأمومي المفرط بآنا يهدد أحياناً بالتسبب لها بالاختناق. لقد شعرت بعيني إريكا القلقتين تراقبانها وتتبعانها حيثما ذهبت، في الوقت الذي كان كل ما تريده هو أن تتركها بسلام. ما الفرق إن لم تنجح أمهما في الاهتمام جيداً بهما؟ كان لديهما والدهما على الأقل. خيار واحد جيد من اثنين لم يكن بالأمر السيء. الفرق بينها وبين إريكا هو أنها كانت تقبل بالأشياء كما هي في حين أن إريكا كانت تحاول دائماً أن تجد السبب وراء كل شيء. في غالب الأحيان كانت تطرح الأسئلة على نفسها وتحاول إيجاد الأسباب بداخلها. لهذا السبب كانت ترهق نفسها إلى هذا الحدّ. أما آنا فقد اختارت ألا تجهد نفسها البتة. كان من الأسهل عليها ألا تشعر بالقلق حيال أي شيء، أن تنساب مع التيار وتعيش ليومها من دون أن تفكر بما سيأتي أو تقلق

من الغد. لهذا السبب كانت تشعر بكل تلك المرارة حيال إريكا، إذ كانت تصاب بالقلق والإرباك على شقيقتها الصغرى فتفرط في تدليلها مما جعل صعباً على آنا أن تغلق عينيها وتتعامى عن الحقيقة وعن الناس المحيطين بها. لقد أعتقها الرحيل عن منزل والديها وحررها إلى حدّ بعيد. وحين التقت بلوكاس بعد رحيلها بفترة وجيزة ظنت أنها قد عثرت أخيراً على الرجل الذي قد يحبها كما هي ويحترم فوق ذلك حاجتها للحرية.

ابتسمت بمرارة بينما تنظف طاولة فطور لوكاس. الحرية؟ أي حرية؟ حتى أنها ما عادت تعرف كيف تهجىء الكلمة أو تلفظها. كانت حياتها برمتها تنحصر داخل جدران هذه الشقة. كان الولدان متنفسها الوحيد. كانا هما من جعلا ممكناً لها أن تمضي في الحياة قدماً، هما وأملها بأن تجد الصيغة المناسبة، والإجابة الصحيحة؛ عندئذٍ، فقط عندئذٍ يمكن أن يعود كل شيء كما كان.

بخطى بطيئة وبتأن متناهٍ، أعادت وضع الغطاء على علبة الزبدة، ووضعت الجبنة داخل الكيس وأدخلت الصحون المتسخة في آلة جلي الصحون، وبدأت تمسح بقايا الطعام عن الطاولة. حين عاد كل شيء نظيفاً ولماعاً كما يجب، جلست على إحدى كراسي المطبخ وأخذت تنظر من حولها. الصوت الوحيد الذي كان يتناهى إلى مسامعها كانت ثرثرات آنا الطفولية التي لا معنى لها تتسرب من حجرة نومها. وقد سمحت آنا لنفسها بأن تستمع لبضع لحظات بالقليل من الهدوء والسكينة. كان المطبخ مشرقاً ومهوءاً مزيناً بمزيج من الخشب والستانلس بما يدل على ذوق رفيع. لم يبخلا في إنفاق مبالغ كبيرة من المال على الأدوات الكهربائية في المنزل مما يعني أن الماركتين الأبرز اللتين كانتا تملآن المكان تحملان توقيع كل من فيليب شتارك وبوغنبوهل. كانت آنا شخصياً تفضل مطبخاً أكثر دفئاً وبساطة لكن

حين ينتقلون إلى الشقة الفخمة المؤلفة من خمس غرف في أوسترمالم ستعرف كيف تنفذ ما تراه مناسباً لذوقها.

لم يكن قلق إريكا حيال المنزل في فيالباكا أمر تستحق أن توليه تفكيراً. لا يمكن لآنا أن تضحي به لأجل عواطفها، والمبلغ المالي المحترم الذي سيجنيانه من بيعه قد يعني بداية جديدة لها وللوكاس. كانت تعلم تماماً أن زوجها لا يحب عمله هنا في السويد وأنه كان يرغب بشدة في العودة إلى لندن، إلى حيث يعتقد أن عجلة الأعمال وفرص إيجاد الوظائف تدور بشكل أسرع. كان ينظر إلى ستوكهولم على أنها موطن الركود والانعزال من حيث نشاط المهن وتطورها. على الرغم من أنه كان يتقاضى مرتَّباً جيداً بل ممتازاً من وظيفته الحالية، فإن المبلغ الذي سيجنيانه من بيع المنزل في فيالباكا إضافة إلى ذاك الذي كانا قد ادخراه سيشتري لهم داراً في لندن تتناسب مع وضعهم الاجتماعي. كان هذا الأمر مهماً جداً بالنسبة إلى لوكاس، وبالتالي أصبح أول اهتماماتها هي أيضاً. سوف تتدبر إريكا شؤونها جيداً. ليس لديها أحد تفكر به أو تهتم لأمره سوى نفسها، كما أنه لديها عملاً وشقة في ستوكهولم. لن يقوم منزل فيالباكا إلا مقام الكوخ الصيفي. سوف يساعدها المال كذلك على تحسين وضعها، فالكاتب لا يجني عموماً سوى مبالغ زهيدة لا تستحق الذكر. وكانت آنا تعلم أن إريكا تمر بظروف صعبة مالياً في بعض الأحيان. ستدرك قريباً أن ما فعلته كان الأفضل للجميع وأفضل لكليهما.

دوى صراخ الصغير أدريان من غرفة الأطفال ووصلت معه فترة استراحتها القصيرة إلى نهايتها. ما من نفع أصلاً في الجلوس هكذا والقلق حيال ما سيجري. ستختفي الكدمات كما كانت تفعل دوماً، وسيكون غداً يوم آخر.

شعر باتريك بمرح ورعونة لم يجد لهما تفسيراً أو مبرراً. أخذ يصعد السلالم المؤدية إلى منزل داغمار بيتران درجتين في آن معاً. لكن ما كاد يبلغ القمة حتى توقف ليلتقط أنفاسه وأحنى ظهره إلى الأمام وأسند يديه فوق ركبتيه. لم يعد بالتأكيد ابن العشرينيات. ولا كانت المرأة التي فتحت له الباب كذلك حتماً. لم يسبق له أن رأى شيئاً بهذا الصغر والتجعد منذ آخر مرة فتح فيها علبة خوخ مجفف. كانت من الانحناء والاحدوداب ما جعلها بالكاد تصل إلى مستوى خصره، وكان باتريك يخشى أن تنكسر إلى نصفين عند أقل نسمة هواء تهب عليها، إلا أن العينين اللتين ارتفعتا تنظران إليه كانتا صافيتين ويقظتين كعيني شابة.

«لا تقف هناك متعجرفاً تلهث يا بني. ادخل ولنتناول فنجان قهوة معاً».

كان صوتها يحمل من القوة بما أصابه بدهشة، وسرعان ما شعر باتريك أنه يتبعها مطيعاً إلى الداخل كتلميذ مدرسة. قاوم رغبة شديدة بأن ينحني هو أيضاً وكافح ليظل محافظاً على بطء خطواته كما سلحفاة مخافة أن يدوس السيدة بيتران ويتخطاها. توقف قليلاً حين وصل إلى الباب وأخذ ينظر مندهشاً. لم يسبق له طوال حياته أن رأى هذا الكم الكبير من الـ (بابا نويل). كانت تماثيله تنتشر في كل مكان على كل مساحة متوفرة. كان متوفراً بجميع الأحجام، الكبير والمتوسط والصغير وبكافة الأنواع القديم والجديد والمسن والشاب إضافة إلى وجود التماثيل التي تطرف بعينها وتلك ذات الشعر الرمادي. شعر بأن دماغه يضاعف مجهوده وسرعة عمله ليتمكن من استيعاب قوة الطاقة الحسية المتدفقة نحوه.

«ما رأيك؟ أليست مذهلة؟»

لم يعلم باتريك بما يجيب تماماً، وقد تمكن بعد برهة من تمتمة

إجابة ما متلعثماً، فقال: «أجل، حتماً إنها رائعة!»

رمق السيدة بيتران بنظرة ملؤها القلق ليتأكد ما إن كانت قد أدركت أن الكلمات التي تلفظ بها لا تتناسب مع نبرة صوته ولا تعبر عما يجول في خاطره فعلاً. وقد دهش تماماً حين افتر ثغرها عن ابتسامة محتالة جعلت عيناها تلتمعان شراً.

«لا تقلق أيها الشاب، أعلم تماماً أن هذا لا يناسب ذوقك لكن تقدم المرء بالعمر ينطوي على الكثير من المسؤوليات، كما تعلم».

«أي مسؤوليات؟»

«ينبغي على المرء أن يظهر بعض الغرابة ليثير بعض الاهتمام. وإلا سيصبح مجرد عجوز شمطاء حزين، ولا أحد يريد أن يصبح كذلك، أنت تفهم ما أقصد».

«لكن لماذا اخترت الـ (بابا نويل) بالتحديد؟»

كان باتريك لا يزال عاجزاً عن فهمها تماماً. وأخذت السيدة بيتران تشرح له الأمر كما لو كان مجرد طفل.

«حسناً إنها الأفضل. كما ترى إنه الشيء الوحيد الذي تحتاج لأن تضعه مرة واحدة في العام. أما بقية السنة فأستطيع أن أحافظ على المكان نظيفاً ومرتباً، ثم إنها تأتي بفائدة أخرى تقضي بجذب عدد هائل من الأولاد زحفاً إلى هنا في وقت الميلاد. وبالنسبة إلى عجوز طاعنة مثلي لا تحظى بالكثير من الزائرين، يفرح روحي أن تأتي إلي هذه المخلوقات الصغيرة وترن جرس منزلي من أجل رؤية مجموعة شيوخ الميلاد».

«لكن إلى متى تبقين على عرضها سيدة بيتران، فنحن في منتصف شهر آذار الآن».

«حسناً، لقد بدأت بوضعها في شهر تشرين الأول الماضي ولا

أزيلها قبل شهر نيسان المقبل. لكن عليك أن تدرك أن وضعها وإزالتها يتطلبان ما بين أسبوع وأسبوعين من العمل الشاق».

لم يجد باتريك أي صعوبة في تخيّل أنها تتطلب كل هذا الوقت فعلاً. حاول أن يجري عملية حسابية سريعة للأمر في رأسه إلا أن دماغه لم يكن قد تخلص من أثر الصدمة للمشهد الذي رآه، فتوجه بدلاً من ذلك بطرح السؤال على السيدة بيتران مباشرة.

«وكم تمثال لديك هنا؟»

كانت الإجابة فورية فقالت: «ألف وأربعمئة وثلاثة وأربعون تمثالاً، آه أعذرني أنا أملك ألفاً وأربعمئة وإثنان وأربعين إذ يصدف أني كسرت واحداً البارحة وهو أحد أجمل التماثيل التي لدي في الواقع». كانت تعابير وجهها حزينة لتذكُّر الواقعة.

إلا أنها تمالكت نفسها وعادت عيناها تلمعان مجدداً. وبقوة مثيرة للعجب أخذت تشده من كم قميصه ونجحت نوعاً ما في جره إلى المطبخ، وخلافاً لما رآه سابقاً لم يكن هناك أي أثر لتماثيل الـ (بابا نويل). عمد باتريك بشكل خفي إلى بسط تجعيدات سترته لكن شعوراً غريباً انتابه بأنها كانت ستشده من أذنه لو كان طولها يسمح لها بالوصول إليها.

«سوف نجلس هنا. قد يشعر المرء ببعض من العصبية ويصبح سريع الغضب بوجوده دوماً وسط رجال مسنين، إلا أنه يحظر دخولهم إلى المطبخ».

جلس في النهاية على أحد مقاعد المطبخ الصلبة بعد أن رفضت بقوة كل عروضه لتقديم المساعدة. أخذ يقوي نفسه على فكرة اضطراره تناول القهوة من إبريق صغير حقير لكنه سرعان ما فتح فمه واسعاً للمرة الثانية مندهشاً لرؤية إبريق قهوة كبير عصري جداً مزين من أعلاه.

«ماذا تود أن تشرب؟ كابوشينو؟ قهوة بالحليب؟ أو ربما كوب إسبريسو مضاعف، يبدو أن هذا أكثر ما تحتاج إليه».

لم يتمكن باتريك إلا من هز رأسه موافقاً على طرحها الأخير. من الواضح أن السيدة بيتران كانت تستمتع إلى حدّ كبير برؤية الدهشة على ملامح وجهه.

«ماذا كنت تتوقع أن ترى؟ راووق قهوة قديم بمصفاة يعود إلى عام ثلاثة وأربعين وحبوب بن مطحونة يدوياً؟ كوني عجوزاً لا يعني أن لا أستطيع التمتع بأمور جيدة في الحياة. تلقيت هذا الإبريق هدية من ابني في عيد الميلاد منذ بضع سنوات، وهو في حالة عمل دائمة صدقني. غالباً ما يكون هناك صفاً من نسوة الحي المسنات ينتظرن دورهن للحصول على نقطة منه».

أخذت تربت على الإبريق برقة فيما كان قد بدأ يفرقع ويفور محتواه أثناء قيامها بخفق الحليب لتطفو الرغوة على السطح.

بينما كانت القهوة تجهز، كانت فطائر الحلويات اللذيذة تحضر نوعاً بعد الآخر أمام باتريك على الطاولة. حسب ما رأته عيناه، لم تكن تلك الأطايب تقتصر على اللفائف الفلندية الشهية أو على كعك كارلسباد الألماني، بل كانت هناك أيضاً قطع كعك كبيرة بالقرفة، ومافن مدور شهي وبسكويت بالشوكولا، وقطع المرنغ الرقيقة تقدم إليه واحدة تلو الأخرى، فيما عيناه تتسعان دهشة وتعجباً. كان اللعاب قد بدأ يسيل مهدداً بالانسياب على زاويتي فمه. أطلقت السيدة بيتران ضحكة مكتومة حين رأت ملامح وجهه وجلست قبالته على الطاولة على إحدى كراسي الوندسور الفخمة. سكبت لكل منهما فنجان قهوة ساخناً مغلياً للتو طيب الرائحة.

«أفهم أنك تود أن تحدثني عن الفتاة التي تعيش في المنزل

المقابل على الجهة الأخرى للطريق. حسناً، لقد سبق وتحدثت بالأمر مع رئيسك المحقق وأخبرته بالمعلومات القليلة التي أعرفها».

بذل باتريك جهداً لينتزع قطعة من الكعك الملتصق التي كان قد وضعها للتو بين أسنانه وكاد يلتهمها. وقد اضطر لتنظيف الواجهة الأمامية لأسنانه بطرف لسانه قبل أن يتمكن من فتح فمه ليقول: «أجل، سيدة بيتران، أعلم ذلك، لكن هلا تتكرمين وتكرري على مسامعي ما قلته للمحقق؟ هل يزعجك أن أدير آلة التسجيل بالمناسبة؟»

ضغط الزر الأحمر على آلة التسجيل وحرص على أن يمضغ جيداً قطع الحلويات اللذيذة التي كان يلتهمها بينما ينتظر إجابتها.

«أجل يمكنك ذلك بالطبع. حسناً، كان يوم جمعة، في الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني عند الساعة السادسة والنصف تحديداً. أرجوك لا تتصرف برسمية إلى هذا الحدّ فهذا يجعلني أبدو عجوزاً جداً».

«كيف يمكن لك أن تكوني واثقة إلى هذا الحد من التاريخ والوقت؟ لقد مضت بضع أسابيع على حصول الجريمة».

التهم باتريك قضمة أخرى من قطعة الكعك.

«حسناً، كما ترى أنه كان عيد مولدي في ذلك اليوم لذا كان ابني وعائلته هنا في منزلي. تناولنا الكيك وكانوا قد جلبوا لي بعض الهدايا. ومن ثم غادروا جميعاً قبل أخبار السادسة والنصف بقليل على القناة الرابعة. في تلك اللحظات بالذات سمعت ضوضاء هائلة ناجمة عن شجار ما في الخارج. هرعت إلى النافذة المواجهة للمنزل من الخلف والتي تطل على منزل العشيقة فرأيته عندئذٍ».

«من أندرز؟»

«أندرز الرسام أجل. كان ثملاً للغاية وكان يقف هناك يصرخ كالمجانين ويطرق الباب بعنف. سمحت له في النهاية بالدخول ومن ثم ساد الهدوء ثانية. حسناً لعله استمر في الصراخ، لا أحد يعلم ما الذي حدث تماماً بهذا الشأن. من المستحيل أن تسمع ما الذي يجري داخل جدران تلك المنازل».

لاحظت السيدة بيتران أن باتريك أنهى ما في صحنه فدفعت بصينية مليئة بالكعك بالقرفة أمامه لتغريه. لم يكن بحاجة لكثير من الإغراءات أو الإقناع، إذ سارع إلى تناول قطعة شهية عن وجه الصحن.

«أنت واثقة من ذلك سيدة بيتران، أنت متأكدة فعلاً أن الرجل كان أندرز نلسون. ألا تنتابك أي شكوك حيال ذلك؟»

«كلا، بالطبع لا. سأعرف ذلك الوغد أينما كان. كان معتاداً على المجيء إلى هنا طوال الوقت. وإن لم يكن في منزلي كنت لتجده في الساحة مع السكيرين الآخرين. لم أفهم يوماً ما الذي يجمعه بألكسندرا ويكنر. علي أن أخبرك أن تلك الفتاة كانت تنتمي إلى طبقة مرموقة مختلفة. كانت حسنة المظهر والنشأة. غالباً ما كانت تأتي إلى هنا حين كانت صغيرة لتناول الكعك والعصير. كانت تجلس على هذا المقعد تماماً. كثيراً ما كانت تحضر برفقة ابنة عائلة توريس، لم أعد أذكر ما اسمها...».

أجابها باتريك بفم ملآن بكعك القرفة: «إنها تدعى إريكا». شعر بقلبه يزداد خفقاناً لمجرد ذكر اسمها على شفتيه.

«إريكا، هذا صحيح. لقد كانت فتاة لطيفة كذلك لكن كان هناك شيء مميز حول ألكسندرا، كانت تمتلىء تألقاً وتحيط بها هالة من شعاع ما. لكن حدث شيء ما بعد ذلك... فتوقفت عن المجيء إلى منزلي وبالكاد كانت تتصل بي لتلقي التحية. بعد مرور بضعة أشهر

أخرى انتقلت إلى غوتبرغ ولم أعد أراها منذ ذلك الحين إلى أن بدأت تأتي إلى هنا خلال عطلات الأسبوع منذ بضع سنوات».

«لكن ألم تكن عائلة كارلغرن تأتي إلى هنا طوال تلك السنوات؟»

«كلا، مطلقاً. إلا أنها كانت تحافظ على ترتيب المنزل والعناية بنظافته، فكان الدهانون والنجارون يحضرون للقيام بأعمال الصيانة. كما كانت فيرا نلسون تقوم بأعمال التنظيف مرتين كل شهر».

«سيدة بيتران أنت لا تملكين أي فكرة عما قد حصل قبل انتقال عائلة كارلغرن إلى غوتبرغ، أعني ألا تعلمين أي شيء عن السبب الذي يمكن أن يكون قد غير ألكس؟ ألم يحصل أي شجار في العائلة مثلاً أو شيء من هذا القبيل؟»

«لقد سرت بعض الإشاعات طبعاً كما هو الحال دوماً هنا، لكن ما من خبر جدي يمكنني الوثوق به. على الرغم من أن الكثير من الناس هنا في فيالباكا يزعمون أنهم يعرفون معظم ما يجري مع الآخرين، يجب أن أكون واضحة معك بشأن أمر واحد: لا أحد مطلقاً يعرف ما يجري داخل الجدران الأربعة لمنزل أي شخص آخر. لهذا السبب لا أتكهن بالأمور أنا أيضاً، إذ ما من جدوى من ذلك. اسمع، لماذا لا تتناول قطعة أخرى بعد فأنت لم تتذوق حتى الآن كعك المرينغ الذي أُعد».

أخذ باتريك يربت على معدته المتخمة فوجد أنه لا تزال هناك مساحة صغيرة جداً فيها يمكن أن يملأها بقطعة من حلوى المرينغ.

«هل رأيت شيئاً ما بعد ذلك؟ هل لاحظت متى غادر أندرز نلسون المنزل على سبيل المثال؟»

«كلا، لم ألمحه طوال تلك الأمسية، لكني رأيته يدخل منزله مرات عديدة خلال الأسبوع التالي. يجب أن أعترف لك أنه أمر

غريب. وفقاً لما سمعته في البلدة كانت قد توفيت في ذلك الوقت. فماذا كان يفعل هناك بحق السماء؟»

هذا بالضبط ما كان يثير التساؤل لدى باتريك. رمقته السيدة بيتران نظرة مشككة وسألته: «إذاً هل استمتعت بطعم هذه؟»

«إنها الفطائر الألذ التي تناولتها طوال حياتي على الأرجح سيدة بيتران. كيف يمكنك أن تقومي بتحضير صينية شهية مليئة بالحلوى كهذه على هذا النحو؟ أعني أني اتصلت قبل وصولي إلى هنا بخمس عشرة دقيقة لا أكثر، لا بدّ أن تكوني بسرعة سوبرمان لتتمكني من إنجاز كل تلك الأطايب في غضون وقت قصير».

أعجبها الإطراء الذي سمعته ورفعت رأسها بفخر وقالت: «على مدى ثلاثين عاماً كنا ندير أنا وزوجي متجراً للفطائر والحلويات هنا في فيالباكا، لذا أتمنى أن أكون قد تعلمت شيئاً طوال تلك السنوات. يصعب التخلص من العادات القديمة لذا لا زلت أصحو صباح كل يوم عند الساعة الخامسة فجراً وأخبز الفطائر. ما لا يستهلكه الأولاد والسيدات العجائز اللواتي يأتين لزيارتي أطعم به الطيور. ثم إنه من الممتع أن تجرب دوماً وصفات جديدة. هناك الكثير من الفطائر العصرية المحضرة التي تعتبر ألذ بأضعاف من تلك اللفائف الفلندية القاسية التي اعتدنا أن نخبز أطنان منها في ما مضى. أبحث عن الوصفات الجديدة على صفحات المجلات المتخصصة بوصفات الحلويات وأعدلها بما يتناسب مع ذوقي».

أشارت بيدها إلى كومة هائلة من المجلات الملقاة على الأرض بجانب مقعد المطبخ، كانت هناك جميع أنواع المجلات بدءاً بـ *"Amelia Mat"* إلى *"Allt om mat"* تستحق تكديسها على مرور السنوات. نظر باتريك إلى المجلات المعروضة جيداً فتبين له أن سعر النسخة الواحدة ليس زهيداً فأدرك أن السيدة بيتران قد ادخرت مبلغاً لا

بأس به من المال خلال السنوات التي أمضتها في العمل في متجر الحلويات. وخطرت له فكرة ممتازة.

«هل تعلمين ما إن كانت هناك أي علاقة تربط بين عائلتي كارلغرن ولورنتز، عدا عن أن كارل-إريك كان يعمل لديهم؟ هل كانت تجمعهما أي علاقة اجتماعية من أي نوع على سبيل المثال؟»

«سبحان الله! ما الذي جمع بين عائلتي لورنتز وكارلغرن؟ كلا يا صديقي لم يكن هناك أي علاقات من هذا النوع، كان يمكن لذلك أن يحصل لو أن الأسبوع فيه يومي خميس! لم تكن العائلتان تنتميان إلى الطبقة الاجتماعية ذاتها. أما حقيقة حضور نيللي لورنتز لتقديم التعازي بوفاة ألكسندرا في منزل عائلة كارلغرن حسب ما قيل لي فهو نابع من إحساس ما ولا شيء سوى ذلك!»

«لكن ماذا عن الابن؟ أعني ذاك الشاب الذي اختفى. هل كانت تربطه يوماً علاقة بعائلة كارلغرن، حسب علمك؟»

«كلا، لا يتمنى أحد حدوث ذلك. كم كان ولداً شريراً مقيتاً. كان يحاول دوماً سرقة قطع الحلوى من وراء ظهور الآخرين في المتجر. لكن زوجي لقنه مرة درساً حين أمسك به متلبساً. أجل لقنه درساً لن ينساه طوال حياته وأشبعه توبيخاً. من ثم طبعاً هرعت نيللي إلينا لتخبرنا أنها ستشي بنا. وهددت بأنها ستجلب الشرطة لزوجي. حسناً، لكنه وضع حداً للأمر حين قال لها إن هناك شهوداً على عملية النشل ونصحها أن تذهب فوراً للمدعي العام».

«إذاً لم يكن هناك أي صلة لهم بعائلة كارلغرن، حسب علمك؟»

هزت رأسها نفياً.

قال لها باتريك: «حسناً لقد كانت مجرد فكرة خطرت لي. والآن، إضافة إلى جريمة قتل ألكس، يعتبر اختفاء نلز أكثر الأحداث الدرامية التي وقعت هنا، ولا أحد يعلم ما إن كان للحادثين ارتباط ما

ببعضهما بعضاً. أحياناً ما تحصل بعض الصدف المثيرة للاهتمام. أظنني هكذا انتهيت من طرح الأسئلة لليوم، لذا أشكرك على القهوة والحلويات اللذيذة جداً. أعتقد أني سأضطر لاتباع حمية تعتمد على السلطة فقط في الأيام القليلة المقبلة». كان يربت على بطنه عندما قال الجملة الأخيرة.

«آه، لا تقل ذلك. لست مضطراً لتناول طعام الأرانب فيما أنت لا تزال شاباً في طور النمو».

اختار باتريك أن يتقبل الإطراء بدلاً من أي يقول لها إنه بعمر الخامسة والثلاثين لا شيء ينمو فيه أكثر من بطنه ولا شيء يزداد أكثر من قياس وسطه. نهض عن كرسي المطبخ لكنه سرعان ما اضطر للجلوس مجدداً. كان يشعر وكأنه قد أدخل طناً من الإسمنت إلى معدته وقد بدأت تجتاحه نوبة من الغثيان. كان عليه أن يقر بعد إعادة التفكير أنه ما كان يجدر به أن يحشو نفسه بكل تلك الحلويات مهما كانت لذيذة.

حاول أن يغمض عينيه نصف إغماضة بينما يجتاز غرفة الجلوس ليجد أن تماثيل الـ (بابا نويل) الألف وأربعمئة واثنين وأربعين تغمزه وتلتمع أمام ناظريه.

استغرق الوصول إلى الباب الوقت ذاته الذي استهلكه الدخول منه. وكان عليه أن يمنع نفسه من أن يتجاوز السيدة بيتران بينما هو يسير خلفها ببطء يجر قدميه نحو الباب الرئيس. لا بدّ أنها كانت عجوز مشاكسة. لكنها شاهد يمكن الوثوق فيه أيضاً، إذ إنه بعد الإدلاء بشهادتها لم تعد إضافة بضع قطع لإكمال الأحجية سوى مسألة وقت وتوجيه تهمة محكمة إلى أندرز نلسون. كان الدليل بمعظمه يعتبر حتى الوقت الراهن ظرفياً لكن على ما يبدو أن جريمة قتل ألكس ويكنر قد حلت الآن. كان يشعر باضطراب في معدته إلى درجة عجز

معها أن يحس بشيء آخر سوى الحلويات التي تملأها. وكأنه حدس يقول له إن الجري وراء الحلول السهلة لا يعني دائماً أنها صحيحة.

كان رائعاً بالنسبة إليه أن يتنشق الهواء المنعش الذي ساهم نوعاً ما في التخفيف من حدة الغثيان. كان لا يزال يصافح السيدة بيتران مودعاً ويشكرها مجدداً قبل أن يدير ظهره ويرحل، لكنها ضغطت على يده ووضعت فيها شيئاً ما قبل أن تغلق الباب. ألقى نظرة ليرى ماذا يمكن أن تكون قد وضعت. كان كيس تسوق كبير مليء بقطع الحلويات وتمثال بابا نويل صغير. قبض بيده عندئذٍ على معدته وأخذ يئن ألماً.

«حسناً أندرز لا تبدو الأمور جيدة كثيراً بالنسبة إلى وضعك الآن».

«آه، حقاً؟»

«آه، حقاً؟ أهذا كل ما لديك لتقوله؟ إنك غارق حتى أذنيك في المصيبة إن لم تكن تدرك ذلك! أتدرك معنى ما أقول؟»

«لم أفعل شيئاً».

«عليك اللعنة! لا تجلس قبالتي هكذا وتتفوه بحماقاتك أمامي. أعلم أنك أقدمت على قتلها. لذا أرى أنه من الأفضل لك أن تعترف وتجنبنا جميعاً الوقوع في المشاكل. إن وفرت عليّ مواجهة المشاكل تكون قد وفرت المشاكل على نفسك أيضاً».

كان كل من ملبرغ وأندرز يجلسان في غرفة التحقيق الوحيدة الموجودة في مخفر تانومشيد. وخلافاً لبرامج التلفزيون الأميريكة لم يكن هناك من جدار زجاجي عازل للصوت يستطيع زملاؤه من خلاله رؤية مجريات جلسة التحقيق ومتابعتها. كان ذلك يناسب ملبرغ تماماً. كان الوجود وحيداً مع الشخص قيد التحقيق مخالفاً لكل

الأنظمة والقوانين، لكن لتذهب تلك إلى الجحيم طالما أنه يسلم التقارير المطلوبة منه فلا أحد يعبأ بالأنظمة التافهة والقوانين أو يسأل عن تطبيقها. كما أن أندرز لم يطالب بوجود محامٍ أو حضور أي شخص آخر، فلماذا يفترض بملبرغ الإصرار على تنفيذٍ ذلك؟

كانت الغرفة ضيقة بالكاد تحتوي على أي أثاث، أو تظهر أي شيء فوق الجدران. الأثاث الوحيد الموجود كان عبارة عن طاولة وكرسيين يشغلهما الآن كل من أندرز نلسون وبرتيل ملبرغ. كان أندرز يميل بكرسيه إلى الوراء بلامبالاة، وقد ثنى يديه فوق حضنه ومدد رجليه تحت الطاولة. أما ملبرغ فكان واقفاً يميل بجسمه فوق نصف مساحة الطاولة ويبقي وجهه قريباً من وجه المشتبه به بقدر ما يستطيع الاحتمال نظراً إلى رائحة أنفاس الأخير البعيدة كل البعد عن وصفها بالمنعشة، لكنه كان قريباً بما يكفي لرش وجه أندرز برذاذ من لعابه بينما كان يطلق الكلام التهديدي على مسامعه بقوة. لم يكترث أندرز كثيراً لمسح وجهه واختار بدلاً من ذلك أن يعتبر المحقق الموجود أمامه مجرد ذبابة مزعجة، وتافهة لدرجة أنها لا تستحق أن يضربها أو يبعدها من أمامه.

«كلانا أنا وأنت نعلم أنك أنت الشخص الذي قام بقتل ألكسندرا ويكنر. لقد خدعتها وجعلتها تتناول حبوباً منومة ووضعتها في حوض الاستحمام ومزقت معصميها ثم راقبتها بهدوء تنزف حتى الموت. لذا لم لا تجعل الأمور سهلة لكلينا؟ أنت اعترف بما فعلت وأنا سأدون».

شعر ملبرغ بالرضا التام عما اعتبره بداية قوية في عملية الاستجواب فاستراح في كرسيه وشبك يديه ووضعهما فوق كرشه الكبير وأخذ ينتظر. لم يصدر عن أندرز أي إجابة ولم يأت بأي ردة فعل. كان لا يزال يحني رأسه إلى الأمام، وقد تدلت خصلة من شعره فوق وجهه تخفي وراءها أي تعبير قد يظهر عليه. كان الارتعاش على

زاوية فم ملبرغ يدل على أن تلك اللامبالاة ليست الفاتحة التي كان يظن أنه يستحق. بعد أن انتظر بصمت لفترة أطول بقليل ضرب قبضتيه فوق الطاولة في محاولة يائسة منه لإيقاظ أندرز من سباته، إلا أنه لم يحصل منه على أدنى رد فعل.

«تباً، ما بالك أيها السكير اللعين؟ هل تظن أنه يمكنك النفاذ بفعلتك بمجرد جلوسك هنا كالتمثال من دون أن تنطق بكلمة؟ اعلم إذاً أنك وقعت بين يدي الشرطي الخطأ، يمكنني أن أؤكد لك ذلك. ستخبرني الحقيقة ولو اضطررنا للمكوث هنا النهار كله!»

كانت بقع العرق تزداد توسعاً تحت إبطي ملبرغ مع كل كلمة يقول.

«لقد كنت تشعر بالحسد، أليس كذلك؟ لقد عثرنا على بعض اللوحات التي رسمتها فيها، ومن الواضح تماماً أنكما أنتما الاثنين كنتما على علاقة حميمة. ولتبديد أي شكوك محتملة أبلغك أننا وجدنا كذلك الرسائل التي كنت تكتبها لها. تلك الرسائل المفعمة بالحب، المثيرة للقرف والشفقة. يا لك من حثالة. ما الذي كانت تراه فيك بأي حال؟ أعني انظر إلى نفسك وحسب، انظر. لست سوى شخص قذر مثير للقرف وبعيد كل البعد عن أن تكون زير نساء. التفسير الوحيد لما كان يحصل بينكما هو أنها كانت منحرفة من دون أدنى شك، وأن الرجال السكيرين والقذرين والمتوحشين أمثالك كانوا يثيرونها. هل كانت تعاشر مدمنين آخرين على الخمر في فيالباكا أم أنك كنت الوحيد الذي أقامت علاقة معه وأخلصت له؟»

بسرعة البرق، كان أندرز واقفاً على قدميه. تمدد فوق الطاولة وأحكم قبضتيه حول عنق ملبرغ وقال بحنق: «سأقضي عليك أيها الشرطي الحقير اللعين!»

حاول ملبرغ عبثاً الإفلات من قبضة أندرز وكان وجهه يزداد

احمراراً مع كل ثانية مع تجمع الدم في رأسه كما سقطت خصلة شعره من أعلى رأسه وعلقت فوق أذنه اليمنى. لكن ملبرغ أصيب بالدهشة حين أفلت أندرز عنقه فجأة وتمكن المحقق من أخذ نفس عميق. سقط أندرز فوق كرسيه من جديد وأخذ يحملق في ملبرغ.

كان على ملبرغ أن يسعل بشدة ويتنحنح بقوة ليستعيد صوته المخنوق: «إياك أن تفعل هذا مجدداً! أتسمعني، إيَّاك! عليك اللعنة، ستجلس الآن في مكانك من دون أدنى حركة وإلا رميتك في الزنزانة ورميت المفتاح بعيداً، أتفهم ما أقول؟»

عاد ملبرغ يجلس في كرسيه لكنه صار يراقب أندرز بحذر. لمح طيفاً من الخوف في عيني المحقق لم يره من قبل. وقد اكتشف أن تسريحة شعره المصفف بعناية واتقان تعاني من تشعيث مفرط، ومرر يده بحركة متمرسة وأعاد بأصابعه خصلة الشعر لتغطي المساحة الصلعاء من قبة رأسه محاولاً في الوقت ذاته الادعاء أن لا شيء قد حصل.

«والآن لنعد إلى حديثنا. كنت تقيم علاقة جنسية مع الضحية ألكسندرا ويكنر أهذا صحيح؟»

تمتم أندرز كلاماً ما بصوت منخفض بينما ينظر إلى حضنه.

مال ملبرغ بجسمه إلى الأمام وشبك يديه فوق الطاولة وسأله: «عذراً، لم أسمع، ما الذي قلته؟»

«قلت إننا كنا نحب بعضنا!»

أصدرت الكلمات صدىً دوى داخل الغرف وارتجت له الجدران العارية. أما ثغر ملبرغ فافتر عن ابتسامة خبيثة.

«حسناً، لنقل إنكما كنتما تحبان أحدكما الآخر، ما المشكلة فجميلة والوحش أيضاً وقعا في حب بعضهما بعضاً، يا له من أمر مؤثر! وكم من الوقت أحببتما بعضكما؟»

عاد أندرز يغمغم كلاماً غير واضح واضطر ملبرغ لأن يطلب إليه أن يكرر ما قاله.

«منذ كنا مجرد ولدين».

«حسناً، طيب فهمت. لكني أفترض أنكما لم تكونا تمارسان الجنس كالأرانب منذ كنتما في الخامسة من العمر، لذا دعني أعيد صياغة السؤال: منذ متى وأنتما تقيمان علاقة جنسية؟ منذ متى وهي تمارس معك النكاح متخذة الوضع الجانبي؟ منذ متى وأنتما تمارسان وضعية التانغو المثيرة؟ هل يجدر بي أن أكمل أم أنك تمكنت من فهم السؤال؟»

رمقه أندرز نظرة مليئة بالكراهية لكنه تمكن بعد جهد كبير من السيطرة على هدوء أعصابه وأجاب: «لا أعلم، لقد مضت سنوات على قصتنا الآن. لا أعرف حقاً، لم أتحقق من الوقت الذي مضى ونحن نحب بعضنا». كان يلتقط بإصبعيه بعض الخيوط غير المرئية عن سرواله حين تابع: «لم تكن تأتي إلى المنطقة كثيراً في ذلك الحين، لذا لم نكن نرى بعضنا غالباً. كنت أقوم برسمها معظم الوقت. لقد كانت غاية في الجمال».

«ماذا حصل ليلة وفاتها؟ هل كان خلافاً بين عاشقين؟ أم أنها لم تشأ إقامة علاقة معك؟ أم أن حقيقة حملها هي التي جعلتك تصاب بالجنون؟ لا بد أن هذا ما حصل. كانت حاملاً ولم تكن أنت تعرف ما إن كان الطفل طفلك أم من زوجها. لعلها هددتك بأن تجعل حياتك جحيماً أنت أيضاً، ألم تفعل؟»

كان ملبرغ يشعر بالرضا التام عن نفسه. كان مقتنعاً تماماً بأن أندرز هو القاتل، وبأنه إن ضغط عليه بما يكفي ولعب على الأوتار الصحيحة، سيتمكن طبعاً من انتزاع اعتراف منه. هذا مما لا شك فيه. ومن ثم سترجوه غوتبرغ وتتوسل إليه أن يعود إلى الانضمام

لقواتها. سيحاولون إغراءه ربما بعرض ترقية عليه وتقديم راتب أكبر إذا أبقاهم على لائحة الانتظار لفترة. أخذ يفرك بطنه بمتعة وفرح ولم يلاحظ حتى تلك اللحظة أن أندرز كان يحملق فيه بعينين واسعتين. كان وجهه أبيض اللون غادرت شرايينه آخر نقطة دماء. أما يداه فكانتا ترتعشان بتوتر. حين رفع أندرز رأسه ونظر في عيني ملبرغ مباشرة للمرة الأولى، لاحظ المحقق أن شفته السفلى كانت ترتجف وعيناه تملأهما الدموع.

«أنت تكذب! لا يمكن أن تكون حاملاً». كان أنفه يسيل منه المخاط، وأخذ أندرز يمسحه بطرف كمه ويرمق ملبرغ بنظرة متوسلة.

«ما الذي تقصده؟ أنت تعلم أن الواقيات الذكرية ليست وسيلة آمنة مئة بالمئة. لقد كانت في شهرها الثالث حين توفيت لذا لا تحاول أن تمثل دوراً دراماياً أمامي. لقد كانت حاملاً وأنت تعرف تماماً كيف حصل ذلك. سواء أكان الوالد أنت أم زوجها الذي ينتمي للطبقة الراقية، لن نتمكن من أن نعلم أليس كذلك؟ عليّ أن أخبرك أن تلك هي لعنة الرجل. لقد أوشكت على الإيقاع بي مرات عديدة لكن لم تتمكن أي عاهرة حقيرة من إجباري على توقيع الأوراق». أطلق ملبرغ ضحكة إعجاباً بنفسه.

«ليس هذا من شأنك، لكننا لم نقم أي علاقة جنسية منذ أكثر من أربعة أشهر. والآن ما عدت أريد التحدث معك أعدني إلى زنزانتي لأني لا أنوي أن أقول أي كلمة أخرى».

شخر أندرز بصوت مسموع وظلت الدموع تهدد بالسقوط على وجنتيه. مال بكرسيه إلى الوراء وشبك ذراعيه فوق صدره وأخذ يحملق بكراهية من تحت خصلة شعره بملبرغ الذي أطلق تنهيدة عميقة إنما أذعن لطلبه.

«حسناً، سوف نتابع الحديث في غضون بضع ساعات. ولعلمك

فقط إني لا أصدق كلمة واحدة من الكلام الذي تفوهت به. اذهب وفكر بالأمر قليلاً بينما تقبع في زنزانتك. أريد اعترافاً كاملاً منك في المرة المقبلة التي نتحدث فيها». ظل جالساً في مكانه لبرهة بعد أن اقتيد أندرز بعيداً إلى زنزانته. ذاك المعتوه الثمل لم يعترف بارتكابه جريمة قتل ألكس. كان ملبرغ يفكر أن الأمر لا يصدق إطلاقاً. لكنه لم يلعب ورقته الرابحة التي لا تزال بالحفظ والصون. المرة الأخيرة التي علم فيها أن ألكسندرا ويكنر لا تزال على قيد الحياة كان عند الساعة السابعة والربع من نهار الجمعة، في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني أي قبل أسبوع تماماً على إيجاد جثتها. وقد تحدثت في تلك الأمسية مع والدتها على الهاتف لخمس دقائق وخمسين ثانية وفقاً لشركة الهاتف، تيليا. وقد توافق ذلك مع الإطار الزمني الذي أشار إليه الطبيب الشرعي. بفضل الجارة داغمار بيتران حصل على شهادة تقول بأن أندرز نلسون زار الضحية ليس خلال تلك الأمسية فقط، وليس بعد الساعة السادسة مساءً، بل لقد استمر في زيارة منزلها وفقاً للشاهدة عدة مرات خلال ذلك الأسبوع. وقد كانت ألكسندرا ويكنر ميتة في ذلك الوقت وممددة داخل حوض الاستحمام.

لو حصل ملبرغ على اعتراف من أندرز لكانت مهمته أسهل بكثير. لكن المحقق كان واثقاً من أنه سيتمكن من إدانة أندرز حتى لو تبين أنه شخص متعنت يرفض الاعتراف بجريمته، فهو لا يملك شهادة السيدة بيتران وحسب، بل لديه على مكتبه تقريراً مفصلاً حول نتائج تفتيش منزل ألكس ويكنر. أهم ما ورد في التقرير كانت تلك المعلومات الواردة من الفحص الدقيق الذي أجري للحمام، حيث وجدت الجثة،. إذ لم يتم العثور على آثار أقدام محفورة في الدماء المتجمدة توافق تماماً حذاءً تمت مصادرته من منزل أندرز وحسب، بل وجدت بصمات له على جثة الضحية. لم تكن واضحة بالقدر

الذي يمكن رؤيته على جسم صلب أملس، لكنها لا تزال مع ذلك جيدة يمكن التعرف إليها.

لم يشأ أن يكشف جميع أوراقه اليوم، لكنه حتماً لن يبقي شيئاً طي الكتمان في جلسة الاستجواب المقبلة. ولتحل عليه اللعنات إن لم يتمكن من تحطيم ذاك الوغد وجعله يعترف عندئذٍ.

شعر ملبرغ بمزيد من الرضا عن نفسه فبصق على راحة يده ومررها على شعره من الخلف.

قاطعها الاتصال الهاتفي بينما كانت تطبع حديثها الكامل مع هنريك ويكنر. شعرت إريكا بانزعاج للمقاطعة فرفعت يدها بأسف عن لوحة المفاتيح ومدتها لتتناول سماعة الهاتف.

كانت نبرة صوتها تبدي من الغيظ أكثر مما كانت تقصد أن تفعل حين قالت: «أجل؟»

«آلو، مرحباً، أنا باتريك هل أزعجك باتصالي؟»

استقامت إريكا في كرسيها على الفور وشعرت بالندم لأنها لم تكن أكثر لطفاً حين ردَّت على الهاتف.

«كلا، مطلقاً لم تفعل. كنت أجلس هنا أطبع بعض الأمور، ويبدو أني كنت غارقة جداً في ما أفعل، بحيث قفزت من مكاني حين رن الهاتف وبدوت بالتالي نوعاً ما... لكنك لم تزعجني على الإطلاق، لا بأس بذلك، أعني...».

صفعت جبينها بقوة حين سمعت نفسها تتفوه بالحماقات على الهاتف وكأنها فتاة في الرابعة عشرة من عمرها. لقد حان الوقت لأن تسيطر على تصرفاتها وتتحكم بهرموناتها، فما تقوم به سخيف في الواقع.

«حسناً، أنا موجود في فيالباكا في الوقت الحاضر، وقد خطر لي

أن أمر بك فاتصلت لأرى ما إن كنت في المنزل ولديك بعض الوقت لاستقبالي».

بدا واثقاً من نفسه، هادئاً ومطمئناً لوضعه مليئاً بالرجولة وشعرت إريكا بمزيد من الحماقة لتلعثمها بالكلام كمراهقة.

نظرت إلى ما كانت ترتديه فوجدت أنها لا تضع عليها إلا ثياب رياضة متسخة قليلاً. رفعت في الوقت عينه يدها إلى شعرها وأخذت تتحسسه، إنه كما كانت تخشى بالضبط، معقوص وملفوف فوق رأسها مع خصل عنيدة متناثرة في كل الاتجاهات. يمكن للوضع أن يسمى بالكارثي.

بدت نبرة باتريك مشوشة قليلاً: «آلو، إريكا. هل ما زلت على الخط؟ مرحباً، هل من أحد؟»

«أجل، أنا ما زلت هنا. خيل إلي وكأن الخط قد انقطع وأن المكالمة قد انتهت».

صفعت إريكا جبينها للمرة الثانية في حوالي عشر ثوانٍ. يا رب السموات، لا بد أنه سيظنها مجرد مبتدئة في هذه الأمور.

«آلووو... إريكا هل تستطيعين سماعي؟ آلو؟»

«آه، بالطبع أستطيع أن أسمعك. تعال هيا. أمهلني فقط خمسة عشر دقيقة لأنني منشغلة... أنا أقوم بكتابة جزء مهم جداً من الكتاب وأريد أن أنتهي منه أولاً».

«بالطبع، لا مشكلة. هل أنت واثقة أني لا أسبب لك الإزعاج؟ أعني، أننا بجميع الأحوال سنرى بعضنا ليلة الغد، لذا...».

«كلا، قطعاً لا. أنا متأكدة، امنحني ربع ساعة فقط».

«حسناً، أراك عندئذٍ».

وضعت إريكا سماعة الهاتف بعناية وأخذت نفساً عميقاً يملأها

شعور بتوقع أمر ما. كان قلبها يخفق بقوة بحيث أمكنها سماعه وكأنه في أذنيها. كان باتريك في طريقه إلى منزلها. أجل، باتريك في... ارتعش جسمها كله وكأن أحدهم قد غسلها بالماء البارد وقفزت عن الكرسي بسرعة. سيكون في منزلها في غضون خمسة عشر دقيقة، فيما تبدو وكأنها لم تستحم أو تمشط شعرها منذ أسبوع. تسلقت السلالم الاثنتين في آن واحد تنزع من رأسها في هذه الأثناء ملابس الرياضة، وتتعثر وتكاد تقع على وجهها.

غسلت في الحمام تحت إبطيها شاكرة السماء في قلبها أنها أزالت الشعر منهما صباحاً بينما كانت تستحم. أخذت ترش العطر على معصميها وبين نهديها وعلى رقبتها، حيث شعرت أن النبض قد أصبح أقوى تحت أصابعها. فتحت أبواب خزانتها على مصراعيها وبدأت ترمي معظم محتوياتها على السرير قبل أن تقرر في النهاية ارتداء سترة سوداء عادية مع تنورة سوداء ضيقة تنسدل حتى كاحليها. نظرت إلى الساعة فوجدت أنه لم يتبق أمامها سوى عشر دقائق. إلى الحمام مجدداً، قليل من البودرة على الوجه وبعض الماسكرا على الرموش واللماع على الشفاه ولون خفيف فوق الجفنين. ما من حاجة لوضع الأحمر على الوجنتين لقد كان وجهها أحمر أصلاً. كانت تريد أن تبدو بمظهر مشرق طبيعي من دون أن تظهر حدة التبرج. وقد بدا لها مع مرور السنوات أنها تحتاج إلى المزيد والمزيد من التبرج الذي يعطي هذه النتيجة.

دق جرس الباب. بينما تلقي نظرة أخيرة على نفسها في المرآة أدركت مرتعبة أن شعرها لا يزال معقوصاً فوق رأسها بربطة شعر مطاطية صفراء قذرة. انتزعت الربطة وتمكنت بمساعدة مشط وبعض الجل أن تُبدي مظهر شعرها مقبولاً. رن الجرس مرة أخرى بشكل ملح هذه المرة فهرعت تنزل السلالم، لكنها توقفت في منتصف

الطريق للحظة تأخذ نفساً عميقاً وتستعيد هدوءها. فتحت له الباب تعلو ملامحها أكثر التعابير الهادئة التي تمكنت من إبرازها.

كان إصبعه يرتعش قليلاً بينما يضغط زر الجرس. كان على وشك أن يغير رأيه عدة مرات ويتصل بها ويقدم عذراً ما يدعي أنه منعه من المجيء، لكن السيارة كانت وكأنها تقود نفسها تلقائياً باتجاه سالفيك. كان يتذكر بالطبع أين تسكن وعبر أوتوماتيكياً المنعطف الضيق نحو اليمين الواقع فوق التل قبل أن يصل إلى الطريق المؤدي إلى منزلها. مع أن الوقت كان لا يزال بعد الظهر كان الظلام حالكاً في الخارج لكن أعمدة إنارة الشوارع كانت ترسل ما يكفي من الضوء ليلمح البحر من بعيد. أدرك فوراً كيف تشعر إريكا حيال منزل والديها. وفهم كذلك مدى الألم الذي لا بد أن تشعر به لفكرة فقدانه. وتوصل إلى أن يدرك استحالة مشاعره تجاهها. ستقوم هي وآنا ببيع المنزل ولن يعود هناك شيء يربط إريكا بفيالباكا. ستعود إلى ستوكهولم، حيث كانت، ولن يؤثر بها كثيراً مجرد شرطي من تانومشيد مقارنة بالرجال البارعين الوسيمين والمثقفين الذين تراهم في ستوربلان. واصل صعود السلالم الطويلة المضنية بخطوات ثقيلة وصولاً إلى الباب الأمامي ورن الجرس.

لم يأت أحد لفتح الباب فرن الجرس مجدداً. لقد بدأت الفكرة تبدو سيئة له تماماً، وليس كما توقعها في طريقه من منزل السيدة بيتران. لم يستطع ببساطة أن يقاوم رغبته الاتصال بإريكا بما أنها كانت قريبة جداً من حيث هو، لكنه سرعان ما أخذ يشعر بالندم منذ اللحظة التي ردَّت فيها على الهاتف. كانت تبدو منشغلة جداً بل ومنزعجة من اتصاله. حسناً لقد فات الأمر أصلاً على الشعور بالندم والقلق الآن. كان صوت الجرس يدوي للمرة الثانية داخل أرجاء المنزل.

استطاع أن يسمع أحدهم ينزل السلالم، لكن صوت وقع الخطوات توقف قليلاً قبل أن يتابع الشخص السير نحو الباب. فتحت له الباب وكانت تقف فيه تعلو وجهها ابتسامة عريضة. لقد خطفت أنفاسه. لم يستطع أن يفهم كيف يمكن لها أن تبدو دوماً نضرة ومشرقة إلى هذا الحدّ. بالكاد كان يرى على وجهها أي أثر للتبرج لكنها تتمتع بجمال طبيعي هو أكثر ما يجذبه في المرأة. لم تكن كارين تحلم حتى أن تظهر وجهها من دون تبرج، لكن إريكا كانت تبدو مذهلة بنظره، بحيث لم يستطع أن يتخيل أنه يمكن لأي شيء أن يسهم في تحسين مظهرها أكثر مما هو عليه.

بدا له المنزل كما كان دائماً. كان لا يزال على حاله كما كان يتذكره من أيام الطفولة وزياراته القليلة إليه. لقد سُمح للمنزل والأثاث هنا أن يشيخا معاً بكرامة. كان الخشب والطلاء الأبيض يطغيان على معظَم معالمه مع أقمشة باللون الأبيض والأزرق الفاتح تتماشى مع صدأ نحاس المفروشات القديمة العهد. كانت قد أضاءت الشموع لتمحي بها عتمة الشتاء. كان المكان كله ينضح بالسكينة والهدوء.

لحق بإريكا إلى المطبخ فسألته: «هل ترغب بتناول بعض القهوة؟»

سلمها باتريك علبة الحلويات وأجاب: «أجل، شكراً لك. لقد جلبت هذه معي. مع أني أظن أنه يجب أن آخذ القليل منها معي إلى المخفر. أنا واثق أن هناك ما يكفي الجميع ويزيد».

استرقت إريكا النظر إلى داخل العلبة وابتسمت قائلة: «يبدو أنك كنت في زيارة للسيدة بيتران».

«أجل، صحيح. وأنا منتفخ لكثرة ما تناولت من الحلويات لدرجة أني بالكاد أستطيع أن أتحرك».

«يا لها من سيدة رائعة، ألا تظنها كذلك؟»

«رائعة بما لا يصدق. لو كنت أقارب الثانية والتسعين من العمر لتزوجت بها».

ابتسم أحدهما للآخر.

«أخبريني إذاً كيف هي حال؟»

«بخير، أشكرك».

سادت بعدئذٍ لحظة صمت جعلت كلاً منهما مرتبك ومتوتر. سكبت إريكا فنجاني قهوة لكل منهما ووضعت الباقي في إبريق حافظ للحرارة على الطاولة.

«دعنا نجلس على الشرفة».

تناولا الجرعات الأولى من القهوة بصمت كذلك، لكنه لم يعد يبدو غير مريح بل مؤنس. جلست إريكا على أريكة الخيزران المجدول قبالته وتنحنح بدوره قبل أن يسألها: «كيف تسير أمور الكتاب؟»

«بخير شكراً. ماذا عنك؟ كيف تسير عملية التحقيق؟»

فكر باتريك للحظة وقرر أن يخبرها أكثر مما ينبغي أن يفعل بقليل، فإريكا كانت مضطلعة بالقصة على أي حال ولم ير أي ضرر من اطلاعها على ما يجري.

«يبدو أننا حللنا القضية. إننا في الواقع نضع أحد المشتبه بهم قيد الحجز. إنه يخضع لاستجواب الآن والدلائل الموجودة لدينا لا تحتمل إلا تفسيراً واحداً وكلها تشير إلى أنه الفاعل».

مالت إريكا بجسمها إلى الأمام تعلو وجهها علامات التساؤل: «ومن هو؟»

تردد باتريك لحظة قبل أن يقول: «إنه أندرز نلسون».

«هكذا إذاً تبين أنه أندرز في النهاية. يا له من أمر غريب لكنه لا يبدو مقنعاً تماماً».

كان باتريك ميالاً لأن يوافقها الرأي إذ كانت هناك العديد من الخيوط التي لا يمكن ربطها بعملية توقيف أندرز، إلا أن الدليل الحسي المأخوذ من مسرح الجريمة، وشهادة الشاهدة التي تقول بأنه لم يكن في منزل ألكس قبل الوقت المفترض لموتها وحسب، بل إنه وُجد هناك عدة مرات بعد مماتها لا يترك الكثير من المجال للشك. ومع ذلك. . .

«حسناً، أفترض أن المسألة قد انتهت إذاً. يا له من أمر مضحك، ظننت أني سأشعر بالراحة بعد العثور على القاتل. ماذا بشأن المقال الذي عثرت عليه؟ أقصد ذاك المتعلق باختفاء نيلز. أين مكانه من الصورة العامة، إن كان أندرز فعلاً القاتل؟»

هز باتريك كتفيه ورفع يديه إلى الأعلى في استسلام وقال: «لا أعلم إريكا، لا أعلم. لعل الأمر لا علاقة له بالجريمة مطلقاً، لعلها مجرد صدفة بحتة. ما من داع بأي حال لأن ندقق البحث في كل ما يجري. لقد أخذت ألكس أسرارها معها إلى القبر».

«ماذا عن الطفل الذي كانت تنتظر؟ هل كان من أندرز؟»

«من يعلم؟ هل كان طفل أندرز أم طفل هنريك. . . المعلومات التي أملك لا تزيد عما تعرفين. إني أتساءل في الواقع ما الذي عساه كان يجمع بين هذين الشخصين؟ يا لهما من ثنائي غريب. قد يكون صحيحاً أن لا شيء غير اعتيادي في أن يكون للمرء علاقات جانبية لكن ألكسندرا ويكنر وأندرز نلسون؟ أعني أني أجد صعوبة في أن أصدق أن رجلاً مثله يستطيع أن يغري امرأة لتقيم معه علاقة وألكسندرا ويكنر كانت. . . حسناً لا يخطر لي إلا أن أقول في وصفها سوى أنها رائعة الجمال».

خيل لباتريك أنه لمح لبرهة طيف تقطيبة بين حاجبي إريكا، لكنها سرعان ما اختفت في لحظة وعادت إلى طبيعتها المهذبة الرزينة

والطيبة. لعله تخيل ذلك على الأقل. كانت على وشك أن تفتح فمها لتقول شيئاً ما لكن أغنية مسجلة ما مأخوذة من إعلان تجاري لنوع من الآيس كريم كانت تسمع في غرفة الجلوس. جفل كل من باتريك وألكس لسماع الصوت، لكن باتريك قال: «إنه هاتفي النقال، أعذريني لحظة».

هرع إلى الغرفة وأخذ يبحث في جيب سترته قبل أن تناول الهاتف وقال: «باتريك هيدشتروم يتكلم».

«آه... حسناً... لقد فهمت... حسناً إذاً، نكون هكذا قد عدنا إلى نقطة البداية. أجل أعلم. آه، حقاً هو قال ذلك إذاً؟ حسناً، ما كان يمكن أن تعلم بذلك على أي حال. طيب حضرة المحقق، أراك لاحقاً». أغلق هاتفه بسرعة تعلو وجهه نظرة حاسمة، ثم عاد إلى حيث إريكا.

«ضعي سترة عليك وهيا بنا نذهب».

نظرت إريكا إليه متسائلة تضع فنجان القهوة على حافة شفتها: «وإلى أين عسانا نذهب؟»

«هناك معلومات جديدة بشأن تورط أندرز في الجريمة. يبدو أن علينا حذف اسمه عن لائحة المشتبه بهم».

«حقاً ما تقول؟ لكن إلى أين سنذهب؟»

«كلانا أنا وأنت أمكننا أن نشعر أن هناك خطب ما في المسألة برمتها. لقد وجدت ذاك المقال المتعلق بحادثة اختفاء نيلز في منزل ألكس، وقد يكون هناك المزيد من الأمور التي قد نعثر عليها».

«لكن ألم يسبق للشرطة أن ذهبت إلى هناك وقامت بتفتيش المنزل؟»

«بالطبع فعلت، لكنني لست واثقاً من أننا نبحث عن الأمور المناسبة. أريد اختبار فكرة ما خطرت لي. هيا بنا».

كان باتريك أصلاً قد قطع منتصف المسافة نحو الباب، واضطرت إريكا لأن ترمي معطفاً عليها على عجل وتلحق به.

بدا المنزل صغيراً وكأنه مجرد خربة. لم تكن لتتصور كيف يمكن للناس أن تعيش هكذا أو أن يكون هناك أحد يستطيع أن يحتمل مثل هذه الحياة الحزينة والبائسة، إنها حياة جرداء بكل ما للكلمة من معنى. لكن هكذا هو العالم مليء بالتناقضات، بعضٌ أغنياء وبعض فقراء. شكرت نيللي حظها لكونها تنتمي إلى الفئة الأولى لا الأخيرة. لم يكن الفقر من طبيعتها أو يليق بها. لقد كانت امرأة ولدت من أجل ارتداء الفرو ووضع الماس.

لعل المرأة التي فتحت الباب لم يسبق لها أن رأت أي ماسة حقيقية طوال حياتها. كان كل ما يحيط بها بائساً وحزيناً. أخذت نيللي تنظر بقرف إلى سترة الصوف المحبوك المهترئة التي ترتديها فيرا واليدين المتشققتين اللتين تضمها بهما فوق صدرها. لم تتفوه فيرا بأي كلمة، بل كانت تقف بالباب صامتة.

بعد أن نظرت حولها بتوتر واضح اضطرت نيللي لأن تقول في النهاية: «حسناً، ألن تقومي بدعوتي للدخول، أم أني سأنتظر النهار بأكمله واقفة عند الباب؟ أنا واثقة أن كلينا لا يريد لأحد أن يراني أزورك، أليس كذلك؟»

ظلت فيرا صامتة وتراجعت ببساطة متوجهة نحو غرفة الاستقبال بحيث تتمكن نيللي من الدخول.

«علينا أن نتحدث أنا وأنت، أليس كذلك؟»

قامت نيللي بنزع القفازات التي ترتديها إلى الخارج من يديها بأناقة وأخذت تنظر في أرجاء المنزل باشمئزاز فرأت كل من غرفة الاستقبال وغرفة الجلوس والمطبخ وغرفة النوم الصغيرة. كانت فيرا

تمشي خلفها وعيناها تنظران إلى الأرض. كانت الغرفة معتمة وموحشة ينقبض لها الصدر. وورق الجدران قد مر عليه زمن طويل منذ كان في أبهى حلته. لم يعبأ أحد بنزع المشمعات التي تفترش الأرض لتظهر الخشب من تحتها كما كان معظم الناس يفعلون بالمنازل القديمة هذه الأيام. لكن كل شيء كان نظيفاً ولماعاً. لم يكن هناك من أوساخ في الزوايا، بل يأس وقنوط يتغلغلان في كافة أرجاء المنزل ويفترشانه من الأرض إلى السقف.

جلست نيللي بحذر على آخر حافة الكرسي القديم في غرفة الجلوس، وكأنها هي من يعيش في المنزل، أومأت لفيرا لأن تأخذ مكاناً لها على الأريكة. أطاعتها فيرا وجلست هي أيضاً على الحافة الأخرى للأريكة. لم تكن تصدر أي صوت لكنها كانت تلاعب أصابعها بتوتر في حضنها.

كانت نبرة صوت نيللي ملحة حين قالت: «من المهم جداً أن نبقي هذا الحديث بيننا نحن الاثنتين فقط. أنت تفهمين ما أقول، أليس كذلك؟»

هزت فيرا رأسها في إشارة إلى أنها فهمت ما قيل.

«حسناً، لا يسعني أن أشعر بالأسف حيال ما حصل لألكس. لقد نالت ما كانت تستحق وأظن أنك توافقينني الرأي حول هذا. كانت تلك ستصاب بالفاجعة عاجلاً أم آجلاً. لطالما كنت أعلم ذلك».

اقتصر ردّ فعل فيرا أن ألقت نظرة سريعة على المرأة التي تجلس قبالتها، لكنها لم تتفوه مع ذلك بأي كلمة. شعرت نيللي بفرح عظيم للمرأة الحزينة الساذجة التي بدا أنها لم تعد تمتلك أدنى حسّ للإرادة أو العزم في جسمها. إنها مثال للمرأة العاملة النموذجية بعينيها اللتين تنظران إلى الأسفل. لم تكن تظن أن الأمور يجب أن تكون مخالفة

لما تراه لكنه لم يكن في وسعها إلا أن تشعر بالاحتقار حيال أولئك الناس الذين لا يتمتعون بأسلوب راقٍ أو بأناقة حقيقية. أكثر ما كان يثير حفيظتها أنها كانت مجبرة على الاتكال على فيرا نلسون تلك، لكن عليها أن تضمن صمتها مهما كلف الأمر. لقد نجح ذلك سابقاً، وعليه أن ينجح الآن مجدداً.

«من المؤسف أن الأمور أصبحت على ما هي عليه، لكنه بات من المهم جداً ألا نتسرع في القيام بأي شيء. يجب أن تسير الأمور كما كانت في السابق تماماً. لا نستطيع أن نغير الماضي وما من سبب لنبش القصص القديمة الكريهة وفضحها إلى العلن».

فتحت نيللي حقيبة يدها وتناولت منها مغلفاً أبيض اللون ووضعته على الطاولة الصغيرة أمامها.

«إليك مبلغاً بسيطاً يحسن معيشتك قليلاً. هيا خذيه».

دفعت نيللي المغلف نحوها لكن فيرا لم تمد يدها وتأخذه، بل اكتفت بالتحديق فيه ببساطة.

«يؤسفني أن الأمور سارت على ذاك النحو مع أندرز. لعله أفضل ما يمكن أن يحصل له. أعني أنه لا يستطيع الحصول على الكثير من الكحول، حيث هو في السجن».

أدركت نيللي فوراً أنها قد سارت بعيداً وتخطت حدودها. نهضت نيللي ببطء من مكانها عن الأريكة وأشارت بإصبع مرتعش نحو الباب وصرخت: «أخرجي من هنا!»

«كفى الآن يا صغيرتي فيرا، كفى، ليس عليك أن تأخذي المسألة...».

«اخرجي من منزلي قلت لك! أندرز لن يدخل السجن ويمكنك أن تأخذي معك مالك القذر وتذهبي إلى الجحيم أيتها العاهرة الحقيرة! أعلم تماماً من أين يأتي شخص مثلك، ومهما كانت كمية

العطور التي تضعين في محاولة للتغطية لا تزال رائحة نتنة تفوح منك!»

اقشعر جسد نيللي وتراجعت في مكانها أمام مشهد الكراهية الخالصة التي رأتها بوضوح في عيني فيرا. كانت قبضتاها مغلقتان بإحكام وكانت تقف مستقيمة تنظر في عيني نيللي مباشرة. بدا أن جسدها كله يرتجف بغضب السنوات المتراكمة. لم يكن هناك من أثر للطاعة والخنوع التي كانت تبديهما في ما مضى وبدأت نيللي تشعر بانزعاج حقيقي من الموقف الذي كانت تعيشه. هل كانت تبالغ في ردّ فعلها؟ كل ما فعلته كان أنها قالت الحقيقة لا أكثر، يجب على المرء أن يتقبل الواقع قليلاً، أليس كذلك. هرعت نحو الباب.

«اخرجي من هنا ولا تتجرئي على أن تريني وجهك مجدداً!».

تبعتها فيرا إلى خارج المنزل وتمكنت أن ترمي لها المغلف قبل أن تغلق الباب بقوة. اضطرت نيللي لأن تتكلف عناء الانحناء لكي تلتقطه عن الأرض. لم يكن مبلغ خمسين ألف بسيطاً ليتركه المرء ملقياً على الأرض مهما كان مذلاً أن ترى الجيران يسترقون النظر من وراء الستائر ليروا ماذا تفعل. كانوا يراقبون بينما تزحف على الأرض يا لها من قلة امتنان! حسناً، لعل فيرا ستظهر المزيد من الذل حين لا يعود معها أي مال ولا يعود يسعى أحد وراء خدماتها لتنظيف منزله. لقد توقف عملها في منزل عائلة لورنتز حتماً ولن يتطلب إيقافها عن العمل في منازل أخرى الجهد الكثير. سوف تحرص نيللي على أن تأتي فيرا زحفاً على ركبتيها العاريتين إلى مكتب الشؤون الاجتماعية قبل أن تتخلص منها نهائياً. لا أحد يهين نيللي لورنتز من دون أن يتحمل عواقب فعلته.

بدا وكأنه يمشي في المياه. كانت أطرافه ثقيلة ومتصلبة بعد أن

أمضى ليلة بأكملها على السرير الحديد في السجن. وكان رأسه وكأنه امتلأ قطناً بسبب حاجته للكحول. أخذ أندرز ينظر في أرجاء المكان من حوله فوجد أن الأرض تغطيها الأوساخ الموجودة على كعوب أحذية رجال الشرطة الذين تجولوا في المكان، لكنه بالكاد يأبه لذلك فقليل من الأوساخ في الزوايا ليس بالأمر المهم وهو لا يزعجه البتة.

تناول من البراد علبة جعة كبيرة وسقط فوق الفراش الموجود في غرفة الجلوس. اتكأ على مرفقه الأيسر وفتح علبة الجعة بيده اليمنى وأخذ يبتلع بنهم جرعات كبيرة متواصلة حتى آخر نقطة منها. ومن ثم رماها بكل قوته عبر غرفة الجلوس. حطت على أرض الغرفة في أبعد زاوية منها مصدرة صوت قرقعة قوي. بعد أن روى ظمأه القوي المؤقت استلقى على ظهره فوق الفراش ووضع يديه خلف رأسه. كان يحدق إلى السقف من دون أن يرى شيئاً متيحاً لنفسه أن يغرق قليلاً في ذكريات من الزمن البعيد. ففي الماضي البعيد فقط يتمكن أحياناً من أن يجد عزاءً لروحه المعذبة. بين تلك اللحظات القصيرة التي يسمح فيها لنفسه استعادة الأيام الجميلة الماضية يخترق فيها الألم قلبه ويعتصره بقوة لامتناهية. كان يذهله كم يمكن أن تبدو أحداث الماضي بعيدة جداً وقريبة جداً في آن معاً.

كانت الشمس مشرقة دوماً في ذاكرته لا تغيب وكان الإسفلت دافئاً تحت قدميه العاريتين وشفتاه لا تزالان مالحتي الطعم جراء السباحة في مياه البحر. من الغريب جداً أنه لا يستطيع أن يتذكر مطلقاً أي شيء عدا فترة الصيف. لم تكن هناك من فصول شتاء في ذاكرته ولا من غيوم أو أمطار. لم يكن هناك سوى شمس مشرقة وسماء زرقاء صافية ونسيم عليل يقذف الموج مكسراً انعكاس صفحة السماء.

كان يتذكر ألكس بفساتينها الصيفية الرقيقة الملتصقة بجسمها. وكان شعرها الطويل الذي كانت ترفض أن تقصه يتدلى بلونه الأشقر

الأخاذ حتى أسفل ظهرها. حتى أنه كان يتذكر أحياناً رائحة عطرها بوضوح تام ويتنشقه بقوة من منخريه فيدغدغه ويوقظ في نفسه الاشتياق. إنها رائحة الفراولة والمياه المالحة والشامبو بعطر عشبة التيموثي. كانت تلك الروائح تمتزج أحياناً برائحة العرق التي لم تكن تزعجه مطلقاً، حين يشمها أثناء سباق لهما على الدراجات أو تسلقهما الصخور إلى أن تتعب أقدامهما. كانا يستلقيان حينئذٍ على ظهريهما فوق أعلى الجبال الصخرية على قمة فيديبيرجيت وأقدامهما تمتد باتجاه البحر وأيديهما مشبوكة فوق معدتيهما. كانت ألكس في الوسط بينهما بشعرها المنسدل وعينيها اللتين تنظران إلى السماء. وفي لحظات نادرة وقيّمة كانت تمسك بأيديهما وتضمها بين يديها فيغدون للحظات وكأنهم واحد وليس ثلاثة.

كانوا يحرصون على ألا يراهم أحد معاً مطلقاً. هذا سوف يفسد السحر الجميل ويكسر التعويذة ولن يتمكنوا من إبقاء الحقيقة طي الكتمان بعد ذلك. والحقيقة أمر يجب كتمانه مهما كان الثمن. كانت المسألة بشعة وقاتمة ولا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بعالم الأحلام الوردية ذي الشمس الدائمة الإشراق الذي كان بإمكانهم أن يبنوه سوياً حين يكونون معاً. لم تكن تلك الحقيقة أمراً يمكنهم التكلم عنه قط. عدا عن ذلك كانت أيامهم لتكون مليئة بالألاعيب المحمومة والمناقشات الحادة. لا يمكن أن يؤخذ شيء على محمل الجدّ. عندئذٍ فقط يمكنهم الادعاء أنها ليسوا بهشّين وأنه لا يمكن قهرهم ولا الوصول إليهم. كان كل منهم لا يساوي شيئاً بوصفه فرداً. أما معاً فكانوا أشبه بالفرسان الثلاثة.

لم يكن الكبار سوى مخلوقات هامشية من عالم الأحلام، لم تكن تشكل سوى أعداد إضافية لا يتأثرون بها. كانت أفواههم تتحرك لكنها لا تصدر أي صوت. كما كانت تصدر عنهم الحركات وتظهر

على وجوههم بعض التعابير التي يفترض أن لها معنى لكنها كانت تبدو متكلفة، خالية من أي معنى أو مغزى مفهوم.

افتر ثغر أندرز عن طيف ابتسامة للذكريات التي خطرت له لكنه كان مجبراً أن ينتزع نفسه ببطء من حالة الأحلام الشبيهة بالشلل. كانت الطبيعة تناديه وقد عاد مجدداً إلى حالة القلق التي يعيشها. نهض من مكانه ليهتم بحل مشكلة ما.

كان موقع المرحاض تحت مرآة يغطيها الغبار والأوساخ. حين أفرغ مثانته لمح نفسه في المرآة ولاحظ للمرة الأولى منذ سنوات كيف ينظر الناس إليه. كان شعره متسخاً ومدهناً، أما وجهه فكان شاحباً مع مسحة من اللون الرمادي الذي يوحي بالمرض فوق بشرته. كما تركت سنوات الإهمال بضع ثغرات في أسنانه الأمامية مما جعله يبدو أكبر من سنواته الحقيقية بعقود.

كان القرار قد اتخذ مسبقاً من دون أن يعي حقاً أنه قام باتخاذه. بعد أن تلمس سرواله ليقفل سحابته أدرك ما ينبغي أن تكون الخطوة التالية. نظرة عينيه تحمل تصميماً حازماً حين ذهب إلى المطبخ. بعد أن بحث في الأدراج وجد سكين مطبخ كبير قام بمسح حافته على ساق سرواله. ومن ثم ذهب إلى غرفة الجلوس وبدأ يزيل اللوحات عن الجدران على نحو منهجي. أخذ ينزلها واحدة تلو الأخرى وينزع اللوحات التي كانت تعتبر نتاج سنوات طويلة من العمل. أما التي احتفظ بها وأبقاها معلقة فهي تلك التي كانت ترضيه كثيراً. لقد عمد إلى رمي العديد من اللوحات التي لا تصل إلى المستوى الذي يروقه. وها هو السكين الآن يمزق قماش لوحة تلو الأخرى. كان يعمل ببطء وبيد ثابتة تماماً، فيمزق اللوحات إرباً صغيرة، بحيث لا يعود بالإمكان أن تظهر ما الذي كانت تصوره يوماً ويصبح مستحيلاً تماماً

إدراك مغزى اللوحة أصلاً. من المفاجيء فعلاً أن تمزيق أقمشة اللوحات كان يتطلب الكثير من الجهد والتعب، وقد لاحظ حين انتهى من العمل أن قطرات من العرق قد تكونت فوق جبينه. بدت غرفة الجلوس حيث كان يجهد أشبه بأرض معركة تملأها الألوان.

كانت إرب الأقمشة التي كانت يوماً تدعى لوحات تغطي أرض غرفة الجلوس. أما إطارات تلك اللوحات فكانت تتكدس فارغة من مضمونها أشبه بلثات من دون أسنان. أخذ ينظر من حوله، شاعراً بالرضا لما اقترفته يداه.

سألته إريكا: «كيف تعرف أنه لم يكن أندرز من أقدم على قتل ألكس؟»

«هناك فتاة تعيش في المبنى ذاته الذي يقطنه أندرز تقول إنها رأته يعود إلى المنزل قبل الساعة السابعة بقليل، وألكس قد تحدثت إلى والدتها عند السابعة والربع. من المستحيل أن يعود إلى منزله خلال مثل تلك الفترة القصيرة من الزمن. مما يعني أن شهادة السيدة داغمار بيتران تعني أنه كان موجوداً في المنزل بينما كانت ألكس لا تزال على قيد الحياة».

«لكن ماذا عن بصمات الأصابع والأقدام التي تم العثور عليها في الحمام؟»

«هذا لا يثبت أنه هو الذي قام بقتلها، بل إنه كان هناك بعد أن توفيت. في أي حال لا يعتبر هذا كافياً لإبقائه قيد الاحتجاز لفترة أطول. ما من شك في أن ملبرغ سيستدعيه مجدداً، فهو لا يزال مقتنعاً أن أندرز هو القاتل، لكنه مضطر لأن يطلق سراحه في الوقت الحالي، وإلا سوف يأخذ المدعي العام عليه مأخذاً. لطالما ظننت أن هناك خطباً ما وأن الأمور لا تسير على خير ما يرام وهذا ما يؤكده. لا يزال

أندرز ضمن دائرة المشتبه بهم، لكن هناك ما يكفي من علامات الاستفهام التي تقول إن هناك أسباباً تدعو إلى استمرار البحث».

سألته إريكا: «ألهذا السبب نحن في طريقنا إلى منزل ألكس؟ ما الذي تأمل أن تعثر عليه هناك؟»

«لا أعلم ما الذي أبحث عنه تماماً. أشعر أني بحاجة لأن أرسم صورة أكثر وضوحاً حول مسار الأحداث».

«قالت بريجيت إن ألكس لم تتمكن من التحدث إليها لأنها كانت تنتظر ضيفاً ما، إن لم يكن ذلك الضيف أندرز فمن عساه يكون؟»

«حسناً، هذا هو السؤال الأهم، أليس كذلك؟»

كان باتريك يقود السيارة بسرعة متزايدة قليلاً بالنسبة إلى إريكا. كانت تتمسك بقبضة الباب جيداً جراء الخوف الذي كانت تشعر به. كاد يفوته أن ينعطف بالقرب من نادي الإبحار فقاد السيارة نحو اليمين في اللحظة الأخيرة، مما يعني أنه كان على قاب قوسين أو أدنى من الاصطدام بأحد الأسوار التي مر بمحاذاتها تماماً.

افتر ثغر إريكا عن ابتسامة باهتة حين سألته: «هل تخشى أن يكون المنزل قد اختفى في حال لم نصل إلى هناك سريعاً؟»

«آه، أنا آسف، أظن أنني متحمس قليلاً للوصول إلى هناك».

خفف سرعة السيارة نوعاً ما وفي المرحلة الأخيرة التي تسبق الوصول إلى المنزل بمسافة قصيرة تجرأت أن تفلت قبضة الباب. لم تكن تفهم حتى اللحظة السبب وراء رغبته مرافقتها له إلى منزل ألكس، لكنها وافقت مع ذلك أن تأتي معه. لعل تلك الخطوة تؤمن لها بعض المعلومات التي قد تضمنها الكتاب.

توقف باتريك خارج باب المنزل تعلو وجهه نظرة فضولية ماكرة.

«لقد نسيت أني لا أملك مفاتيح المنزل. أخشى أننا لن نتمكن

من الدخول. لن يحبذ ملبرغ أن يتم القبض على أحد رجال شرطته متلبساً وهو يحاول اقتحام أحد المنازل ودخولها عبر النافذة».

أطلقت إريكا تنهيدة من الأعماق وانحنت نحو الأرض لتحسس المنطقة تحت السجادة. وبابتسامة ماكرة أمسكت المفتاح ولوحت به أمام باتريك ومن ثم فتحت له الباب ودعته للدخول أولاً.

كان أحدهم قد أشعل السخان مجدداً لأن الحرارة في الداخل كانت أعلى نسبياً مما هي في الخارج. وقد خلع كل منهما معطفه وعلقه على الحمالة بالقرب من السلالم المؤدية إلى الطابق الأول.

شبكت إريكا ذراعيها ورمقت باتريك بنظرة متسائلة، وقالت: «ماذا عسانا نفعل الآن؟»

«في وقت ما بعد الساعة السابعة والربع، وحين كانت تتكلم إلى والدتها تناولت ألكس كمية هائلة من المهدئات. لم يكن هناك أي دلالة على اقتحام أحدهم للمنزل عنوة لذا تشير جميع الاحتمالات إلى أنها تلقت زيارة من شخص هي على معرفة به. شخص تسنت له الفرصة في ذلك الوقت أن يعطيها كل تلك المهدئات. كيف يمكن لأحدهم أن ينجح في فعل ذلك؟ حسناً، لا بدّ أنهما تناولا طعاماً أو شراباً ما معاً».

كان باتريك يذرع الأرض ذهاباً وإياباً في غرفة الجلوس بينما يتحدث. جلست على الأريكة وأخذت تراقبه باهتمام متزايد.

توقف فجأة عن التحرك ورفع إصبع السبابة في الهواء وقال: «لقد تمكن الطبيب الشرعي في الواقع من إخبارنا ما نوع الطعام الذي تناولته أخيراً. بناءً على ما وجد في معدتها. ما الذي تناولته ألكسندرا ليلة تعرضها للقتل يا ترى؟ وفقاً لما ذكره الطبيب الشرعي كانت معدتها تحتوي على السمك ونبيذ التفاح. وقد وجد في سلة المهملات علبة سمك فارغة من ماركة فيندوس، كما كان هناك قنينة

نبيذ تفاح فارغة، كذلك على طاولة المكتب، لذا بدا أن الأمور مطابقة. ما بدا غريباً نوعاً ما وجود قطعتي لحم ضأن كبيرتين في الثلاجة وصحن بطاطا متجمد في الفرن، لكن الفرن لم يكن مشتعلاً وكان طبق البطاطا لا يزال نيئاً. كما كان هناك قنينة من النبيذ الأبيض فوق سطح المجلى في المطبخ. كانت القنينة مفتوحة وتنقص حوالى خمس أونصات أي ما يعادل كأساً واحدة فقط».

أشار إلى الكمية المستهلكة بين إبهامه وسبابته.

كانت إريكا تصغي إلى الحديث باهتمام وتسند مرفقيها إلى ركبتيها وقالت له متسائلة: «لكن لم يكن هناك أي أثر للنبيذ في معدة ألكس، أليس كذلك؟»

«كلا، إطلاقاً، لا بدّ أنها تناولت نبيذ التفاح بدلاً من النبيذ العادي بما أنها كانت حاملاً. لكن يبقى السؤال، من هو الشخص الذي تناول معها النبيذ؟»

«هل كان هناك من صحون متسخة؟»

«أجل، كان هناك صحن واحد مع شوكة وسكين وبعض بقايا السمك فيه. كما كان هناك كأسين داخل حوض جلي الصحون. إحداها كانت مليئة بالبصمات، بصمات ألكس طبعاً، إلا أنه لم تكن هناك أي بصمات على الكأس الأخرى».

توقف عن المشي في أرجاء الغرفة وجلس في الكرسي المريح قبالة إريكا ومدّ ساقيه الطويلين وشبك يداً بيد فوق معدته.

قالت إريكا: «مما يعني أن أحدهم قد عمل على مسح البصمات عن الكأس الأخرى».

كانت تشعر أنها غاية في الذكاء وهي تجلس هناك وتتوصل للاستنتاجات، فيما يحاول باتريك أن يبدي ما يكفي من التهذيب محاولاً أن يظهر أن الفكرة لم تخطر له قط من قبل.

«أجل، هذا ما يبدو. وبما أن داخل الكؤوس قد تعرض للغسل فإننا لم نجد أي بقايا للمهدئات في داخل أي منها لكني أرجح كثيراً أن تكون ألكس قد تناولتها مع نبيذ التفاح».

«لكن لم عساها تتناول السمك فقط لوحدها إن كان هناك من عشاء فاخر يتضمن قطعتي لحم كبيرتين يتم تحضيرهما في المطبخ؟»

«أجل هذا هو السؤال، معك حق. لما عسى امرأة تتخلى عن تناول وليمة لذيذة وتقوم بدلاً من ذلك بتسخين شيء ما سريعاً في المكروويف لتناوله؟»

«لأنها كانت تخطط لتناول عشاء رومنسي لشخصين لكن حبيبها لم يحضر مطلقاً إلى الموعد».

«هذا ما أظنه أنا أيضاً. لقد انتظرت طويلاً إلى أن سئمت الانتظار فوضعت شيئاً يحضر بسرعة في الميكروويف. أتفهم ذلك تماماً. ليس هناك متعة كبيرة في تناول قطعة من اللحم وحيدة».

قال باتريك: «لقد قدم أندرز في الواقع إلى هنا للقيام بزيارة ما لذا يصعب أن يكون هو الشخص الذي كانت تنتظر. لكن ماذا عن والد الطفل؟»

«أجل يبدو هذا الأكثر قبولاً للتصديق، يا له من أمر مأساوي. ها هي قد حضرت العشاء الأفضل في العالم، ووضعت النبيذ في البراد ليصبح لذيذاً، لعله من أجل الاحتفال بوجود الطفل ما أدراني أنا ولكن الضيف لم يظهر في الموعد. فجلست تنتظر وتنتظر. يبقى السؤال من الذي أتي بدلاً منه؟»

أجابها باتريك: «لا يسعنا أن نحكم من كان الشخص الذي تنتظر، إذ يمكن أن يكون قد أتى في وقت متأخر أكثر من المتوقع».

نظرت إريكا من حولها في أرجاء الغرفة وقالت: «أجل هذا صحيح. إنه لأمر يدعو إلى الإحباط! لو أن الجدران تستطيع الكلام».

كانت الغرفة جميلة جداً ذات أجواء دافئة، لقد بدت حديثة ومنعشة. حين تنشقت الهواء استطاعت أن تشتم أثراً لرائحة طلاء الجدران. كان اللون الذي طلي به الحائط من أكثر الألوان المفضلة لدى إريكا. إنه الأزرق الفاتح مع مسحة من اللون الرمادي الذي يتضارب مع لون إطارات النوافذ والأثاث الأبيض. كان جو من السكينة يملأ الغرفة بما يجعلها راغبة في أن تسند رأسها إلى الأريكة وتغمض عينيها. كانت قد رأت تلك الأريكة بالذات لدى معرض للمفروشات في ستوكهولم، لكن المدخول الذي كانت تؤمنه لم يكن يتيح لها سوى أن تحلم بشراء واحدة مثلها. كانت كبيرة الحجم وممتلئة وكأنها تعرضت للنفخ من كافة الجوانب. قطع الأثاث الجديد تمتزج بقطع أثرية قديمة في خلطة تنم عن ذوق رفيع. لا بدّ أن تكون ألكس قد عثرت على كل تلك القطع الأثرية القديمة أثناء العمل على إعادة ترميم المنزل في غوتبرغ. معظم المفروشات القديمة تعود إلى العهد الغوستافي الذي ساد بين السبعينيات والثمانينيات. شكرت إريكا شركة IKEA في سرها لأن اللاصق الذي تضعه على منتجاتها قد مكنها من التعرف إلى الماركة. لطالما كانت تتمنى أن تشتري بضع قطع من سلسلة أثاث تلك الشركة من الطراز الذي كانت تراه تحديداً. أطلقت إريكا تنهيدة غيرةٍ من الأعماق، ثم ذكّرت نفسها بالسبب الذي كانت موجودة لأجله في ذلك المنزل. وقد قضى ذلك تماماً على أي شعور بالغيرة كان ينتابها.

قالت إريكا: «ما تقوله إذاً هو أن أحداً تعرفه قد يكون حبيبها أو أي شخص آخر قد أتى إلى منزلها وتناولا كأساً معاً من ثم قام أحدهم بوضع نوع من المهدىء في كأس نبيذ التفاح الذي كانت ألكس تحتسيه».

«أجل، هذا السيناريو الأكثر قرباً للفهم».

«حسناً، وماذا بعد؟ ما الذي تظنه حصل بعد ذلك؟ كيف انتهى بها الأمر في حوض الاستحمام؟»

أغرقت إريكا نفسها في حضن الأريكة الوثير حتى أنها مددت قدميها على الطاولة الصغيرة أمامها. فكرت أنه عليها حقاً أن تدخر لشراء مثل تلك الأريكة المريحة. وخطر لها للحظة أنها إن تمكنت من بيع منزل والديها سوف يكون لديها ما تريد من المال من أجل شراء أي نوع من المفروشات تريد، لكنها سرعان ما حذفت الفكرة من رأسها.

«أظن أن القاتل قد انتظر إلى أن غفت ألكس وعمل على إزالة ملابسها وسحبها إلى الحمام».

«لماذا تظنين أن القاتل سحبها إلى الحمام ولم يقم بحملها مثلاً؟»

«لأن تقرير الطبيب الشرعي يقول إنه وجدت علامات جراح طفيفة على كاحليها وآثار كدمات على الجهة الداخلية من أعلى ذراعيها».

استقام باتريك فجأة في كرسيه، حيث كان يجلس قبالة إريكا ورمقها نظرة تحمل أملاً ما وسأل: «هل لي أن أجرب شيئاً؟»

أجابته إريكا متشككة: «هذا يعتمد على ما ستجرب».

«لقد خطر لي أنه بإمكانك أن تلعبي دور الضحية التي تعرضت للقتل».

«آه، أشكرك كثيراً. هل تظن حقاً أن موهبتي التمثيلية متقدمة إلى حدّ أن أمثل هذا الدور؟» ضحكت لما قالته لكنها وقفت طوعاً في مكانها.

«كلا، كلا لا أريد أن تقفي بل ابقي جالسة، فالسيناريو المرجح هو أنهما كانا جالسين هنا حين غرقت ألكس في النوم على الأريكة. لذا هل لك أن تمثلي أنك سقطت ككومة تخلو من الحياة؟»

أصدرت إريكا صوتاً ينم عن تذمر، لكنها فعلت ما بوسعها كي تقوم بدور الشخص الغائب عن الوعي. حين بدأ باتريك بسحبها فتحت إحدى عينيها وقالت: «آمل أنك لا تفكر في نزع ملابسي أيضاً».

«آه، كلا، قطعاً لا أفكر أن أفعل، لم أكن أنوي ذلك حتى، أعني. . .»، لكنه تلعثم واحمر خجلاً، وعجز عن إنهاء جملته.

«هذا جيد، كنت أمزح معك فقط. هيا تفضل وتابع، قم بتنفيذ جريمتك».

شعرت به يسحبها على الأرض بعد أن أزاح الطاولة قليلاً، بدأ العملية بمحاولة لسحبها عن معصميها، لكن حين لم ينجح ذلك تماماً أمسك بها من ذراعيها تحت إبطيها وأخذ يسحبها نحو الحمام. شعرت فجأة أنها تعي تماماً مدى ثقل وزنها. لا بدّ أن باتريك يظنها تزن نصف طن. حاولت أن تغش قليلاً وتدفع نفسها حتى لا تعود تشعر أنها ثقيلة إلى هذا الحد، لكنها لم تحصل في المقابل إلا على توبيخ من باتريك. آه، لماذا لم تتبع النظام الغذائي لـWeight Watchers بشكل أكثر صرامة في الأسابيع القليلة الماضية؟ لتكون صادقة مع نفسها، هي لم تحاول أن تتبعه حتى، بل كرست نفسها لتناول الأكل من دون قيود أو ضوابط. ولزيادة الطين بلة علت سترتها عن بطنها بينما كان باتريك يقوم بسحبها. وهددت إحدى الكتل التي تدل على سمنتها بالخروج من تحت الحزام الذي كانت تضعه حول خصرها. حاولت أن تبتلع معدتها فأخذت نفساً عميقاً لكن سرعان ما اضطرت إلى أن تزفره مجدداً بعد لحظة واحدة.

شعرت بأرض الحمام باردة على ظهرها وارتعشت رغماً عنها لكن ليس لمجرد البرد. حين قام باتريك بجرها طوال الطريق نحو حوض الاستحمام كان يعاملها باهتمام وينتبه لئلا يسبب لها الأذى.

«حسناً، لقد سارت الأمور بما يكفي من السلاسة. صحيح أنك ثقيلة لكن سحبك ليس مستحيلاً. كما أن ألكس كانت أقل وزناً منك».

شكرته إريكا لما قال بسخرية في سرها بينما كانت مستلقية على الأرض تحاول بشكل خفي إنزال سترتها وتغطية بطنها.

«والآن كل ما على القاتل فعله هو إدخالها في حوض الاستحمام».

قام بخطوة تهدف إلى رفع قدمي إريكا لكنها نهضت عن الأرض بسرعة وأزاحته عنها واندفعت إلى الأمام قائلة: «كلا، باتريك أنا أرفض المتابعة في القيام بالتمثيلية. لقد نلت ما يكفي من الكدمات ليوم واحد. ثم إنني لن أنزل في حوض الاستحمام حيث وجدت ألكس ميتة هذا أمر محتوم بحق السماء!»

تقبل متردداً احتجاجات إريكا وغادرا الحمام عائدين إلى غرفة الجلوس.

«بعد أن أنزل القاتل ألكس داخل حوض الاستحمام أصبحت عملية سهلة أن يفتح المياه عليها، ومن ثم يجرح لها معصميها بشفرة حلاقة يأخذها من حقيبة في خزانة الأدوية. ثم كل ما على القاتل فعله هو أن ينظف البصمات التي خلفها وراءه فيغسل الكأسين ويزيل البصمات عن إحداهما بينما ألكس تنزف حتى الموت داخل الحمام. يا له من قاتل صاحب دم بارد بشكل فظيع!»

«ماذا عن السخان؟ هل كان مطفأً حين وصلت إلى فيالباكا؟»

«أجل، هذا ما يبدو. مما يزيد من حظنا نحن. كان من الصعب كثيراً جمع أي أدلة من الجثة لو كانت متروكة في حرارة عادية لأسبوع كامل. لعله كان من المتسحيل مثلاً أن نميّز بصمات أصابع أندرز».

ارتعشت إريكا لسماعها ذلك. مجرد التفكير في أخذ البصمات عن الجثة كان مروعاً ومقرفاً نوعاً ما بالنسبة إليها.

أخذا يفتشان بقية أرجاء المنزل معاً، فأخذت إريكا وقتها في التفتيش داخل غرفة نوم ألكس وهنريك بدقة متناهية بما أن زيارتها السابقة إليها قد تمت مقاطعتها على نحو غير لائق كلياً، لكنها لم تجد شيئاً يلفت انتباهها. ظل الشعور بأن هناك شيء ما مفقوداً يراودها، وأزعجها كثيراً أنها لم تستطع معرفة ما هو ذلك الشيء. وقررت أن تخبر باتريك بالأمر، إذ كان هو كذلك محبطاً بقدرها. شعرت بالرضا حين وجدت أنه بدا منزعجاً تماماً حين أخبرته عن قصة الدخيل وكيف اضطرت للاختباء داخل خزانة الملابس في تلك الليلة.

أطلق باتريك تنهيدة متعباً وجلس على حافة السرير الضخم محاولاً أن يساعدها على تصور الغرض الذي كانت تبحث عنه في ذاكرتها.

«هل كان شيئاً صغيراً أم كبيراً؟»

«لا أدري باتريك لعله كان أمراً صغيراً وإلا كنت لاحظت وجوده، ألا تظن ذلك؟ لو كان هذا السرير الضخم قد اختفى مثلاً لكنت لاحظت اختفاءه». ابتسمت ثم جلست بالقرب منه.

«لكن أين كان مكانه في الغرفة؟ هل كان بجانب الباب؟ هل كان فوق السرير؟ أو على الطاولة؟»

أخذ باتريك يتلمس بإصبعه قطعة من الجلد كان قد وجدها على مكان تعليق ملابس ألكس. بدت أشبه بنوع من الرمز التعريفي مع أحرف منقوشة في الجلد خطتها يد طفل وكانت تقول: .T.T.M 1976. حين قلبها على الناحية الأخرى رأى بعض البقع غير الواضحة لما بدا كقطرات دماء قديمة جافة. وتساءل من أين عساها تكون قد أتت.

«لست أعلم ما كان ذلك باتريك. لو كنت أعلم ما كان لما كنت جالسة هنا حائرة بأمري».

نظرت إلى جانب وجهه. كانت لديه أهداب طويلة سوداء. كانت شعيرات ذقنه بالكاد قد ظهرت. كانت طويلة بما يكفي تحسسها كورق الرمل على الجلد، إنما قصيرة بما يكفي كذلك لئلا تخدش الجلد بشكل غير مريح. وقد تساءلت كيف عسى الشعور بها على بشرتها ليكون.

«ما الأمر؟ هل هناك شيء ما على وجهي؟»

أخذ باتريك يمسح فمه بتوتر. وأسرعت هي في الإشاحة بنظرها بعيداً وقد شعرت بالحرج لأنه كشفها تحدق به.

«كلا، لا شيء مجرد قطعة شوكولا صغيرة. لقد اختفت الآن».

سادت لحظة صمت ثقيلة بينهما.

قالت إريكا أخيراً: «حسناً، ما رأيك؟ لن نتوصل إلى أكثر مما توصلنا إليه، هل تعتقد أننا سنفعل؟»

«كلا، على الأرجح أننا لن نفعل. لكن اسمعيني، اتصلي بي حالما تتذكرين ما الغرض المفقود. إن كان مهماً بما يكفي ليحضر أحدهم لأخذه فلا بدّ أنه مهم للتحقيق كذلك».

أقفلا الباب بحرص تام وأعادت إريكا وضع المفتاح تحت السجادة الصغيرة.

«هل ترغبين في أن أقلك إلى المنزل؟»

«لا، شكراً لك باتريك، سأستمتع بنزهة على الأقدام».

عدل باتريك في وقفته من الاستناد إلى قدم بدل الأخرى، وشعر أنه مجرد فتى مراهق في الخامسة عشرة من العمر وقال: «حسناً، أراك غداً في المساء إذاً».

أجابت إريكا: «طيب، أراك عند الثامنة تعال إلي عندما تشعر بالجوع اتفقنا».

«سأحاول، لكن لن أعدك بشيء من اليوم، ففي الوقت الحاضر أشعر أني لن أجوع مجدداً أبداً». ضحك باتريك وهو يربت على معدته ويشير برأسه ناحية منزل السيدة داغمار بيتران الذي يقع على الناحية الأخرى من الشارع.

ابتسمت له إريكا ولوحت بيدها بينما يبتعد بسيارة الفولفو. كان بإمكانها أن تشعر منذ الآن بشيء من التوق في داخلها ممزوجاً بشعور من انعدام الأمان والقلق والخوف المطلق.

بدأت رحلتها نحو المنزل، لكنها لم تكن قد اجتازت بضع ياردات قبل أن تتوقف فجأة عن السير. خطرت لها فكرة لم تعرف من أين أتت، وعليها أن تختبر مدى صحتها قبل أن تنساها. بخطى مصممة عادت أدراجها إلى منزل ألكس، حيث كانت وسحبت المفتاح من تحت السجادة الصغيرة ودخلت المنزل مجدداً بعد أن حرصت على إزالة الثلج جيداً عن حذائها.

ما يمكن لمرأة تنتظر مجيء رجل لم يأت مطلقاً إلى عشاء رومنسي أن تفعل؟ عليها أن تتصل به طبعاً! تضرعت إريكا أن يكون لدى ألكس هاتف حديث وألا تكون قد أغرمت بهواتف الـ Cobra التي تعود إلى الخمسينيات، أو أنها لا تزال تحتفظ بموديل Bakelite القديم. لقد حالفها الحظ في الواقع. كان هاتف من ماركة Doro الجديدة معلقاً على الحائط في المطبخ. بأصابع مرتعشة ضغطت إريكا على الزر الذي يعيد طلب آخر رقم تم الاتصال به وصلّت ألا يكون أحدهم قد استعمل الهاتف منذ وفاة ألكس.

أخذ الهاتف يرن ويرن إلى ما لا نهاية. وبعد سبع مرات كانت على وشك أن تقفل الخط لكنها سمعت فجأة صوت المجيب الآلي.

أصغت للرسالة لكنها أعادت السماعة إلى مكانها قبل أن يصدر الطنين الذي يطالب المتصل بترك رسالة بعد سماع صوته. كان وجه إريكا شاحباً بينما تعيد سماعة الهاتف إلى مكانها ببطء. كادت تسمع صوت القرقعة في رأسها بينما قطع الأُحجية (puzzle) تتخذ أمكنتها المناسبة لتكتمل الصورة. وقد أدركت فجأة ما هو الشيء المفقود من غرفة النوم في الأعلى تحديداً.

كان ملبرغ يشتعل غيظاً وحنقاً. كان يذرع المخفر ذهاباً وإياباً بغضب شديد. لو تمكن موظفو مخفر تانومشيد لاتخذ كل منهم مخبأً له تحت طاولة مكتبه. لكن الكبار لا يفعلون ذلك لذا كان عليهم أن يعايشوا المعاناة طوال النهار ويستمعوا إلى شتائم غاضبة وتهديدات وكلام نابٍ طوال الوقت. وكانت أنيكا من عانى القسم الأكبر من كل ذلك. على الرغم من أنها قوت عودها وأصبحت أكثر صلابة مع مرور الأشهر منذ أن استلم ملبرغ رئاسة المخفر، كانت تشعر للمرة الأولى منذ وقت طويل أنها على شفير الانفجار بكاءً في أي لحظة. كانت قد شهدت ما يكفي عند الساعة الرابعة فغادرت المكتب وتوقفت عند متجر كونوسوم لشراء علبة كبيرة من الآيس كريم.

ثم ذهبت إلى منزلها وأدارت التلفزيون على محطة Glamour TV وسمحت للدموع أن تنساب فوق الآيس كريم. لقد كان أحد تلك الأيام الصعبة التي تمر بها لا أكثر.

كاد ملبرغ يصاب بالجنون لاضطراره إخراج أندرز من الحجز. كان على يقين تام بكل حواسه أن أندرز كان وراء مقتل ألكس ويكنر ولو أنه حظي بمزيد من الوقت معه لوحدهما لكان استنطقه وأخرج من فمه الحقيقة. إلا أنه أجبر بدلاً من ذلك على إطلاق سراح أندرز ذاك بسبب شاهدة لعينة قالت إنها رأته يعود إلى منزله قبل بدء برنامج

Separate Worlds على التلفاز مباشرة. مما يعني أنه كان موجوداً في شقته عند الساعة السابعة وألكس قد تحدثت إلى بريجيت عند السابعة والربع. سحقاً.

ثم يأتي ذاك الشرطي الشاب المدعو باتريك هيدشتروم الذي ظل يصر على مجموعة من الأفكار الغريبة التي تقول إن شخصاً آخر غير أندرز نلسون هو من قتل ألكس ويكنر. كلا، إن كان هناك ما تعلمه خلال السنوات التي أمضاها يعمل في قسم الشرطة فهو أن كل شيء كان يبدو في معظم الأحيان ما هو عليه تماماً، من دون دوافع مخفية ولا خطط ومؤامرات معقدة. وحدها الحثالة هي ما تجعل الحياة غير آمنة بالنسبة إلى المواطنين الشرفاء. أعثر على الحثالة تعثر على المعتدي، ذلك كان شعاره.

ضغط على أزرار الهاتف طالباً رقم باتريك. لم يكن بحاجة لأن يبدأ كلامه باللياقات والمجاملات في ظل تلك الظروف: «أين أنت بحق السماء؟ هل أنت في مكان ما تقوم بجمع خيوط غير مرئية أو ماذا؟ نحن هنا في المخفر نعمل جميعاً. نعمل ساعات زيادة عن الدوام. لا أعلم إن كانت تلك الظاهرة مألوفة لديك. إن لم تكن كذلك، يمكنني أن أعدل الوضع بالنسبة إليك حتى لا تعود تقلق بهذا الشأن أيضاً. لكن ليس هنا... ليس بأي شكل».

شعر بقليل من التحسن في أعماقه بعد أن حظي بالفرصة لممارسة بعض الضغوطات على ذاك الشاب التافه عديم الفائدة. عليه دائماً أن يضبط لجام أمثاله وإلا اغتروا بأنفسهم وأصبحوا كالطواويس.

«أريد منك أن تستقل سيارتك وتذهب للتحدث إلى شاهد ضبط أندرز نلسون في منزله عند الساعة السابعة. مارس عليها بعض الضغط والوِ ذراعها قليلاً لترى ما يمكن أن ينتج... أجل الآن حتماً، اللعنة».

خبط سماعة الهاتف بقوة ممتناً لظروف الحياة التي وضعته في منصب يستطيع من خلاله أن يطلب إلى أشخاص آخرين القيام بالأعمال القذرة. بدت له الحياة فجأة أكثر إشراقاً إلى حدّ بعيد. استند ملبرغ في كرسيه إلى الوراء وفتح الدرج الأول من مكتبه وسحب علبة من كرات الشوكولا. وبأصابعه التي تشبه قطع السجق الصغيرة تناول إحدى الكرات ودسها في فمه باغتباط. ما إن انتهى من مضغها حتى تناول أخرى. الرجال الكادحون من أمثاله يحتاجون دوماً إلى الوقود.

سبق لباتريك أن انعطف نحو تانومشيد عن طريق غريبستاد حين اتصل ملبرغ به، فأوقف المحرك عند مدخل فيالباكا في ملعب للغولف تحديداً وانعطف بالسيارة مجدداً. أطلق تنهيدة من الأعماق إذ كان الوقت قد أصبح في ساعة متأخرة من بعد الظهر، وكان لديه العديد من الأعمال ليقوم بها في المخفر لدى عودته. ما كان عليه المكوث طويلاً في فيالباكا، لكن الوجود برفقة إريكا على وجه التحديد كان له جاذبية قوية بالنسبة إليه. كان يشعر وكأنه منجذب إلى حقل من الطاقة المغنطيسية، وعليه أن يلجأ إلى كل من قوته وإرادته لإبعاد نفسه عن تأثير تلك الجاذبية والتحرر منها. أطلق تنهيدة أخرى من الأعماق. لا يمكن للأمر أن يؤدي به إلا إلى طريق واحدة، لسوء الحظ. لم تمض فترة طويلة منذ أن تغلب أخيراً على مأساة انفصاله عن كارين، وها هو اليوم ينطلق بأقصى سرعة نحو التألم من جديد. إنها عملية تدمير للذات بكل ما للكلمة من معنى. لقد تطلبت مسألة إنهاء معاملات الطلاق ما يزيد عن عام كامل. وقد أمضى عدة ليالٍ أمام شاشة التلفزيون يحدق من دون أن يرى شيئاً فيما يشاهد برامج ذات نوعية عالية مثل *Walker* و*Texas Ranger* و*Mission Impossible*. حتى برنامج التسوق عبر التلفزيون *TV Shopping*، بدا

له خياراً أفضل من التمدد وحيداً في السرير الكبير متقلباً ومتخبطاً بينما تمر صور لكارين في مخيلته برفقة رجل آخر وكأنها مشاهد من مسلسل عاطفي رديء. مع ذلك كان الانجذاب الذي شعر به ناحية كارين لا شيء يذكر مقارنة بما يشعر به اليوم نحو إريكا. كان صوت المنطق يهمس بعطف في أذنيه ويقول: ألن تكون السقطة هذه المرة أشد إيلاماً من ذي قبل؟

كان يقود بسرعة فائقة كالعادة على المنعطفات الخطيرة المؤدية إلى فيالباكا. كانت القضية التي يحقق فيها قد بدأت تتلاعب بأعصابه. صب جام غضبه وإحباطه على السيارة التي يقود، وقد وقع في خطر الموت المحتم بينما كان يلتف نحو المنعطف الأخير قبل الوصول إلى التل نزولاً نحو المكان الذي كانت توضع فيه محاصيل الحبوب يوماً. ها قد أزيلت جميعها اليوم وبنيت مكانها المنازل ومآوي المراكب على الطرُز القديمة. كانت أسعار تلك المنازل تقارب بضعة ملايين كوروناً للمنزل الواحد، ولم يكف يندهش يوماً كم يجب أن يكون لدى الناس من المال ليتمكنوا من شراء منازل صيفية لهم بهذه الأسعار.

ظهر أحد سائقي الدراجات من مكان ما غير مرئي عند المنعطف واضطر باتريك لأن ينحرف بسيارته مرتعباً ليبتعد عنه. كان قلبه يخفق بقوة، وقد ضغط على المكابح ليخفف من سرعة السيارة الجنونية إلى ما دون الحد الأقصى للسرعة المذكور. تحقق في مرآته التي تعكس ما خلف السيارة، وتأكد أن سائق الدراجة لا يزال فوق دراجته وقادراً على متابعة رحلته.

ظل مستمراً في القيادة بخط مستقيم مجتازاً ملعب الغولف الصغير متجهاً نحو التقاطع المحاذي لمحطة الوقود. هناك انعطف يساراً باتجاه الأبنية التي تضم عدداً من الشقق. أخذ يفكر مجدداً كم تبدو فظيعة بشاعة تلك الأبنية. كانت منشآت باللونين البني والأبيض

تعود إلى الستينيات، تبدو وكأنها مكعبات مربعة كبيرة رميت بالقرب من المدخل الجنوبي من فيالباكا. وتساءل عن سلامة عقل المهندس الذي قام بوضع تصاميمها. هل تراه قام بتشييد أبنية تبلغ من البشاعة قدر المستطاع تجربةً له فقط؟ أم أنه لم يكن مكترثاً لما ستبدو عليه تصاميمه أصلاً؟ من الواضح أنها كانت نتاج حمى جنونية لبناء مليون وحدة سكنية في فترة الستينيات. «بناء مساكن للجميع». كان سيئاً جداً أنهم لم يقولوا: «بناء مساكن جميلة للجميع».

ركن سيارته في الموقف وذهب من المدخل الأول. كان يحمل الرقم خمسة، وهو يشكل الطريق نحو السلالم المؤدية إلى شقة أندرز نلسون، كما شقة الشاهد جيني روزن. كان كلاهما يسكن في الطابق الثاني من البناية. كان يلهث بشدة حين وصل عند أعلى السلالم المناسبة مذكراً نفسه أنه كان يقوم بكثير من التمارين الرياضية مؤخراً، ويحصل كذلك على الكثير من الكعك المحلى والقهوة. لا يعني ذلك أنه لم يكن مثلاً ممتازاً في أحد الأيام على التدريب الرياضي، لكن الوضع لم يبلغ هذا الحد من السوء يوماً.

توقف باتريك للحظة أمام باب شقة أندرز وأخذ يصغي. لم يكن هناك من صوت مسموع. إما أن الرجل لم يكن في المنزل وإما أنه كان قد توفي.

كان باب منزل جيني على الجهة اليمنى بشكل مواجه تماماً لباب شقة أندرز. كانت قد استبدلت الصفيحة المعدنية المعتمدة عند كافة مداخل الشقق بأخرى خاصة بها مصنوعة من الخشب، حيث تم حفر كل من اسمي جيني وماكس عليها بأحرف جميلة وتم تزيينها من الأطراف ببعض الورود. لقد كانت متزوجة إذاً.

كانت قد اتصلت بمخفر الشرطة وأدلت بشهادتها على الهاتف صباح هذا اليوم بالذات، وكان يأمل أنها لا تزال في المنزل. لم تكن

في الشقة حين قرعوا كافة أبواب البناية يوم أمس، لكنهم تركوا لها بطاقة وطلبوا إليها أن تتصل بمخفر الشرطة. لذا هم لم يحصلوا قبل هذا اليوم على المعلومات المتعلقة بموعد عودة أندرز إلى المنزل مساء الجمعة ليلة مقتل ألكسندرا ويكنر.

دوى صوت الجرس في الشقة كلها متبوعاً مباشرة بصراخ طفل صغير في الداخل. كان يمكن سماع وقع الخطوات في ردهة الاستقبال، وشعر باتريك من دون أن يرى أن أحدهم كان ينظر إليه عبر عين الباب، ثم شعر بصوت طقطقة سلسلة الأمان التي كانت توصد الباب ثم بصوت الباب يفتح وأحدهم يقول له: «أجل؟»

كانت تقف في الباب امرأة تحمل طفلاً يبلغ سنة من العمر على يديها. كانت نحيلة جداً ذات شعر أشقر مائل إلى البياض. نظراً إلى جذور شعرها لا بد أن لونه قد كان يتراوح بين البني الغامق والأسود، تؤكده عينان بلون البني الفاتح. لم تكن تضع أي نوع من التبرج، وكان الإرهاق يبدو واضحاً عليها. كانت ترتدي سروالاً رياضياً واسعاً مزوداً بالجيوب عند الركبتين وقميصاً قطنياً يحمل شعار أديداس (Adidas) بالأحرف الكبيرة على الصدر.

«هل أنت جيني روزن؟»

«أجل، أنا هي، ماذا هناك؟»

«أنا أدعى باتريك هيدشتروم من مخفر الشرطة. لقد اتصلتِ بالمخفر صباح هذا اليوم وأودُّ أن أتحدث معك قليلاً حول المعلومات التي أدليت بها».

كان يتحدث بصوت منخفض لئلا يسمع صوته في الشقة المواجهة من البناء.

تنحت جانباً لتسمح له بالدخول وقالت: «تفضل».

كانت الشقة صغيرة جداً، ولم يكن يعيش فيها أي رجل حتماً. لم يكن هناك من رجل يزيد عمره عن عام واحد بجميع الأحوال.

كانت الشقة تعج باللون الزهري الذي كنت تجده أينما كان. كل شيء كان زهرياً بدءاً بالسجادات الصغيرة التي تغطي الأرض إلى أغطية الطاولات والستائر والمصابيح وكل شيء آخر. الزهور الصغيرة كانت أيضاً تصميماً رائجاً، تجدها على المصابيح والشمعدانات بكميات هائلة تدل على الكثرة ولزوم ما لا يلزم في آن معاً. حتى الصور المعلقة على الحائط كانت تؤكد أكثر فأكثر على النزعة الرومنسية المفرطة لصاحبته المقيمة فيه. كانت الصور تعكس وجوهاً أنثوية رقيقة الملامح مع طيور مغردة في الخلفية. كما كانت هناك صورة لطفل يبكي معلقة فوق السرير.

جلسا على الأريكة المصنوعة من الجلد الأبيض، وحمداً لله أنها لم تعرض عليه أن يشرب القهوة. لقد تناول الكثير منها اليوم. وضعت الطفل على حضنها، لكنه ظل يعاند ليفلت من قبضتها. فوضعته أخيراً على الأرض، حيث أخذ يمشي بخطى مترددة على قدميه غير الواثقتين.

ذهل باتريك لمدى صغر سن تلك المرأة التي يحادث. لا يمكن أن تكون قد تخطت سنوات المراهقة بعد، وقد خمن أنها تقارب الثمانية عشرة من العمر، لكنه كان يعلم أنه ليس أمراً غير اعتيادي أن يكون للفتيات في تلك البلدات الصغيرة ولد أو اثنين قبل عمر العشرين. بما أنها نادت الولد ماكس استنتج أن الوالد لا يعيش معهما. لم يكن ذلك غير اعتيادي أيضاً. وعلاقات المراهقين غالباً ما لا تتحمل الضغوطات التي يفرضها وجود طفل.

سحب دفتر ملاحظاته وسألها: «إذاً نهار الجمعة منذ حوالي الأسبوعين في الخامس والعشرين من الشهر رأيت أندرز نلسون يعود

إلى المنزل عند الساعة السابعة، صحيح؟ كيف يمكن لك أن تكوني واثقة من الوقت إلى هذا الحدّ؟»

«أنا لا أفوت مطلقاً مشاهدة برنامج **عوالم منفصلة** *"Separate Worlds"* على التلفزيون. إنه يبدأ عند الساعة السابعة من كل يوم وقبل بدئه مباشرة سمعت الكثير من الضوضاء في الخارج. يسعني القول إنه لم يكن أمراً غير اعتيادي، فهناك دائماً صخب في منزل أندرز. أصحابه السكيرين يأتون ويذهبون في كل الأوقات. كما تحضر الشرطة أحياناً إلى المكان، لكنني مع ذلك أذهب لأتأكد من الأمر وأنظر عبر عين الباب، وحين نظرت ذلك النهار رأيته. كان مخموراً إلى أقصى حدّ، يحاول فتح قفل الباب لكن ينبغي على القفل أن يكون بعرض متر كامل ليراه. تمكن أخيراً من فتح الباب والدخول، وفي تلك اللحظات سمعت الموسيقى التي تعلن بدء برنامج *Separate Worlds* فهرعت إلى الجلوس أمام شاشة التلفزيون».

كانت تمضغ إحدى خصلات شعرها بتوتر شديد. ولاحظ باتريك أنه كان لديها عادة قضم أظافرها التي أكلتها على ما يبدو حتى احمر الجلد من تحتها. وكانت هناك آثار لطلاء الأظافر باللون الزهري الفاقع على ما تبقى من تلك الأظافر.

كان ماكس قد عمل جاهداً طوال فترة تحدثهما على الالتفاف حول الطاولة الصغيرة في الوسط باتجاه باتريك، وقد تمكن الآن من التمسك بإحكام بقماش ساق السروال الذي كان يرتدي، وسيطرت على ملامحه علامات الانتصار.

أخذ باتريك يدندن له: «هيا إلى الأعلى. تعال». بينما يرمق جيني بنظرة تسأل ما إن كان يستطيع رفعه إليه.

«أجل احمله بالطبع. من الواضح أنك تعجبه».

رفع باتريك الولد إلى حضنه بشكل مضحك ووضعه على إحدى ركبتيه وأعطاه رزمة المفاتيح التي كان يحمل ليلعب بها. أشرق وجه الطفل اغتباطاً وافتر ثغره الزهري الصغير عن ابتسامة عريضة أظهرت سنيه الصغيرين في المقدمة وكأنهما حبتا أرز بيضاوين. ابتسم له باتريك بالمقابل من أعماقه وقلبه يعتصر بين أضلعه. لو كانت الأمور مختلفة واتخذت منحى آخر بينه وبين زوجته لكان لديه صبي صغير الآن يضعه على ركبته ويداعبه. أخذ يمرر يده برفق على مؤخرة رأس ماكس الصغير.

«كم يبلغ من العمر؟»

«أحد عشر شهراً. إنه يبقيني منشغلة طوال الوقت صدقني إنه لا يتيح لي المجال للتنفس أحياناً».

أشرقت ملامح وجهها حناناً حين نظرت إلى طفلها ولمح باتريك مدى رقتها المتخفية وراء الملامح الظاهرية المتعبة. لم يكن يسعه أن يتخيل حتى كم العمل الذي تقوم به لوحدها كونها أم عزباء في هذا العمر. كان يجدر بفتاة مثلها أن تخرج مع أصحابها وترتاد الحفلات الصاخبة، لكنها بدلاً من ذلك تمضي سهراتها تبدل الحفاضات لطفلها وتقوم بأعباء ترتيب المنزل. وكما لو أرادت أن توضح مدى التوتر الذي تعيشه بداخلها سحبت سيجارة من العلبة الملقاة على الطاولة أمامها وأشعلتها. أخذت نفساً عميقاً تلذذت به ثم مدّت العلبة باتجاه باتريك تعرض عليه إشعال سيجارة لكنه هز رأسه رافضاً. كانت لديه آراء راسخة ومحددة حيال التدخين في غرفة واحدة يوجد فيها طفل، لكن ذلك كان من شأنها هي ولا علاقة له بالأمر. لم يكن يستطيع أن يفهم شخصياً كيف يمكن لشخص أن يجلس ويستنشق شيئاً كريه الرائحة كالسيجارة.

«إذاً، ألا يمكن له أن يكون قد أتى إلى المنزل وخرج منه مجدداً؟»

«الجدران في هذا المبنى رقيقة جداً، حيث يمكنك سماع طنين الإبرة لو وقعت على الأرض. كل من يعيش هنا يعلم تماماً من يدخل إلى المنزل ومن يخرج منه ومتى يفعل ذلك. أنا متأكدة كل التأكُّد أن أندرز لم يخرج من المنزل مجدداً».

أدرك باتريك أنه لن يحصل على مزيد من المعلومات، لكنه سألها بدافع الفضول فقط: «ما كان ردّ فعلك حين سمعت أن أندرز مشتبه به في عملية قتل؟»

«ظننت أن الأمر هراء».

أخذت نفساً عميقاً آخر من السيجارة وأطلقت الدخان من فمها على شكل دوائر. كان على باتريك أن يلجم نفسه عن قول أي شيء حول مضار التدخين السلبي ومخاطره. وقد كان الطفل على ركبته منهمكاً كلياً في مصّ تعليقة المفاتيح. كان يحملها بين أصابعه المنتفخة ويرفع نظره بين الحين والآخر وكأنما ليشكر باتريك على إعارته مثل تلك اللعبة المذهلة.

تابعت جيني حديثها قائلة: «لا بد أن أندرز مجرد حثالة لكنه لا يستطيع أن يقدم على قتل أي شخص. إنه رجل شريف. إنه يرن جرس الباب بين الحين والآخر، ويطلب مني إعارته بضع سجائر، وهو محترم سواء كان في وعيه أو ثملاً. حتى أني أسمح له أن يرعى ابني أحياناً بينما أذهب إلى السوق لإحضار بعض الأغراض، لكني أفعل ذلك حين يكون في وعيه التام ليس إلا، مطلقاً».

أطفأت عقب سيجارتها في منفضة مليئة أصلاً بأعقاب السجائر وقالت: «ما من شيء سيء في الواقع حيال أي من السكيرين

الموجودين هنا. إنهم مجرد حفنة من الأشقياء البائسين يمضون حياتهم معاً باحتساء الكحول. إنهم لا يؤذون أحداً سوى أنفسهم».

حركت رأسها إلى الوراء لتدفع بخصلة من الشعر عن وجهها ومدت يدها لتناول سيجارة أخرى من العلبة. كانت أصابعها مصبوغة بالأصفر من جراء مادة النيكوتين. من الواضح أن السيجارة الثانية التي أشعلتها كانت لذيذة كما الأولى. بدأ باتريك يشعر أنه قد امتلأ دخاناً واعتقد أنه لن يحصل على أي معلومات مفيدة أخرى من جيني. اعترض ماكس على رفعه عن حضن باتريك وتسليمه إلى أمه مجدداً.

«شكراً للمساعدة. على الأرجح أنه ستكون مناسبات أخرى تدعونا لزيارتك مجدداً».

«حسناً أنا دائماً موجودة. لن أذهب إلى أي مكان».

كانت السيجارة تشتعل لوحدها في المنفضة وأخذ دخانها يتصاعد ناحية ماكس الذي بدأ يغمض عينيه بانزعاج. كان لا يزال يمضغ المفاتيح وينظر إلى باتريك وكأنه يتحداه أن يحاول أخذها منه. شرع باتريك يسحب المفاتيح من فمه بحذر لكن الأسنان الشبيهة بحبات الأرز كانت قوية بشكل مذهل.

كانت المفاتيح قد تغمست في ذلك الوقت بلعاب الطفل وأصبح التحكم بإمساكها من دون أن تنزلق أمر صعب. حاول متردداً سحبها بقوة أكبر قليلاً لكنه لم يحصل بالمقابل إلا على صوت صغير غاضب رداً على تصرفه. أما جيني المعتادة على التعامل مع حالات مشابهة أحكمت قبضتها على المفاتيح ونجحت في سحبها من فمه وتسليمها إلى باتريك. أطلق ماكس صرخة من أعماقه احتجاجاً مظهراً اعتراضه على الوضع الذي أصبح عليه. حمل باتريك المفتاح بين إبهامه وسبابته وحاول خفية أن يمسح عنه لعاب الطفل بساق السروال قبل أن يدسه في جيبه مجدداً.

رافقه كل من جيني وماكس الذي يبكي ويصرخ إلى الباب. آخر ما رآه باتريك قبل أن يقفل الباب خلفه قطراتُ دموع كبيرة تنساب على وجنتي الولد الممتلئتين. وشعر من جديد بألم ما في أعماقه.

أصبح المنزل كبيراً جداً بالنسبة إليه الآن. كان هنريك يتنقل من غرفة إلى غرفة لا يعرف ماذا عساه يفعل. كان كل شيء في المنزل يذكره بألكسندرا. كانت تحب كل فسحة من هذا البيت وتوليها عنايتها واهتمامها. أحياناً ما كان يتساءل ما إن تزوجته من أجل المنزل فقط. لم تصبح العلاقة بينهما جدية بالنسبة إليها طبعاً إلا بعد أن أتى بها إلى هذا المنزل، أما بالنسبة إليه فقد كان جدياً في علاقته بها منذ أن رآها للمرة الأولى في الاجتماع التي نظمته الجامعة من أجل الطلاب الأجانب. كانت طويلة ممشوقة القوام تحيط نفسها بهالة من الوحدة جذبته إليها أكثر مما جذبه أي شيء في هذا العالم طوال حياته. لم يكن يبغي شيئاً في هذه الدنيا أكثر مما ابتغى ألكس. وقد كان معتاداً على أن يحصل على أي شيء يبتغيه في الحياة.

كان والداه منشغلين كثيراً في عالمها الخاص، بحيث لم يعد يتسنى لهما ما يكفي من الطاقة ليكرساها لابنهما. الساعات التي لم يكن يستهلكها عالم الأعمال كانت مكرسة لحضور المناسبات الاجتماعية التي لا تنتهي بدءاً بالحفلات الخيرية مروراً بحفلات الكوكتيل والعشوات التي كان يقيمها الشركاء في العمل. وكان على هنريك أن يبقى في المنزل مع المربية ويبقى عاقلاً. كل ما كان يتذكره من أمه هو رائحة عطرها وهي تودعه قبل خروجها من المنزل وقد سبقها تفكيرها أصلاً إلى أجواء الحفلة الرائعة التي كانت بصدد حضورها. في المقابل وكتعويض له عن الحرمان العاطفي الذي كان يعيشه ما كان عليه إلا أن يشير بإصبعه إلى أي شيء يريده فيحصل

عليه. لم يكن يتم حرمانه من أي شيء مادي في هذه الحياة، لكنه كان يمنح له بقلة مبالاة بالطريقة ذاتها التي يفرك فيها أحدهم شعر كلب ما يتوسل الاهتمام.

ألكس كانت أول شيء في حياة هنريك لا يستطيع الحصول عليه بمجرد الطلب. لقد كانت بعيدة المنال عنيدة، وبالتالي لا تقاوم. كان يطلب يدها ويتودد إليها بإلحاح وشدة. وكان يغدقها بالورد والهدايا والإطراءات ويدعوها إلى تناول العشاء مراراً. لم يوفر أي جهد للحصول عليها. وكانت تسمح أن يتودد إليها بتردد ويقودها إلى خوض علاقة معه. لم يكن يكرهها على فعل شيء ولم تكن تعارض بل تتصرف بعدم اهتمام. لم تبدأ تهتم لعلاقتهما بشكل ملحوظ إلا بعد أن اصطحبها ذلك الصيف إلى المنزل في غوتبرغ وتجولا معاً هنا في المنزل الواقع على جزيرة سارو. بدأت تتجاوب مع قبلاته وعناقاته بحماسة لم تكن لها من قبل وشعر أنه أسعد من أي وقت آخر. تزوجا خلال فصل الصيف نفسه في السويد ولم يكن قد مضى على معرفة أحدهما بالآخر سوى بضعة أشهر فقط. بعد عودتهما إلى فرنسا لعام واحد أخير إلى الجامعة ليتخرجا عاد الثنائي إلى المنزل في سارو بشكل نهائي.

الآن وحين يعود بالذاكرة إلى الوراء يدرك أن المرة الوحيدة التي رآها فيها سعيدة كانت أثناء قيامها بإعادة فرش المنزل وتأثيثه. جلس على إحدى الكراسي الكبيرة المريحة من نوع تشيسترفيلد في غرفة المكتب، وأسند رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه. كان يرى صور ألكس تمر في مخيلته كشريط فيلم قديم من نوع Super 8. أخذ يتحسس الجلد بملمسه الطري البارد ويتبع بإبهامه المسار الذي تركته السنوات من شقوق فيه.

أفضل ما يذكره منها كانت ابتساماتها المتعددة المختلفة الواحدة

عن الأخرى. حين كانت تجد قطعة من الأثاث تطابق تماماً تلك التي كانت تبحث عنها أو حين كانت تقطع بالسكين ورق جدران قديم لتجد أن الورق الأصلي الذي يوجد تحته لا يزال بحالة جيدة كانت ابتسامتها تكون عريضة وحقيقية نابعة من قلبها. وحين كان يقبلها على أسفل رقبتها أو يداعب وجنتها أو يخبرها كم يحبها كانت تبتسم له أيضاً، أحياناً، لكن ليس دوماً. ابتسامة توصل مع الوقت إلى أن يكرهها، إذ كانت ابتسامة بالكاد تلامس شفتيها، مجرد ابتسامة بعيدة ومنشغلة بأمور أخرى. من ثم اعتادت أن تدير ظهرها وتبتعد وكان بإمكانه أن يرى أسرارها تتململ كأفاعٍ صغيرة تحت السطح.

لم يكن يوجه إليها أي أسئلة لأنه كان جباناً ببساطة.

كان يخشى أن يبدأ سلسلة من ردود الأفعال التي لم يكن مستعداً لتحمل عواقبها. كان من الأفضل على الأقل أن يبقيها جسدياً قريبة منه، آملاً أن تكون يوماً ما ملكاً له وحده بالكامل. كان مستعداً لأن يخاطر بألا يحصل على كل شيء، لكنه كان ليكون متأكداً على الأقل بأنه يبقي جزءاً منها له. قطعة واحدة صغيرة من ألكس كانت تكفي. هذا هو مقدار حبه لها.

أخذ ينظر حوله في أرجاء المكتبة. كانت الكتب التي تغطي الجدران والتي عملت جاهدة على السعي وراءها وإحضارها من متاجر كتب غوتبرغ العتيقة بهدف العرض لا أكثر. ما عدا كتب الجامعة، لم يكن يتذكر أنه رآها تقرأ كتاباً واحداً. لعله كان لديها ما يكفي من الألم لتعيشه ولم تكن بحاجة لأن تقرأ عن عذابات الأشخاص الآخرين.

أصعب ما كان عليه تقبله هو حملها، إذ كان حين يذكر مسألة الإنجاب أو الأولاد أمامها كانت تهز رأسها بعناد رفضاً للموضوع. كانت تقول له إنها لم تكن تريد أن تجلب أولاداً إلى عالم كهذا الذي تعيش فيه.

لقد تقبل فكرة وجود رجل آخر في حياتها. كان هنريك يعلم أن ألكس لم تكن تتكبد عناء قيادة السيارة بهذا الاندفاع إلى فيالباكا في نهاية كل أسبوع لتكون وحدها هناك، لكن أمكنه التعايش مع ذلك الواقع. حياتهما الجنسية كانت قد أصبحت في عداد الموتى منذ أكثر من سنة، لكن كان بإمكانه التعايش مع هذا الواقع أيضاً. حتى أنه كان ليستطيع أن يتعلم كيفية التعايش مع فكرة موتها مع مرور الوقت. أما ما لم يستطع تقبله كان استعدادها لأن تحمل في أحشائها طفل رجل آخر وترفض أن تحمل طفله هو.

كانت تلك الواقعة تطارده في الليل وتقض عليه مضجعه فيتقلب ويتلوى في الفراش متعرقاً من دون أن يلوح أي أمل بإمكانية خلوده للنوم. لقد ظهرت هالات سوداء حول عينيه مع مرور الأيام وخسر عدداً من الكيلوغرامات من وزنه. كان يشعر أنه أشبه برباط مطاطي لا ينفك يشد ويشد، وأنها عاجلاً أم آجلاً ستصل إلى نقطة عدم التحمل وتنقطع مصدرة صوتاً مدوياً. كان هنريك قد انتحب حتى الآن من دون بكاء، لكن ها هو هنريك ويكنر الآن قد أمال بجسمه إلى الأمام ودفن وجهه في راحتي يديه وبكى.

الفصل الخامس

كان سيل الاتهامات والإهانات يسقط عليه كالمطر ولا يترك في نفسه من أثر إلا كما تترك قطرات الأمطار أثرها على الأوراق. فما هي بضع ساعات من الإهانات مقارنة بسنوات من الشعور بالذنب؟ وما هي بضع ساعات من الإهانات مقارنة بحياة كاملة يعيشها من دون أميرته، أميرة الجليد؟

كان يضحك من المحاولات المثيرة للشفقة التي تحثه لأن يتقبل اللوم. لم ير أي سبب لفعل ذلك. وطالما أنه لا يرى سبباً لفعل ذلك، فهم لن ينجحوا في محاولاتهم.

لعلها كانت محقة. لعل يوم الاعتراف قد أتى في النهاية. خلافاً لها، كان يعلم أن الحكم الذي سيناله لن يكون مغلفاً بلحم كائن حيّ. الأمر الوحيد الذي يسعه أن يحكم عليه كان أكبر من الإنسانية، كان أكبر من لحم الكائن الحيّ إنما مساوياً للروح. كان يعتقد أن الأمر الوحيد الذي يمكن أن يصدر حكمه عليّ هو الشخص الذي يرى روحي.

كان غريباً كيف يمكن لمشاعر متناقضة بالكامل أن تمتزج لتكوّن شعوراً جديداً بالكامل، حيث يصبح الحب والكراهية لامبالاة، والانتقام والتسامح حسماً، والحنان والمرارة أسى عظيماً يمكن أن يسحق المرء، لطالما كانت بالنسبة إليه مزيجاً من الظلمة والنور. وجه

الآلهة جاينوس التي تتفهم وتصدر الأحكام مداورةً. أحياناً ما كانت تغدقه بقبلها على الرغم من رفضه وتمنعه. وأحياناً ما كانت تمقته وتشتمه للسبب عينه. ليس هناك من راحة أو سلام مع الأضداد والتناقضات.

آخر مرة رآها فيها كانت المرة التي أحبها فيها إلى أقصى الحدود. كانت أخيراً ملكاً له وحده بالكامل. أخيراً كانت تنتمي إليه بكليتها ليفعل بها ما يريد، لأن يحبها أو يكرهها من دون وجود فرصة لأن تواجه حبه لها مرة أخرى بلالمبلاة.

كان الأمر من قبل وكأنه يحب قناعاً ما. قناعاً متملصاً شفافاً، مغرياً. آخر مرة رآها فيها كان القناع قد خسر غموضه وكل ما تبقى هو اللحم الحي، لكن ذلك جعلها ممكنة المنال. وقد ظن للمرة الأولى أنه تمكن من معرفة من تكون. لقد لامس أطرافها الصلبة المتجلدة وشعر بروحها التي لا تزال تصارع داخل السجن المتجمد. لم يحبها يوماً كما فعل حينها. الآن هو الوقت لملاقاة قدره وجهاً لوجه. كان يأمل أن يثبت له القدر أنه متسامح، لكنه لم يكن يعتقد أنه كذلك.

أيقظها الهاتف من نومها. فعلاً، هناك بعض الناس لا يعرفون إجراء مكالماتهم في أوقات لائقة.

«إريكا فالك تتحدث».

«مرحباً، أنا آنا». كانت نبرة صوتها قلقة، لسبب مهم حسب ما تعتقد إريكا.

لم تكن إريكا تقصد أن تخرج من فمها عبارة الرد الترحيبي بهذه السلاسة حين قالت: «مرحباً».

كانت آنا تسير ببطء في حقل من الألغام حين سألتها: «كيف حالك؟»

«بخير، شكراً، ماذا عنك؟»

«شكراً لك، الأمور تسير على خير ما يرام. أين أصبحت في العمل على الكتاب؟»

قررت أن ترضي أختها قليلاً فأجابتها: «يمر في مراحل متقلبة من الركود والحركة، لكنني أمضي قدماً في العمل عليه، وهناك تقدم على الأقل. هل كل شيء على ما يرام مع الولدين؟»

«أصيبت إيما بزكام حاد لكن نوبات بكاء أدريان تتحسن على ما يبدو. أصبحت قادرة أن أنام ساعة كاملة ليلاً على الأقل». ضحكت

آنا عند إنهاء جملتها لكن خيل لإريكا أنها سمعت نبرة من المرارة في الخلفية.

سادت لحظة من الصمت بين الاثنتين.

«تعلمين، علينا التحدث عن ما سيحصل للمنزل».

«أجل أعتقد أنه علينا ذلك أيضاً». لقد حان دور إريكا الآن أن تظهر عن بعض المرارة التي تحسها.

«علينا أن نبيع ذلك المنزل إريكا. إن كنت غير قادرة على شراء حصتنا علينا أن نبيع لشخص آخر».

حين لم تقدم إريكا أي إجابة أخذت آنا تهذي بعصبية: «لوكاس قد تحدث إلى وكيل عقاري وهو يظن أنه علينا أن نعرضه بسعر ثلاثة ملايين كمبلغ مبدئي. ثلاثة ملايين، أتتصورين ذلك إريكا؟ حين تحصلين على مبلغ مليون ونصف كحصة لك ستتمكنين من أن تدوني كتبك من دون أن تقلقي بشأن المصاريف. لا يمكن أن يكون سهلاً بالنسبة إليك أن تؤمني معيشتك من عملك ككاتبة. ما عدد الطبعات التي تصدرين من كل كتاب؟ ألفا طبعة؟ ثلاثة آلاف؟ لعلك لا تحصلين إلا على بضع الكورونات مقابل بيع كل نسخة، أليس كذلك؟ ألا تفهمين إريكا، إنها فرصة هائلة بالنسبة إليك كذلك. لطالما تحدثت عن رغبتك كتابة قصة. بالمال الذي ستجنين يمكن لك أن تأخذي وقتك. يظن السمسار أنه علينا أن ننتظر بدء عرض المنزل للبيع حتى شهر نيسان أو شهر أيار على الأقل للحصول على أكبر فائدة، لكن ما إن نعرضه للبيع سيتم شراؤه في غضون بضعة أسابيع لا أكثر. أنت تفهمين أنه علينا أن نفعل هذا، أليس كذلك؟»

بدا صوت آنا متوسلاً لكن إريكا لم تكن في مزاج يسمح لها بالتعاطف مع أختها. ما اكتشفته في اليوم السابق أبقاها مستيقظة وقلقة

منتصف فترة الليل. شعرت أنها تعرضت للخيانة وأنها في مزاج سيء عموماً.

«كلا لا أفهم ذلك، آنا. إنه منزل والدينا ما نتحدث عنه هنا. لقد ترعرعنا وكبرنا هنا. ماما وبابا اشتريا هذا المنزل حين كانا متزوجين حديثاً. لقد أحبا هذا المنزل. وأنا أحبه أيضاً آنا. لا يمكنك أن تفعلي هذا».

«لكن المال الذي...».

«أنا لا آبه البتة بالمال الذي سأجنيه! لقد تمكنت من تدبر أموري جيداً حتى الآن وأنا أنوي أن أستمر على هذا النحو». كانت إريكا الآن غاضبة بحيث أخذ صوتها يرتعش.

«لكن إريكا عليك أن تفهمي أنه لا يسعك أن تجعليني أحتفظ بالمنزل إن كنت لا أريد ذلك، فنصفه ملك لي في النهاية».

«إذا كنت أنت من أراد هذا فعلاً فهذا أمر محزن، محزن للغاية، وأتقبل وجهة نظرك، لكن المشكلة أني أعلم أنه رأي شخص آخر ذلك الذي أسمعه بصوتك. لوكاس هو الشخص الذي يريد أن يبيع وليس أنت. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما إن كنت أنت تعرفين أصلاً ما الذي تريدينه؟ هل تعرفين؟»

لم تعبأ إريكا بانتظار الرد من آنا فتابعت القول: «كما أني أرفض أن يتحكم لوكاس ماكسويل بحياتي. إن زوجك حقير كبير ومجرد حثالة! وأنت ينبغي بك أن تأتي إلى هنا لتساعديني على توضيب حاجات ماما وبابا. إني أعمل على ذلك منذ أسابيع وأحاول أن أرتب كل شيء في مكانه ولم أنجز حتى اليوم إلا نصف العمل. من غير العدل أن أقوم لوحدي بتوضيب كل شيء! إن كنت مقيدة إلى هذا الحد، فلا يسمح لك حتى بالمساعدة في توضيب حاجات عائلتك

فحري بك أن تفكري جدياً ما إن كان هذا الأسلوب من الحياة هو ما تريدين اتباعه طوال حياتك!»

خبطت إريكا سماعة الهاتف بقوة، بحيث كاد يقفز كله من مكانه عن المنضدة. كانت في غاية الغضب لدرجة أن كل جسدها كان يرتجف.

أما في ستوكهولم كانت آنا تجلس على الأرض حاملة سماعة الهاتف في يدها. كان لوكاس قد ذهب إلى عمله ولا يزال الولدان نائمين لذا استغلت الفرصة لتتصل بإريكا بما أنها حظيت ببعض الوقت لنفسها. إنها تؤجل هذا النوع من الحديث منذ عدة أيام لكن لوكاس لم ينفك يلح عليها ويضجرها طالباً منها أن تتصل بإريكا وتحدثها بشأن مسألة بيع المنزل، فأذعنت له أخيراً وقامت بالاتصال.

شعرت آنا أنها ممزقة إلى ألف قطعة ومشتتة في ألف اتجاه. كانت تحب أختها إريكا وتحب منزلها في فيالباكا، لكن ما لا تفهمه أختها هو أن عليها أن تضع عائلتها هي أولاً. لم يكن هناك من شيء لم تكن مستعدة للتضحية به من أجل الولدين، وإن كان ذلك يعني إبقاء لوكاس سعيداً على حساب علاقتها بأختها الكبرى فليكن. كان كل من إيما وأدريان السبب الوحيد الذي تصحو من أجله صباحاً، والسبب الوحيد الذي من أجله تحيا يوماً جديداً وتتابع حياتها. لو تستطيع فقط أن تجعل لوكاس سعيداً لكان كل شيء سار كما ينبغي. كانت تعلم ذلك جيداً، لأنها كانت صعبة المراس ولا تفعل ما يريد منها القيام به دائماً، كان هو مجبراً لأن يكون قاسياً وعنيفاً في التعامل معها إلى هذا الحدّ. إن استطاعت أن تقدم له هذه الهدية وتضحي بمنزل والديها من أجله كان سيتفهم ما كانت مستعدة للقيام به من أجله ومن أجل عائلتها. وكان كل شيء يعود جيداً كما كان.

لكن في مكان ما في عمق أعماقها كان هناك صوت يقول شيئاً مختلفاً تماماً عما كانت تفكر به. دفنت آنا رأسها بين يديها وأخذت تبكي فأغرقت بدموعها الحارة ذاك الصوت الخافت. تركت الهاتف ملقياً على الأرض، حيث أجرت الاتصال.

ركلت إريكا الأغطية بقدميها بانزعاج ووضعت ساقيها فوق حافة السرير. شعرت بالندم لما تفوهت به من كلمات قاسية على مسمع آنا لكنها كانت في مزاج سيء أصلاً. كما أن قلة النوم جعلتها تفقد توازنها كلياً. حاولت الاتصال بآنا مجدداً في محاولة لترقيع ما حدث لكن ما انفكت تسمع أن الخط مشغول.

«اللعنة».

في فورة غضبها وجهت إريكا للكرسي أمام السرير ركلة قوية لا يستحقها، وبدلاً من أن تشعر بالتحسن آذت إصبع قدمها بشدة بحيث أخذت تقفز عن الأرض على ساق واحدة وتصرخ حاملة الأخرى المتضررة بين يديها. شكت في أن يكون ألم الولادة أصعب وأكثر إيلاماً مما شعرت به في تلك اللحظة. عندما خفت حدّة الألم قليلاً، صعدت إريكا على الميزان خلافاً لأفضل قرار يمكن أن تتخذه في تلك الأثناء.

كانت تعلم أنه ليس مناسباً فعل ذلك، لكن الشخص المازوشي في داخلها أجبرها أن تتأكد. خلعت عنها السترة التي كانت تنام فيها إذ إنها غالباً ما تضيف بعض الأوقيات التي هي بغنى عنها، حتى أنها تساءلت ما إن كان سروالها الداخلي يشكل أي فارق في وزنها. لكن خطر لها أن لعله لا يفعل بأي حال. داست بقدمها اليمنى أولاً على الميزان لكنها ظلت تسند بعضاً من وزنها إلى قدمها اليسرى التي كانت لا تزال تدوس بها على أرض الغرفة. أخذت تنقل بعض ذاك الوزن

بالاستناد أكثر فأكثر إلى القدم اليمنى، وحين وصلت إبرة الميزان إلى الرقم ستين تمنت لو أنها تستطيع إبقاءها حيث هي، لكن كلا لن تستطيع ذلك. حين ألقت أخيراً بكامل ثقلها على الميزان أشارت الإبرة من دون رحمة إلى الرقم ثلاثة وسبعين. حسناً كان الأمر كما كانت تخشى. لقد ازداد الوضع سوءاً بزيادة أكثر من كيلوغرام واحد. كانت تتوقع أن يكون وزنها قد ازداد بمعدل كيلوغرام فقط لكن إبرة الميزان أشارت إلى زيادة كيلوغرامين اثنين عما كانت عليه آخر مرة قاست بها وزنها، وقد كان ذلك صباح اليوم الذي عثرت فيه على جثة ألكس.

وقد شعرت منذ ذلك الوقت أنه من غير الضروري أن تزن نفسها مجدداً. لا يعني ذلك أنها لم تكن قد لاحظت زيادة وزنها عندما ازداد مقاس خصرها لكن حتى اللحظة التي رأت فيها الحقيقة جلية أمام عينيها كانت تتخذ من إنكار الواقع أفضل رفيق لها. لطالما كانت تتخذ من الرطوبة في الخزانة أو التقلص بسبب حرارة المياه الفائقة عند غسيل الملابس أعذاراً تصب في مصلحتها في ما مضى، لكنها بدت جميعها الآن أعذاراً واهية لا طائل منها وقد فكرت ملياً أن تلغي عشاء الليلة مع باتريك. حين رأته أرادت أن تشعر بأنها جميلة ونحيفة ليس سمينة ومنتفخة البطن. نظرت بتجهم إلى معدتها وحاولت ابتلاعها قدر المستطاع إلى الداخل. لكن عبثاً كانت لا تزال تبدو كبيرة أمامها. نظرت إلى نفسها بشكل جانبي في المرآة الطويلة وحاولت أن تنفخ بطنها أقصى ما استطاعت. ها هو المشهد الذي كان يتوافق مع ما تشعر به الآن.

أطلقت تنهيدة وارتدت سروالاً رياضياً واسعاً ذا خصر مطاطي رحيم وأعادت وضع السترة التي كانت ترتديها عند النوم. وقد أطلقت وعداً بينها وبين نفسها أنها ستفعل شيئاً ما مجدداً حيال زيادة وزنها.

لم يكن البدء منذ الآن يجدي نفعاً لأنها كانت قد اتخذت القرار بإعداد مائدة من ثلاثة أطباق على العشاء الليلة، وكان عليها أن تعترف بأنه إن أرادت إحداهن إذهال الرجل بطهيها عليها اعتماد الزبدة والكريما كإحدى المكونات الرئيسية. كما أن يوم الإثنين نهار مثالي لبدء حياة جديدة. لقد تعهدت أمام نفسها للمرة المئة بعد الألف بأن تبدأ القيام بالتمارين الرياضية واتباع النظام الغذائي لـ Weight Watchers، لكن ليس اليوم.

مشكلة أكبر كانت السبب وراء إصابتها بالقلق حيال أن تكون مريضة منذ يوم أمس. لقد مرت في رأسها على كافة الاحتمالات متسائلة ما الذي يجدر بها القيام به من دون أن تتوصل إلى حل للمشكلة، لكنها أدركت فجأة أنها كانت تتمنى من أعماقها وبصدق أنها لم تكتشف ما اكتشفت مطلقاً.

بدأت رائحة القهوة اللذيذة تتصاعد من آلة صنع القهوة وبدت الحياة أكثر إشراقاً بقليل في نظرها. من المذهل كم كانت كمية قليلة من ذاك المشروب الساخن قادرة أن تفعل. سكبت لنفسها فنجاناً وشربته بمتعة كبرى من دون إضافة السكر إليه وهي تقف بالقرب من المجلى في المطبخ. لم تكن يوماً من محبي تناول الفطور في الصباح إذ إن ذلك يوفر عليها بعض الكالوريهات التي تدخرها للمساء.

أذهلها جرس الباب حين رنّ قوياً فسكبت بعضاً من القهوة فوق قميصها. أخذت تلعن وتشتم بصوت مرتفع متسائلة من عساه يكون في هذا الوقت المبكر من الصباح. نظرت إلى ساعة المطبخ فرأت أن العقارب تشير إلى أنها لا تزال الثامنة والنصف. وضعت فنجان القهوة من يدها وذهبت لتفتح الباب. هناك على عتبة المنزل كانت تقف جوليا كارلغرن تطوق جسدها بذراعيها لتبقى دافئة.

كانت نبرة صوت إريكا متسائلة حين قالت: «مرحباً».

لم تجب جوليا سوى بكلمة «مرحباً» رداً عليها ثم غرقت في الصمت.

تساءلت إريكا ما الذي كانت تفعله شقيقة ألكس الصغرى عند باب منزلها في هذا الوقت المبكر من صباح يوم الثلاثاء، لكن تربيتها الصالحة جعلتها تطلب من جوليا التفضل بالدخول.

دخلت جوليا المنزل بخطوات سريعة وخلعت عنها المعطف والوشاح وقامت بتعليقهما ومشت أمام إريكا نحو غرفة الجلوس.

«هل يمكن لي أن أتناول فنجاناً من تلك القهوة اللذيذة التي أشتم رائحتها؟»

«أجل بالطبع، سوف أحضر لك واحداً».

حين أصبحت بمأمن عن عيني جوليا، سكبت إريكا فنجان قهوة وقلبت عينيها بتساؤل واستغراب. لا بد أن الفتاة مصابة بمس ما.

أعطت إريكا فنجان القهوة لجوليا وطلبت منها أن تنتقلا للجلوس على الكرسي الخيزران على الشرفة. شربتا القهوة معاً بصمت. قررت إريكا أن تنتظر جوليا أن تبدأ الحديث. كان على جوليا أن تفتح الموضوع بنفسها وتشرح سبب قيامها بتلك الزيارة، إلا أنه بعد بضع دقائق من التوتر سادت في الأجواء قبل أن تفتح جوليا فمها أخيراً.

«هل تقيمين هنا الآن؟»

«كلا في الواقع. أنا أعيش في ستوكهولم، لكني هنا في الوقت الحاضر لتسوية كافة الأمور المتعلقة بالمنزل».

«أجل سمعت بالأمر، أنا آسفة بشأن ما حدث».

«أشكرك، كما أني أتقدم إليك بالتعزية أيضاً».

أطلقت جوليا ضحكة غريبة مقتضبة وجدتها إريكا مفاجئة وفي غير محلها. تذكرت الملف الذي وجدته في سلة المهملات في منزل نيللي لورنتز وتساءلت كيف أن قطع الأحجية تتخذ أمكنتها المناسبة.

أخذت جوليا ترمق إريكا نظرة غريبة ثابتة وقالت لها: «لعلك تتساءلين عن السبب الذي جاء بي إلى هنا». نادراً ما كانت الفتاة ترمش بعينيها.

وقد أصيبت إريكا بالذهول مجدداً، كم أنها تشكل النقيض الصارخ لشقيقتها الكبرى. كانت بشرة جوليا ملطخة بندبات من آثار البثور التي كانت تغطيها أما شعرها فبدا أنها قد قصَّته بنفسها بواسطة مقص للأظافر، ومن دون الوقوف أمام المرآة. كان هناك شيء ما غير سليم في نظراتها يوحي أنها مصابة بمرض ما. كما كان هناك طيف من الشحوب المرضي الذي يشبه غطاءً رمادياً متسخاً فوق بشرتها. وكان يبدو أنها لا تشارك ألكس اهتمامها بالملابس إذ كانت تبدو ملابسها وكأنها قد اشترتها من متاجر بيع الألبسة للعجائز القصيرات المتقاعدات. كانت ملابسها بعيدة عن الموضة الرائجة بقدر لا يوصف، من دون أن تصلح حتى لتكون ملابس تنكرية.

«هل لديك أي صور لألكس؟»

«عفواً؟» صعقت إريكا من السؤال المباشر الذي وجه إليها. وتابعت: «صور؟ أجل، أفترض أن لدي بعضاً منها. الكثير ربما. كان أبي يعشق التصوير وقد التقط لنا الكثير منها حين كنا أطفالاً. كانت ألكس كثيراً ما تأتي إلى هنا، حيث إنها قد تكون موجودة في العديد منها».

رمقت جوليا إريكا نظرة مؤنبة وكأنها تعاتبها لأنها لم تنهض من مكانها وتذهب لجلب الصور. ممتنة لإيجاد أي عذر يجنبها نظرات جوليا الثاقبة ولو للحظات، هرعت إريكا لإحضار ألبومات الصور.

كانت الألبومات المتوخاة في خزانة ما في العلية. لم تكن قد تسنت لها الفرصة بعد لتنظيف المكان هناك، لكنها كانت تعلم تماماً أين تجد الخزانة. كانت جميع صور العائلة محفوظة بداخلها، وقد

اقشعر جسمها لمجرد التفكير في أن تجلس لتفحصها جميعها. كان قسم كبير من الصور محفوظاً في كومات غير مصنفة، لكنها كانت تعلم أن تلك التي تبحث عنها قد وضعت بعناية داخل ألبومات. أخذت تتصفحها بشكل منهجي بدءاً بالألبوم الذي يتصدر المجموعة. عثرت على ما كانت تبحث عنه في الألبوم الثالث. كان الألبوم الرابع يضم أيضاً بعض الصور لألكس فأمسكت بكلا الألبومين جيداً وأخذت تنزل سلالم العلية بحذر.

كانت جوليا تجلس في الوضعية ذاتها التي تركتها فيها. وقد تساءلت إريكا ما إن كانت قد تحركت من مكانها أصلاً منذ أن تركتها.

«ها قد وجدت شيئاً يمكن أن يثير اهتمامك».

كانت إريكا منقطعة الأنفاس فأنزلت ألبومات الصور السميكة من يدها على الطاولة الصغيرة بقوة، بحيث تطايرت عنها ذرات الغبار.

بدأت جوليا تتصفح بحماسة الألبوم الأول فيما إريكا تجلس على مقربة منها على الأريكة تصف لها ما تراه في تلك الصور.

«متى التقطت هذه الصورة؟»

«دعيني أرى... لا بد أن تكون قد التقطت حوالي العام... 1974. أجل أعتقد أني على صواب. لقد كنا في التاسعة من العمر في حينها على ما أظن».

مررت إريكا إصبعها فوق الصورة ينتابها شعور عميق من الحزن. كان ذلك منذ زمن بعيد جداً. كانت هي وألكس تقفان عاريتين في الحديقة في إحدى أيام الصيف الحارة. إن كانت تتذكر جيداً لقد كانتا عاريتين لأنهما كانتا تمران من أمام خرطوم المياه الذي يرش المياه في الحديقة. الغريب في الصورة هو أن ألكس كانت ترتدي قفازين شتويين.

التفتت جوليا نحو إريكا تبدو على وجهها أمارات التعجب

وسألت: «لماذا كانت ترتدي هذين القفازين الشتويين؟ يبدو أن الصورة قد التَقطت في شهر تموز من فصل الصيف أو ما شابه».

لكن إريكا ضحكت عندما تذكرت ما حدث وأجابت: «كانت أختك تحب هذين القفازين وتصر على ارتدائهما ليس طوال فصل الشتاء فقط بل لفترة طويلة من فصل الصيف. كانت شديدة العناد حيال الموضوع، وما كان أحد يستطيع إقناعها أن تزيل من يديها هذين القفازين الرثين الكريهين».

«كانت تعلم ما الذي تريده، أليس كذلك؟»

أخذت جوليا تنظر إلى الصورة داخل الألبوم وقد بدت على ملامحها للحظة تعابير شبه رقيقة سرعان ما اختفت في اللحظة التالية. ولم تطق صبراً أن تنتقل إلى الصفحة التالية.

بدت الصفحات أشبه بآثار من الماضي تعود إلى حقبة أخرى من الزمن بالنسبة إلى إريكا. كانت الصور قد التقطت منذ وقت طويل جداً، وقد حصلت الكثير من الأمور منذ ذلك الوقت. أحياناً ما كانت تشعر أن سنوات الطفولة التي أمضتها مع ألكس لم تكن سوى حلم.

«كنا أشبه بأختين مما كنا صديقتين. كنا نمضي كافة ساعات الاستيقاظ معاً حتى أننا غالباً ما كنا ننام في منزل إحدانا. كنا نقوم يومياً بمقارنة الملاحظات التي تتعلق بطعام العشاء لنرى في أي منزل من المنزلين كنا سنتناول وجبة العشاء لنختار ما هو الأفضل».

«بكلام آخر غالباً ما كنتما تتناولان الطعام هنا في هذا المنزل».

كانت الابتسامة الطفيفة تعرف للمرة الأولى الطريق إلى شفتي جوليا.

«أجل، قولي ما شئت عن أمكما إلا أنه كان باستطاعتها أن تكسب معيشتها من الطهي الذي كانت تقوم به».

لفتت إحدى الصور انتباه إريكا فأخذت تتلمسها برفق. كانت

صورة جميلة للغاية. كانت ألكس تجلس على مؤخرة مركب تور وتضحك بابتهاج. كان شعرها الأشقر يتطاير حول وجهها وكانت مناظر فيالباكا كلها مرئية خلفها. لا بد أنهما كانتا تمضيان معاً نهارهما في الخارج تتمتعان بأشعة الشمس وتسبحان في مياه الجزيرة الصخرية الصغيرة. كان هناك الكثير من الأيام التي أمضياها على هذا النحو. لم تأت أمها معهما كالعادة متحججة بعدد من الأمور التي كان عليها القيام بها فتبقيها في المنزل. هكذا كان الأمر دوماً. كان يمكن لإريكا أن تعدد على أصابع اليد الواحدة المرات التي خرجت أمها إلسي برفقتهن في نزهة ما. وقد أطلقت ضحكة حين رأت صورة لآنا التقطت في اليوم ذاته لخروجهن على متن المركب. كانت كما جرت العادة تلعب دور القرد، وكانت تبدو في هذه الصورة تتعلق بحافة المركب خارج سياج الأمان وتغير ملامح وجهها وتبدو مضحكة أمام عدسة الكاميرا.

«هل هذه أختك؟»

«أجل، إنها أختي الصغرى آنا».

كانت نبرة إريكا مقتضبة وحازمة تشير إلى أنها لا تود مناقشة الموضوع أكثر من هذا الحد. فهمت جوليا الرسالة من وراء ذلك واستمرت تقلب صفحات الألبوم بأصابعها السمينة القصيرة. كانت قد أكلت أظافرها فبدت صغيرة جداً حتى أنها كانت قد أفرطت في قضم بعض منها لدرجة أظهرت بعض التقرحات حول الأطراف. أجبرت إريكا نفسها أن تبعد نظرها عن أصابع جوليا المتقرحة وأخذت تنظر بدلاً من ذلك إلى الصور التي تقلبها بأصابعها.

قرابة الوصول إلى نهاية الألبوم الثاني لم تعد ألكس فجأة تظهر في الصور. كان التناقض حاداً جداً. كانت تظهر من قبل في كل صورة من صور الألبوم أما الآن فلم تعد تظهر في أي من الصور إطلاقاً. وضعت جوليا ألبومي الصور فوق بعضهما على الطاولة

الصغيرة أمامها وعادت تستند إلى الوراء على الأريكة تحمل فنجان القهوة في يدها.

«هل ترغبين ببعض القهوة الساخنة؟ لا بد أن ما في فنجانك قد أصبح بارداً».

نظرت جوليا إلى الفنجان الذي في يدها ولاحظت أن إريكا كانت محقة في ما قالت فأجابتها: «أجل، إن كان هناك المزيد فسأتناول بعضاً منه. شكراً لك».

سلمت الفنجان إلى إريكا التي كانت سعيدة بأن تتحرك من مكانها قليلاً. منظر كرسي الخيزران جميل لأن ينظر المرء إليه لكن بعد أن جلست فيه لبرهة أخذت رقبتها ومؤخرتها تعارضان وتحتجان على عدم الارتياح. بدا أن ظهر جوليا كان يعاني الاحتجاجات ذاتها، إذ نهضت هذه الأخيرة من مكانها وتبعت إريكا إلى المطبخ.

«كان مأتماً محبباً حضره العديد من الأصدقاء لتقديم التعازي إلى المنزل كذلك».

كانت إريكا تقف وتدير ظهرها إلى جوليا وتسكب القهوة الطازجة في الفنجانين. لكن همساً غير مفهوم كان كل ما حصلت عليه في رد على ما طرحت فقررت أن تكون أكثر فضولاً.

«بدا أنك أنت ونيللي لورنتز متعارفتان حق المعرفة. فكيف يحصل أنكما تعرفان بعضكما إلى هذا الحدّ؟»

حبست إريكا أنفاسها انتظاراً لما سترد به جوليا، فالورقة التي وجدتها في سلة المهملات في منزل نيللي جعلتها فضولية جداً حيال ما سيكون جواب ضيفتها.

أتت الإجابة مترددة: «كان أبي يعمل لديها». ثم وضعت إصبعاً في فمها من دون أن تبدو في الواقع مدركة لما تقوم به وبدأت تقضم ظفرها بتوتر.

تابعت إريكا التي كانت تسعى للحصول على مزيد من المعلومات وقالت: «أجل، ولكن لا بد أن ذلك كان قبل وقت طويل جداً قبل أن تولدي حتى».

لكن جوليا أجابت: «لقد حصلت على وظيفة في مصنع التعليب أثناء عطلة فصل الصيف حين كنت أصغر سناً».

كانت لا تزال الإجابات تصدر عنها وكأنها تكره البوح بها أو التكلم إذ كانت تتوقف عن قضم أظافرها بما يكفي لتجيب قبل أن تتابع.

«يبدو أنك كنت تبلين بلاءً حسناً».

«حسناً، أعتقد أن نيللي ترى فيّ شيئاً لا يراه أحد سواها». كانت الابتسامة التي افتر عنها ثغرها لا إرادية، مليئة بالمرارة. وقد شعرت إريكا فجأة بالأسى حيالها والتعاطف، فلا بد أنها كانت تعيش حياة قاسية وهي تعرف أن الجميع ينظر إليها على أنها أشبه بإوزة بشعة. لم تتفوه إريكا بأي كلمة إضافية فوجدت جوليا نفسها بعد فترة من الصمت الذي ملأ المكان مجبرة على متابعة الحديث.

«لقد كنا نأتي إلى هنا كل صيف في النهاية. وفي إحدى فصول الصيف التي تلت إنهاء الصف العاشر اتصلت نيللي بأبي وسألت ما إن كنت أود أن أكسب القليل من المال الإضافي بالعمل في المكتب. لم أستطع رفض مثل ذاك العرض وبدأت العمل بعد ذلك هناك كل صيف إلى أن التحقت بدار المعلمين».

فهمت إريكا أن مثل هذا الجواب يترك الكثير من الأمور التي لم تُقَل، والكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة. لكنها يجب أن تكتفي بهذا القدر في الوقت الراهن لأنها أدركت كذلك أنها لن تحصل من جوليا على المزيد من المعلومات حول العلاقة التي تربطها بنيللي. عادتا تجلسان على الأريكة على الشرفة في الخارج لتكملا تناول

القهوة معاً بصمت. كانت كلاً منهما تحدق بشرود إلى الثلج الذي يكسو الجبال ويمتد حتى الأفق.

لكن جوليا سبقت إلى كسر جدار الصمت بينهما وقالت: «لا بد أن انتقال كل من أمي وأبي وألكس من البلدة كان قاسياً عليك».

«ربما، لكن ما كنا نلعب سوياً في ذاك الوقت لذا كنت أشعر بالحزن طبعاً لكن الأمر لم يكن دراماتيكياً كما لو كنا لا نزال صديقتين حميمتين».

«ما الذي حصل وقتذاك؟ لماذا توقفتما عن البقاء معاً؟»

«ليتني أعلم».

تفاجأت إريكا كثيراً حين أدركت أن الذكرى لا تزال تسبب لها هذا القدر الهائل من الألم وأن خسارة ألكس واشتياقها إليها كانا يتركان مثل هذا الأثر العميق في نفسها. كانت قد مرت سنوات عديدة على الحادثة، وعلى الأرجح أن فراق أصدقاء الطفولة كان القاعدة وليس الاستثناء، لكن لعل ما ينتابها من مشاعر سببه عدم وجود نهاية طبيعية لعلاقتهما، إضافةً إلى عدم وجود أي تبرير يفسر تلك النهاية. لم يحدث بينهما أي خلاف ولم تجد ألكس أي صديقة جديدة لها بعد انفصالها عن إريكا؛ وهذا يؤدي إلى موت علاقة صداقة بين اثنين. إلا أن ألكس انسحبت ببساطة واحتجبت خلف جدار من اللامبالاة واختفت من دون قول كلمة واحدة.

«هل حصل بينكما شجار حول أي مسألة؟»

«كلا، ليس على حدّ علمي، لكن ألكس فقدت اهتمامها بصداقتنا على ما يبدو فكفت عن الاتصال بي ولم تعد تطلب أن نقوم بأي نشاط معاً. وكنت إذا اقترحت عليها أن نفعل شيئاً ما سوياً ترفض لكني أستطيع أن أجزم أنها كانت لا تكترث مطلقاً. فتوقفت في نهاية المطاف عن طلب أي أمر».

«هل كان لديها أصدقاء جدد تتسكع معهم؟»

تساءلت إريكا في سرها لماذا كانت جوليا تطرح عليها كل تلك الأسئلة حول علاقتها هي وألكس، لكن لم يكن لديها أي مانع من إحياء ذكريات الماضي. لعلها تتمكن بذلك من ذكرها في الكتاب الذي كانت تعمل عليه.

«لم أرها مرة مع صديق آخر. كانت تبقى وحدها في المدرسة. ومع ذلك...».

أمالت جوليا بجسمها إلى الأمام بحماس وسألتها: «ماذا قلت؟»

«لا يزال ينتابني شعور أنه كان لديها أحد ما لكني قد أكون مخطئة. إنه مجرد إحساس وحسب».

هزت جوليا رأسها مستغرقة في التفكير وشعرت إريكا أنها قد قدمت بإجابتها تلك تأكيداً لأمر ما كانت جوليا تعرفه أصلاً.

«اعذريني للسؤال، لكن لماذا تريدين إلى هذا الحدّ أن تعلمي عن أيام طفولتنا أنا وألكس؟»

تفادت جوليا أن تنظر في عيني إريكا وأتى جوابها متملصاً وغامضاً حين قالت: «كانت أكبر مني بسنوات عديدة وقد سبق أن غادرت البلاد حين ولدت، كما أننا كنا مختلفتين فعلاً، بحيث لا أظنني قد تعرفت إليها يوماً. وها قد فات الأوان كثيراً الآن. بحثت عن صور لها في المنزل لكن بالكاد لدينا أياً منها. لذا فكرت في المجيء إليك».

شعرت إريكا أن إجابة جوليا تحمل بعضاً من الصدق، بحيث لا يمكن لها أن تصنفها على أنها كاذبة وقد تقبلتها بتردد.

«حسناً يجدر بي الذهاب الآن، شكراً على القهوة».

نهضت جوليا من مكانها بسرعة وذهبت إلى المطبخ لتضع فنجان

القهوة من يدها في حوض غسيل الصحون. وقد أصبحت فجأة على عجلة من أمرها تريد الرحيل. رافقتها إريكا إلى الباب لتودعها.

«أشكرك كثيراً لأنك سمحت لي برؤية الصور، لقد كان الموضوع يعني لي الكثير».

ثم ذهبت واختفت عن الأنظار.

وقفت إريكا بالباب مطولاً تراقبها وهي ترحل وتبتعد. كانت مجرد شكل رمادي غامض يسرع الخطى لعبور الشارع وقد لفت ذراعيها حول جسمها لتقي نفسها الصقيع. أغلقت إريكا الباب ببطء وعادت إلى الداخل، حيث المكان أكثر دفئاً.

لقد مضى وقت طويل منذ أن شعر باتريك بهذا القدر من التوتر. كان الشعور الذي يملأ صدره رائعاً ومخيفاً في آن معاً.

كانت كومة الملابس على السرير تزداد ارتفاعاً بينما يجرب بذلة وراء أخرى. كافة الملابس التي قام بارتدائها بدت له إما قديمة الطراز أو بالغة الأناقة أو بالغة الرسمية أو عديمة الذوق أو بشعة ببساطة. إضافة إلى أن معظم السراويل التي جربها كانت ضيقة عند الخصر وغير مريحة. أطلق تنهيدة عميقة بينما يرمي سروالاً آخر فوق كومة الملابس وجلس بملابسه التحتية عند حافة السرير عاجزاً. فقد فجأة كل الحماسة التي شعر بها في انتظار الأمسية وانتابته بدلاً من ذلك موجة من القلق الدفين القديم. لعله من الأفضل أن يتصل ويلغي الموعد من الأساس.

استلقى باتريك على السرير وأخذ ينظر إلى السقف وقد شبك يديه خلف رأسه.. لا يزال يملك السرير المخصص لشخصين الذي كان يتشاركه مع كارين يوماً وها هو الآن يمرر راحة يده فوق المكان الذي كانت تنام فيه بشيء من الحنين. لم يبدأ يأخذ مكانها على

السرير الذي كان يجمعهما إلا منذ فترة قصيرة. كان حرياً به في الواقع أن يشتري سريراً آخر ما إن غادرت المنزل، لكنه لم يكن قادراً على مواجهة الأمر.

على الرغم من مشاعر الحزن العميقة التي انتابته برحيل كارين عنه غالباً ما كان يتساءل في سره إن كانت كارين هي التي يفتقدها فعلاً أو يحن إليها، أو أنه كان يفتقد الصورة التي كونها عن الزواج على أنه مؤسسة. كان أبوه قد تخلى عن أمه من أجل امرأة أخرى حين كان هو في العاشرة من عمره فقط. كان الطلاق الذي تلا تلك المرحلة يمزق القلب، لا سيما وقد استغله الطرفان هو وأخته لوتا ولجأ إليه على أنه السلاح الأول الذي يحتمي به. وقد قطع وعداً على نفسه بألا يكون خائناً مطلقاً وأنه لن يقدم على الطلاق مهما كلف الأمر. إن حصل وتزوج فسيكون ذلك عهداً لمدى الحياة. لذا حين تزوج من كارين قبل خمس سنوات في كنيسة تانومشيد لم يساوره الشك للحظة أن زواجهما سيدوم للأبد. لكن أحداث الحياة نادراً ما تسير على الشكل الذي يظنه المرء. كانت هي وليف يتواعدان سراً من وراء ظهره لأكثر من سنة حين عرف بأمرهما. يا لها من قصة كلاسيكية لعينة.

كان قد أتى باكراً في أحد الأيام من العمل لأنه كان يشعر ببعض التوعك ووجدهما هناك في غرفة نومه، في السرير الذي كان ينام فيه في هذه اللحظة بالذات. لعله كان هناك مازوشي ما بداخله ليعذب نفسه إلى هذا الحدّ. وإلا كيف يمكن له أن يفسر عدم تخلصه من السرير منذ زمن بعيد. مع هذا لقد أصبح ذلك كله من الماضي وما عاد يهم الآن.

نهض متثاقلاً عن السرير غير واثق ما إن كان يرغب فعلاً بالذهاب إلى منزل إريكا الليلة أو لا. كان يريد أن يذهب إليها من صميم قلبه ولا يريد في آنٍ معاً. لقد اجتاحته فجأة موجة من عدم

الثقة بالنفس وجرفت معها كل الحماسة التي كان يشعر بها طوال النهار بل طوال الأسبوع. لكن الوقت قد فات على التراجع، لذا لم يعد أمامه من خيار.

حين عثر أخيراً على سروال قطني يناسب مقاس خصره وقميص أزرق مكوي حديثاً شعر بقليل من التحسن. وبدأ يعود إليه الشعور بالحماس لحضور هذه السهرة مجدداً. وضع القليل من الجل على شعره منحه بعضاً من الأناقة المطلوبة للمناسبة ووقف أمام المرآة يلقي على نفسه نظرة للمرة الأخيرة، ولوح بيده يتمنى لانعكاسه الحظ وشعر أنه مستعد حينها للانطلاق.

كان الظلام حالكاً في الخارج مع أن الساعة كانت لا تزال تشير إلى السابعة والنصف، كما جعل تساقط الثلوج الرؤية أصعب بينما يقود سيارته عائداً إلى فيالباكا. كان قد غادر المنزل في الوقت المناسب، ولم يكن بحاجة لأن يستعجل على الطريق. لقد استطاعت أحداث الأيام الأخيرة في العمل أن تحجب قليلاً تفكيره بإريكا وتدفعها جانباً. لم يكن ملبرغ راضياً تماماً عندما لم يتمكن باتريك من إحراز نتيجة أفضل من تأكيد ما قالته الشاهدة جيني جارة أندرز التي بدت واثقة كلياً مما رأته تلك الليلة. بدا أنه كان لأندرز تبرير ينقذه في الوقت الراهن. لم يكن ذلك ليثير رد الفعل القوي ذاته لدى باتريك كما لدى ملبرغ لكنه لا يستطيع أن ينكر أن أصيب بنوع من الخيبة لما حدث. ثلاثة أسابيع قد مضت على العثور على جثة ألكس من دون أن يكونوا قد اقتربوا بعد ولو قليلاً من إيجاد حل للقضية، كما لو أنهم قد بدأوا العمل عليها للتو.

كان من المهم جداً الآن ألا يفقدوا الأمل بالكامل. ينبغي لهم أن يعملوا على إعادة تصنيف المعلومات والبدء مجدداً. كل خيط وكل كلمة من الإفادات التي حصلوا عليها من الشهود كان ينبغي أن تراجع

بالتفصيل من بدايتها بنظرة جديدة. كان باتريك قد خطط في رأسه ما سيفعل ووضع لائحة بأبرز الأمور التي يحتاج العمل عليها في الغد. كان العثور على من عساه يكون والد طفل ألكس يحتل الأولوية الأهم التي سينطلق منها. لا بد أن يكون هناك من أحد في فيالباكا قد سمع أو رأى الشخص الذي كانت ألكس تلتقي به خلال عطل نهاية الأسبوع. من دون أن يعني ذلك طبعاً أن هنريك محذوف من قائمة الآباء المتوقعين لطفل المغدورة إضافة إلى أندرز الذي كان مرشحاً دائماً للعب هذا الدور. على الرغم من أن باتريك كان يؤمن إلى حدّ ما أن أندرز لم يكن شخصاً تعتبره ألكس مناسباً لأن يكون أباً لطفلها. كان يعتقد أن ما قالته فرانسين لإريكا كان أقرب إلى الحقيقة نوعاً ما. كان هناك أحد ما يحتل أهمية كبرى في حياتها. شخص مهم بما يكفي لأن تشعر بسعادة إنجاب طفل منه وهو أمر لم تكن تستطيع أو ترغب حدوثه مع زوجها.

كان يريد أيضاً أن يعرف المزيد حول علاقتها الجنسية بأندرز. فما الذي عساه يجمع بين امرأة مرموقة من

غوتبرغ بمجرد سكير متشرد؟ كان شيء ما في داخله ينبئه أنه إذا اكتشف كيف كانت المسارات تتقاطع بين هذين الاثنين سيتوصل حتماً إلى إيجاد الإجابات التي كان يبحث عنها. ثم إن هناك المقال المتعلق باختفاء نيلز لورنتز. كانت ألكس لا تزال طفلة عند وقوع تلك الحادثة. فلماذا عساها كانت تحتفظ في درج الخزانه بقصاصة من صحيفة تعود إلى خمسة وعشرين عاماً من الزمن؟ كان هناك عدد من الخيوط التي تتشابك في ما بينها بشكل غامض. انتابه شعور بأنه ينظر إلى إحدى تلك اللوحات، حيث تظهر مجموعة من النقاط المحكمة الترابط منطقياً من دون أن تتخذ لها مع ذلك شكلاً أو معنى مفهوماً. لوحة تفرض عليك أن تريح عينيك وتتأملها بطريقة صحيحة، فتتمكن

من أن ترى الصورة المخفية وراء النقاط بوضوح لم تكن تتوقعه. العائق الوحيد الذي كان يمنعه من ذلك يكمن في إيجاد الوضعية المثالية التي تجعل تلك النقاط تسير في سياق محدد. وقد كان يتساءل في لحظات ضعفه ما إن كان شرطياً كفوءاً بما يكفي لإيجاد الجواب. كانت هناك إمكانية أن يفلت مجرم ما من العقاب لأنه لا يتمتع بالقدر الكافي من الكفاءة.

ظهرت إحدى الغزلان فجأة أمام مقدمة السيارة متنزعة باتريك فجأة من أفكاره الغائمة. داس على المكابح فوراً ونجح في أن يتفادى دهس الحيوان بعد أن فصلته مسافة لا تزيد عن إنش واحد أو أقل عن قائمتيه الخلفيتين. أخذت السيارة تتزحلق قليلاً على الطريق الزلقة ولم تتوقف قبل مرور بضع ثوانٍ مريعة أحسها زمناً. ثم ألقى رأسه على يديه اللتين كانتا لا تزالان متمسكتين بالمقود وأخذ نفساً عميقاً ليسمح لدقات قلبه أن تعود إلى طبيعتها. بقي جالساً في مكانه من دون أي حركة لبضع دقائق ولم يتجرأ على أن يعود ويطلق العنان لسرعة السيارة قبل اجتياز ميل أو اثنين.

أدرك باتريك أنه قد تأخر خمس دقائق عن موعده بينما كان يقود السيارة فوق المنحدر الرملي في سالفيك المؤدي إلى منزل إريكا. ركن السيارة خلف سيارتها في المرآب أمام المنزل وتناول قنينة النبيذ التي جلبها معه هدية. أخذ نفساً عميقاً وتحقق من مظهر شعره في المرآة مجدداً ليتأكد من أنه أصبح جاهزاً فعلاً.

كانت كومة الملابس على سرير إريكا تضاهي تلك التي تركها باتريك مكومة فوق سريره، بل كانت أعلى بقليل. كما كانت خزانة ملابسها قد أوشكت على أن تبدو فارغة بعد أن أخذت العلّاقات تتأرجح وحيدة فيها. أطلقت تنهيدة عميقة بعد أن وجدت أن ما من

شيء يناسبها تماماً، فالكيلوغرامات الإضافية التي تسللت إلى جسمها الأسبوع الماضي حالت دون أن تبدو عليها أي قطعة من الملابس أنيقة على النحو الذي ترغب. كانت لا تزال تلعن الساعة وتشتم بمرارة اللحظة التي تحققت فيها من وزنها ذاك الصباح. رمقت إريكا انعاكسها الجانبي في المرآة الطويلة نظرة ناقدة.

بدأت تعيش حالة الضياع بعد أن أنهت حمامها، إذ واجهت كما بطلة الروايات المفضلة لديها بريجيت جونز الخيار الصعب أي سروال تحتي ترتدي. هل يجدر بها أن تضع عليها ذاك الرفيع الجميل المطرز عن الأطراف تحسباً للاحتمال الضئيل بأن ينتهي بهما الأمر هي وباتريك في السرير معاً؟ أو ينبغي عليها أن تلبس السروال القبيح تماماً الذي يخفي بطنها وعرض أردافها مما يقضي على أي احتمال، ولو ضئيل، بأن ينهيا الليلة معاً في السرير ذاته. إنه لخيار صعب لكنها قررت نظراً إلى مدى انتفاخ بطنها، وبعد تفكير عميق أن تلجأ إلى خيار الإخفاء. وضعت المشد وارتدت فوقه جوارب شفافة تصل حتى الخصر مزود بقطعة من القماش القطني الذي يعطي البطن مظهراً مفلطحاً، أو بكلام آخر، تسلحت بالترسانة كاملة.

ألقت نظرة على الساعة فأدركت أن الوقت قد حان لتتخذ قرارها. بعد أن ألقت نظرة أخرى على كومة الملابس فوق السرير سحبت من أسفلها القطعة التي جربتها أولاً. كانت عبارة عن فستان أسود طويل حتى مستوى الركبة على طراز فساتين جاكي كينيدي، ففي النهاية الأسودُ لون كلاسيكي منحِّف، وقد بدا لافتاً عند ارتدائه. كان زوج أقراط اللؤلؤ وساعة اليد كل ما وضعته من حلي وتركت شعرها ينسدل فوق كتفيها ببساطة. نظرت إلى شكلها على نحو جانبي مرة أخرى في المرآة وابتلعت معدتها بشكل تجريبي. بدت مقبولة في النهاية مع مساعدة من المشد والجوارب والتنفس المحدود. كان عليها

أن تعترف أن الكيلوغرامات الزائدة التي أضافتها إلى وزنها عموماً لم تكن بالأمر السيء إلى هذا الحد. كانت تفضل طبعاً أن تكون متحررة من الدهون التي انتهى بها المطاف في تكديسها على بطنها، لكن تلك التي توزعت على نهديها جعلت شكلها يبدو أفضل في الفستان الخالي من الأكمام الذي اختارته لليلة مع مساعدة بسيطة طبعاً من حمالات الصدر، لكن لا بأس بذلك فهذا النوع من المساعدات منتشر في جميع أنحاء العالم هذه الأيام. كما أن الحمالات التي كانت ترتدي تعتبر من أحدث طراز ومزودة بنوع من الجل في الجهتين مما يمنح النهدين حركة توحي أنها طبيعية. عليها أن تشهد على روعة التقدم الذي أحرزه العلم وكرسه لخدمة البشرية.

تجربتها جميع الملابس في الخزانة إضافة إلى الضغط النفسي العاطفي الذي مرت به جعلاها تتعرق كثيراً، فأطلقت تنهيدة عميقة وغسلت تحت إبطيها مجدداً. استغرقت تسوية الماكياج ليبدو مثالياً حوالي عشرين دقيقة. وقد أدركت حالما أصبحت جاهزة أن حفلة تأنقها قد استنفذت وقتاً أطول مما كانت تعتقد، وأنه كان عليها أن تبدأ الطهو في وقت أبكر. رتبت غرفة النوم على عجل. كانت تمضي كثيراً من الوقت لإعادة تعليق الثياب في مكانها لذا جمعتها ببساطة ورمتها كومة واحدة على الأرض داخل الخزانة وأغلقتها. كذلك قامت بترتيب السرير فقط في حال كان هناك من حاجة إليه الليلة ونظرت في أرجاء الغرفة لتتأكد أن ليس هناك من سراويل تحتية مستعملة مرمية على الأرض، فالسراويل التحتية المتسخة اليومية من ماركة (Sloggi) كفيلة بأن تقضي على أي رغبة لدى الرجل.

وصلت إلى المطبخ مقطوعة الأنفاس، وقد جعلتها فترة الضغط التي عاشتها تشعر بضياع تام. لم يكن لديها أدنى فكرة من أين عساها تبدأ.

أجبرت إريكا نفسها على أن تقف في مكانها وتأخذ نفساً عميقاً. كانت هناك وصفتا طعام أمامها على الطاولة، وحاولت أن تفكر في الوقت الذي يتطلبه تحضير كل منهكا. لم تكن إحدى أكثر الطهاة براعة، لكنها كانت طاهية مقبولة، وقد عثرت على الوصفات التي ستقوم بتحضيرها بعد أن بحثت مطولاً في صفحات مجلات *"Elle Gourmet"*. اختارت أن تكون المقبلات فطائر البطاطا مع الكريما الطازجة إضافة إلى الكافيار الشهي والبصل المقطع رفيعاً. أما بالنسبة إلى الطبق الرئيس، فقد خططت لإعداد شرائح لحم الخنزير محضرة مع العجين وصلصة النبيذ ومقدمة مع البطاطا المهروسة. واختارت للتحلية جينو مع آيس كريم بطعم الفانيللا. حمداً لله أنها سبق وأعدتها خلال فترة بعد الظهر وستتمكن بالتالي من حذفها عن القائمة. قررت أخيراً أن تضع البطاطا في المياه لتغلي. ومن ثم سوف تبشر بعض البطاطا النيئة كمقبلات.

ظلت تصب تركيزها على العمل الذي بين يديها لساعة ونصف الساعة وقفزت من مكانها حين رن جرس الباب. لقد مر الوقت سريعاً نوعاً ما وكانت تأمل ألا يكون باتريك جائعاً كثيراً، لأن الانتهاء من تحضير الطعام سوف يستغرق بعض الوقت.

كانت إريكا قد قطعت نصف المسافة نحو الباب حين لاحظت أنها لا تزال تضع المئزر عليها.

رن جرس الباب ثانية بينما تصارع لفك العقدة اللعينة التي ربطتها خلف ظهرها. تمكنت أخيراً من فكها ورفعت المئزر فوق رأسها وخلعته ورمته على إحدى الكراسي في ردهة الاستقبال. مررت يدها فوق شعرها وذكرت نفسها بأن تبتلع معدتها وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح الباب.

«مرحباً باتريك. أهلاً بك. تفضل!»

تعانقا سريعاً وسلمها باتريك قنينة النبيذ التي كانت ملفوفة بورق الألومنيوم.

«آه، شكراً لك. هذا لطف منك».

«أهلاً، لقد نصحوني بهذا النوع في متجر المدينة لبيع الكحول. إنه نبيذ تشيلي. يفترض به أن يكون قوياً ولذيذاً مع نكهة التوت والقليل من الشوكولا. لست خبيراً بأنواع النبيذ لكنهم عادة ما يعلمون ما الذين يتحدثون عنه».

منحته إريكا ابتسامة دافئة وقالت: «أنا واثقة أنه سيكون ممتازاً». ثم وضعت القنينة من يدها لبرهة على الطاولة القديمة في ردهة الاستقبال لتتمكن من مساعدة باتريك على خلع معطفه وتعليقه.

«تفضل بالدخول، آمل ألا تكون جائعاً جداً. كالعادة كانت الخطط التي وضعت متفائلة كثيراً لذا لن يكون الطعام جاهزاً قبل فترة من الوقت».

«لا مشكلة في ذلك. لا أشعر كثيراً بالجوع».

لحق بها باتريك إلى المطبخ يحمل معه قنينة النبيذ.

«هل لي أن أساعدك بشيء ما؟»

«أجل، يمكن لك أن تتناول فتاحة النبيذ من الدرج الأعلى وتفتح قنينة النبيذ. يمكن أن نبدأ السهرة بتذوق النوع الذي جلبت».

أطاعها باتريك مسروراً. وضعت إريكا كأسي نبيذ كبيرتين على الطاولة، حيث تعمل وبدأت تحرك ما في الأوعية وتتحقق من نضوج الطعام الذي وضعته في الفرن. كانت شرائح فيليه لحم الخنزير قد أوشكت تنضج لكن قطع البطاطا على النار كانت لا تزال نصف نيئة. سلمها باتريك إحدى الكأسين وقد امتلأت الآن بالنبيذ الأحمر القاتم. أخذت تدير الكأس في يدها بخفة لتتصاعد منه الرائحة العطرية ودست أنفها داخلها واستنشقت بفم مغلق. كانت رائحة السنديان اللذيذة تفوح

من النبيذ وقد استنشقتها من منخريها وأحست بها تتغلغل في كل جسمها حتى أخمص قدميها. كان الشعور رائعاً ومفرحاً. تذوقته بحذر وسمحت للنبيذ أن يدور في فمها بينما تتنشق القليل من الهواء معه من فمها. كان الطعم رائعاً بقدر الرائحة وأمكنها أن تدرك أن باتريك قد دفع مبلغاً محترماً من المال لقاء هذه القنينة.

رمقها باتريك نظرة يتوقع ردها، فقالت: «رائعة!»

«أجل، أدركت المرة الفائتة أنك تعلمين جيداً بهذه الأمور. لسوء الحظ أني لا أستطيع أن أميز الفارق بين نبيذ رخيص يباع بالصناديق مقابل خمسين كوروناً وآخر تبلغ كلفته الآلاف».

«بالطبع تستطيع ذلك لكنها مسألة عادة وحسب. عليك أن تمضي بعض الوقت فعلاً في تذوق النبيذ بدلاً من ابتلاعه دفعة واحدة».

أخذ باتريك ينظر إلى الكأس في يده وقد احمر وجهه واعتراه الخجل. كان قد أتى على ثلثه دفعة واحدة. حاول حذراً أن يقلد ما فعلته إريكا عند تذوق ما في كأسها حين استدارت لتحرك ما في القدر على النار. وقد بدا له أنه يتذوق نبيذاً آخر مختلف بالكامل. سمح لرشفة النبيذ أن تدور داخل فمه بالطريقة ذاتها التي فعلتها إريكا وقد بدأ يلاحظ ظهور النكهات المختلفة. حتى أنه استطاع أن يشعر بنكهة الشوكولا الخفيفة. كان هناك طعم من الشوكولا المر إضافة إلى نكهة أقوى قليلاً من التوت الأحمر والعنب الأحمر الممزوج بقليل من الفراولة، إنه أمر لا يصدق.

«كيف تسير أمور التحقيق؟» بذلت إريكا مجهوداً كبيراً لتبدو نبرتها عادية عند طرح السؤال، لكنها كانت في الواقع تنتظر الإجابة بفارغ الصبر.

«أظن أنه يسعني القول إننا قد عدنا إلى نقطة الصفر. لقد حظي أندرز بشاهد يفيد عن مكان وجوده ساعة حصول الجريمة ونحن لا

نملك الكثير من المعلومات التي يسعنا الاستناد إليها في الوقت الحالي. لسوء الحظ أننا ارتكبنا على الأرجح خطأً كلاسيكياً. لقد سمحنا لأنفسنا أن نكون واثقين بأن قد ألقينا القبض على الشخص المناسب وتوقفنا عن البحث والتحقيق في احتمالات أخرى ممكنة. على الرغم من أني لا أزال أوافق المحقق رأيه بأن أندرز يلعب الدور المثالي لقاتل ألكس. فهو مجرد سكير يقيم لأسباب يصعب تفسيرها علاقة جسدية مع امرأة يجب أن تكون وفق كل القواعد بعيدة عن منال مدمن كحول مثل أندرز. إنها من نوع جرائم الغيرة التي لا تؤدي إلا إلى نتيجة واحدة حين ينفذ الحظ وتنعدم وسائل الوصول إلى قلب الآخر. كانت بصمات أصابعه تنتشر في كل مكان على الجثة الموجودة في الحمام. حتى أننا وجدنا آثار قدميه في بركة الدم على الأرض».

«ألا يعتبر ذلك دليلاً حسياً كافياً يدينه؟»

أدار باتريك الكأس في يده وأخذ يتأمل آثار اللون الأحمر التي تركها المشروب على محيطه من الداخل.

«كان ليكون دليلاً كافياً ضده لو لم تتوفر إفادة الشاهد التي تدعمه. لكن هناك اليوم إفادة تقول إن أحدهم رآه في الوقت ذاته الذي نعتقد أن جريمة القتل قد حصلت فيه على الأرجح. وكما قلت سابقاً، هذا لا يثبت شيئاً سوى أنه وجد في الحمام في وقت ما بعد حصول الجريمة. إنه فارق بسيط لكن مهم لنا إذا ما أردنا أن نحصل على دليل ندين به المرء فعلياً».

كانت رائحة الطعام التي تفوح في المطبخ أخاذة. وقد تناولت إريكا من البراد فطائر البطاطا التي قلتها في وقت سابق وعادت تضعها في الفرن لتصبح ساخنة قليلاً. وضعت على المائدة صحنين صغيرين للمقبلات وعادت تفتح البراد مجدداً وتتناول منه علبة الكريما الطازجة

وأخرى مليئة بالكافيار. كان البصل مقطعاً صغيراً وجاهزاً للتقديم في وعاء على الطاولة. كانت تعي تماماً كم كان باتريك يقف قريباً منها.

«حسناً، إريكا قولي لي هل وصلتك أخبار ما عن المنزل مؤخراً؟»

«أجل، لسوء الحظ. لقد اتصل سمسار الأراضي البارحة واقترح أن نعلن المنزل للبيع خلال عطلة الفصح المقبل. قال إن آنا ولوكاس يعتقدان أنها فكرة ممتازة».

«لا تزال هناك بضعة أشهر قبل حلول الفصح. يمكن لكثير من الأمور أن تحصل قبل ذلك الوقت».

«أجل، يسعني أن أتأمل دوماً أن يصاب لوكاس بذبحة قلبية ما أو شيء من هذا القبيل. آه، اعذرني وانس أني قلت ذلك، لكن التفكير بالأمر يجعلني أصاب بالجنون!»، أغلقت باب الفرن بقسوة نوعاً ما.

«ارفقي بالأدوات المنزلية، بالله عليك».

«لعله يجدر بي أن أتعوّد على الواقع وأبدأ التخطيط لما سأفعله بالمال الذي سأجنيه من بيع المنزل. علي أن أعترف أنه لطالما اعتقدت أني سأشعر بسعادة أكبر فيما لو أصبحت ثرية».

«ليس عليك أن تقلقي بشأن الثراء، فمع نظام الضرائب الموجود في البلاد ستكونين على الأرجح مضطرة لأن تنفقي قسماً كبيراً مما ستجنين على تمويل المدارس الفظيعة أو مصلحة الضمان التي تزداد سوءاً. هذا من دون أن ننسى طبعاً قطاع الشرطة المذهل الجبار الذي لا ينال إلا الحد الأدنى من الأجور. لعلنا سنشاركك قسماً لا يستهان به من ثروتك، سترين».

لم يسعها إلا الضحك لما سمعت وقالت: «حسناً، هكذا لن أعود أقلق ما إن كنت سأشتري معطفاً من فرو المنك أو من فرو الثعلب الأزرق اللون. والآن باتريك، صدق أو لا تصدق لقد أصبح طبق المقبلات جاهزاً».

حملت صحناً في كل يد ومشت أمام باتريك نحو غرفة الطعام.

لقد تساءلت كثيراً ما إنْ كان عليهما تناول العشاء في المطبخ أو على طاولة غرفة الطعام، لكنها قررت أخيراً أن تضع المائدة في غرفة الطعام ذات الطاولة الخشبية الجميلة القابلة للطي والرفع والإنزال، والتي تزداد رونقاً في ضوء الشموع. وهي طبعاً لم تغفل الشموع ولم تبخل في نشرها، إذ كانت قد قرأت أنه ما من شيء أكثر إغراءً للرجل في مظهر المرأة من رؤيتها على ضوء الشموع.

كانت قد جهزت المائدة ووضعت عليها الأواني الفضية اللازمة والمحارم الحريرية إضافة إلى صحون من ماركة Rorstrand للمقبلات. كانت تلك الصحون الزجاجية البيضاء ذات الحافة الزرقاء المفضلة لدى أمها. وكانت تتذكر جيداً كم من العناية كانت تولي تلك الصحون التي لم تكن تستعملها إلا في المناسبات الخاصة، إلا أن تلك المناسبات لم تكن تشمل أعياد ميلاد الأولاد أو أي حفلة أخرى تتعلق بهما، فكرت إريكا بمرارة، فالصحون العادية للاستعمال اليومي كانت كافية لهما. لكن حين كان يحضر راعي الأبرشية وزوجته أو قس الكنيسة أو شماسها لتناول العشاء لم يكن عندئذٍ من حدود للتأنق على المائدة.

أجبرت إريكا نفسها على العودة إلى الحاضر ووضعت الصحنين على الجهتين المتقابلتين للطاولة.

«يبدو هذا شهياً فعلاً». تناول باتريك قطعة من فطائر البطاطا وأضاف كمية جيدة من البصل المفروم والكريما الطازجة والكافيار ورفع الشوكة إلى أن بلغت نصف المسافة إلى فمه قبل أن يلاحظ أن إريكا كانت تجلس قبالته وتحمل الكأس بيدها وترفع حاجبها تعجباً.

شعر باتريك بالخجل فوضع الشوكة من يده ومدّها إلى كأس النبيذ.

«نخبك وأهلاً بك».

«نخبك».

ابتسمت إريكا لخطواته المتعثرة. كان منظره جميلاً مقارنة بأولئك الذين كانت تواعدهم في ستوكهولم من الرجال المثقفين المصطنعين العارفين باللياقات الاجتماعية لدرجة أنك تخالهم نسخاً متطابقة. بدا باتريك مقارنة بهم شخصاً حقيقياً يتصرف على طبيعته من دون تكلف. ولم يكن ليزعجها لو أنه رغب بتناول الطعام بأصابعه. كما أنه يبدو بغاية الوسامة حين يحمر خجلاً.

«لقد زارني ضيف غير متوقع اليوم».

«آه، حقاً ومن هو ذلك؟»

«جوليا».

رمق باتريك إريكا نظرة تعجب. أرضاها كثيراً أن ترى أنه يلاقي صعوبة بالتوقف عن التهام الطعام الذي أعدته.

قال لها: «لم تكن لدي أدنى فكرة أن إحداكما على معرفة بالأخرى».

«نحن لا نعرف بعضنا في الواقع. لقد التقيت بها للمرة الأولى في مأتم ألكس. وها قد وجدتها اليوم تقف عند باب منزلي».

«وما الذي تريده؟»

مسح باتريك صحنه وحرص على عدم ترك أي أثر للطعام فيه حتى بدا نظيفاً تماماً وكأنه كان يحاول أن يزيل اللون عن قطعة البورسلين.

«لقد طلبت مني أن أريها صورنا أنا وألكس حين كنا طفلتين. يبدو أن العائلة لا تملك الكثير من الصور لها وفق ما قالت جوليا فاستغلت الفرصة وأتت لترى ما إن كان لدي بعضاً منها. وهذا ما حصل بالفعل، ثم طرحت علي العديد من الأسئلة المتعلقة بفترة طفولتنا معاً وأموراً من هذا القبيل. الأشخاص الذين معهم قالوا لي إن

الأختين لم تكونا مقربتين كثيراً، وهذا ما لا أراه غريباً نظراً إلى فارق العمر بينهما. لكن ها هي اليوم تريد أن تعرف المزيد عن ألكس والتعرف إلى شخصيتها. أو هذا هو الانطباع الذي تركته لدي على الأقل. بالمناسبة، هل سبق لك أن التقيت جوليا يوماً؟»

أجاب باتريك بالقول: «كلا، لم ألتق بها حتى الآن، لكنني سمعت أن الأختين ليستا أو بالأحرى لم تكونا متشابهتين».

«آه، لا تشبهان بعضهما بالمرة. إنهما النقيضين تماماً في المظهر على الأقل. على ما يبدو أن كليهما انطوائي ومنغلق على نفسه على الرغم من أن جوليا تتصف بوقاحة لم تكن موجودة لدى ألكس التي كانت تبدو أكثر... كيف لي أن أقول ذلك، أكثر استهتاراً ولامبالاة بناءً لما سمعته من الناس الذين تحدثت معهم. أما جوليا فتبدو دائمة الغضب أو بالأحرى دائمة الحنق. لقد انتابني شعور بأن هنالك كم من الغضب يغلي ويزبد وراء قناع من الهدوء الظاهر. إنها أشبه بالبركان الخامد. ألا يبدو كلامي تافهاً بحق السماء؟»

«كلا، لا أعتقد ذلك. أتصور أن حسّ الكاتبة لديك يجعلك تشعرين بحقيقة الناس أكثر ويمنحك معرفة بالطبيعة البشرية».

«آه، لا تنعتني بالكاتبة، لا أظن أني أستحق هذا اللقب حتى الآن».

«قمت بنشر أربعة كتب حتى اليوم وما زلت لا تعتبرين نفسك كاتبة؟»

أخذ باتريك ينظر أمامه من دون أن يفهم معنى ما قالته فحاولت إريكا أن تشرح له.

«حسناً، كل ما قمت به هو كتابة أربع سير ذاتية والعمل على الخامس. لا أقصد الاستهانة بما قمت به، لكن بالنسبة إلي الكاتب هو من يكتب مكنونات قلبه وعصارة تفكيره، ولا يقوم بوصف حياة

شخص آخر وحسب. اليوم الذي أكتب فيه شيئاً ينبع من ذاتي هو اليوم الذي أستطيع أن أسمي نفسي فيه كاتبة».

صعقها فجأة واقع الأمور إذ لا يعبر عن الحقيقة كاملة. إذا ما نظرت في تعريف الكاتب على نحو سطحي تجد أن لا فرق أساساً بين السير الذاتية التي كتبتها حول أشخاص من التاريخ والكتاب الذي تؤلفه حول ألكس، فهو أيضاً يحكي حياة شخص آخر، لكن الأمر مع ذلك كان مختلفاً بطريقة ما. أولاً لأن مسار حياة ألكس ترافق مع مسار حياتها هي بشكل واضح جداً، وثانياً لأنها تستطيع أن تعبر من خلال الكتاب عن بعض من آرائها الشخصية، حتى أنها كانت تستطيع أن تعدّل في روحية النص ضمن إطار أحداث الواقع، لكن لا يسعها أن تخبر باتريك بذلك. لا يمكن لأحد أن يعرف أنها كانت تضع كتاباً عن حياة ألكس.

«لقد حضرت جوليا إلى هنا إذاً، تحمل معها باقة من الأسئلة حول ألكس. هل تسنت لك الفرصة لسؤالها عن نيللي لورنتز؟»

عاشت إريكا صراعاً مريراً بينها وبين نفسها وتوصلت في النهاية إلى أن ضميرها لا يسمح لها بأن تحجب مثل هذه المعلومة عن باتريك. لعله يتمكن من خلالها التوصل إلى نتائج لم تدركها هي. كانت تلك هي القطعة الصغيرة والمهمة من الأحجية التي اختارت ألا تخبره عنها حين ذهبت لتناول العشاء في منزله، لكن بما أنها لم تستطع الذهاب أبعد من ذلك بالمعلومة التي حصلت عليها لم تعد ترى سبباً يمنعها من إبقاء الأمر سراً لفترة أطول من ذلك، لكن كان عليها أن تقدم الطبق الرئيس أولاً.

انحنت بالقرب منه لتتناول الصحن وحرصت أن تنحني أكثر بقليل مما كان ينبغي. تعمدت أن تلعب أوراقها حتى النهاية وتستثمرها إلى الحد الأقصى. أدركت من التعابير التي لمحتها على وجه باتريك

أنها حققت مكسباً رائعاً. لقد أثبتت حمالة صدرها من ماركة Wonderbra أنها تستحق مبلغ خمسمئة كورون أنفقتها على شرائها. على الرغم من أن ذلك قد أسهم كثيراً في تركها عاجزة مالياً حينها.

تناول باتريك الصحن منها وقال لها: «دعيني آخذ هذا عنك».

وتبعها إلى المطبخ. جففت المياه من البطاطا وشغلته بالعمل على هرسها. أعادت تسخين المرق مرة أخيرة وتذوقته. القليل من النبيذ الحاذق حلو المذاق وكمية كبيرة من الزبدة لمزيد من النكهة ويصبح الطبق جاهزاً للتقديم. إنه طبق لا يحتوي على كريما قليلة الدسم! لن يعود هناك من شيء سوى إخراج شرائح الفيليه المحمرة من الفرن وتقطيعها. بدا كل شيء مثالياً. كانت الشرائح ذات لون زهري خفيف في الوسط من دون وجود لأي عصارة حمراء تدل على عدم نضوجها. وقد اختارت لطبق الخضار المرافق للحمة البازلاء الحلوة المطهوة على البخار وقدمتها في وعاء من ماركة Rorstrand كذلك مع البطاطا المهروسة. تعاونا على حمل أطباق الطعام إلى حيث يتناولان العشاء. وسمحت لباتريك أن يسكب لنفسه قبل أن تفجر القنبلة.

«جوليا هي الوريث الوحيد لثروة نيللي لورنتز».

كان باتريك على وشك تناول جرعة من النبيذ لكن من الواضح أن السائل نزل في غير موضعه المناسب لأنه أخذ يسعل وقبض بيده على صدره وقفزت الدموع إلى عينيه لشدة الانزعاج الذي أحس به.

وسألها بصوت أجش: «عذراً، ما الذي قلته للتو؟»

كررت إريكا ما قالته بنبرة هادئة بينما تسكب لباتريك بعض الماء ليهدىء من حدة السعال: «لقد قلت إن جوليا هي الوريث الوحيد لثروة نيللي لورنتز هذا ما هو موجود في وصية نيللي نفسها».

«هل أجرؤ على السؤال من أين عرفت هذه المعلومات».

«عرفت لأنني عبثت في محتويات سلة المهملات في منزل نيللي حين زرتها في منزلها ملبية دعوتها لتناول الشاي معها».

غرق باتريك في نوبة سعال ثانية وأخذ ينظر إلى إريكا غير مصدق ما سمع. ابتلع المياه في الكوب دفعة واحدة قبل أن تتابع إريكا حديثها وتقول: «كان هناك نسخة من الوصية في سلة المهملات. وكانت تنص بوضوح لا يقبل الشك أن جوليا كارلغرن هي الوريث الوحيد لثروة نيللي لورنتز. سيحصل جان على حصة من الثروة طبعاً لكن الباقي كله يذهب إلى جوليا».

«وهل يعلم جان بالأمر؟»

«ليس لدي أدنى فكرة عن الموضوع. لكني أظن أنه يفعل، أو كلا لعله لا يعرف شيئاً بالمرة».

تابعت إريكا كلامها بينما تكمل تناول الطعام: «لقد سألت جوليا في الواقع كيف يصدف أن تعرف نيللي لورنتز إلى هذا الحدّ. لكن من الطبيعي أني لم أحصل في الواقع إلا على إجابة لا معنى لها. لقد ذكرت شيئاً عن حصولها على عمل لديها في معمل تصنيع المعلبات أثناء فصل الصيف لبضع سنوات. لا أشك مطلقاً في أن الجزء الذي ذكرته عن عملها كان صحيحاً لكنها أغفلت باقي الحقيقة. كان من الواضح جداً أنها لا تحب التحدث بهذا الشأن».

بدا باتريك مستغرقاً في التفكير وقال لها: «أتدركين أن ذلك يضع أمامنا ثنائيين غير متناسقين في الرواية بأكملها؟ حتى أني أستطيع أن أسميهما زوجين غير متطابقين. الثنائي الأول يتألف من ألكس وأندرز، والثاني من جوليا ونيللي. ما هو القاسم المشترك بينهم جميعاً؟ إذا ما عثرنا على الصلة التي تربط بين هؤلاء أعتقد أننا قد نجد الحل لكل شيء».

«إنها ألكس، ألا تعتبر ألكس القاسم المشترك الذي يجمع بين كل هؤلاء؟»

أجاب باتريك: «كلا، أعتقد أننا بهذا نبسّط الأمور كثيراً. لا بدّ أن يكون أمراً آخر، قطبة مخفية ما لا نستطيع رؤيتها أو فهمها بوضوح».

لوح بالشوكة التي يحمل وتابع بحماسة: «ثم يأتي نيلز لورنتز أو حادثة اختفائه على وجه أدق. أنت كنت تعيشين في فيالباكا حينها، ما الذي تتذكرينه بهذا الخصوص؟»

«كنت لا أزال صغيرة السن في ذلك الوقت، ولم يكن أحد يتحدث بالأمر أمام ولد صغير مثلي، لكن كل ما أتذكره أن التكتم والغموض كانا سيدي الموقف».

«التكتم؟ ماذا تقصدين بذلك؟»

«أنت تعلم كيف تسير الأمور، بدءاً بالأحاديث التي تتوقف فجأة عند دخولي إلى الغرفة مروراً بخفض الكبار أصواتهم عند التحدث بالأمر وإصدار تعليقات على شكل اصمتوا، لا تدعوا الصغار يسمعونكم وأمور من هذا القبيل. كل ما أعرفه أن أحاديث كثيرة كانت تدور حول موضوع اختفاء نيلز لورنتز في تلك الأثناء، لكني كنت صغيرة السن ولم يكن أحدهم يذكر أمامي شيئاً».

«سيكون عليّ أن أجري المزيد من التحريات بهذا الشأن. سأضع هذا على قائمة الأمور التي سأعمل عليها غداً، لكنني في الوقت الحاضر أتناول العشاء ليس مع امرأة بغاية الجمال وحسب بل طاهية بغاية البراعة. دعينا نشرب الآن نخب المضيفة».

رفع الكأس بيده وغمرت إريكا موجة من الدفء الذي ملأ قلبها لسماع هذا الإطراء. لم يكن للأمر علاقة وثيقة بما قاله عن الطعام بل لما ذكر عن جمالها. فكرت في سرها كم كانت الأمور لتكون أكثر

سلاسة لو استطاع كل منا قراءة ما يجول في خاطر الآخر. وكم أنه لن يكون هناك من حاجة لكل تلك التمثيليات التحزيرية أو لأن تجلس وتتأمل أن يوحي لها ولو بالحدّ الأدنى أنه يهتم لأمرها. لو كانت لا تزال بعمر المراهقة كان لا بأس عليها أن تتصرف بجرأة أكبر وتستغل كافة الفرص المتاحة أمامها لكنها كانت تشعر مع مرور السنين أن قلبها يغدو وكأنه يزداد قسوة وتحجراً. كانت الجهود التي ينبغي أن تبذل أكبر في كل مرة كذلك الضرر اللاحق بثقتها في نفسها.

بعد أن قام باتريك بسكب ثلاث حصص إضافية في صحنه وتوقفا لفترة طويلة عن التحدث عن قضايا الموت المفاجىء وانتقلا للحديث عن الأحلام والحياة ومشاكل الدنيا العديدة خرجا للجلوس على الشرفة ليمنحا معدتيهما قسطاً من الراحة قبل تناول التحلية. جلس كل منهما على طرف الأريكة وتابع شرب النبيذ. كانت القنينة رقم اثنين على وشك الانتهاء وأمكنهما الشعور بأثر ذلك إذ كان الدفء قد دبّ في أطراف جسديهما الثقيلة وكانا يحسان وكأن رأسيهما ملفوفين بقماش قطني ناعم. كان الليل خارج النوافذ حالكاً ولا تظهر أي نجمة في صفحة السماء. جعلهما الظلام الدامس يشعران وكأنهما محبوسين داخل شرنقة، شخصين يعيشان وحيدين على وجه الكوكب. لم تتذكر إريكا أنها شعرت يوماً بمثل هذا الفرح الداخلي ولا تذكر أنها أحست بمثل هذه السكينة والسلام في منزلها الخاص. أشارت باليد التي تضم كأس النبيذ من حولها نحو أرجاء الشرفة والمنزل وقالت: «هل يمكن أن تصدق أن آنا تريد أن تبيع كل هذا؟ إنه ليس المنزل الأجمل في كل الدنيا وحسب، بل بيت تحكي جدرانه قصصاً وحكايات من التاريخ. ولست أقصد هنا تاريخ حياتي أو حياة آنا فقط، بل قصص الناس الذين عاشوا فيه من قبلنا. هل تعلم أن قبطاناً بنى هذا المنزل لعائلته عام 1889؟ إنه الكابتن فيلهلم جانسون.

إنها قصة حزينة للغاية في الواقع، كغيرها من القصص التي تدور أحداثها في هذه البلدة. كان قد بنى المنزل له ولزوجته الشابة إيدا. ورزقا بخمسة أولاد على مدى خمسة أعوام متتالية، لكن وأثناء إنجابها الطفل السادس توفيت. في تلك الأيام لم يكن يسمع شيئاً عن الأزواج الأرامل فانتقلت الشقيقة الأكبر للكابتن جانسون العانس للعيش مع أبنائه بينما أخذ هو يجوب البحار السبع. تبين أن أخته هيلدا لم تكن الخيار الأمثل لتربية أولاده ولعب دور الأم البديلة، إذ كانت المرأة الأكثر تديناً التي يمكن أن تجد في المقاطعات الكثيرة القريبة من هنا. وهذا يعني الكثير نظراً إلى مدى تدين الذي كان عليه الناس هنا. بالكاد كان يمكن للأولاد القيام بأي شيء من دون أن يتهموا بارتكاب الخطيئة، وكان الضرب الذي يتلقونه من هيلدا تلك ينزل على أجسادهم بيد حازمة تخاف الرب. لعلها أصبحت تنعت اليوم بالسادية، لكنها في تلك الأيام كان مقبولاً بالكامل أن تخفي مثل تلك الميول الطبيعية وراء قناع من التدين». لم يكن الكابتن جانسون يوجد لما يكفي من الوقت في المنزل ليعرف مدى سوء أحوال أولاده وتربيتهم، مع أن شكوكاً انتابته حيال ذلك. لكن كما معظم الرجال كان يعتقد أن تربية الأولاد من شأن النساء ولا دخل له هو فيه كما شعر أنه يلبي حاجاتهم ويقوم بواجباته الأبوية حيالهم بالحرص على تأمين سقف يأويهم وطعام يشبعهم. إلى أن أتى في أحد الأيام ليجد أن ابنته الصغرى مارتا قد مضى أسبوع كامل على كسر يدها وتركت من دون علاج. كان الكابتن رجلاً نشيطاً فعمد عندئذٍ إلى طرد هيلدا من المنزل والبحث بين النساء غير المتزوجات في المنطقة عن أم مناسبة تقوم برعاية أولاده. يبدو أنه أحسن الاختيار هذه المرة إذ تزوج في غضون شهرين من ابنة أحد المزارعين وتدعى لينا مانسدوتر وقد أحبت الأولاد وكأنهم أبناءها هي. كما أنجبت من الكابتن سبعة أولاد

آخرين لذا لا بد أن المنزل كان مكتظاً هنا في أحد الأيام. إن نظرت جيداً في أرجاء المنزل ستجد أنهم تركوا آثاراً كثيرة لهم هنا تتوزع بين الخدوش الصغيرة والبقع المهترئة. إنها منتشرة أينما كان».

«وكيف توصل والدك إلى شراء المنزل؟»

«مع مرور الأيام تفرق أولاد جانسون وتوزعوا في أنحاء الدنيا. أما الكابتن جانسون فتوفي هو وزوجته لينا وقد غدا أحدهما مولع جداً بالآخر. الولد الوحيد الذي بقي في المنزل كان الابن البكر آلان وهو لم يتزوج مطلقاً، كما لم يعد قادراً على تدبر أمور المنزل لوحده بعد أن تقدم في السن فقرر بيعه. كان أمي وأبي متزوجين حديثاً ويبحثان عن منزل. أخبرنا أبي أنه أغرم بهذا المنزل هنا منذ اللحظة الأولى التي رآه فيها ولم يتردد في شرائه مطلقاً. وحين وافق آلان على بيعه لأبي روى له قصة المنزل والعائلة التي تفرقت. وقال له إنه من المهم بالنسبة إليه أن يعرف أبي أقدام الذين وطئوا الأرض الخشبية القديمة لهذا البيت وعاشوا فيه. كما أنه ترك فيه بعض الوثائق والملفات بما في ذلك الرسائل التي كان الكابتن جانسون يبعث بها إلى زوجته الأولى إيدا ثم إلى لينا، كما أنه ترك السوط الذي كانت أخته تضرب به الأولاد لمعاقبتهم. إنه لا يزال معلقاً في القبو في الأسفل. غالباً ما كنا أنا وآنا نذهب ونلمسه حين كنا طفلتين. كنا قد سمعنا بقصة هيلدا وحاولنا أن نتخيل كم يمكن أن يكون وقع ضربات حبال السوط القاسية مؤلماً على أجسامنا العارية. كنا نشعر بالأسف حيال أولئك الأولاد الصغار الذين كانت تتم معاملتهم بالسوء».

رمقت إريكا باتريك نظرة عميقة وتابعت كلامها: «أنت تفهم الآن لماذا ينفطر قلبي لفكرة بيع المنزل. إن قمنا ببيعه فلن نتمكن من استرجاعه مطلقاً. إنه أمر متعذر. أشعر بالسأم لمجرد التفكير أن أحد أثرياء ستوكهولم قد يعبث بهذا المكان ويبدأ بحف الأرض وإلصاق

ورق جدران جديد مزين بصدف صغير، هذا من دون أن ننسى النافذة الكبيرة التي سيتم وضعها على الشرفة. سيحصل كل ذلك بسرعة كبيرة قبل أن أتمكن حتى من نطق كلمة تصفه بعديم الذوق. من سيأبه عندئذٍ بالحفاظ على آثار الكتابة بقلم الرصاص المتروكة على الجهة الداخلية من خزانات حفظ الطعام، حيث كانت لينا تسجل كل عام كم بلغ طول كل من الأولاد؟ أو من سيكترث بقراءة الرسائل التي كان الكابتن جانسون يحاول فيها وصف ما تبدو عليه البحار في الجنوب لكل من زوجتيه اللتين بالكاد ذهبتا خارج حدود الرعية؟ سيتم محو تاريخ هؤلاء كلهم ولن يعود هذا المنزل سوى. . . منزل عادي وحسب. مجرد أي منزل قديم. سيكون مذهلاً إنما تنقصه الحياة».

أمكن لإريكا أن تسمع نفسها جيداً وتدرك أنها كانت تهذي لكن ولسبب ما كان يهمها كثيراً أن يعي باتريك ما تقول تماماً. نظرت إليه فوجدت أنه كان يراقبها ويحدق فيها لدرجة احمرت فيها خجلاً. ومن ثم حصل شيء ما، مرت لحظة من التفهم المطلق وقبل أن تدرك ما الذي يحصل، كان باتريك يجلس بالقرب منها. بعد مرور لحظة من التردد كان يضغط بشفتيه فوق شفتيها. لم تشعر بشيء في البداية سوى طعم النبيذ على كل من شفتيهما لكن ما لبثت أن أحست بطعم شفتي باتريك. فتحت فمها بحذر وشعرت برأس لسانه يبحث عن لسانها. وأحست بموجة كهربائية لذيذة تجتاح جسمها كله.

لم يلبث الوضع أن أصبح أكثر حميميةً وما لبثت حرارة النيران تحرقهما فنهضت إريكا من مكانها وأمسكت بيده وقادته إلى غرفتها في الطابق العلوي من دون أن تنطق بكلمة. تمددا على السرير يقبل أحدهما الآخر ويداعبه. رمقها باتريك بعد حين بنظرة متسائلة، ثم بدأ يفك أزرار فستانها. أجابته قبولاً بصمتها الذي أرفقته بالبدء بفك أزرار قميصه. أدركت فوراً أن السروال التحتي الذي كانت قد اختارته لم

يكن ذلك الذي أرادت أن يراه باتريك عليها للمرة الأولى. كانت تعلم تماماً أن المشد الذي كانت ترتديه ليس السروال التحتي الأكثر إغراءً في العالم. لكن السؤال المطروح الآن بات كيف يمكن لها أن تتخلص من المشد الذي يخفي بطنها من دون أن تسمح لباتريك برؤيته. جلست إريكا بسرعة وقالت: «اعذرني، علي الذهاب إلى المرحاض».

أسرعت إلى المرحاض وأخذت تنظر من حولها بتوتر. لحسن حظها أن كانت هناك كومة من الثياب النظيفة في سلة الملابس التي لم يتسن لها الوقت الكافي لتوضيبها. خلعت عنها المشد الضيق بصعوبة بالغة ووضعته مع السروال التحتي الذي يليق بعجوز مع الملابس المتسخة. وسحبت من السلة سروالاً أبيض شفافاً مطرزاً يتناسب مع حمالة الصدر التي كانت ترتدي. أعادت سحب فستانها حتى أسفل ظهرها وحرصت على التحقق من مظهرها مجدداً في المرآة. كان شعرها مشعثاً بشكل طفيف وقد انسدلت بعضاً من خصله المتجعدة فوق وجهها، وكانت عيناها تلتمعان بشغف. أما فمها فكان أحمر اللون أكثر من المعتاد وأكثر انتفاخاً بقليل لكثرة القبل. وخطر لها أنها كانت تبدو في الواقع أكثر إغراءً. على الرغم من أن بطنها لم يكن يتخذ الشكل الذي كان يمنحه إياه المشد فابتلعته ونفخت صدرها إلى الأمام وعادت إلى باتريك الذي كان لا يزال ممداً فوق السرير في الوضعية ذاتها التي تركته فيها.

بدأت الملابس تختفي رويداً رويداً عن جسديهما والكومة على الأرض تزداد ارتفاعاً. لم تكن المرة الأولى لهما معاً في السرير بالروعة ذاتها التي تصورها الروايات العاطفية بل كانت تميل أكثر لأن تكون مزيجاً من المشاعر الجياشة والإدراك الذي يثير الخجل. لكن جسديهما كانا في الوقت ذاته يتفاعلان بأحاسيس غريبة تحت تأثير

اللمسات المتبادلة. كان كل منهما يدرك أن الآخر عارٍ تماماً مجرداً إلا من شغفه ويعي العيوب الجمالية البسيطة في الشريك ويصاب بالقلق من أن تصدر عنه أصوات محرجة. كانا كمتعثرين غير واثقين مما قد يحب الآخر أو لا. لم يكونا متأكدين بما يكفي مما يريدان لكنهما تجرآ على صياغة أفكارهما على شكل كلمات. ولجآ بدلاً من التعبير الصريح إلى إصدار مقاطع صوتية قصيرة تشير إلى ما ينجح وما يحتاج إلى تعديل. لكن المرة الثانية كانت أفضل والثالثة مقبولة أما الرابعة فكانت جيدة جداً والخامسة بغاية الروعة. غطا في نوم عميق متكورين أحدهما على الآخر كملعقتين. آخر ما لمحته إريكا قبل أن تغرق في النوم، كان ذراع باتريك تحضن نهديها بأمان وأصابعه تشبك أصابعها. فنامت والابتسامة مرسومة على ثغرها.

كان رأس باتريك وكأنه مقطع إلى ألف جزء. كان فمه جافاً جداً بحيث كان يلتصق بسقف حلقه، لكن لا بدّ أن كان فيه بعض اللعاب في وقت ما أثناء النوم إذ كان يشعر ببقعة رطبة على وجنته فوق الوسادة. شعر وكأن أحدهم كان يشده من جفنيه ويغلقهما ويفشل له محاولاته المتكررة لفتح عينيه. لكنه تمكن من فتحهما أخيراً بعد بضع محاولات مضنية.

وقد تراءى أمامه حلم. كانت إريكا تستلقي على جانبها تدير وجهها نحوه وشعرها الأشقر الطويل المتجعد ينسدل على وجهها. بدت وكأنها تحلم، لأن رموشها كانت تتأرجح وجفناها يتقلبان. خطر لباتريك أنه يمكن أن يظل مستلقياً كما يفعل الآن ويتأملها إلى الأبد من دون أن يتعب أو يمل. كان سيمضي الحياة بأكملها على هذا النحو لو اقتضى الأمر. أطلقت إريكا تنهيدة في نومها لكنها سرعان ما عادت إلى وتيرة التنفس العادية. كان وكأنه في حلم ولم يكن يعني

بذلك الممارسة الجنسية بحدّ ذاتها لكن الشعور بحب امرأة. كان يعتقد طوال تلك الأيام المظلمة الحزينة التي اختبرها أنه من المستحيل أن يخالجه هذا الشعور مجدداً في أحد الأيام، لكنه بدا من المحال الآن ألا يشعر بما يجتاحه من أحاسيس.

أخذت إريكا تتقلب بانزعاج ولاحظ أنها على وشك أن تنهض من غفوتها. كانت هي أيضاً تصارع لفتح جفنيها الثقيلين، لكنها حين فعلت أذهلته مجدداً مدى زرقة عينيها وقال لها: «صباح الخير أيتها الناعسة».

«صباح الخير».

افتر ثغرها عن ابتسامة جعلته يشعر وكأنه أغنى رجل في العالم على الإطلاق.

سألته إريكا: «هل نمت جيداً؟»

نظر باتريك إلى عقارب الساعة التي كانت تلتمع في الظلام وأجاب: «أجل، كانت الساعتان اللتان أمضيتهما نائماً رائعتين لكن الساعات التي سبقتهما كانت أكثر روعة بكثير على ما أظن».

كل ما أجابت به إريكا كان عبارة عن ابتسامة ذات معنى.

كان باتريك يعتقد أن رائحة أنفاسه كريهة تشبه سم الأفعى، لكنه لم يستطع أن يقاوم الرغبة بأن يميل نحو إريكا ويقبلها مجدداً. أصبحت القبلة أكثر عمقاً ومضت ساعة كاملة وهما في عالمهما الخاص المليء بالشغف. كانت إريكا بعد ذلك تستلقي على ذراعه الأيسر وترسم بإصبعها دوائر على صدره العاري. رفعت نظرها إليه وسألته: «هل خطر لك حين أتيت الليلة أنه قد ينتهي الأمر بنا هنا معاً في سرير واحد؟»

فكر في الأمر للحظة قبل أن يجيب وقد وضع يده اليمنى خلف

رأسه بينما هو مستغرق في التفكير: «كل. . . لا، لا يمكنني القول إنه خطر أن مثل ذلك قد يحصل، لكنني كنت آمل حصوله».

«وأنا أيضاً كنت آمل ذلك، حسناً أعني أني لم أفكر بالأمر مسبقاً».

فكر باتريك للحظة إلى أي مدى يجب أن يكون جريئاً في البوح عما يدور في خاطره لكن بوجود إريكا بين ذراعيه شعر أنه يجرؤ على قول أي شيء.

«الفرق بيني وبينك هو أنك بدأت تأملين أن يحصل الأمر بيننا مؤخراً أليس كذلك؟ هل تعلمين منذ متى وأنا آمل أن يحدث ما حدث؟»

نظرت إليه مرتبكة وسألته: «كلا، لا أعلم، منذ متى؟»

تعمد باتريك التوقف عن الكلام ليمنح كلامه وقعاً أكبر، ثم قال: «حسبما أتذكر فأنا مغرم بك منذ أن صحوت على هذه الدنيا». بعد أن أفصح عما كان يفكر به أدرك مدى صدقه وتعبيره عن الواقع.

أخذت إريكا تحدق به بعينين متسعتين: «لا بدّ أنك تمزح! تقول ذلك ببساطة وأنا التي لم تتوقف عن القلق حيال ما إن كنت تهتم ولو قليلاً لأمري! كيف يمكن أن تخبرني الآن هكذا ببساطة أنك كنت تحبني منذ ذلك الوقت!»

كانت نبرة صوتها مرحة لا تدل على قلق، لكنه لاحظ أنها قد تفاجأت قليلاً لما قاله لها.

«حسناً، لا يعني ذلك أني كنت أعيش حياة عزوبية طوال حياتي أو حياة من الحرمان العاطفي. لقد وقعت طبعاً في حب نساء أخريات أيضاً ككارين مثلاً، لكن لطالما كنت أنت مميزة بالنسبة إلي. لطالما كنت أشعر هنا بشيء ما حيالك حين أراك».

ضغط بيده فوق قلبه فأخذتها إريكا بين يديها وطبعت قبلة عليها ووضعتها فوق وجنتها. وقد قالت له هذه المبادرة الكثير.

أمضيا فترة الصباح يتعرف أحدهما على الآخر جيداً. وحين سألته إريكا كيف يحب أن يمضي أوقات فراغه ولدت إجابته تنهيدة مخيبة.

«كلا، لا تقل لي ذلك أيضاً. لا أريد مولعاً آخر بالرياضة! آه، لماذا لا أستطيع أن أجد شاباً ذكياً بما يكفي ليدرك أنه من الطبيعي تماماً أن مطاردة طابة على طول الملعب هي تسلية لولد في الخامسة من العمر فقط! أو لأن أحظى برجل يمكن أن يتساءل ما الذي ينفع البشرية إن تمكن أحدهم من القفز على ارتفاع مترين في الهواء من فوق حاجز خشبي».

«بل متران وخمس وأربعون سنتمتراً».

سألته إريكا بصوت يدل على أنها لا تكترث مطلقاً للإجابة التي ستسمعها منه: «وما الذي تعنيه بـ مترين وخمس وأربعين سنتمتراً؟»

«إنه الرقم الأعلى للقفزات في العالم الذي حققه سوتومايور، وقد بلغ ارتفاعها مترين وخمس وأربعين سنتمتراً. وصلت القفزة الأعلى التي حققتها النساء إلى مترين اثنين فقط».

رمقته بنظرة مشككة: «طيب لا بأس، مهما كان الأمر».

«هل لديك محطة Eurosport؟»

«أجل».

«وهل لديك القناة + Canal التي تعرض الأحداث الرياضية لا الأفلام؟»

«أجل».

«وهل لديك المحطة التلفزيونية المسماة TV1000؟»

«أجل، ولأكون أكثر دقة، لدي محطة TV1000 التي تعرض أموراً أخرى إضافة إلى الرياضة».

داعبته إريكا بضربة خفيفة على صدره وقالت: «هل نسيت شيئاً؟»

«أجل، القناة TV3 تعرض الكثير من الأحداث الرياضية».

«يجب أن أعترف أن الرادار المولع بالرياضة متطور فعلاً. لقد أمضيت أمسية مملة بما لا يصدق لدى منزل صديقي دان الأسبوع الماضي أشاهد ألعاب الهوكي الأولمبية. إني لا أفهم وحسب كيف يمكن لأحدهم أن يظنه ممتعاً مشاهدة شبان يضعون حشوات عملاقة ويطاردون بعضهم بعضاً سعياً وراء ذاك الشي الأسود الصغير الذي لا أعرف ماذا يسمى».

«إنه أكثر متعة وأكثر إنتاجية في جميع الأحوال من تمضية النهار بأكمله في التنقل من متجر ملابس إلى آخر».

في استجابة منها على الهجوم الصاعق الذي وجهه لإحدى أكبر عيوبها في الحياة كانت أن شزرت وجهها وعقفت أنفها ونظرت إلى باتريك باستعلاء، لكن ما لبثت أن لاحظت كيف التمعت عيناه فجأة.

استقام باتريك في السرير وقال: «اللعنة».

«عفواً، ماذا قلت؟»

«سحقاً، اللعنة، تباً».

اتسعت عينا إريكا وهي تنظر إليه مذهولة.

صفق باتريك يده على جبينه عدد من المرات: «تباً، كيف يمكن لي بحق السماء أن أنسى شيئاً كهذا؟»

«مرحباً، آلو، من كوكب الأرض إلى باتريك! هلا تخبرني من فضلك ما الذي تتحدث عنه؟»

لوحت إريكا بيدها أمام وجهه ففقد باتريك تركيزه للحظة حين

رأى كيف أن الحركة التي قامت بها جعلت نهديها يهتزان. ومن ثم قفز من السرير عارياً تماماً وهرع نحو السلالم. عاد إليها يحمل بضع صحف في يده وجلس في السرير وبدأ يقلب صفحاتها كالمجنون. كانت إريكا في هذا الوقت قد توقفت عن محاولة الحصول على أي أجوبة منه وجلست في مكانها تكتفي بمراقبته باهتمام.

صرخ باتريك باغتباط ونصر: «عظيم! يا للحظ الرائع إنك لا تقومين برمي الأعداد القديمة من الصحف التي تذكر البرامج التي ستعرض على التلفزيون».

لوح بالورقة أمام وجه إريكا وقال لها: «السويد مقابل كندا!»

كانت إريكا لا تزال صامتة ترفع إحدى حاجبيها بارتباك واضح. نفذ صبر باتريك الذي حاول أن يشرح لها بالقول: «لقد هزم السويد كندا في إحدى المباريات الأولمبية، وذلك نهار الجمعة في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني على شاشة تلفزيون TV4».

كانت لا تزال تنظر إليه بخلو وجهها من أي تعابير، فأطلق باتريك تنهيدة وتابع: «ألغي عرض كافة البرامج العادية المقررة بسبب المباراة. لا يمكن لأندرز أن يكون قد عاد إلى المنزل في الموعد ذاته لعرض برنامج *Separate Worlds* يوم الجمعة ذاك لأن عرض البرنامج قد ألغي أصلاً. هل تفهمين معنى ما أقول؟»

استوعبت إريكا ببطء ما كان باتريك يقول. هذا يعني أنه لم يعد لأندرز شاهد يدعمه بإفادته. مع أن ما قاله للتو يعتبر ضعيفاً وغير مقنع ستجد الشرطة صعوبة بالغة في أن تتجاهله. سيكون بإمكانهم الآن إحضار أندرز مجدداً بناءً على الإثبات الذي أقاموه ضده في السابق. أخذ باتريك يهز رأسه برضا حين أدرك أن إريكا فهمت ما الذي قصده.

سألته إريكا: «لكن، هل تعتقد فعلاً أن أندرز هو القاتل؟»

«كلا، بالطبع لا. لكن، أولاً يمكن أحياناً أن أكون مخطئاً مع أني أجد صعوبة في تصديق ذلك». نظر إليها ثم طرف بعينيه عندما قال الجملة الأخيرة وتابع: «وثانياً، إن لم أكن مخطئاً، أراهن أن أندرز يعرف أكثر بكثير مما أخبرنا به. والفرصة متاحة أمامنا الآن لممارسة القليل من الضغوط عليه بعد ليبوح بالمزيد».

أخذ باتريك يدور في أنحاء الغرفة بحثاً عن ملابسه التي كانت مبعثرة هنا وهناك لكن أكثر ما أثار دهشته هو أنه لا يزال يضع الجوارب في قدميه. سارع إلى ارتداء سرواله آملاً ألا تكون إريكا قد لاحظت في خضم الشغف الذي عاشاه معاً وجود الجوارب في قدميه. كان من الصعب أن يبدو مثيراً فيما لا يزال يرتدي زوج جوارب بيضاء مطرزة بأحرف كلمة Tanumshede IF.

بدا له فجأة وكأن ليس هناك مزيد من الوقت لإضاعته وأخذ يرتدي ملابسه بأصابع مرتعشة. في أول محاولة له لإغلاق أزرار قميصه وضعها بالترتيب الخطأ فلعن حظه لأنه كان مضطراً لفكها جميعاً والمحاولة من جديد. أدرك باتريك فجأة كيف يمكن لتصرفه الأخرق أن يبدو فجلس على حافة السرير وأخذ يدي إريكا بين يديه وحدق ملياً في عينيها وقال: «آسف لأني مضطر للإسراع على هذا النحو لكن عليّ القيام بذلك. أريدك أن تعلمي فقط أن هذه كانت أروع ليلة في حياتي وبالكاد أستطيع أن أنتظر المرة المقبلة التي نرى فيها بعضنا. هل تريدين رؤيتي مجدداً؟»

كانت التجربة التي تشاركاها لا تزال هشة وحساسة وقد حبس أنفاسه بانتظار الردّ قبل أن تهز له رأسها موافقة.

«يمكنني العودة إلى هنا إذاً حين أنتهي من العمل».

هزت إريكا رأسها مجدداً، فأمال بجسمه نحوها وطبع قبلة على شفتيها.

حين غادر الغرفة كانت لا تزال جالسة على السرير تثني ركبتيها والأغطية بالكاد تلف جسمها. كانت الشمس مشرقة من خلال النافذة المستديره الشكل وتسلط أشعتها عليها بما بدا وأنه هالة تحيط برأسها وشعرها الأشقر. كان ذلك أجمل ما رأته عيناه يوماً.

كان الثلج رطباً يلتصق بعناد على حذاء بنت لارسن الجلدي. حذاء يليق أكثر بفصل الصيف، لكن مفعول الكحول كان قوياً بشكل فعال أمات لديه أي شعور بالبرد.

بين خياري شراء حذاء شتوي أو ليتر كامل من كحول الشنابس كان القرار سهلاً.

كان الهواء منعشاً والجو صافياً والضوء ساطعاً جداً صباح هذا الأربعاء، بحيث انتاب بنت شعور رائعاً لم يخالجه منذ زمن بعيد. كان إحساساً من السكون والسلام الداخليين بما يثير الدهشة وقد تساءل ما الذي عساه يحمل إليه نهار أربعاء عادي لتنتابه هذه المشاعر المميزة. توقف عن السير وأخذ يستنشق هواء الصباح المنعش وعيناه مغلقتان. تصور أن تكون أيام حياته كلها مليئة بصباحات كهذه.

كان يتذكر بوضوح متى وصل إلى مفترق طرق في حياته. يعلم تماماً اليوم الذي انقلبت فيه حياته واتخذت مساراً تعيساً. حتى أنه كان يستطيع تحديد الساعة التي حدث فيها ذلك بدقة متناهية. وقد كانت لديه في الواقع جميع الحجج والأعذار المعتادة. لم يكن هناك من سوء يلقي اللوم عليه، ولا كان هناك من فقر أو جوع أو نواقص عاطفية. الأمر الوحيد الذي عليه أن يلقي باللوم عليه هو غباءه الشخصي وثقته الزائدة بنفسه. من الطبيعي أن يكون لفتاة دوراً ما في الصورة.

كان في السابعة عشرة من عمره آنذاك ولم يكن هناك من شيء

فعله في تلك المرحلة من حياته إلا وكان يتمحور حول فتاة ما. لكن فتاة واحدة كانت مميزة لديه لأبعد الحدود. إنها مود بشعرها الأشقر الأخاذ وتواضعها المزيف، وقد أتقنت اللعب على أوتار غروره كما يتقن عازف الكمان اللعب على أوتار آلته. لطالما كانت تقول له: «عزيزي بنت عليّ أن أحصل...، عزيزي بنت يجب أن يكون عندي...». كانت تحكم إمساك الطوق حول رقبته، وكان هو ينقاد لطلباتها كالكلب المطيع. لم يكن من شيء يكفيها أو يشبعها. كان قد ادخر كل المال الذي كسبه وابتاع لها أفضل الملابس والعطور وكل ما أرادت، لكن ما إن حصلت على كل ما كانت تتوسل الحصول عليه بشدة حتى رمته جانباً، وتوسلت أمراً آخر كان الوحيد الذي يمكن أن يجعلها سعيدة.

كانت مود أشبه بالحمى التي تسري في دمه. ومن دون أن يلاحظ ما الذي يجري بدأت العجلات تدور بسرعة متزايدة، ولم يعد يعلم أي جهة هي الأعلى وأيها الأسفل. حين بلغ سن الثامنة عشرة قررت مود أنها تود القيام بجولة معه في سيارة فخمة لا تقل عن مستوى الكاديلاك المكشوفة. وقد بلغت قيمتها أكثر مما جمعه طوال عام كامل، وكان يمضي الليلة تلو الأخرى مستيقظاً لا يستطيع عقله النوم وهو يفكر ويحك دماغه بحثاً عن طريقة ما للحصول على المال. بينما يمر بهذه المحنة العصيبة كانت مود تقلب شفتيها وتلمح بتعابير تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم أنه إن لم يكن يستطيع الحصول على تلك السيارة فهناك حتماً شبان آخرين يستطيعون أن يعاملوها بالطريقة التي تستحق. هكذا أضيفت الغيرة إلى عذاب تلك الليالي التي أمضاها قلقاً من دون أن يغمض له جفن إلى أن لم يعد يحتمل الأمر أخيراً.

وفي العاشر من شهر أيلول من العام 1954 وفي الساعة الثانية تحديداً من بعد الظهر ذهب إلى مصرف تانومشيد مسلحاً بمسدس

حربي قديم كان والده قد أبقاه في المنزل لسنوات عديدة ووضع جوارب نسائية رقيقة فوق رأسه. لم تسر أي من الأمور على النحو الذي أراد. دسّ عمال المصرف الأوراق النقدية في الحقائب التي كان قد جلبها معه لكنها بالكاد كانت بالكم الذي كان يأمل. ثم أحد الزبائن وهو والد واحد من زملاء بنت تعرف إليه رغم القناع. وفي غضون ساعة واحدة كانت الشرطة في شقة والديه وقد عثرت على حقيبة النقود تحت السرير في غرفته. لم يتمكن بنت قط من نسيان ذاك التعبير على وجه أمه. لقد توفيت منذ زمن طويل لكن عينيها لا تزالان تطاردانه كلما سرى مفعول الكحول في دمه.

قضت ثلاث سنوات من السجن على كل أمل ببناء مستقبل واعد. حين أنهى عقوبته وخرج من السجن كانت مود قد رحلت بعيداً منذ زمن. لم يكن يعلم إلى أين ذهبت ولم يكترث أصلاً. كان كل رفاقه القدامى قد وجدوا وظائف يؤمنون بها حياتهم ولم تشأ عائلته أن يكون لها أي علاقة معه. والده قد قتل في حادث ما بينما كان هو لا يزال في السجن فانتقل إلى العيش مع أمه، حاملاً علامة على يده حاول بنت التفتيش عن وظيفة ما لكنه لم يلاق إلا الرفض حيثما ذهب. لم يكن أحد يرغب في توظيفه. وقد قادته نظرات الآخرين التي ظلت تلاحقه إلى البحث أخيراً عن مستقبله في قعر قنينة الكحول.

بالنسبة إلى شخص ترعرع في إطار مجتمع متلاحم في بلدة صغيرة، حيث الجميع يعرفون بعضهم ويلقون التحية لدى مصادفتهم آخر في الشارع كان النبذ بالنسبة إليه مؤلماً بقدر التعذيب الجسدي. وقد فكر كثيراً بالرحيل عن فيالباكا نهائياً، لكن أين عساه يذهب؟ كان من الأسهل بالنسبة إليه أن يبقى ويغرق في رحمة الكحول.

وجد هو وأندرز أحدهما الآخر فوراً. كانا ينعتان نفسيهما بالحقيرين البائسين ويضحكان بمرارة. لطالما كان بنت يشعر بعاطفة

أبوية حيال أندرز ويشعر بالأسى لحالته وللوضع الذي رماه به القدر أكثر مما يأسف لمصيره هو. غالباً ما كان يتمنى لو أنه يستطيع شيئاً ليغير مسار حياة أندرز ويأخذها باتجاه مختلف، لكن ولأنه كان يدرك تماماً إغراء الكحول وجاذبيته كان يعلم أنه من المستحيل الإقلاع عن الحبيب المتطلب التي أصبحت عليه الكحول مع مرور السنين. كانت تطلب منه كل شيء من دون أن تعطي شيئاً بالمقابل. كل ما كان يسعهما فعله هو وأندرز تقديم القليل من المواساة أحدهما للآخر والرفقة.

كان الممر المؤدي إلى مدخل المبنى، حيث يقيم أندرز مغطى بالرمال. لذا لم يكن بنت مضطراً لأن يسير بخطى حذرة متنبهاً لقنينة الكحول في جيبه الداخلي كما اعتاد أن يفعل مراراً أثناء فصل الشتاء القاسي الذي انقضى منذ وقت قصير حين كانت طبقة من الجليد اللماعة الزلقة تغطي الطريق بطولها نحو السلالم.

لطالما كانتا تلك الطبقتين من السلالم المؤدية إلى شقة أندرز تشكل تحدياً جباراً. لم يكن هناك من مصعد. وكان يضطر للتوقف عدداً من المرات لالتقاط أنفاسه وقد حرص أن يتناول مرتين جرعة صغيرة منعشة من القنينة الموجودة في جيب سترته الداخلي. كان يلهث بشدة حين وصل أخيراً إلى أمام باب شقة أندرز. استند إلى القبضة أمامه للحظة قبل أن يديرها ويفتح الباب الذي كان يعلم أن أندرز لا يقفله مطلقاً.

كان الهدوء يخيم على أرجاء الشقة، لعل أندرز ليس موجوداً في البيت. لو أنه كان نائماً لكان شخيره المرتفع وتنفسه الثقيل يجتاز صوتهما كما العادة الغرف وصولاً إلى ردهة الاستقبال. بحث بنت في المطبخ فلم يجد أحداً إلا مستنقعات البكتيريا المعتادة. كان باب الحمام مفتوحاً على مصراعيه، ولم يعثر فيه على أحد كذلك. حين

انعطف لدخول غرفة الجلوس سرت مشاعر فظيعة في أوصاله. جمد بنت في مكانه حيال المنظر الذي رآه أمام عينيه. سقطت القنينة التي كان يحمل بيده أرضاً مصدرة ضجة هائلة لكنها لم تنكسر.

أول ما تراءى لبنت القدمان اللتان تتأرجحان بحرية فوق الأرض بقليل. القدمان العاريتان تترنحان قليلاً وتتراقصان إلى الأمام والوراء. أندرز يرتدي سروالاً لكن صدره كان عارياً بالكامل. وكان رأسه مائلاً بشكل غريب ووجهه منتفخ، وقد فقد أي لون منه، وبدا لسانه الظاهر من بين أسنانه كبيراً جداً بالنسبة إلى فمه الصغير. كان ذلك المشهد الأكثر حزناً الذي رآه بنت يوماً. وقد أدار وجهه وغادر الشقة بصمت من دون أن ينسى طبعاً أن يلتقط قنينة الكحول عن الأرض. حاول أن يبحث بداخله عن شيء ما يتمسك به أو يستند إليه، لكنه لم يجد إلا الفراغ، فتشبث بدلاً من ذلك بحبل الإنقاذ الذي يعرفه وجلس على عتبة شقة أندرز ووضع القنينة على فمه وبكى.

كان المستوى القانوني لنسبة الكحول في دم باتريك مشكوكاً بأمره، لكنه لم يكن قلقاً حيال هذا الأمر في الوقت الحالي. كان يقود سيارته ببطء أكثر بقليل من المعتاد من أجل سلامته الشخصية، لكن بما أنه كان يطلب أرقام هواتف مختلفة على جواله الخاص ويتحدث عبر الهاتف كان أمان الآخرين على الطريق مشكوكاً به إلى حدّ بعيد.

كان الاتصال الأول الذي أجراه بمحطة التلفزيون TV4 التي أكدت له أن برنامج *Separate Worlds* تم إلغاء عرضه نهار الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر الحالي بسبب مباراة الهوكي. وعمد بعد ذلك إلى الاتصال بملبرغ الذي انتابته موجة عارمة متوقعة من الفرح عند سماعه الخبر، وطالب على أثر ذلك بإعادة إحضار أندرز على الفور. الاتصال الثالث حصل بموجبه على الدعم الذي طلبه وقاد

سيارته مباشرة نحو المجمع السكني، حيث يعيش أندرز. لا بدّ أن تكون جيني روزن قد مزجت ببساطة بين أحداث الأيام. وهذه ليست بحادثة غير شائعة بين الشهود.

على الرغم من الحماسة الكبيرة للخرق الممكن الذي طرأ على القضية، لم يتمكن باتريك من التركيز فعلاً على المهمة. كانت الأفكار تعود به رغماً عنه إلى إريكا والليلة التي أمضياها معاً منذ فترة قصيرة. وجد نفسه يبتسم ابتسامة عريضة كالأحمق فيما أصابعه تعزف من غير وعي منه أنغاماً قصيرة على المقود. أدار جهاز الراديو وثبتها على إذاعة تبث الأغاني القديمة وأخذ يستمع إلى أغنية *RESPECT* لأريثا فرانكلين. كانت الموسيقى الصاخبة تتلاءم تماماً مع مزاجه المرح فرفع الصوت عالياً.

أخذ يرافق مقطع اللازمة من الأغنية بأعلى صوته وملىء رئتيه ويرقص في مكانه بأحسن ما كان يتيح له مقعد القيادة في السيارة. بدا له أن صوته رائع جداً إلى أن انقطع صوت الراديو على الأقل ولم يعد يسمع سوى صوته وحده يملأ السيارة بينما يزمجر متلفظاً بأحرف كلمة R-E-S-P-E-C-T طنت حينئذٍ طبلات أذنيه بشكل مزعج حقاً.

كانت أحداث الليلة السابقة برمتها أشبه بحلم تغمره النشوة ولم يكن ذلك بسبب الكحول وحسب. كأن وشاحاً أو ستاراً ضبابياً ما من العواطف الجياشة والحب الفياض والرغبات الشهوانية قد ألقي به على ساعات الليل المنقضي.

وقد أجبر متردداً على وضع أفكار البارحة جانباً وهو ينعطف بسيارته ويركنها في موقف المجمع السكني. كانت سيارات دورية الدعم التي طلبها قد وصلت بسرعة على غير عادة. لا بدّ أنها كانت تتجول في مكان قريب. لمح سيارتين تلتمع أنوارهما الزرقاء وقطب حاجبيه قليلاً. كان أمراً نموذجياً أن يسيئوا فهم التعليمات أو تفسيرها،

إذ إنه قد طلب سيارة واحدة فقط وليس سيارتين. حين اقترب أكثر من المكان رأى سيارة إسعاف متوقفة خلف سيارتي الشرطة. لا بدّ أن هناك خطباً ما.

تعرف فوراً إلى لينا الشرطية الشقراء من أودفيللا فذهب إليها. كانت تتحدث على الهاتف الجوال لكنها أطفأته قبل أن يصل إليها. سمعها تودع محدثها على الطرف الآخر وتدس الهاتف الصغير داخل حزام كانت تضعه حول وسطها.

«أهلاً بك باتريك».

«مرحباً لينا، ما الذي يجري هنا؟»

نظرت الشرطية باتجاه الباب الرئيس وقالت: «عثر أحد السكيرين على أندرز نلسون مشنوقاً في شقته». شعر باتريك بنوبة من البرد المفاجىء وسرت قشعريرة في أوصاله عند سماع الخبر.

«ألم تعاينوا المكان؟»

«كلا، ماذا تظننا؟ لقد أرسلت للتو برقية إلى أودفيللا وهم في طور إرسال فريق لمعاينة مسرح الجريمة. كما تحدثنا أيضاً إلى ملبرغ لذا افترضت أنك أتيت لأنه اتصل بك لتفعل».

«كلا، كنت في طريقي إلى هنا بأي حال لأحضر أندرز لإجراء المزيد من التحقيق معه».

«لكني سمعت أن لديه من قدم إفادة تصب في مصلحته، أليس كذلك؟»

«أجل، هذا ما ظنناه، لكن الإفادة لم تعد صالحة لذا قررنا استعادته للاستجواب».

«إنه حظ سيء جداً إذاً. ما الذي يعنيه ذلك برأيك؟ أعني إن احتمال أن يكون هناك قاتلين اثنين في فيالباكا قد يكون شبه معدوم. لا بد أن يكون قد قتل على يد الشخص ذاته الذي قتل ألكس ويكنر.

هل لديكم أي مشتبه بهم آخرين سوى أندرز؟»

بذل باتريك جهداً ليتماسك. من الصحيح أن ذلك يغير مجرى الأحداث كلها، لكنه كان لا يزال غير مستعد لأن يقبل بالتوصل إلى الحصيلة ذاتها التي توصلت إليها لينا بأن أندرز قد قتل على يد الشخص الذي قتل ألكس. يكاد ذلك يكون مستحيلاً بالطبع من الناحية الإحصائية. لم تشهد البلدة أحداث قتل منذ عقود وها إن هناك فجأة قاتلين منفصلين طليقي السراح، لكنه لم يكن مستعداً لإلغاء الاحتمال المستحيل.

«حسناً دعينا نذهب إلى الأعلى ونلقي نظرة، ويمكنك أن تخبريني في هذه الأثناء ما الذي وجدتموه حتى الآن. من أين جاء الاتصال مثلاً؟»

سارت لينا أمامه ودخلت المبنى أولاً، وقالت: «حسناً، كما سبق وقلت لك، أحد رفاق أندرز السكيرين الذي وجد جثته، وهو يدعى بنت لارسن. أتى إلى شقته هذا الصباح كي يبدأ في احتساء الكحول معاً من بداية النهار. عادة ما يفتح الباب الذي لا يقفل أبداً ويدخل الشقة من دون استئذان، وهذا ما فعله اليوم تماماً. حين دخل الشقة وجد أندرز معلقاً من عنقه بحبل مربوط في قطعة حديد يعلق بها فانوس في سقف غرفة الجلوس».

«وهل اتصل بالشرطة فوراً؟»

«كلا، في الواقع لم يفعل، إذ جلس على عند عتبة الشقة وابتلع قارورة من فودكا Explorer لينسى بها أحزانه ومآسيه. لكن بعد ذلك صودف مرور أحد الجيران خارجاً من شقته وسأل بنت كيف تسير الأمور. ففضح عندئذٍ كل ما شاهده. ومن ثم قام الجار بالاتصال بنا. بنت لارسن ثمل جداً ولا يمكن استجوابه أو أخذ معلومات أكثر تفصيلاً منه لذا أرسلته للتو إلى زنزانة السكيرين».

تساءل باتريك في سره عن السبب الذي منع ملبرغ من الاتصال به وإبلاغه عن سير الأحداث، لكنه أذعن أخيراً عندما فكر بالطرق التي يلجأ إليها المحقق والتي غالباً ما تكون مبهمة بالكامل.

أخذ باتريك يصعد السلالم اثنين اثنين في آنٍ معاً، متجاوزاً لينا. وحين وصلا إلى الطابق الثالث كان الباب مفتوحاً على مصراعيه ورأى أشخاصاً يتجولون داخل الشقة. كانت جيني تقف في الممر المؤدي إلى شقتها تحمل ماكس بين ذراعيها. حين اقترب منهما أخذ ماكس يلوح بيديه الصغيرتين الممتلئتين بابتهاج وافتر ثغره عن سنّين أماميين صغيرين.

أحكمت جيني قبضتها حول ابنها الذي كان يفعل ما بوسعه ليتفلت من قبضتها وسألت باتريك: «ما الذي يجري؟»

«لسنا متأكدين من ذلك بعد، وجد أندرز نلسون ميتاً لكننا لا نعرف أكثر من ذلك. هل شاهدت أو سمعت أي شيء غير اعتيادي؟»

«كلا، لا أستطيع أن أتذكر حدوث أي شيء مميز. كان أول ما سمعته هو تحدث أحد جيراني هنا على السلالم. بعد برهة وصلت سيارات الشرطة ترافقها سيارة إسعاف وسيطرت موجة من الفوضى والضوضاء على المكان».

استمر باتريك يتحرى الأمر وسألها: «لكن لم يحصل أي شيء يسترعي الانتباه اليوم أو البارحة أليس كذلك؟»

«كلا، لم يحصل أي شيء بالمطلق».

تركها باتريك وشأنها حالياً وقال: «حسناً، لا بأس، شكراً للمساعدة جيني».

ابتسم لماكس وسمح له أن يلتقط إصبع يده، ومن الواضح أن ذلك قد بدا مضحكاً للطفل بشكل هستيري لأن ماكس أخذ يتقهقه

بشدة بحيث كاد يختنق. تحرر باتريك من قبضته وابتعد عنه متردداً وأخذ يتراجع ببطء باتجاه شقة أندرز وهو لا يزال مستديراً نحو ماكس يلوح له بيده مودعاً.

كانت لينا تقف بباب الشقة تعلو شفتيها ابتسامة ماكرة وسألته: «تريد طفلاً يكون من صلبك، أليس كذلك؟»

خاب أمل باتريك بنفسه لأنه سمح لنفسه أن يحمر خجلاً بما جعل لينا تبتسم أكثر. وقد همهم إجابة غير مفهومة.

سبقته إلى داخل الشقة وقالت فيما تدير ظهرها له: «حسناً، تعرف أن كل ما عليك فعله هو أن تطلب. فأنا حرة وعزباء ولدي حاجات ورغبات جامحة بالكاد تسمح لي النوم ليلاً».

كان باتريك يعلم أنها تمازحه لكن ذلك كان أسلوب لينا المعتاد في المغازلة إلا أنه لم يتمكن مع ذلك من منع نفسه من الاحمرار أكثر فأكثر. لم يجب بأي كلمة وحين دخلا غرفة الجلوس فقد كليهما أي رغبة بالابتسام.

كان أحدهم قد قطع الحبل الذي كان يتدلى منه وها هو الآن ممدد على أرض غرفة الجلوس جثة هامدة. فوقه مباشرة كانت بقية الحبل وقد اقتطع على بعد أربع إنشات من مكان ربطه. أما الجزء الآخر من الحبل فكان ملفوفاً حول عنق أندرز وأمكن لباتريك أن يرى الجرح العميق الذي أحدثه، حيث انغرز الحبل وأكل قطعاً من جلده. أكثر ما كان يزعجه كل مرة يرى فيها جثة كان لون الوجه غير الطبيعي. حالات الاختناق تسبب مسحة من اللون البنفسجي المائل إلى الأزرق بما يمنح الضحية نظرة غريبة جداً. لاحظ باتريك كذلك اللسان السميك المنتفخ الظاهر من بين شفتي أندرز كما بقية الضحايا الذين يموتون شنقاً أو اختناقاً. على الرغم من أن خبرة باتريك بضحايا جرائم القتل كانت محدودة أقل ما يقال، فإن الشرطة كانت تشهد

حصتها من عمليات الانتحار كل عام، وقد ساعد هو شخصياً في إيقاف ثلاث منها خلال مسيرته المهنية.

لكن حين نظر في أرجاء الغرفة لاحظ أن هناك ما يميز المشهد عن بقية عمليات الانتحار شنقاً التي شهدها. لم يكن هناك من احتمال يرجح أن يكون أندرز قد صعد وعلق رأسه في الحبل الذي تم ربطه بقطعة حديد في السقف. لم يكن هناك من طاولة أو كرسي قريب. كان أندرز يتأرجح من دون عوائق وسط الغرفة كهاتف مروع على شكل بشري.

لم يكن باتريك قد اعتاد رغم كل شيء على مشاهد حوادث القتل فأخذ يمشي بحذر على شكل دائري حول الجثة. كانت عينا أندرز مفتوحتين تحدقان بقسوة إلى الفضاء. لم يستطع باتريك إلا أن ينحني فوق الرجل الميت ويغلق عينيه. كان يدرك تماماً أنه يجب ألا تكون له أي علاقة من أي نوع كان بالجثة قبل وصول الطبيب الشرعي، حتى أنه ما كان يجب قطع الحبل وإنزالها أصلاً، لكن شيئاً ما في هاتين العينين المحدقتين أثار أعصابه. بدا له وكأن العينين تلاحقانه بنظراتهما حول الغرفة.

بدت له الغرفة كئيبة بشكل غير اعتيادي. ثم لاحظ كيف أن اللوحات كلها قد أزيلت عن الجدران. لم تبق سوى علامات قبيحة حيث كانت اللوحات معلقة يوماً. عدا ذلك كانت الغرفة رثة كما كان يتذكرها من المرة الأولى التي زار فيها الشقة لكن اللوحات كانت حينئذٍ تضيء الغرفة وتضيف بعض البهجة عليها. تلك الرسومات تمنح منزل أندرز روحاً معينة من الانحلال عبر المزج بين الوساخة والجمال. ها هو المكان يبدو متسخاً ومقرفاً.

كانت لينا تتكلم على هاتفها النقال بشكل غير منقطع. بعد إحدى المخابرات التي لم يسمع منها سوى بعض مقاطع الشتائم والسباب

أغلقت هاتف الإريكسون الصغير بتوتر والتفتت إليه وقالت: «سوف نحصل على تعزيزات من قسم الطب الشرعي للتحقيق على مسرح الجريمة. سيغادر الفريق غوتبرغ الآن، لا يسعنا أن نلمس شيئاً إلى حينها. أقترح أن ننتظر في الخارج من أجل سلامتنا».

خرجا من الشقة وحرصت لينا على أن تقفل الباب وراءهما بحذر. كان البرد قارساً حين وصلا إلى خارج المبنى فتسمر كل من باتريك ولينا في مكانهما من دون حراك.

«أين هو جان الآن؟»، كان باتريك يقصد بسؤاله شريك لينا الذي كان من المفترض أن يكون معها في السيارة.

«إنه في إجازة قسرية اليوم».

نظر إليها باتريك مستغرباً وسأل: «إجازة قسرية؟»

«أجل أي إنه يهتم بطفل مريض. وبفضل النقص العددي لم يكن هناك من أحد يستطيع الحضور بسرعة للتغطية فاضطررت إلى المجيء إلى هنا لوحدي بعد أن تلقينا الاتصال».

هز باتريك رأسه من دون أن يكون مصغياً فعلاً لحديثها. كان ميالاً لأن يوافق لينا الرأي، كانت هناك العديد من الأمور التي تشير أن قاتلاً وحداً هو من يبحثون عنه. التوصل إلى نهايات متسرعة كان حتماً أحد أخطر الأمور التي يمكن لشرطي القيام بها، لكن احتمال وجود قاتلين مختلفين في مثل هذه البلدة الصغيرة كان بعيداً إلى أقصى الحدود. أضف إلى ذلك حقيقة وجود روابط قوية بين الضحيتين مما يقلص الاحتمال أكثر فأكثر.

كل من باتريك ولينا يعلم أن المسافة من غوتبرغ تستغرق ساعة ونصف على الأقل وربما ساعتين لذا جلسا في سيارته وأدارا جهاز التدفئة فيها. كما أدارا الراديو وجلسا لفترة طويلة يستمعان إلى

موسيقى البوب الصاخبة. تلك أفضل طريقة تلهيهما قليلاً وتنسيهما سبب الانتظار الطويل. بعد مرور ساعة وأربعين دقيقة بالضبط لمحا سيارتي شرطة تقتربان من الموقف وخرجا لملاقاة الدعم القادم.

«أرجوك جان، ألا يمكن أن نحصل على منزل خاص بنا وحدنا؟ رأيت إعلاناً يقول إن أحد المنازل في بادهولمن معروض للبيع. ألا يمكن لنا أن نذهب ونلقي نظرة على المكان؟ إنه يطل على أكثر الأماكن روعة كما يوجد بالقرب منه مرفأ صغير للقوارب، أرجوك فلنذهب».

رفع بكاء ليزا من نسبة التوتر لديه. لطالما أصبح صوتها مزعجاً في هذه الأيام. كان الزواج بها ليكون أكثر قبولاً لو أنها تملك إحساساً ينبئها بأن تقفل فمها وتبدو جميلة وحسب. حتى نهديها الكبيرين البارزين ومؤخرتها المستديرة لم تتمكن من إقناعه مؤخراً بأنها تستحق كل هذا العناء. ما انفكت ثرثراتها تزداد سرعة، وكان يندم في لحظات كهذه، بمرارة، على الاستسلام لتذمرها والموافقة على الزواج بها.

كانت ليزا تعمل نادلة في رود أورم في غريببشتاد حين وقعت عيناه عليها للمرة الأولى. لقد سال لعاب أصدقائه جميعاً حين رأوا عنقها الجميل وصدرها الممتلىء وساقيها الطويلين وقد اتخذ القرار فوراً بالحصول عليها. كان معتاداً على تحصيل كل ما يشاء، ولم تكن ليزا استثناءً. لم يكن يعتبر غير وسيم، لكن مجرد التعريف عن نفسه على أنه جان لورنتز كان كفيلاً عادة بجعل قرار كل متردد نهائياً ومبرماً. كان من الطبيعي أن يشعل اسم عائلته البريق في أعين النساء لتسير بعدها جميع الأمور كما هو مخطط لها.

لقد كان مهووساً بجسد ليزا في البداية ولم يكن يشبع منه مطلقاً،

وقد سدّ أذنيه بإحكام لجميع التعليقات التافهة التي لم تنفك تطلقها بصوتها الأجش. كما أن نظرات الحسد والغيرة التي كانت تظهر في أعين الشبان الآخرين حين يكون برفقتها كانت تزيد من جاذبيتها بنظره. كانت ملاحظاتها البسيطة بأن يجعل منها امرأة شريفة تقع على أذن صماء. ولكي يكون صادقاً مع نفسه بدأ غباؤها يخفف من سحر جاذبيتها، إلا أن معارضة نيللي الشرسة للفكرة برمتها جعلته يحسم قراره بأن يجعل منها زوجته. لقد مقتت أمه ليزا منذ اللحظة الأولى التي رأتها فيها، ولم تفوت فرصة لأن تكشف عن آرائها. رغبة جان الطفولية بالتمرد تعتبر مسؤولة عن المأزق الحالي الذي يعيش، وقد أخذ يلعن غباءه.

كانت ليزا متجهمة وهي تستلقي على بطنها فوق السرير الضخم. كانت عارية بالكامل وتحاول جهدها لتبدو مغرية لكنه لم يعد مهتماً لأمرها. كان يعلم أنها تنتظر جواباً.

«تعلمين أننا لا نستطيع الابتعاد عن ماما. إنها ليست بخير ولا يمكنها مطلقاً أن تهتم بشؤون المنزل بنفسها».

أدار ظهره لليزا وأخذ يعقد ربطة عنقه أمام المرآة الكبيرة على منضدة الزينة. رأى في المرآة انعكاس ملامح ليزا المنزعجة. لم تكن النظرة جذابة.

«لماذا لا تتمتع العجوز الشمطاء بما يكفي من الذوق لتنتقل من تلقاء نفسها إلى مأوى للعجزة، بدلاً من أن تكون عبئاً على عائلتها؟ ألا تفهم أنه لدينا الحق بأن نعيش حياتنا؟ لكننا بدلاً من ذلك نضطر للاعتناء بها يوماً بعد يوم. ما المتعة التي تحصل عليها من الجلوس على كل تلك الأموال؟ أراهنك أنها تعشق مشاهدتنا نذل أنفسنا ونحط من قدرنا ونزحف وراء الفُتات الذي تخلفه وراءها. ألا تفهم كم تفعل أنت من أجلها؟ تجهد نفسك في العمل في الشركة وتمضي بقية وقتك

تهتم بها وترعاها. لا تسمح لنا العجوز الشمطاء مع ذلك بأن نشغل أفضل الغرف في المنزل تقديراً منها لمساعدتنا لها. علينا أن نعيش في القبو بينما تتبختر هي في الصالات والقاعات الفاخرة».

أدار جان وجهه نحو زوجته ورمقها نظرة باردة وقال: «ألم أقل لك ألا تتكلمي عن أمي بهذه الطريقة؟»

زمجرت ليزا: «أمك؟ تقول أمك؟ لا يمكن أن تظن أنها تنظر إليك كابن لها جان. لن تكون أكثر من مجرد قضية خيرية بالنسبة إليها. لو لم يختف ابنها العزيز نيلز لكنت مرمياً كالكلاب عاجلاً أم آجلاً. لست أكثر من بديل جان، افهم هذا. من عساها تستبد به وتستعبده ليعمل لديها أربعاً وعشرين ساعة في اليوم مقابل لا شيء؟ الوعد الوحيد الذي حصلت عليه هو أنها حين تموت تحصل أنت على كل المال. أولاً وقبل كل شيء يمكن للشمطاء أن تعيش مئة عام أو أكثر، وثانياً، أراهن على أنها أوصت بالمال كله لمأوى يهتم بالكلاب المهجورة وها هي تضحك من وراء ظهرك. أحياناً ما لا تكون إلا أحمق مغفلاً جان».

استدارت ليزا ونامت على ظهرها وأخذت تتفحص أظافرها المطلية بعناية. تقدم جان من السرير حيث تستلقي زوجته ببرودة تامة وجثم على ركبتيه ولفّ شعرها الأشقر المتدلي عن حافة السرير حول يده وأخذ يشد به أكثر فأكثر إلى أن تغضن وجهها من الألم. وضع وجهه فوق وجهها مباشرة واقترب منها حتى كان يشعر بأنفاسها على وجهه وأخذ يزمجر بصوت منخفض: «إياك، إياك أن تنعتيني بالمغفل، أتسمعين؟ وصدقيني، المال كله سيكون لي في أحد الأيام. السؤال الوحيد هو ما إذا كنت ستكونين موجودة في ذلك الوقت لتتمتعي به».

شعر بالرضا حين رأى شرارة من الخوف تلتمع في عينيها راقبها

بينما عقلها البطيء والماكر بطبيعته يحلل الخبر ويستنتج أن الوقت قد حان لتغيير الخطط. فتمددت فوق السرير ونفخت شفتيها ووضعت يديها فوق نهديها وأخذت ترسم دوائر بإصبعيها حول الحلمتين إلى أن أصبحتا قاسيتين وهمهمت: «سامحني، كان ذلك غباء مني، تعلم كيف أنا، أتكلم من دون أن أفكر بما أقول أحياناً، هل هناك من طريقة أعوض عليك بها؟»

أخذت تمص سبابتها وأنزلت يدها إلى ما بين رجليها. شعر جان بجسمه يتجاوب متردداً وقرر أن هناك شيئاً واحداً على الأقل يمكن أن يستفيد منه. وبدأ يفك ربطة عنقه.

* * *

كان ملبرغ يحك المنشعب بين رجليه متأملاً من دون أن يلاحظ تعابير القرف التي كان يثيرها في وجوه الحاضرين المتجمعين أمامه. كان قد ارتدى بذلة رسمية تكريماً للمناسبة على الرغم من أنها كانت ضيقة قليلاً عليه، لكنه كان يلقي باللوم على آلات التنظيف الجاف التي لا بدّ خربت ملابسه وقامت بتنظيفها على حرارة مرتفعة جداً. لم يكن عليه أن يقيس وزنه ليعرف ما إن كان قد ازداد أوقية أو اثنتين منذ دخل في سلك الشرطة حين كان شاباً لكنه كان يظن أن شراء بذلة جديدة مجرد تبذير في إنفاق المال. فالنوعية الجيدة لا تتلف مطلقاً، لكن ما الذي يسعه فعله إن كانت آلات التنظيف الجاف لا تعرف كيف تقوم بعملها بشكل جيد.

تنحنح للحصول على انتباه جميع الحاضرين، فتوقفت فوراً الثرثرات والأحاديث الجانبية وإزاحة الكراسي واتجهت الأعين نحوه بينما يجلس على كرسيه خلف الطاولة. الكراسي قد تم ترتيبها على شكل نصف دائرة أمامه. ملبرغ ينظر إلى كل من الموجودين بصمت تعلو وجهه تعابير متجهمة، ينوي أن يرتوي من هذه اللحظة الثمينة

حتى الثمالة. قطب جبينه حين لاحظ التعب على وجه باتريك. عادة ما كان موظفوه يفعلون ما يحلو لهم في أوقات فراغهم، لكن نظراً إلى انهماك الجميع في أسبوع حافل بالعمل كان من السهل أن يتوقع أن أحدهم سعى لتمضية بعض الوقت في الترفيه والاحتفال وتناول بعض الكحول. قام ملبرغ بطمس ذكرى ابتلاعه نصف قنينة الليلة الماضية. وعد نفسه بألا ينسى أن يتحدث مع باتريك على انفراد حول سياسة المخفر حيال تناول الكحول.

«كما تعلمون جميعاً لقد وقعت جريمة أخرى في فيالباكا في هذه الفترة. إن احتمال وجود قاتلين مختلفين ضئيل جداً لذا أظن أنه يسعنا أن ننطلق من الافتراض بأن الشخص ذاته الذي قتل ألكسندرا ويكنر هو قاتل أندرز نلسون».

لقد استمتع ملبرغ بنبرة صوته وبالحماسة والاهتمام الذي لمحهما في وجوه الحاضرين. لقد كان يتصرف على سجيته، لقد ولد ليقوم بذلك.

تابع ملبرغ: «هذا الصباح عثر بنت لارسن، أحد رفاق الضحية السكيرين على أندرز نلسون مقتولاً. لقد مات شنقاً ووفقاً للمعلومات الأولية الواردة من غوتبرغ أفدنا أنه موجود هناك منذ البارحة على الأقل، إلى أن نحصل على معلومات إضافية أكثر دقة ستكون تلك هي الفرضية التي سنعمل على أساسها».

أعجبه كثيراً الشعور الذي خالجه بينما تخرج كلمة فرضية من بين شفتيه. لم يكن الحضور الموجود واسعاً على وجه التحديد إنما خياله كان يصوره له أكبر بكثير من الواقع، وإن الاهتمام بكلامه يستحيل إساءة تفسيره. لقد كان الجميع ينتظر كلمته ويتلهف لتلقي أوامره، فأنيكا كانت تطبع على شاشة الكومبيوتر الشخصي أمامها بحماسة، وقد وضعت نظارات خاصة على رأس أنفها. كانت منحنياتها الأنثوية

الجميلة بارزة في السترة الصفراء الأنيقة والتنورة المناسبة. وقد طرف بعينيه موجهاً إليها نظرة ذات معنى. لا بد أن ينجح ذلك، من الأفضل ألا يخيف موظفيه. بجانبها كان يجلس باتريك الذي بدا وكأنه سينهار في أي لحظة، كان جفناه ثقيلين وعيناه حمراوين كبركتين من الدماء. حسم ملبرغ قراره بأن عليه أن يتحدث فعلاً إليه في أقرب فرصة سانحة، فللمرء الحق في النهاية أن يطالب ببعض التشابه المهني من مرؤوسيه.

إضافة إلى أنيكا وباتريك كان هناك ثلاثة أشخاص آخرين من موظفي مخفر تانومشيد. كان غوستا فليغار أقدم موظفي المخفر وأكبرهم سناً، وقد كرس كل ما لديه من طاقة للقيام بأقل ما يمكن بانتظار موعد التقاعد، ليكرس بعد ذلك كل ما تبقى له من وقت لشغفه الأكبر المتمثل في لعب الغولف. لقد بدأ اللعب منذ عشر سنوات حين توفيت زوجته إثر إصابتها بالسرطان، وصارت عطلات الأسبوع تبدو له فجأة طويلة وحزينة. وسرعان ما أصبحت ممارسة الرياضة كالسم في دمه. إنه ينظر الآن إلى مهنته كما نظر إليها منذ البداية، على أنها مجرد عنصر تخريبي ينغص عليه عيشه ويحرمه من الوجود على أرض ملاعب الغولف.

على الرغم من أن راتبه كان هزيلاً. لقد تمكن أن يدخر ما يكفي منه لشراء شقة في كوستا ديل سول في إسبانيا. سيتمكن قريباً من تكريس كل أشهر الصيف للعب الغولف في السويد وسيمضي بقية أشهر العام متنقلاً بين ملاعب إسبانيا. لكن لا بد له من أن يعترف أن وقوع هاتين الجريمتين قد أثار فيه بعض الاهتمام للمرة الأولى منذ زمن طويل. طبعاً ليس لدرجة أن يمتنع عن تسديد الطابة نحو ثمانية عشرة حفرة على ملعب الغولف في هذه اللحظة لو أن طقس الفصل يسمح بذلك.

إلى جانبه جلس عضو المخفر الأصغر سناً. كان مارتن مولين يثير درجات مختلفة من العواطف الأبوية في كل من أفراد المخفر. كانوا يتبادلون الأدوار في لعب دور العكازات الخفية التي يستند إليها في عمله، مع أن الجميع ظل حريصاً على ألا يلاحظ أياً من هذا مطلقاً. كانوا يوكلون أعمالاً بسيطة يمكن لولد القيام بها، وكانوا يصححون كل ما يكتب قبل أن تصل التقارير إلى مكتب ملبرغ.

كان قد تخرج من كلية الشرطة قبل عام واحدٍ فقط. كان الجميع مندهشاً لتمكنه أولاً من الانخراط في القيام بإجراءات الحجوزات المعقدة، ثانياً تمكنه من متابعة وتيرة التدريب واجتيازه الامتحانات بنجاح، إلا أن مارتن كان شخصاً دمثاً بطبيعته، خلوقاً على الرغم من بساطته التي جعلت منه غير مناسب إطلاقاً للعمل البوليسي قرروا جميعاً أن بقاءه هنا في تانومشيد لن يسبب ضرراً فادحاً. لذا كان يسرهم أن يساعدوه على تخطي كافة العقبات التي تواجهه. وكانت أنيكا تحديداً قد أخذته تحت جناحها وتكفلت رعايته، وكانت تدهش الجميع بإظهار مشاعرها علناً فتضمه بقوة وبشكل عفوي إلى صدها الكبير.

في تلك المناسبات كان شعر مارتن الأحمر الذي يظل واقفاً عند أطرافه ونقاط النمش الحمراء التي تغطي بشرته يتنافسان مع حمرة وجهه، لكنه كان يعشق أنيكا بشكل غريب ويمضي سهرات عديدة في زيارتها في منزلها هي وزوجها حين كان يحتاج للنصيحة حول قلة حظه في الحب التي كانت غالباً ما تطبع كل علاقاته العاطفية. كانت براءته وظرافته ولطفه على ما يبدو تجعله أشبه بمغنطيس لا يقاوم بالنسبة إلى النساء من النوع الذي يتناول الرجال على الفطور ويرميهم فضلات، لكن أنيكا كانت موجودة دوماً لتكون الأذن الصاغية وتقدم له الدعم وترقع ما تبقى من ثقته بنفسه وتعيد إرساله إلى العالم من

جديد، على أمل أن يعثر يوماً ما على المرأة التي ستقدر هذه الجوهرة المتخفية وراء المظهر المنموش الذي يمثله هذا الرجل.

آخر عضو في المجموعة الحاضرة كان الأقل شهرة وشعبية. إنه إرنست لاندغرن المتملق الذليل الأكبر الذي لا يفوت فرصة واحدة مطلقاً ليتباهى بنفسه لاسيما على حساب الآخرين. لا يستغرب أحد أنه لا يزال عازباً، إذ كان بعيداً جداً على أن يوصف بالجذاب على الرغم من أن رجالاً أقل وسامة منه بكثير استطاعوا إيجاد شريك لهم في هذه الدنيا بفضل شخصيتهم اللطيفة، وهذه ميزة كان يفتقدها إرنست بالكامل. لهذا السبب كان يعيش الآن مع أمه العجوز في مزرعة تبعد ستة أميال جنوب تانومشيد. هناك شائعات تقول بأن والده الذي كان يشتهر بسوء سمعته في المنطقة ويعرف على أنه رجل سكير وعدائي جداً قد تلقى مساعدة غير نافعة من زوجته حين وقع من على تلة من التبن وسقط على المذراة ومات. لقد مضت عدة سنوات على تلك الحادثة الآن، إلا أن الشائعة تعود للانتعاش بين أوساط الناس حين لا يكون هناك ثرثرات أكثر إثارة يتداولون بها. في أي حال، من الصحيح أنه لا يمكن إلا لأم أن تحب إرنست فهو لا يتميز بأسنان سوداء وشعر مبعثر وأذنين كبيرتين وحسب، بل بنزعة إلى سرعة الغضب والتباهي بالنفس. ها هو الآن يصغي باهتمام شديد إلى كل حرف ينطق به ملبرغ، وكأن كلماته من ذهب، وكان يتحين كل فرصة مؤاتية ليسكت بها الآخرين بنزق إذا ما تجرأوا على إصدار أي صوت يشتت انتباهه عن خطاب ملبرغ. وقد رفع يده كتلميذ مدرسة ليطرح سؤالاً عليه.

«كيف لنا أن نعرف أن أندرز لم يقتل على يد السكير نفسه الذي ادعى لاحقاً أنه وجد جثته هذا الصباح؟»

أخذ ملبرغ يهز رأسه تقديراً لسؤال لاندغرن وأجاب: «إنه سؤال

جيد، إرنست، جيد جداً. لكن كما قلت سنسير في فرضية أنه الشخص ذاته الذي قتل ألكس ويكنر. مع ذلك، ولنبقى على بر الأمان سنتحقق من إفادة بنت لارسن التي أدلى بها البارحة».

أشار ملبرغ بقلم كان يحمله بيده نحو لاندغرن بينما يعاين بقية الحضور.

«هذا هو النوع من التفكير الحاذق الذي نحن بحاجة إليه من أجل حل القضية. آمل أن تصغوا جميعاً وتتعلموا من إرنست. أمامكم طريق طويل قبل أن تبلغوا المستوى الذي وصل إليه».

أخفض إرنست نظره بتواضع لكن ما إن أدار ملبرغ وجهه وحور انتباهه إلى أمر آخر لم يستطع إرنست أن يقاوم رغبة في رمق زملائه نظرة تفوق وانتصار. زمجرت أنيكا بصوت مرتفع تعبيراً عن تذمرها وأخذت تحملق من دون أن تطرف في استجابة على النظرة الغاضبة التي رمقها بها لاندرغن.

«والآن لنعد إلى حديثنا، أين كنت قد وصلت؟»

وضع ملبرغ إبهاميه تحت المشبكين الذي كان يضعهما تحت السترة واستدار في كرسيه. انتهى به الأمر في مواجهة لوح أبيض كان قد علق على الجدار خلفه لتتبع أحداث قضية ألكس ويكنر. لوح آخر مشابه كان قد وضع إلى جانب القديم إلا أن كل ما علق عليه كانت صورة بولارويد التقطت لجثة أندرز قبل أن يقوم المسعفين بقطع الحبل.

«ما الذي نعرفه حتى الآن إذاً؟ تم العثور على جثة أندرز صباح هذا اليوم ووفقاً للتقارير الأولية قد توفي في وقت ما من نهار الأمس. وقد تم تعليقه وشنقه على يد شخص أو أكثر غير معروف، ومن المرجح أن يكون أكثر من شخص واحد لأن رفع رجل كبير بهذا الحجم بما يكفي لتعليقه على الحبل من السقف يتطلب قوة معينة.

ما لا نعرفه هو كيف قاموا بهذا الأمر. لا تظهر أي دلالات تشير إلى حصول مقاومة ما لا في شقة أندرز ولا على جسده. كما أنه لا وجود لكدمات تشير إلى التعامل بقسوة مع الجثة لا قبل حدوث الموت ولا بعده، إلا أن تلك مجرد معلومات أولية كما ذكرت، لكننا نتوقع تأكيداً لها حالما تنتهي عملية تشريح الجثة».

لوح باتريك بقلمه وقال: «هل نتوقع الحصول على نتائج التشريح قريباً؟»

«من الواضح أن لديهم كومة من الجثث التي تنتظر التشريح لذا ولسوء الحظ لم أتمكن من الحصول على أي معلومات تتعلق بوقت جهوز التقرير».

لم تظهر الدهشة على وجه أي من الموجودين.

«كما أننا نعلم أن ليس هناك من ترابط واضح بين أندرز نلسون والضحية الأولى ألكسندرا ويكنر».

ها هو ملبرغ يقف الآن ويشير إلى صورة ألكسندرا التي تتوسط اللوح الأبيض الأول.

كانوا قد حصلوا على تلك الصورة من والدة الضحية وقد صعقوا مجدداً لمدى الجمال الذي كانت تتمتع به في حياتها. وجعل ذلك من الصورة الملاصقة لها، حيث تظهر ألكسندرا داخل حوض الاستحمام بوجهها الشاحب المائل إلى الزرقة ونقاط الجليد على رموشها وشعرها تبدو أكثر فظاعة.

«هذا الثنائي غير المتناسق كان يقيم علاقة جنسية. لقد اعترف أندرز بنفسه بذلك كما أن لدينا دليلاً محدداً حول ذلك، كما تعلمون لدعم ادعاءاته. ما لا نعلمه هو كم دامت تلك العلاقة وكيف نشأت بينهما أصلاً وتطورت وفوق كل ذلك ما السبب الذي يجعل امرأة

رائعة الجمال مثل ألكسندرا ويكنر من المجتمع الراقي قد تختار شريكاً لها في الفراش مثل هذا الرجل المقرف والمدمن عموماً على الكحول بطريقة مقيتة. هناك خطب ما ويمكنني اشتمام رائحته بوضوح».

أخذ ملبرغ ينقر بسبابته بضع مرات على جانب أنفه الأحمر الكبير الشبيه بالبصلة.

«سوف أوكل إليك أنت يا مارتن التدقيق بشكل أعمق في هذا الأمر. كما أن عليك أن تمارس المزيد من الضغوطات على هنريك ويكنر أكثر مما فعلنا إلى الآن. ذلك الرجل يعرف معلومات تفوق كثيراً ما يفصح عنه، أنا واثق من ذلك».

هز مارتن رأسه بحماسة مدوناً المعلومات وكأنها قضية حياة أو موت. رمقته أنيكا نظرة ملؤها الحنان الأمومي من فوق إطار نظاراتها.

«يعيدنا هذا لسوء الحظ إلى نقطة الصفر في ما يختص بالمشتبه بهم بالجريمة الأولى التي بين أيدينا. بدا أندرز مشتبهاً به محتملاً إلى حدّ كبير، لكن القضية الآن قد اتخذت منحى آخر مختلفاً بالكامل. سيكون عليك يا باتريك أن تراجع تفاصيل المادة التي لدينا حول جريمة قتل ويكنر. تحقق من كل تفصيل وارد بدقة متناهية. هناك خيط ما في تلك التفاصيل أغفلناه».

كان ملبرغ قد سمع تلك الجملة في برنامج تلفزيوني بوليسي وحفظها من أجل أن يستخدمها في وقت ما.

كان غوستا الشخص الوحيد الآن الذي لم توكل إليه مهمة. نظر ملبرغ إلى اللائحة أمامه وأخذ يفكر لبرهة وقال: «غوستا، عليك أن تذهب وتتحدث إلى عائلة ألكس ويكنر. لعلهم يعلمون شيئاً آخر لم يخبرونا به. اسألهم عن أصدقائها وأعدائها، عن طفولتها وشخصيتها وكل شيء... عن كل ما يمكن أن يخطر ببالك. تحدث إلى والديها وأختها لكن احرص أن تتحدث إلى كل منهم على حدة. حسب

خبرتي، إنك تحصل على القدر الأكبر من المعلومات بهذه الطريقة. تعاون في هذا الشأن مع مولين الذي سيتحدث مع الزوج».

ناء غوستا تحت حمل المهمة الثقيلة الموكلة إليه وأطلق تنهيدة مستسلماً. لا يشعر بالانزعاج لأن المهمة ستأخذ من وقت ممارسة لعبة الغولف، فهذا فصل الشتاء والطقس ممطر، لكنه كان قد اعتاد على مدى السنوات القليلة الأخيرة أن لا يقوم بأي عمل جدي. كان قد أتقن فن التظاهر بالانشغال الدائم بينما يمضي الوقت بطوله يلعب solitaire على الكومبيوتر. كان عبء التوصل إلى نتائج ملموسة في القضية يلقي بثقله على كتفيه. لقد انتهت فترة السلام والهدوء التي كان يعيشها. لعلهم لن يدفعوا له بدل الوقت الإضافي الذي سيعمله. سيشعر بالرضا لمجرد أن يحصل على مجرد تعويض ثمن الوقود الذي سيزود به سيارته ذهاباً وإياباً إلى غوتبرغ.

صفق ملبرغ بيديه في إشارة إلى الجميع بانتهاء الاجتماع والانصراف قائلاً: «حسناً، لنذهب كل إلى عمله. لا يسعنا أن نسترخي ونكتف أيدينا إذا ما أردنا التوصل إلى نتائج وحلول ما. أظن أنكم ستعملون بجهد أكبر من أي يوم مضى، أما في ما يختص بأيام العطل فهذه يسعكم أن تنسوا أمرها إلى أن تحل تلك القضية. حتى حينه، فإن وقتكم ملكي أنا، تحركوا».

حتى لو كان لدى أي منهم أي أمر ضد طريقة الصرف كالأولاد فلم يتفوه أحدهم بكلمة واحدة. نهض الجميع من مكانه وحمل الكرسي الذي كان يجلس عليه بيد ودفتر الملاحظات والقلم بالأخرى. وحده إرنست لاندغرن بقي جالساً في مكانه، إلا أن ملبرغ كان على غير عادته في مزاج لا يسمح بسماع التملق فصرفه هو أيضاً.

كان يوماً منتجاً جداً. من المؤكد أن خيبته كانت كبيرة حين تبين أن المشتبه به الأول في جريمة ألكس ويكنر مجرد طريق مسدود لا

يودي إلى أي مكانِ، لكن واحداً زائداً واحداً بات يساوي أكثر من اثنين بكثير على الأقل. وحدوث جريمة واحدة كان يشكل حدثاً أما وقوع جريمتين فكان يعتبر نبأً مثيراً في مثل هذه المنطقة الصغيرة. إن كان في السابق واثقاً من أنه سيحصل على بطاقة تعيده إلى قلب الحدث عند حل قضية مقتل ألكس ويكنر، فإنه الآن متيقن مئة بالمئة أنه إذا توصل إلى حل القضيتين معاً فسوف يرجونه ويتوسلون إليه كي يعود إلى غوتبرغ.

بوجود هذه الآمال المشرقة بمتناول يديه، استند بيرتيل ملبرغ في كرسيه إلى الوراء ودس يده في الدرج الثالث وتناول قطعة كعك صغيرة من المرينغ المغمسة بالشوكولا ووضعها كلها في فمه بفرح. ثم صفق يديه خلف رأسه وأغمض عينيه وقرر أن يأخذ قيلولة قصيرة. فقد حان وقت تناول الغداء تقريباً.

حاولت إريكا أن تنام بضع ساعات بعد رحيل باتريك لكن عبثاً فعلت. كانت المشاعر المتأججة داخل نفسها تدفعها إلى التقلب في السرير من جنب إلى آخر. وما انفكت ابتسامة غريبة تتسلل إلى شفتيها. كان يجب أن يكون هناك قانون ما يمنع كل هذا الشعور بالفرح. كان الإحساس الجميل يدغدغها بقوة هائلة بالكاد كانت تعلم ما الذي عساها تفعل حياله. استلقت أخيراً على أحد جانبيها وأراحت وجنتها اليمنى على راحة يدها.

بدا كل شيء أكثر إشراقاً اليوم يسهل التعامل معه، بدءاً بمقتل ألكس إلى الكتاب الذي كان الناشر ينتظر انتهاءه بفارغ الصبر من دون أن يكون العمل عليه يسير بشكل سلس مروراً بحزنها على والديها وأسفها العميق على بيع منزل الطفولة. بدا كل ذلك أخف عبئاً اليوم يسهل تحمله. لم تكن المشاكل قد انتهت أو اختفت، لكنها شعرت

أنها للمرة الأولى مقتنعة بحق أن عالمها ليس على وشك أن ينهار وأنه يمكن لها معالجة أي صعوبات تعترض طريقها.

لم يسعها أن تتخيل ما الذي يمكن لنهار واحد أن يغير وماذا يمكن لأربع وعشرين ساعة فقط أن تحدث من فارق. بالأمس في مثل هذا الوقت قد استيقظت تشعر بهم يقبض صدرها، وفتحت عينيها على وحدة لم تتمكن من تخطيها. وقد بدا لها أنها لا تزال تستطيع بالمعنى المادي للكلمة، أن تشعر بيد باتريك تداعب بشرتها. لم تكن كلمة مادي صحيحة هنا أو أنها بالأحرى كلمة محدودة جداً لا تعبر عما تقصده تماماً.

كانت تشعر بكامل كيانها أن وحدتها قد استبدلت بشعور من الثنائية. كان الصمت الذي يخيم على الغرفة الآن هادئاً مسالماً في حين أنه كان يبدو لها مهدداً لا نهاية له من قبل. لقد كانت تفتقده بالطبع، لكنها كانت تشعر بالأمان لمعرفتها أنه حيث كان فإنه يفكر فيها.

انتاب إريكا شعور وكأنها قد تناولت مكنسة خيالية ما وعملت بحزم على إزالة كافة بيوت العنكبوت القديمة من الزوايا ومسح الغبار الذي تكوم في عقلها، لكن هذا الوضوح المستجد جعلها تدرك كذلك أنها لن تتمكن بعد الآن من الهرب مما كان يشغل تفكيرها على مدى الأيام القليلة الماضية.

منذ أن اتضحت حقيقة اسم والد الطفل الذي كانت تحمله ألكس بحروف بارزة حارقة في سماء إريكا وهي تخشى المواجهة. لم تكن تتطلع حتى الآن لحدوث ذلك، لكن القوة الجديدة التي كانت تحس بها في داخلها مكنتها من التعامل مع هذا المأزق بدلاً من دفعه جانباً. باتت تعلم ما الذي عساها تفعله الآن.

استحمت لوقت طويل تحت المياه الحارقة. كأن بدايات جديدة

كانت ترتسم أمامها هذا الصباح وأرادت أن تلاقيها وهي تشعر بنظافة تامة. بعد أن أنهت حمامها ألقت نظرة على مقياس الحرارة في الخارج فارتدت ملابس تمدها بالدفء وتلت صلاة متضرعة أن يدور محرك السيارة بسرعة. حالفها الحظ فعلاً ودار المحرك من المرة الأولى.

أخذت إريكا تفكر أثناء القيادة كيف يمكن لها أن تثير الموضوع. حاولت التمرن على قول بعض الجمل الافتتاحية، لكن كلاً منها بدت أسوأ من سابقتها فقررت في النهاية أن ترتجل من دون تمهيد. لم يكن لديها الكثير من المعطيات، لكن حدسها كان ينبئها أنها على حق. فكرت لجزء من اللحظة أن تتصل بباتريك وتخبره بما يساورها من شكوك، لكنها نقضت الفكرة على الفور وقررت أنه عليها التحقق من الخبر بنفسها أولاً لأن الأمر على المحك.

لم تكن الطريق المؤدية إلى وجهتها طويلة، لكنها أحست أن الوصول إليها قد استغرق دهراً. حين انعطفت نحو موقف السيارات لفندق بادوتيل لمحت دان يلوح لها بفرح من المركب. عرفت أنه سيكون هناك، لوحت له بدورها من دون أن ترد ابتسامته. أقفلت باب السيارة ودست يديها في جيبي معطفها الصوفي السميك ذي اللون البني الفاتح وأخذت تسير على مهل نحو دان والمركب. كان يوماً غائماً لكن الهواء بدا منعشاً. أخذت بعض الأنفاس العميقة في محاولة لطرد آخر آثار التشويش من عقلها لما تناولته من نبيذ الليلة الماضية.

«أهلاً إريكا».

«مرحباً».

استمر دان بالعمل على المركب، لكنه بدا سعيداً لوجود رفقة ما. أخذت إريكا تنظر حولها بقليل من التوتر لترى ما إن كان هناك أي أثر لبيرنيللا في الجوار. كانت لا تزال قلقة من النظرة التي لمحتها

في عيني زوجة دان آخر مرة رأتها فيها، لكن في ضوء ما صارت تعرفه الآن، باتت تفهم الموضوع بشكل أكثر وضوحاً.

لاحظت إريكا للمرة الأولى مدى جمال مركب الصيد العتيق. كان دان قد ورثه عن والده وواظب على الاهتمام به برقة لافتة. كان الصيد يجري في عروقه وأصيب بأسى عميق لإدراكه أن مثل هذه المهنة لم تعد تكفي لتأمين قوت عائلته. من الطبيعي أن دفعه ذلك إلى أداء دوره بشكل جيد كأستاذ في مدرسة تانوم، لكن حبه الأول في الحياة كان للصيد. لم يكن يسعه إلا أن يبتسم أثناء العمل على المركب. لم يكن العمل الشاق يزعجه، وكان يحمي نفسه من برد الشتاء بارتداء طبقات كثيرة من الملابس. رفع لفافة ثقيلة من الحبال فوق كتفه والتفت نحو إريكا قائلاً: «ما هذا بحق السماء؟ أما من تحلية اليوم؟ آمل أنك لا تنوين أن تتخذي منها عادة».

تدلت خصلة من شعره الأشقر من تحت نسيج قبعته. بدا كبيراً وقوياً كعامود ضخم أمامها. كان يشع قوة وسعادة وآلمها كثيراً أن تضطر لإحداث فجوة في هالة الفرح هذه، لكنها إن لم تفعل فشخص آخر سيقوم بذلك وسيكون الشرطة في أسوأ الأحوال. أقنعت نفسها أنها تسديه خدمة بما ستقدم عليه، لكنها كانت تعلم أنها على وشك الدخول إلى نطاق العواطف المثيرة للحزن. السبب الرئيس وراء فعلتها أنها كانت تريد شخصياً أن تعرف، ولذا عليها أن تجد بنفسها ما السر.

ذهب دان إلى مقدمة المركب حاملاً لفافة الحبل، حيث وضعها على السطح ثم عاد نحو إريكا التي كانت تتكىء على الحافة عند المؤخرة.

كانت إريكا تحدق في الأفق من دون أن ترى شيئاً وقالت: «لقد قايضت الحب بالمال لأنه لم يعد لدي أي شيء أشتريه به».

أطلق دان ضحكة وأكمل بيت الشعر: «فأنشدي بعذوبة أيتها الأوتار المدندنة أنشدي بعذوبة وغنّي حبي الأوحد».

لم تكن إريكا تبتسم حين سألته: «أما زال فرودينغ شاعرك المفضل؟»

«لطالما كان وسيبقى دوماً. يقول التلامذة في المدرسة أنهم سيتقيأون إذا ما قرأوا المزيد من قصائد فرودينغ، لكن وفق ما أرى فإنه لا يمكن الشبع من قصائده».

«أجل، صحيح، لا زلت أحتفظ بالنسخة التي أعطيتني حين كنا حبيبين».

كانت تتكلم خلف ظهره الآن لأن دان كان قد استدار ليزيح بعض صناديق الشباك التي كانت ملقية على الحاجز المقابل، لكنها تابعت من دون توقف: «هل تعطي ذاك الكتاب دائماً لصديقاتك؟»

توقف قليلاً عن متابعة أداء المهمة والتفت نحو إريكا تعلو وجهه علامات الصدمة: «ما الذي تقصدينه بقولك هذا؟ لقد حصلت أنت على واحدة، أليس كذلك، كما أعطيت نسخة من الكتاب إلى بيرنيللا رغم أنني أشك في أنها تكبدت عناء تصفحه أو قراءته».

لمحت إريكا أمارات الانزعاج على تعابير وجهه فقبضت بيديها المغطاتين بقفازات صوفية على الحاجز الذي كانت تتكىء عليه بقوة أكبر نوعاً ما، ونظرت في عينيه مباشرة وسألته: «ماذا عن ألكس؟ هل حصلت هي أيضاً على نسخة منه؟»

أصبح لون وجه دان شاحباً بلون صفحة الثلج التي تغطي الخليج المتجمد خلفه، لكنها سرعان ما لمحت أيضاً تعابير من الارتياح تخفي ذاك الشحوب.

«ما الذي تقصدين بالسؤال عن ألكس؟»

لم يكن مستعداً للاستسلام والكف عن المقاومة.

«أخبرتك في المرة الأخيرة التي رأيتك فيها أني ذهبت إلى منزل ألكس في إحدى الأمسيات من الأسبوع الفائت، لكن ما لم أخبرك به هو أن أحدهم تسلل إلى المنزل أثناء وجودي هناك. شخص ما صعد السلالم متجهاً إلى غرفة النوم مباشرة وأخذ شيئاً ما. لم أستطع في البداية أن أحزر ما هو، لكني حين تحققت من الاتصال الأخير الذي أجرته ألكس من هاتف المنزل عرفت. كانت قد طلبت رقم هاتفك الخلوي وتذكرت حينئذٍ الغرض الذي فقد من غرفة النوم. إني أملك الكتاب ذاته في المنزل».

لم يتفوه دان بأي كلمة فتابعت حديثها: «لم يكن من الصعب أن أتصور لماذا قد يتكبد أحدهم عناء اقتحام منزل ألكس ومن ثم الإقدام على سرقة غرض، ببساطة كتاب شعر. كان الكتاب يحمل إهداءً، أليس كذلك؟ إهداء يدل مباشرة على الرجل الذي كان عشيقها، أليس صحيحاً؟»

قال بصوت ملؤه الحنان والعاطفة: «أجل إهداء يقول: أهديك شغفي بكل حب- دان».

وقد حان الآن دوره هو ليحدق في صفحة المياه. جلس فجأة على إحدى الصناديق الخشبية فوق ظهر المركب ونزع القبعة عن رأسه بقوة. كانت خصلات شعره مبعثرةً ومشعثة. فنزع القفازين من يديه ومررهما في شعره ثم نظر إلى إريكا مباشرة وقال: «لم أكن أستطيع أن أدعه يقع في أيدي أي كان. فما كان بيننا ضرب من الجنون. جنون مطبق بكل ما للكلمة من معنى. لم يكن أمراً يسعنا أن نسمح له بالتماشي مع واقع حياة كل منا. وكان كلانا يعرف أنه يجب أن ينتهي».

«هل كان يفترض بك أن تلتقيها نهار الجمعة الذي توفيت فيه؟»

انقبضت إحدى عضلات وجه دان للذكرى. لا بد أنه تساءل بعد

موت ألكس بما لا يحصى عما عساه يكون قد حصل لو ذهب إلى الموعد. وعما إذا كانت لتكون حية حتى اليوم.

«أجل كان يفترض بنا أن نلتقي مساء الجمعة. كانت بيرنيللا ذاهبة مع الفتاتين لزيارة أختها في مانكيدال. اخترعت عذراً ما بأني لا أشعر بخير وأني أفضل البقاء في المنزل».

«إلا أن بيرنيللا لم تذهب أليس كذلك؟»

أجاب بعد فترة من الصمت: «أجل، بيرنيللا ذهبت لكنني بقيت في المنزل. أطفأت هاتفي الخاص وعلمت أنها لن تجرؤ على الاتصال على هاتف المنزل. ابتعدت لأني كنت خائفاً. لم أكن أجرؤ على النظر في عينيها وإخبارها أن كل شيء قد انتهى. مع أنني كنت أعرف أنها تدرك تماماً أن ما بيننا يجب أن ينتهي عاجلاً أم آجلاً. كنت خائفاً من أن أكون أنا من يتخذ هذه الخطوة. فكرت أني إذا استطعت الإبتعاد شيئاً فشيئاً سوف تشعر بالتعب وتنهي علاقتها بي. يا له من تصرف رجولي ألا تعتقدين؟»

كانت إريكا تعلم أن الجزء الأصعب من الحديث لم يأت، لكن عليها أن تتابع. من الأفضل أن يسمع الخبر منها هي.

«لكنها يا دان لم تفهم أن ما بينكما يجب أن ينتهي. كانت تتخيل مستقبلاً معك. مستقبل تتخلى فيه أنت عن عائلتك وتترك هي هنريك وتعيشان أنتما الاثنين معاً بسعادة للأبد».

بدا وكأنها كانت تتقلص مع كل كلمة تتفوه بها وها هي لم تكشف عن الجزء الأسوأ.

«لقد كانت حاملاً دان، أجل كانت حاملاً بطفلك. من الواضح أنها كانت تنوي إخبارك بالأمر ليلة الجمعة. كانت تستعد للاحتفال وتناول نخب الحدث».

لم يتمكن دان من النظر إليها. حاول أن ينظر إلى البعيد ويحدق في الأفق، لكن الدموع قفزت من عينيه وبدا كل شيء أمام ناظريه ضبابياً. طفت إلى السطح موجة من الأسى كانت مدفونة في أعماقه وانفجر بالبكاء تاركاً الدموع الغزيرة تنساب على وجنتيه. أخذ يشهق واضطر لأن يمسح أنفه بالقفازات التي معه كي يوقف السيلان. وضع أخيراً رأسه بين يديه وحاول جاهداً أن يمسح آثار الدموع عن وجهه.

جلست إريكا القرفصاء بقربه ووضعت ذراعها حول كتفيه لمواساته، لكنه أبعدها عنه بسرعة. كانت تعلم أن عليه أن ينتشل نفسه من الجحيم الذي أقحم نفسه فيه بنفسه. ثنت ذراعيها فوق صدرها وانتظرت إلى أن بدأت الدموع تنساب ببطء أكبر وبدا أنه قادر على التنفس من جديد.

تلعثم أخيراً وهو يطرح السؤال: «كيف عرفت أنها كانت حاملاً؟»

«كنت مع بريجيت وهنريك في مخفر الشرطة حين أخبرونا بالأمر».

«وهل يعلمون أنه ليس طفل هنريك؟»

«أنا واثقة أن هنريك يعرف لكن بريجيت لا، هي تظن أن هنريك هو الوالد».

هز دان رأسه وقد بدا أن عدم معرفة والديها قد واساه قليلاً.

«كيف تم اللقاء بينكما؟»

أرادت إريكا أن تحوّل تفكيره عن الطفل الذي لم يولد ولو للحظات وأن تمنحه بعض الراحة من الدموع التي لم تتوقف.

ابتسم بمرارة وقال: «إنه أمر كلاسيكي جداً في الواقع. أين يلتقي أشخاص في أعمارنا هنا في فيالباكا. عند تناول كأس من الجعة في حانة غالارن طبعاً. رأى أحدنا الآخر عبر الغرفة وكان الأمر أشبه

بتلقي لكمة على المعدة. لم أشعر يوماً في حياتي أني منجذب لامرأة كما فعلت».

شعرت إريكا بقليل من الغيرة في أعماقها لكلماته، لكن دان تابع كلامه وقال: «لم نفعل شيئاً حينئذٍ، لكن بعد مرور بضع عطلات أسبوع اتصلت بي على هاتفي، فذهبت لرؤيتها. وبدأت الأمور تتطور منذ ذلك الحين بسرعة. كنا نسترق الساعات عند وجود بيرنيللا في أي مكان. لم يكن ذلك مساءً، أي بكلام آخر كنا نرى بعضنا خلال النهار».

«ألم تكن تخشى من أن يراك أحد الجيران وأنت تذهب إلى منزل ألكس؟ أنت تعلم مدى سرعة انتشار الإشاعات هنا».

«لقد فكرت بذلك طبعاً. اعتدت أن أتسلق السور الخلفي للحديقة وأدخل من باب القبو. لأكون صادقاً معك أقول إن ذلك على الأرجح كان يحتل جزءاً كبيراً من الإثارة والتشويق بيننا. الخطورة والمغامرة».

«لكن ألم تعِ ما الذي كنت تخاطر به؟»

كان دان يداعب القبعة ولم ينزع ناظريه عن ظهر المركب بينما يتحدث إلى إريكا.

«بالطبع فعلت، من جهة. لكن كنت أشعر أني ضعيف من جهة أخرى. يمكن للآخرين أن يُلقى القبض عليهم لكن ليس أنا، ألا تجري الأمور دوماً هكذا، أليس هذا ما يخطر للمرء دائماً؟»

«وهل تعلم بيرنيللا شيئاً من هذا؟»

«كلا، لم يبد عليها أنها تعرف، لكنني أظن أنها تشك بحدوث شيء ما. لقد رأيت كيف كان ردّ فعلها حين رأتنا معاً هنا. إنها على هذا الحال خلال الأشهر القليلة الماضية، دائمة الغيرة والترقب. أنا واثق أنها تشعر بأن هناك ما يجري».

«تعلم أن عليك أن تخبرها بكل شيء والآن».

أخذ دان يهز رأسه بعنف وعادت الدموع تملأ عينيه من جديد، وقال: «لن ينجح ذلك إريكا. لا يسعني أن أفعل هذا. إلى أن حصل ما حصل بيني وبين ألكس حتى أدركت كم تعني بيرنيللا بالنسبة إلي. لم تكن ألكس سوى نزوة لكن بيرنيللا والفتاتين هم كل حياتي. لا أستطيع فعل ذلك! لا».

مالت إريكا نحو دان ووضعت يدها فوق يده. كان صوتها هادئاً ونبرتها هادئة لا تعكس مدى الهيجان الذي كانت تشعر به في داخلها.

«عليك أن تقوم بذلك دان. يجب إعلام الشرطة بالأمر، ولديك الفرصة الآن لأن تخبر بيرنيللا بالأمر على طريقتك، إذ إن الشرطة ستكتشف الحقيقة عاجلاً أم آجلاً، ولن تكون الفرصة متاحة أمامك حينئذٍ لأن تشرح لبيرنيللا كما تريد. لن يعود أمامك أي خيار ساعتئذٍ. وقد قلت بنفسك أنها تعرف ربما شيئاً أو أنها تشك على الأقل بوجود شيء ما. لعل التحدث بالموضوع سيجلب الراحة لكليكما. اعملا على تصفية الأجواء بينكما».

لاحظت أن دان كان يصغي إليها ويستوعب تماماً ما الذي تقوله، أمكنها كذلك أن تشعر أنه كان يرتجف.

«لكن ماذا لو تركتني؟ ماذا لو أخذت الفتاتين ورحلت إريكا؟ إلى أين عساي أذهب بعدها؟ أنا لا أساوي شيئاً من دونهم».

صوت خافت جداً همس في داخل إريكا يقول بقسوة إنه كان عليه أن يفكر بذلك مسبقاً، لكن أصواتاً أقوى أغرقت الصوت الخافت قائلة أن وقت الاتهامات المضادة قد أصبح من الماضي، وأن هناك أموراً أكثر أهمية يجب معالجتها الآن. مالت بجسمها وطوقته بذراعيها ومررت يديها فوق ظهره لتشعره بالطمأنينة. ازدادت حدة شهقاته في البداية، لكنها سرعان ما خفتت واختفت. حين حرر نفسه من عناقها

ومسح دموعه أدركت أنه قد اتخذ القرار بعدم تأجيل الحديث الذي لا بد منه.

نظرت في المرآة الخلفية للسيارة بينما تقود مبتعدة فرأته يقف مسمراً من دون حراك في مكانه فوق ظهر مركبه الحبيب يحدق في الأفق البعيد. تضرعت في نفسها لأن يجد الكلمات المناسبة، فالأمر لن يكون سهلاً.

بدا أن التثاؤب ينطلق من أخمص قدميه وينتشر في كافة مسام جسمه. لم يشعر باتريك بمثل هذا القدر من التعب ولم يكن يوماً أكثر سعادة في كل حياته.

كان من الصعب عليه أن يصب تركيزه على كومات الأوراق المكدسة أمامه على الطاولة. فجرائم القتل تولد كميات هائلة من الملفات ويقتصر عمله الآن على مراجعة كل شيء بالتفصيل والعثور على تلك القطع الصغيرة من الأحجية التي يمكن أن تدفع عملية التحقيق قدماً. قام بفرك عينيه جيداً وأخذ نفساً عميقاً ليستجمع الطاقة الكافية لتنفيذ المهمة.

كان ينهض من مكانه على الكرسي كل عشر دقائق ليتمطى ويتناول بعض القهوة ويقفز قليلاً في مكانه أو ليقوم بأي شيء يبقيه صاحياً وقادراً على التركيز لفترة أطول بقليل. كانت يده تمتد عدة مرات نحو هاتفه ورغبة قوية تجتاحه للاتصال بإريكا، لكنه كان يمسك نفسه كل مرة ويمنع نفسه. إن كانت تشعر بالقدر الذي يحس به من التعب فلا بدّ أنها لا تزال في السرير تغط في نوم عميق. كان يأمل أن تكون فعلاً كذلك. كان ينوي أن يبقيها مستيقظة قدر ما يستطيع الليلة كذلك، وهذا أقل ما كان يدور في رأسه.

كانت إحدى كومات الأوراق قد ازدادت ارتفاعاً منذ المرة

الأخيرة التي اطلع عليها، إنها الملفات التي تحتوي معلومات حول عائلة لورنتز. من الواضح أن أنيكا الدؤوبة دائماً قد استمرت في البحث عن المقالات القديمة وكافة الأمور المتعلقة بالعائلة وقامت بوضع الأوراق بترتيب على طاولة باتريك. عمل بشكل منهجي منشطاً ذاكرته عبر تصفح الأوراق المتراكمة والبدء من الأسفل بغية إعادة قراءة المقالات التي سبق واطلع عليها. لم تقع عيناه بعد مرور ساعتين من الوقت على أي شيء ينشط ذاكرته، على الرغم من أنه كان يشعر أن أمراً قد فاته ولا يزال مع ذلك يغفل عنه.

المعلومات الجديدة الأولى التي أثارت اهتمامه فعلياً أتت بعد الاطلاع على كمية هائلة من الأوراق التي تكوّن الكومة. كانت أنيكا قد دست إحدى المقالات المتعلقة بقضية إحراق مبنى في بولارين التي تبعد حوالي ثلاثين ميلاً عن فيالباكا. يعود تاريخ المقال إلى عام 1975، وقد خصصت صحيفة بوهوسلانينغن للخبر نحو صفحة كاملة تقريباً. تم إحراق المنزل ليلة السادس من تموز من العام 1975، في حادث أشبه بالانفجار. حين تم إخماد الحريق لم يكن قد بقي من المنزل سوى الرماد إضافة إلى بقايا جثتين. وقد تبين أن الجثتين تعودان إلى ستيغ وإليزابيث نورين، مالكي المنزل، إلا أن ابنهما البالغ من العمر عشر سنوات تمكن من الهرب من الحريق بأعجوبة. وعثر عليه في إحدى المباني المجاورة. اعتبرت الظروف المحيطة بحادث الحريق مثيرة للشك وفق صحيفة بوهوسلانينغن، وأطلقت عليها الشرطة اسم جريمة إحداث حريق متعمد.

أرفق المقال إلى إحدى الملفات بواسطة دبوس للأوراق، حيث عثر باتريك على تقرير للشرطة. كان لا يزال مندهشاً لعلاقة المقال بعائلة لورنتز إلى أن فتح الملف ورأى اسم ابن عائلة نورين ذي السنوات العشر، كان يدعى جان. الملف يتضمن كذلك تقريراً من

الخدمة المدنية يذكر عائلة لورنتز على أنها المنزل البديل الذي تبنى جان. أطلق باتريك صفارة بصوت منخفض. كان لا يزال غير واثق ما إن كان للأمر علاقة بمقتل ألكس أو بموت أندرز، لكن مسألة ما بدأت تتضح على هامش وعي باتريك. كانت الظلال تنقشع شيئاً فشيئاً وتختفي ما إن بدأ يصب تركيزه عليها، وكانت تشير إلى أنه كان على المسار الصحيح. سجل ذلك في رأسه وتابع عمله المضني على المادة التي بين يديه.

كان دفتر ملاحظاته يمتلىء ببطء. وكان خط يده بغاية السوء حتى أن كارين كانت تغيظه دوماً بالقول إنه كان يفترض به أن يكون أستاذاً وليس شرطياً، لكنه كان يتمكن من قراءته بشكل جيد وهذا هو المهم. كانت بعض المهام قد بدأت تتخذ شكلاً محدداً لكن الأبرز من بين الملاحظات التي عمل على تدوينها كانت الأسئلة التي ولدتها قراءة المادة من جديد، كلها أسئلة تنتهي بعلامة استفهام كبرى. من هو الشخص الذي كانت ألكس تنتظر على العشاء الفخم الذي أعدته؟ من هو الرجل الذي كانت تلتقيه ألكس سراً؟ وطفل من كانت تنتظر في أحشائها؟ هل يمكن أن يكون طفل أندرز على الرغم من أنه أنكر الأمر؟ أو هل هناك من شخص آخر لم يتمكنوا حتى الآن من تحديد هويته؟ لماذا قد ترغب امرأة مثل ألكس تملك المال وتتمتع بالجاذبية والمستوى الاجتماعي المرموق بإقامة علاقة مع شخص مثل أندرز؟ لماذا قد تحتفظ ألكس بمقال يتعلق باختفاء نلز لورنتز في درج في غرفة نومها؟

كانت لائحة الأسئلة لا تنفك تطول وتطول. باتريك قد وصل إلى الصفحة الثالثة قبل أن يدخل في مسألة موت أندرز. كومة الأوراق المتعلقة بمقتل أندرز أصغر بكثير مقارنة مع سواها، لكن سرعان ما ستبدأ الملفات تتكدس. لم يكن هناك حتى اللحظة سوى ما يقارب

عشرة ملفات، بما في ذلك الملف المصادر من شقة أندرز إثر تفتيشها. السؤال الأكبر المتعلق بأندرز يتمحور حول طريقة موته. أخذ باتريك يرسم بغضب سطوراً سوداء عديدة تحت هذا السؤال. كيف تمكن القاتل أو القتلة من رفع أندرز وتعليقه من السقف؟ سوف توفر عملية التشريح المزيد من الإجابات، لكن وفقاً لما عاينه باتريك لم يكن هناك من آثار على الجثة تدل على حصول صراع أو مقاومة ما تماماً كما أشار ملبرغ في خطابه الصباحي. المرء فاقد الوعي يكون ثقيلاً بما لا يصدق، وكان على أندرز أن يُرفع مسافةً كبيرة بالنسبة إلى أي شخص يريد تعليقه بحبل متدل من السقف.

لقد كان يميل في الواقع إلى أن يعتبر ملبرغ ولو لمرة واحدة محقاً في ما قاله بأن هناك أكثر من شخص واحد كان على مسرح الجريمة. مع أن ذلك لم يبد متوافقاً مع ما حصل عند مقتل ألكس. وكاد باتريك يقسم أنهم يبحثون عن قاتل واحد نفذ الجريمتين. بعد أن ساورته الشكوك الأولى كان يزداد ثقة مع الوقت أنه على حق.

أخذ يتفحص الأوراق التي تم العثور عليها في شقة أندرز ونثرها أمامه على طاولة المكتب. كان يضع بين أسنانه قلم رصاص مطلي باللون الأصفر وقد مضغه أكثر مما كان يدرك على ما يبدو، إذ كان فمه قد أصبح مغطى برقاقات صفراء صغيرة. بصق القليل منها وحاول التقاط الباقي عن لسانه بأصابعه. لم يجد ذلك نافعاً، إذ إن الرقاقات باتت الآن عالقة على أصابعه ذاتها. نفضها بضع مرات في محاولة لإزالتها، لكن عبثاً فعل فاستسلم وكفّ عن المحاولة وصب تركيزه بدلاً من ذلك على الأوراق المنتشرة أمامه. لم تثر أي من الصفحات اهتمامه على ما يبدو. فتناول لائحة فاتورة الهاتف لشركة تيليا ليتخذ منها نقطة بداية. وجد أن أندرز لم يكن قد أجرى الكثير من الاتصالات الهاتفية، لكن بوجود كلفة ثابتة للمخابرات بدا المجموع

مرتفعاً. التفاصيل لا تزال مرفقة بفاتورة الهاتف وأطلق باتريك تنهيدة عندما أدرك أنه ينبغي عليه الآن القيام ببحث أساسي منهِك قديم الطراز. على الرغم من أنه كان يعتقد أنه ليس اليوم المناسب للمهمات الروتينية المملة.

أخذ يطلب الأرقام الواردة على اللائحة رقماً تلو آخر بشكل منهجي. وسرعان ما أدرك أن أندرز كان يتصل على بضعة أرقام فقط، إلا أن أحد الأرقام لفت انتباهه. لم يظهر أنه يحتل الصدارة على أرقام اللائحة، لكنه بعد أن ظهر للمرة الأولى لم يلبث أن تكرر مراراً. طلب باتريك الرقم وتركه يرن عدداً من المرات.

كان على وشك أن يقفل الخط بعد ثماني رنات متتالية قبل أن يسمع المجيب الآلي. جعله الاسم الذي سمعه على الطرف الآخر من الخط يقفز في مكانه ويستقيم في كرسيه مما جعل عضلات فخذه تتشنج بشكل مؤلم لأنه كان قد مدّ ساقيه فوق الطاولة بقوة. عاد وأنزلهما إلى الأرض وأخذ يدلك عضلة فخذه الداخلية اليمنى المتشنجة.

أعاد باتريك سماعة الهاتف إلى مكانها قبل أن تنتهي الرنة التي عادة ما يترك بعدها المتصل رسالته. رسم دائرة حول إحدى الملاحظات التي سبق أن دونها على دفتره وبعد لحظات من التفكير أجرى اتصالاً آخر. كان هناك إحدى المهمات التي تتطلب أن يتعامل معها شخصياً، أما المهمة الثانية فيمكن أن يوكلها إلى أنيكا. حمل دفتر الملاحظات في يده وذهب إلى مكتبها مباشرة. وجدها تطبع على الكومبيوتر أمامها بانتباه شديد وقد وضعت النظارات الخاصة على رأس أنفها. رمقته لدى دخوله المكتب نظرة تساؤل.

«لقد أتيت لتعرض علي المساعدة وتخفف عني عبء الأعمال التي لا تنتهي، أليس كذلك؟»

أجابها باتريك مبتسماً: «حسناً، ليس هذا ما كنت أفكر فيه بالضبط».

اصطنعت أنيكا نظرة فيها الكثير من الدهشة وقالت: «كلا، هذا ما ظننته أنا أيضاً. حسناً لنر ما سيفعله هذا بقرحتي المستجدة».

«إنه مجرد طلب بسيط». أشار باتريك بينما يجيبها بإبهامه وسبابته إلى ما يقدر بملمتر واحد في الهواء تقديراً لحجم المهمة.

«حسناً، هات أسمعنا ما مطلبك».

تناول باتريك كرسياً وجلس قبالة أنيكا وراء المكتب. كان مكتبها على الرغم من مساحته الصغيرة جداً الأكثر ترتيباً بين مكاتب المخفر. كانت قد جلبت العديد من النباتات التي بدت خضراء جميلة. ذلك يضاهي معجزة صغيرة من نوع ما، بما أن الضوء الوحيد الذي يتسلل إلى الغرفة كان من النافذة المواجهة للمبنى. كانت الجدران الإسمنتية الباردة مغطاة بصور لأنيكا وزوجها لينارت وحبيبيهما الكبيرين، كلباهما اللذان يخوضان سباقات السرعة. كان لديهما كلبان سوداوان من نوع لابرادور، يسمح لهما مرافقة كل من أنيكا ولينارت للتجول في أنحاء السويد أيام عطلات الأسبوع إلى حيث تجرى سباقات للسرعة. كان لينارت في الواقع هو من يتسابق معهما، لكن أنيكا كانت موجودة لتثير حماسته دوماً، وتؤمن سلة من الغداء وإبريقاً من القهوة. كانوا يلتقون أساساً بالأشخاص ذاتهم كل مرة في ميدان السباق. وقد كوَّنوا معهم على مرور السنين علاقات متينة جداً. وكان كل منهم يعتبر الآخر الصديق الأقرب إليه. كانت تجري السباقات مرتين في الشهر على الأقل خلال عطلة نهاية الأسبوع، وكان يستحيل إقناع أنيكا بالعمل في مثل هذه الأيام لأن ما من أمل باستجابتها.

نظر إلى دفتر الملاحظات أمامه وقال: «حسناً، كنت أتساءل ما إن كنت تستطيعين مساعدتي على القيام بجردة حول حياة ألكسندرا

ويكنر، بدءاً بمماتها مروراً بإعادة النظر في كافة المعلومات التي تلقيناها حول مسيرة حياتها كلها. كم من الوقت مضى على زواجها بهنريك، كم من الوقت عاشت في السويد. تحققي من المعلومات المتعلقة بالمدارس التي ارتادت في كل من فرنسا وسويسرا وإلى ما هنالك. هل تفهمين ما الذي أبحث عنه؟»

كانت أنيكا قد دونت المعلومات على دفتر ملاحظاتها بينما كان لا يزال يتحدث إليها وكانت تنظر إليه الآن بما يشير إلى أنها فهمت ما الذي يريده. كان يثق تماماً أنها ستعثر على كل ما يستحق المعرفة بهذا الخصوص. كما أنها ستعرف ما إن كانت بعض المعلومات لا تستحق الورق الذي صرف على كتابتها، لأنه لم يكن من شيء يمكن أن يضيفه إلى ما كانت تنبش.

«شكراً للمساعدة أنيكا، أنت جوهرة نادرة».

هم باتريك بالنهوض عن الكرسي، حيث كان يجلس لكن الأمر المفاجىء الذي تلقاه من أنيكا بالعودة إلى الجلوس جعله يتسمر في مكانه ويغرق في كرسيه من جديد. لقد أدرك على الفور لماذا كان الكلبان حسنَي التدريب إلى هذا الحدّ.

أمالت كرسيها إلى الوراء تلوح على ثغرها ابتسامة رضا، وقد أدرك أن خطأه الأول كان بأن أتى بنفسه إلى مكتبها ولم يترك لها ببساطة ملاحظة تنص ما يريده منها. كان يجب أن يعلم أنها تقرأه ككتاب مفتوح، كما أن قدرتها على اشتمام رائحة الأحداث العاطفية تفوق حدود الطبيعة تماماً. على الأرجح أنه في النهاية سيرفع الراية البيضاء ويستسلم، لذا استند هو أيضاً في كرسيه إلى الوراء وانتظر سيل الأسئلة الذي سرعان ما سينهمر عليه من دون شك. بدأت حديثها بشكل هادىء إنما مثير للريبة.

«من المؤكد أنك تشعر بالتعب اليوم».

«آه. . .».

إلا أن كل ذلك لا يعني أنه لم يكن سيجعلها تتعب للحصول على المعلومات.

ثابرت على استقاء المعلومات كمحارب ميكافيللي ماكر يبحث عن نقاط الضعف في درع عدوه: «هل كنت في حفلة ما الليلة الماضية؟»

رفع ذراعيه في الهواء وفتح عينيه واسعتين بشكل بريء وقال: «حسناً، أفترض أنه يسعك أن تسميها حفلة. لعل الأمر يعتمد على وجهة نظر كل منا. كيف يمكن لك أن تعرفي كلمة حفلة بأي حال؟»

«آه، دعك من الترهات باتريك وأخبرني فقط من تكون؟»

لم يتفوه بأي كلمة متعمداً تعذيبها بصمته. وقد رأى بعد مرور بضع ثوانٍ شرارة ما تلتمع في عيني أنيكا.

لوحت أخيراً إصبعها في الهواء ودوى صوتها مفعماً بنفحة من الانتصار كمن يثق أنه سيحقق النصر: «أجل، عرفت!»

أخذت تطرق بأصابعها بينما تفتش ذاكرتها بنهم: «إنها تلك المرأة، ما كان اسمها . . . . إريكا، إريكا فالك!»

شعرت بالارتياح فاسترخت في كرسيها إلى الوراء وقالت بهدوء: «قل لي إذاً باتريك . . . منذ متى وهذا يحصل. . . ها؟»

لم يكف مطلقاً يشعر بالاندهاش من الدقة المتناهية التي تصيب بها أنيكا الهدف. لم يكن يجديه نفعاً أن ينكر الأمر. وقد شعر بموجة من الاحمرار تنتشر في كل أنحاء جسمه من رأسه حتى أخمص قدميه، وتعبر بأوضح ما يفعل أي كلام يمكن أن يتفوه به. كما أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يفتر ثغره عن ابتسامة عريضة أنارت وجهه، وكان ذلك بمثابة آخر مسمار تدقه أنيكا في نعشه.

تمكن باتريك بعد مرور خمس دقائق من التحقيق أن ينسحب من

مكتب أنيكا. شعر وكأنه قد مرّ في آلة العصر، لكن لم يزعجه التحدث عن إريكا، وكان صعباً عليه أن يعود إلى أجواء المهمة التي أوكلها إلى نفسه وتعهد القيام بها على الفور. وضع معطفه عليه وأخبر أنيكا أنه سيغادر وخرج في الطقس الممطر، حيث بدأت رقاقات كبيرة من الثلج بالتساقط بخفة على الأرض.

رأت إريكا الثلج يتساقط من نافذتها. كانت تجلس أمام شاشة الكومبيوتر، لكنها كانت قد أطفأته ولم تكن تفعل شيئاً سوى التحديق في الشاشة السوداء. على الرغم من الصداع الأليم الذي أصابها أجبرت نفسها على كتابة عشرة صفحات عن حياة سيلما لاغرلوف. لم تعد تشعر بأي حماسة لكتابة السير الذاتية، لكنها كانت ملتزمة بعقد وعليها الانتهاء من العمل عليه خلال بضعة أشهر. عمل الحديث الذي أجرته مع دان على إضافة مسحة من السوداوية إلى مزاجها الصافي وتساءلت ما إن كان في هذه اللحظات يعترف لبيرنيللا بكل شيء. قررت أن تستفيد من قلقها على دان بشيء مثمر والإقدام على عمل مبدع فأعادت تشغيل الكومبيوتر.

كانت مسودة الكتاب الذي تؤلفه عن ألكس محفوظة في ملف يظهر على الشاشة عند التشغيل ففتحته، وقد كان يتضمن الآن بعض المئات من الصفحات. أخذت تقرأ الصفحات من البداية حتى النهاية بشكل منهجي فوجدت أن ما كتبته كان جيداً، بل جيد جداً. أكثر ما كان يثير قلقها هو ما ستكون عليه ردود فعل كافة الأشخاص الذين يدورون في فلك ألكس من عائلة وأصحاب عند نشر الكتاب. من الطبيعي أن تكون إريكا قد عملت على تمويه القصة نوعاً ما فعمدت إلى تغيير أسماء الأماكن والأشخاص، وسمحت لنفسها بإدخال شطحات من خيالها إلى أحداث القصة، إلا أن الموضوع الرئيس

للكتاب كان يرتكز بما لا يرقى إليه الشك على أحداث حياة ألكس بعيون إريكا. كان الجزء المتعلق بدان تحديداً هو ما يسبب لها ألم الرأس. كيف يمكن لها أن تغفل ذكره وأفراد عائلته؟ وقد كانت تشعر أن عليها أن تكتب القصة. إنها المرة الأولى التي تشعر فيها أن فكرة وضع كتاب تملأها بمثل هذه الحماسة. كان هناك العديد من الأفكار التي لم تغرها والتي ظلت ترفضها على مدى سنوات عديدة. لم يكن يسعها أن تتخلى عن هذه الفكرة تحديداً. لقد كانت تنوي في البداية أن تنتهي من وضع الكتاب لتتفرغ في ما بعد إلى حل مشكلة التعامل مع مشاعر أولئك الذين لهم علاقة بالأمر.

كانت ساعة كاملة من الكتابة بحماس قد انقضت حين سمعت جرس الباب يرن. شعرت بالانزعاج في البداية لمقاطعتها بعد أن تمكنت في النهاية من المضي قدماً في الكتابة، لكنها فكرت بعدئذٍ أنه قد يكون باتريك هو من يقرع الباب فقفزت من كرسيها. تحققت من مظهرها في المرآة بشكل سريع قبل أن تهرع إلى هبوط السلالم وتتجه إلى الباب الرئيس. غادرت الابتسامة شفتيها ما إن رأت من يقف خارج الباب. كانت بيرنيللا تبدو بحالة فظيعة. وبدا أنها قد كبرت عشر سنوات منذ أن رأتها إريكا آخر مرة. كانت عيناها منتفختان وحمراوان لكثرة البكاء وشعرها مشعث وبدا أنها قد نسيت أن تضع عليها معطفها بسبب استعجالها إذ لم تكن ترتدي سوى سترة صوفية رقيقة وكانت ترتجف من البرد. دعتها إريكا إلى داخل منزلها الدافىء وبحركة عفوية ضمتها إليها وطوقتها بذراعيها وأخذت تربت على ظهرها كما فعلت قبل بضع ساعات فقط مع دان. كانت هذه الخطوة كفيلة بأن تسلب بيرنيللا آخر ما.تبقى لديها من قدرة على ضبط نفسها فأجهشت بالبكاء وسالت دموعها الغزيرة على كتف إريكا. رفعت بعد برهة رأسها فكانت الماسكارا قد سالت تماماً ومنحتها مظهراً كوميدياً أشبه بمظهر المهرج.

نظرت بيرنيللا من خلال دموعها إلى كتف إريكا، حيث تركت الماسكارا آثاراً سوداء على الكنزة البيضاء التي كانت ترتديها، وقالت: «أنا آسفة».

«هذا لا يهم، لا تقلقي، تعالي ادخلي».

وضعت إريكا ذراعها حول كتفي بيرنيللا وقادتها إلى غرفة الجلوس. كانت تشعر أن جسد المرأة يرتعش كله واعتقدت أن البرد ليس وحده المسؤول عن ذلك. وقد تساءلت في سرها للحظة لماذا اختارت بيرنيللا المجيء إليها هي تحديداً. لطالما كانت إريكا تعتبر صديقة دان أكثر مما كانت صديقتها هي. لقد ظنت أنه من المستغرب نوعاً ما ألا تكون بيرنيللا قد ذهبت إلى إحدى صديقاتها هي أو إلى أختها مثلاً، لكنها ضيفة في منزلها الآن بأي حال وستفعل كل ما في وسعها لتساعدها.

«كنت قد أعددت القهوة فهل ترغبين في فنجان منها. لقد مضت ساعة على الأرجح على تحضيرها لذا أظن أنه لا يزال مقبولاً».

«أجل، أود ذلك شكراً».

جلست بيرنيللا على الأريكة وضمت جسدها بذراعيها وكأنها تخشى من الانهيار، وتسعى جاهدة للملمة نفسها والتماسك. لعل ذلك كان صحيحاً بطريقة ما.

عادت إريكا تحمل فنجانين من القهوة. وضعت أحدهما على الطاولة الصغيرة أمام بيرنيللا والآخر أمامها بعد أن جلست على أريكة الخيزران الكبيرة قبالة بيرنيللا التي تجلس على الأريكة ذاتها أيضاً. وقد انتظرتها لتبدأ الحديث.

«هل كنت تعلمين؟»

ترددت إريكا في الإجابة لكنها قالت أخيراً: «أجل لكن ليس قبل

فترة طويلة، لم أعلم سوى مؤخراً». صمتت وترددت مجدداً قبل أن تكمل: «ولقد حثثت دان على إخبارك بالحقيقة».

هزت بيرنيللا رأسها وسألتها: «ما الذي ينبغي عليّ فعله؟»

كان السؤال بليغاً جداً فتركته إريكا يذهب من دون إجابة.

تابعت بيرنيللا: «كنت أعلم منذ البداية أني لم أكن سوى الوسيلة التي يتخطى بها دان حبه لك».

همت إريكا بالاحتجاج إلا أن بيرنيللا أوقفتها عن الكلام بحركة من يدها.

«كنت أعلم أن هذا صحيح لكني ظننت أن الأمور قد تبدلت مع مرور الوقت وأننا نحب بعضنا فعلاً. كانت أمورنا تسير على خير ما يرام وكنت أثق به تماماً».

«دان يحبك بيرنيللا، أعرف أنه يفعل».

بدا أن بيرنيللا لم تكن تصغي إليها، واستمرت في الكلام بينما تحدق إلى القهوة داخل الفنجان. لاحظت إريكا أنها كانت تشد كثيراً على فنجانها، بحيث ابيضت مفاصل أصابعها.

«كنت لأتقبل وأتعايش مع فكرة إقامته علاقة مع امرأة أخرى وألقي باللوم على الأزمات التي تصيب منتصف الحياة الزوجية أو ما شابه لكنني لن أسامحه مطلقاً على جعل تلك المرأة تحمل بطفله».

كان الغضب في نبرة صوت بيرنيللا قوياً جداً، بحيث قاومت إريكا رغبة بالتراجع إلى الوراء. حين رفعت بيرنيللا رأسها ونظرت إلى إريكا كانت الكراهية البادية في عينيها بغيضة لدرجة أن إريكا اتخذت حذرها منها مسبقاً. لم يسبق لها أن رأت في حياتها كلها مثل هذه الفورة من الغضب العارم المدمر. وقد تساءلت للحظة كم مضى فعلياً على معرفتها بعلاقة دان مع ألكس. وإلى أي مدى ستكون مستعدة للمضي في تنفيذ انتقامها، لكنها رفضت الفكرة بالسرعة ذاتها

التي طرأت فيها على تفكيرها. إنها في النهاية بيرنيللا ربة المنزل المتزوجة من دان منذ عدة سنوات والتي رزقت بثلاثة أولاد وليست موجة الغضب المدمر التي تؤدي دور الملاك الثائر ضد حبيبة زوجها، إلا أن نظرة الشراسة الباردة في عيني بيرنيللا كانت تخيف إريكا كثيراً.

«ما الذي عسانا نفعله الآن؟»

«لا أعلم. لا أعرف أي شيء في هذه اللحظة كان علي الخروج من المنزل وحسب. لم يكن في رأسي أي فكرة أخرى. لم أتمكن من النظر إليه حتى».

شعرت إريكا بالتعاطف مع دان في قلبها، لا بدّ أنه كان يعيش جحيمه الخاص في هذه اللحظات. كان الوضع طبيعياً أكثر فيما لو كان دان هو من أتى إلى منزلها طلباً للتعزية والتخفيف من عبئه. كانت لتعرف ما الذي ستقوله له وأي كلمات عساها تختار لتعيد الطمأنينة إلى قلبه، لكنها لم تكن تعرف بيرنيللا بما يكفي لتعلم كيف عساها تقدم لها العون. لعله كان يكفي أن تصغي إليها وحسب.

«لماذا تظنينه فعل ذلك برأيك؟ ما الذي كان يفتقده عندي وتقدمه هي له؟»

لقد فهمت إريكا الآن لماذا قصدتها بيرنيللا، هي دون سواها من الأصدقاء أو أفراد العائلة. كانت تؤمن أن إريكا تملك إجابات حول دان أكثر من أي شخص آخر وأنها ستتمكن من إعطاء بيرنيللا مفتاح السبب الذي دفع دان إلى الإقدام على مثل هذا التصرف، إلا أن إريكا ستخيب ظنها لسوء الحظ إذ لطالما عرفت دان على أنه مثال للصدق، مفطور عليه حتى أنه لم يخطر لها مطلقاً أن يكون شخصاً غير مخلص. لم تصب في حياتها بصدمة أكبر من صدمة سماع صوته على المجيب الآلي حين قامت بطلب الرقم الأخير الذي اتصلت به ألكس على هاتفها. لو أرادت أن تكون صادقة مع نفسها بالكامل كانت

لتعترف أنها أصيبت بخيبة أمل كبيرة في تلك اللحظة، خيبة اكتشاف أن الشخص الذي كانت مقربة إليه إلى هذا الحدّ لم يكن الشخص ذاته الذي كانت تتصوره. لهذا السبب كانت تدرك تماماً أنه إضافة لشعور بيرنيللا بالخيانة والخداع كانت قد بدأت أيضاً بطرح تساؤلات عمن عساه يكون دان فعلاً، هذا الرجل الذي عاشت معه طوال تلك السنوات.

«لا أعرف بيرنيللا صدقيني. لقد أصبت أنا كذلك بخيبة فظيعة، وكأنه ليس حقاً دان الذي أعرفه».

هزت بيرنيللا برأسها وكأنها شعرت بقليل من المواساة لعلمها أنها لم تكن الشخص الوحيد الذي خدع. أخذت تشد بتوتر واضح خيوطاً خيالية عن الكنزة العتيقة التي كانت ترتدي. كان شعرها البني الداكن الطويل مع آثار التمويج قد عقص فوق قمة رأسها على عجل ومنحها مظهراً أشعث شنيع. لطالما كانت إريكا تشعر بالامتعاض لمظهر بيرنيللا العام. كان عليها أن تتمكن من بذل المزيد من الجهد لتحسين مظهرها برأيها. كانت تواظب على تمويج شعرها على الرغم من أن موضة التمويج أصبحت قديمة الطراز إذ تزامنت تقريباً مع خروج سترات الرجال المتوسطة الطول من خط الموضة الرائجة. كما أنها كانت تشتري ملابسها من متاجر ثياب رخيصة يوصى عليها عبر البريد ذات أسعار زهيدة وذوق أبعد ما يكون عن وصفه بالرفيع، إلا أنه لم يسبق لإريكا أن رأتها رثة المظهر إلى هذا الحدّ من قبل.

«أعلم بيرنيللا أن الموقف صعب ومؤلم في هذه الأثناء بما لا يصدق، لكن أنت ودان عائلة ولديكما ثلاث بنات رائعات كما قد أمضيتما خمسة عشر عاماً معاً. يجب ألا تقدمي على أي خطوة متسرعة. ولا تسيئي فهمي رجاءً فأنا لا أقصد أن أتغاضى عن أي مما فعله. لعله لا يمكن لكما أن تكملا الحياة معاً بعد ما حصل. لعله من

المستحيل أن تسامحيه أو تغفري له ما فعل، لكن تمهلي في اتخاذ القرار بشأن ما حدث إلى أن تهدأ الأمور قليلاً. فكري جيداً قبل أن تقومي بأي عمل. أعلم أن دان يحبك، لقد أخبرني بذلك حديثاً أو اليوم بالذات لأكون أكثر دقة. كما أعلم أنه نادم من أعماقه على ما فعله. لقد أخبرني أنه أراد أن ينفصل عنها وأنا أصدقه تماماً».

«لم أعد أعرف ما الذي عساي أصدقه إريكا. لقد تبين زيف كل ما كنت أؤمن به في السابق، فما الذي عساي أصدق الآن؟»

لم تجد إريكا إجابة لذلك، فخيم الصمت ثقيلاً على الأجواء بينهما.

«كيف كانت؟»

عادت إريكا تلمح النيران المتقدة خلف قناع من البرودة في عيني بيرنيللا. لم يكن عليها أن تسألها من تقصد بسؤالها.

«لقد كنت أعرفها منذ زمن طويل. لم أعد أذكر كيف هي بالضبط».

«لقد كانت جميلة. رأيتها في إحدى المرات خلال فصل الصيف. لقد كانت كما كنت أريد أن أكون تماماً، جميلة، أنيقة وراقية. كانت تشعرني وكأني من طبقة الفلاحين. كنت لأضحي بأي شيء لأكون مثلها. أستطيع أن أفهم دان بطريقة ما. ضعيني أنا وألكس إحدانا إلى جانب الأخرى سيكون واضحاً من التي ستفوز بيننا».

أخذت بيرنيللا تشد بغضب بثيابها العملية البعيدة عن العصرية، كأنما لتوضح قصدها مما قالته.

«لطالما كنت أشعر بالغيرة منك كذلك، أنت تمثلين حب فترة الشباب الكبير الذي انتقل إلى المدينة الكبيرة وتخلى عنه وتركه لتوه. الكاتبة التي قدمت من ستوكهولم والتي صنعت شيئاً ما من حياتها وعادت إلى هنا وأخذت تتباهى من حين إلى آخر أمامنا نحن الفانون

العاديون. لطالما كان دان يتطلع قدماً لزياراتك ويتوق إليها قبل أسابيع كثيرة من مواعيدها».

بعثت المرارة في نبرة بيرنيللا القنوط في نفس إريكا. لقد شعرت للمرة الأولى بالخجل فعلياً من تصرفها المتحفظ تجاه بيرنيللا. يا لمدى جهلها. بعد معاينة الوضع عن قرب كان عليها أن تعترف أنها كانت تشعر بنوع من الرضا لملاحظة الفرق بينها وبين بيرنيللا، بين زياراتها إلى صالونات ستوربلان لتصفيف الشعر التي تكلف خمسمئة كورون كل مرة والتمويج الذي كانت تجريه بيرنيللا لشعرها في المنزل، بين ملابسها المشتراة من بيبليتكسغاتان التي تحمل أسماء مصممين وثياب بيرنيللا العادية التي تبتاعها من متاجر رخيصة وتقتصر على تنانير طويلة وسترات. لكن ما الفرق الفعلي الذي كان يكمن في كل ذلك؟ لماذا كانت تسعد في لحظات ضعفها بوجود هذه الفوارق؟ لقد كانت هي من تخلى عن دان وليس العكس. هل كانت فعل كل ذلك لمجرد أن ترضي أنانيتها أو أنها كانت تشعر بالغيرة في الواقع لأن ما يملكه بيرنيللا ودان يفوق ما لديها هي. هل كانت تشعر في أعماقها بالغيرة من الحياة العائلية التي أسساها معاً، وهل كانت تحس بالندم لأنها لم تبق في فيالباكا؟ وأنها لم تكن هي المرأة التي لديها العائلة التي لدى بيرنيللا الآن؟ هل كانت تعي أنها تحاول أن تقلل من قيمة بيرنيللا لأنها كانت تغير منها في الواقع؟ كانت الفكرة بحدّ ذاتها مثيرة للقرف لكنها لم تتمكن من إبعادها عن تفكيرها. كانت تغسلها بالخجل والعار من نفسها. وقد تساءلت في الوقت ذاته مع ذلك كم ستكون مستعدة لأن تحمي ما تملكه بيرنيللا لو كانت مكانها. إلى أي مدى كانت بيرنيللا مستبعدة لأن تضحي؟ رمقتها إريكا نظرة عميقة ذات معنى.

«ما الذي سيقوله الأولاد؟» بدا وكأنها المرة الأولى التي تخطر

على رأس بيرنيللا فكرة أنها ودان لن يكونا الوحيدين اللذين سيترك الخبر أثره عليهما وتساءلت: «سوف يفضح الأمر ألا تعتقدين؟ أعني لأنها كانت حاملاً. ما الذي ستقوله البنات؟»

بدا أن الفكرة قد سببت الرعب لبيرنيللا وحاولت إريكا جهدها أن تعمل على تهدئتها.

«ينبغي إعلام الشرطة أن دان هو الرجل الذي كانت تقابله ألكس لكن هذا لا يعني أن الجميع يجب أن يعرفوا بالأمر. يمكن لكما أنتما الاثنين أن تتخذا القرار حول اختيار ما ستخبران به البنات. ما زلت تملكين زمام الأمور بيرنيللا».

بدا أن ذلك أعاد الطمأنينة إلى صدر بيرنيللا فتناولت بضع رشفات من القهوة في فنجانها. لا بد أن تكون قد أصبحت باردة عندئذٍ، إلا أن ذلك لم يزعجها على ما يبدو. شعرت إريكا للمرة الأولى بغضب حقيقي تجاه دان. لقد اندهشت لأنها لم تشعر على هذا النحو في وقت سابق لكن كان باستطاعتها الآن أن تتصور الغضب يزداد في داخلها. هل أصيب بالجنون؟ كيف يمكن له أن يرمي خلف ظهره كل ما لديه، سواء شعر بانجذاب أو لا؟ ألم يكن يدرك كم رائعة الحياة التي يعيشها؟ شبكت يديها فوق حضنها وحاولت أن تظهر تعاطفها مع بيرنيللا التي كانت تجلس قبالتها وراء الطاولة. لم يكن لديها أي فكرة ما إن كانت ستصدقها أو لا، لكنها قالت في النهاية: «أشكرك لأنك أصغيت إلي. أنا أقدر لك ذلك فعلاً».

تلاقت عيناهما أخيراً. كانت مضت أقل من ساعة على قرع بيرنيللا الباب، لكن إريكا شعرت أنها تعلمت الكثير في هذا الوقت القصير لا سيما عن نفسها.

«هل يمكن لك أن تتدبري أمورك؟ هل لديك مكان تذهبين إليه؟»

كانت نبرة بيرنيللا واضحة وحازمة حين أجابت: «أجل، سأذهب

إلى المنزل، فهي لن تتمكن من إبعادي عن منزلي وعائلتي. لن أمنحها هذا الشعور بالرضا. سأعود إلى منزلي، إلى زوجي وسوف نعمل معاً على حلحلة الأمور. ولن يتم ذلك من دون مطالب لي. يجب أن تسير الأمور على نحو مختلف من الآن فصاعداً».

لم تستطع إريكا أن تمنع نفسها من أن تبتسم وسط كل هذه المأساة. سيكون أمام دان الكثير من الأمور التي يتصارع معها لأجلها، لقد كان هذا واضحاً تماماً، لكن هذا لا يعني أنه لا يستحق ما سيحصل له.

تعانقتا بشكل غريب عند الباب. وقد تمنت إريكا من أعماقها كل الحظ لبيرنيللا ودان بينما تراقبها تصعد في سيارتها وتقود مبتعدة، إلا أنها لم تتمكن في الوقت ذاته من أن تمنع نفسها من أن تشعر بانزعاج داخلي يتآكلها. كانت لا تزال صورة بيرنيللا المليئة بالكراهية والحقد تسطع واضحة في مخيلتها. لم تلمح أي أثر للرحمة في تلك العينين.

كانت كافة الصور تنتشر على طاولة المطبخ أمامها. كل ما تبقى لفيرا من أندرز الآن هو تلك الصور. كانت معظمها عتيقة مائلة للاصفرار. لقد مضت عدة سنوات منذ أن كان هناك سبب يجعلها تلتقط له صوراً. كانت جميع الصور التي تظهر سنوات طفولته بالأبيض والأسود، ثم كان هناك صور ذات لون باهت تجسد السنوات التي بات فيها أكبر سناً بقليل. لقد كان طفلاً سعيداً، كان شقياً لكن سعيداً. يأخذ على عاتقه تولي مسؤولية رجل المنزل بجدية تامة، لعله كان يبالغ أحياناً، لكن ذلك يسمح بأن تسير الأمور على طريقته هو، سواء كانت صحيحة أو خاطئة. كان يصعب عليها أن تعرف. ألعله كان ينبغي عليها القيام بكثير من الأمور بشكل مختلف عما فعلت أو لعل ذلك لم يكن مهماً ربما وما كان ليشكل أي فارق؟ من عساه يعلم؟

افتر ثغر فيرا عن ابتسامة حين لمحت إحدى الصور المفضلة لديها. كان أندرز يجلس فوق دراجته فخوراً بنفسه متباهياً كالطاووس. لقد أمضت عدة ليال إضافية في العمل ولم ترتح في عطلات نهاية الأسبوع من أجل أن تشتري له تلك الدراجة. كان لونها كحلياً مزودة بمقعد يدعى الموزة. وفقاً لما قاله أندرز فقد كانت تلك الدراجة الشيء الوحيد الذي كان يتمنى الحصول عليه طوال حياته. كان يتوق لاقتناء مثل تلك الدراجة أكثر من أي شيء آخر ولا يمكن لها مطلقاً أن تنسى تعابير وجهه حين حصل عليها أخيراً في عيد مولده الثامن. كان يمضي كل دقيقة من وقت فراغه في اللعب عليها وقد تمكنت من التقاط تلك الصورة له بينما هو يلعب. كان شعره طويلاً ومجعداً يتدلى حتى أسفل ياقة سترة أديداس اللماعة الضيقة ذات الخطوط على الكمين. هكذا يجب أن تتذكره دوماً، هكذا قبل أن بدأ كل شيء يتغير نحو الأسوأ ويذهب في الاتجاه الخطأ.

لقد كانت تنتظر وصول هذا اليوم منذ زمن طويل. كل رنة هاتف، كل طرقة على الباب كانت تثير الخوف في قلبها. كانت تخشى أن تكون تلك الدقة ربما أو ذاك الاتصال ما سينقل إليها الخبر الذي كانت ترتعد من سماعه منذ زمن طويل. لا تزال تأمل حتى الآن ألا يأتي مثل هذا اليوم مطلقاً. كان مخالفاً لنظام الطبيعة أن يموت الولد قبل والديه لذا كان يصعب جداً ربما التفكير في هذا الاحتمال. آخر ما يمكن أن يموت لديها هو الأمل، وثابرت على الاعتقاد بأن الأمور ستسير على خير ما يرام بطريقة ما. حتى ولو كان حصول ذلك يتطلب معجزة، لكن المعجزات غير موجودة ولم يكن هناك من أمل بحصولها. كل ما تبقى لديها الآن هو اليأس وانعدام الأمل وكومة من الصور القديمة المصفرة.

كانت ساعة المطبخ تدق وتكسِر الصمت الذي يخيم على

المكان. وقد لاحظت للمرة الأولى كم يبدو منزلها رثاً. لم تكن قد فعلت شيئاً لذلك المنزل وقد بدا الأمر واضحاً. كانت تعمل على إزالة الغبار والأوساخ بقدر ما استطاعت، لكنها ما كانت تملك شيئاً إزاء اللامبالاة العالقة على الجدران والأسقف. كان كل شيء باهتاً رمادياً لا حياة فيه. هذا أكثر ما يثير إحباطها. كل شيء مستهلكاً ومبدداً.

أخذ وجه أندرز المبتسم في الصور يهزأ بها. كان يعبر أوضح تعبير عن مدى فشلها. كانت مهمتها تقتضي أن تجعل منه دائم السعادة والابتسام، أن تزوده بالإيمان والأمل وفوق كل شيء أن تمده بحب مواجهة المستقبل، لكنها كانت بدلاً من ذلك تراقب بصمت مكتوفة الأيدي كيف كان يسلب منه كل شيء. لقد أهملت عملها كأم ولن تتمكن مطلقاً من أن تحرر نفسها من الشعور بالعار.

خطر لها أنه لم تكن هناك من دلائل كثيرة تشير أصلاً إلى أن أندرز كان حياً في هذه الدنيا. فاللوحات قد ذهبت وقطع الأثاث القليلة التي كانت موجودة في شقته سرعان ما سترمى إن لم يعلن أحد أنه يريدها. لم يكن قد بقي شيء من أغراضه في منزلها. كان إما قد باعها أو تخلص منها مع مرور السنين. الشيء الوحيد الذي يثبت أنه كان موجوداً حفنة من الصور الملقية على الطاولة أمامها. وذكرياتها. سيبقى موجوداً طبعاً في ذكريات الآخرين كذلك لكنهم لن يتذكروا منه إلا أنه كان سكيراً مدمناً وليس شخصاً يفتقد إليه أو يرثى له. كانت هي الشخص الوحيد الذي يمتلك ذكريات سعيدة عنه. لعله كان من الصعب أحياناً استدعاؤها لكنها كانت لا تزال موجودة هناك. ذكريات لا يسمح لذكريات سواها أن تطفو إلى السطح في يوم كهذا. كل شيء آخر لم يكن مسموحاً.

تحولت الدقائق إلى ساعات فيما فيرا تجلس إلى الطاولة في

مطبخها وتتأمل الصور التي أمامها. كانت مفاصلها قد غدت متصلبة وبدأت عيناها تجدان صعوبة في تمييز تفاصيل الصور بعد أن انسدل ليل الشتاء وخنق آخر بصيص ضوء، لكن ذلك لا يهم. ها هي الآن بقيت وحيدة بالكامل بكل ما للوحدة من قسوة.

دوى رنين جرس الباب في كافة أرجاء المنزل. استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يسمع أي حركة في الداخل حتى أنه كان على وشك أن يدير ظهره ويعود إلى سيارته، لكن بعد أن انتظر برهة سمع صوت شخص ما يقترب من الباب بحذر. فتح الباب نحو الداخل ببطء شديد ولمح نيللي لورنتز ترمقه نظرة تعجب. لقد تفاجأ لقيامها بفتح الباب بنفسها إذ كان قد تصور أن خادماً قاسي الملامح ضخم البنية يدعوه بلياقة إلى التفضل بالدخول. لعل أحداً ما عاد يقتني كبير خدمٍ هذه الأيام.

«أدعى باتريك هيدشتروم وأنا من قسم الشرطة في مخفر تانومشيد. إني أبحث عن ابنك جان».

كان قد اتصل بمكتبه أولاً، لكنه أبلغ أن جان يعمل من منزله اليوم.

لم ترفع السيدة العجوز حاجبها تعجباً لطلبه واقتصر ما فعلته على أن تنحت جانباً ودعته إلى الدخول، وقالت: «سأنادي لك جان، دقيقة واحدة فقط».

مشت ببطء إنما بأناقة نحو الباب الذي ينفتح على الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي. كان باتريك قد سمع أن جان يحتل الطبقة السفلية من المنزل الفخم.

«جان، لديك زائر. الشرطة».

شك باتريك في أن يكون صوت نيللي الضعيف قد وصل إلى

الطابق السفلي، لكن وقع الخطوات على السلالم أثبت العكس.

سرت نظرة ذات معانٍ خفية متعددة بين الأم وابنها حين وصل جان إلى الأعلى وتوقف مقابل ردهة الاستقبال. أومأت نيللي لباتريك وذهبت إلى غرفتها وتقدم جان في الوقت عينه من باتريك يمد يده نحوه تعلو وجهه ابتسامة عريضة جداً تظهر الكثير من أسنانه. سرعان ما طرأت على مخيلة باتريك صورة التمساح، التمساح المبتسم.

«مرحباً، أدعى باتريك هيدشتروم، من مخفر شرطة تانومشيد».

«جان لورنتز، يسرني لقاؤك».

«إني أحقق في قضية مقتل ألكسندرا ويكنر ولدي بعض الأسئلة أطرحها عليك إن لم يكن لديك مانع».

«بالطبع لا، لا أعلم كيف يسعني أن أقدم المساعدة، لكن إنه عملك لتقرر ما إن كان ذلك صحيحاً وليس عملي، أليس كذلك؟»

افتر ثغر جان عن ابتسامة أخرى. شعر باتريك بأصابعه تحكه ولم يكن يرغب بشيء أكثر من مسح تلك الابتسامة عن وجهه. كان هناك شيء ما فيه يثير جنون باتريك.

«يمكننا أن ننزل إلى شقتي فلا نزعج بذلك أمي».

«بالطبع، سيكون ذلك جيداً».

كان على باتريك أن يعترف أن الترتيبات المعيشية بدت غريبة نوعاً ما. كان أولاً يلاقي صعوبة في فهم السبب الذي يجعل رجلاً ناضجاً يعيش مع أمه. ثانياً، لم يستطع أن يفهم لماذا يقبل جان بأن يتم نفيه إلى الطابق السفلي في حين تستمتع السيدة العجوز برفاهية مترفة في منزل في الطابق العلوي الذي لا تقل مساحته عن ألفي قدم مربع. لن يكون جان شخصاً طبيعياً إن لم يكن قد خطر في باله أنه حتماً ما كان لنيلز أن يكون منفياً على هذا النحو لو كان لا يزال موجوداً اليوم.

تبع باتريك خطوات جان إلى الطابق السفلي. وكان عليه أن يعترف في سره أن ما رآه لم يكن سيئاً مطلقاً بالنسبة إلى طابق سفلي تحت الأرض. لم يكن هناك من توفير في الإنفاق على ترتيبه. لا بدّ أن من عمل على فرش الشقة شخص مولع بالتباهي والرفاهية ومتقن لفن الإبهار. كان هناك انتشار كثيف للتطريز والمخمل وشراريب القماش الذهبية اللون. لا شك في أن الأثاث كان من أرقى الماركات لكن لسوء الحظ أن الديكور لم يكن يحظى بالظهور الأمثل بسبب غياب ضوء النهار الكافي. كان المكان يعطي انطباعاً وكأنه بيت للبغاء. كان باتريك يعلم أن جان متزوج، وكان يتساءل من عساه منهما أصر على اعتماد هذا الديكور، لكن وفقاً لتجربته الخاصة كان يعتقد أن زوجته هي التي قامت بالعمل.

أدخله جان إلى مكتب صغير. كان يوجد إضافة إلى طاولة المكتب والكومبيوتر أريكة صغيرة. جلس الرجلان كل على طرف، وتناول باتريك دفتر ملاحظات من حقيبته. كان قد قرر أن يتريث قليلاً قبل الإعلان عن موت أندرز نلسون. لم يكن يرغب بأن يذكر أي شيء لجان حول الموضوع قبل أن يضطر لذلك. كان من المهم أن يلجأ إلى الاستراتيجية واعتماد التوقيت المناسب، إن كان يأمل بأن يسحب أي معلومات مفيدة من جان لورنتز.

أخذ يتأمل الرجل الذي يجلس قبالته. كان يبدو مثالي المظهر تماماً. لم تكن هناك تجعيدة واحدة على قميصه أو بذلته. كانت ربطة عنقه معقودة بشكل رائع كما كان قد حلق ذقنه حديثاً. شعره كان مصففاً بعناية تامة، وكان ينضح هدوءاً وثقة بالنفس، الكثير من الهدوء والثقة بالنفس في الواقع. خبرة باتريك تقول إن كل من يخضع لاستجواب الشرطة يتصرف بنوع من التوتر حتى ولو لم يكن لديه ما يخفيه. أما المظهر الهادىء تماماً إلى هذا الحدّ يشير إلى أن الشخص

المستجوب لديه بالفعل ما يخفيه، تلك كانت نظرية باتريك الخاصة جداً، وقد أثبتت أنها صحيحة عدداً لا بأس به من المرات.

فكر أنه ما من ضير مع ذلك من التصرف بلياقة وقال: «لديك منزل جميل هنا».

«أجل، إنها ليزا زوجتي، هي من قام بترتيب الديكور. أظن أنها أبلت بلاءً حسناً».

أخذ باتريك ينظر من حوله في أرجاء المكتب الصغير المعتم الذي كان مزيناً بالرخام الفاخر اللماع والوسائد ذات الشرابات الذهبية. كان ما رآه أمامه مثالاً واضحاً على ما يمكن أن يشتريه المال الكثير إذا ما اجتمع مع الذوق القليل.

«هل أصبحتم على مقربة من إيجاد الحل؟»

«لقد قمنا بالكشف على القليل من المعلومات المفيدة وبدأنا نتلمس نوعاً من التصور لما حدث».

لم يكن كلامه صحيحاً بالكامل لكن هزه قليلاً أمر يستحق المحاولة.

سأله باتريك: «هل كنت تعرف ألكس ويكنر؟ فقد سمعت مثلاً أن أمك قد ذهبت لحضور مراسم التعزية».

«كلا، لا يسعني القول إني كنت أعرفها. من الطبيعي أني كنت أعرف من تكون، ففي فيالباكا الكل يعرف الكل، لكن عائلتها قد انتقلت للعيش بعيداً منذ عدة سنوات. كنا نلقي التحية إذا صادف أحدنا الآخر على الطريق لكن لا شيء زيادة على ذلك البتة. أما في ما يتعلق بأمي فلا يسعني الإجابة عن ما تقوم به. عليك أن تسألها هي».

«إحدى الأمور التي كشف عنها التحقيق كان أن ألكس ويكنر كانت... كيف لي أن أضع ذلك، كانت تربطها علاقة بأندرز نلسون. أنت تعرفه على ما أظن، أليس كذلك؟»

افتر ثغر جان عن ابتسامة ملتوية ماكرة وأجاب: «أجل، ما من أحد في هذه البلدة لا يعرف أندرز أو من يكون أندرز. علي القول إنه معروف لسوء سمعته أكثر منه لشهرته. هل تقول إنه كان على علاقة هو وألكس؟ عليك أن تعذرني لكن يصعب علي أن أتخيل ذلك حتى. إنهما ثنائي غريب أقل ما يقال. يسعني أن أفهم ما الذي رآه فيها، لكن أجد من الصعوبة بمكان فهم السبب الذي يجعلها تريد أي علاقة لها تربطها به. هل أنت واثق أنك لم تسء فهم الموضوع؟»

«إننا على ثقة أنهما كانا على علاقة. ماذا عن أندرز؟ هل تعرفه؟»

ظهرت مرة جديدة ابتسامة توحي بالغرور والفوقية على ثغر جان إلا أنها كانت أكثر اتساعاً هذه المرة وهز رأسه وكأنه مستمتع بما يحدث، وقال: «أتعلم شيئاً؟ يمكنني القول مطمئناً إننا لا ننتمي إلى طبقة اجتماعية واحدة، أراه من حين إلى آخر مع بقية السكيرين في الساحة، لكن إن كنت تسأل ما إذا كنت أعرفه، فبالطبع لا».

كانت نبرته تعكس بما لا يحمل الشك مدى تفاهة الفكرة وراء طرح السؤال.

تابع بالقول: «إننا نتخالط مع أشخاص ينتمون إلى طبقة اجتماعية مختلفة بالكامل ولا تشمل السكيرين حتماً».

لوح جان بيده لسؤال باتريك وكأنه كان مزحة، لكن خيل لباتريك أنه لمح طيفاً من الانزعاج في عينيه. وقد اختفى بالسرعة التي ظهر فيها لكن باتريك كان واثقاً أنه لمح شيئاً ما. كان جان منزعجاً من الأسئلة الموجهة إليه حول أندرز. هذا جيد، فبذلك عرف باتريك أنه على المسار الصحيح.

سمح لنفسه أن يستمتع بطرح السؤال التالي قبل أن يسأله حتى وتوقف عمداً عن الحديث لمزيد من التأثير قبل أن يسأل بدهشة

مصطنعة: «لكن إن كان ذلك صحيحاً لماذا عسى أندرز يقوم بعدد من الاتصالات إلى رقمك الخاص مؤخراً؟»

شعر بعظيم السرور حين رأى باتريك الابتسامة تختفي عن شفتي جان. ذلك أن السؤال جعله من الواضح يقطع حبل أفكاره، حيث أمكن لباتريك أن يرى ما وراء القناع المتأنق الذي جهد جان في تهذيبه وصقله، فخلف الواجهة المصطنعة بات يرى الآن رعباً صرفاً. بينما يستجمع جان نفسه حاول أن يكسب بعض الوقت عبر إشعال سيجار بعناية فائقة متفادياً النظر في عيني باتريك.

«هلا تعذرني إن دخنت؟» لم ينتظر الردّ ولا منحه باتريك واحداً أصلاً.

«إن كان أندرز قد طلب رقمي فأنا حتماً لا أفهم السبب. لم أتكلم معه ولا أظن أن زوجتي فعلت كذلك. كلا، إن هذا أمر غريب».

أخذ نفساً عميقاً من السيجار ومال إلى الوراء مستنداً إلى ظهر الأريكة ومدّ يده بلامبالاة فوق الوسائد.

لم يقل باتريك شيئاً، فقد علمته الخبرة أن الطريقة الأفضل لجعل الآخرين يفصحون عن أكثر ما ينوون من معلومات هي البقاء صامتاً. إنهم يشعرون بالحاجة إلى ملىء الفراغ وكسر جدار الصمت إذا ما دام طويلاً. كان باتريك يتقن هذه اللعبة جيداً، فانتظر بصمت.

مال باتريك مجدداً إلى الأمام ولوح بسيجاره قائلاً: «هيا، فكر بالأمر قليلاً، أعتقد أني أعلم ما الذي حصل».

«اتصل أحدهم بهاتف المنزل فأجابته آلة المجيب الصوتي، لكنه لم يقل أي كلمة. كل ما سمعناه كان صوت تنفس على الهاتف. وقد أجبت عدداً من المرات لكني لم ألق أي ردّ على الطرف الآخر. لا بدّ أنه كان أندرز الذي استولى على رقم هاتفنا بطريقة ما».

«ولم عساه يتصل بكم؟»

رمى يديه في الهواء وقال: «وكيف لي أن أعرف! لعله الحسد ربما، نحن نملك الكثير من المال مما يغيظ الكثيرين. فالأشخاص من أمثال أندرز مستعدون دوماً لإلقاء اللوم على الآخرين في قلة حظهم في الحياة، لا سيما لوم من تمكنوا فعلياً من أن ينجحوا في حياتهم».

ظن باتريك أن ما قاله جان مبالغ به قليلاً. كان من الصعب أن يرفض ما قاله جان، لكنه لم يصدق كلمة مما سمع دقيقة واحدة.

«أفترض أنك لم تعد تحتفظ بتلك المكالمات التي ذكرت على شريط آلة التسجيل».

قطب جان جبينه في محاولة لأن يبدو عليه الندم وأجاب: «كلا، لسوء الحظ. لقد تم تسجيل مكالمات أخرى فوقها فامحت. آسف، كنت أتمنى لو أستطيع المساعدة، لكن إن اتصل مجدداً سأحرص على الاحتفاظ بالشريط».

«يمكن أن تطمئن أن أندرز لن يتصل بك مجدداً على الإطلاق».

«حقاً! ولماذا تقول ذلك؟»

لم يتمكن باتريك من التأكد ما إذا كانت الدهشة التي أصابت جان حقيقية أو مزيفة، لكنه أجاب: «لأن أندرز تعرض للقتل».

تساقط رماد السيجار على حضن جان عندما تساءل: «ماذا؟ تعرض للقتل؟»

«أجل، لقد تم العثور على جثته هذا الصباح».

أخذ باتريك يعاين جان عن قرب، لو أنه يستطيع فقط أن يسمع ما الذي يدور في رأسه في هذه الأثناء لكانت الأمور أسهل بكثير. هل يا ترى كانت دهشته حقيقية أو أنه كان ممثلاً بارعاً وحسب؟

«وهل القاتل هو الشخص ذاته الذي قتل ألكس؟»

لم يكن يرغب أن يخلص جان من مأزقه بعد فأجاب: «لا يزال الوقت مبكراً على تقديم الإجابة، إذاً أنت واثق تماماً أنك لا تعرف أياً من ألكسندرا ويكنر أو أندرز نلسون؟»

«أنا أعي تماماً في الواقع الأشخاص الذين أختلط معهم والذين لا أعاشرهم. أعرف كلاهما معرفة سطحية بالوجه لا أكثر».

أنهى جان كلامه وعاد الشخص الهادىء الأعصاب الواثق المبتسم.

قرر باتريك اعتماد أسلوب آخر في الاستجواب وقال: «لقد عثرنا في منزل ألكس ويكنر على مقال اقتطعته من صحيفة بوهوسلانينغن يتحدث حول حادثة اختفاء أخيك. هل تعلم ما قد يكون السبب الذي قد يجعلها مهتمة بالاحتفاظ بمثل ذاك المقال؟»

رمى جان مجدداً ذراعيه في الهواء واتسعت عيناه كثيراً وكأنه يقول إنه لا يملك أدنى فكرة عن الموضوع، وقال: «لقد كان الحدث الأبرز في تلك الأيام هنا في فيالباكا منذ عدة سنوات. لعلها احتفظت بالمقال بداعي الفضول لا أكثر».

«ربما. ما رأيك أنت حيال اختفاء شقيقك؟ لقد سادت جميع أنواع النظريات».

«حسناً، أعتقد أن نيلز يمضي هذه الفترة من حياته في بلد حارّ جميل ما، إلا أن أمي من ناحيتها تعتقد كلياً أنه تعرض لحادثة ما».

«هل كنتما مقربين؟»

«كلا، لا يسعني أن أقول ذلك. لقد كان نيلز أكبر مني بعدة سنوات ولم يكن متحمساً كثيراً لأن يكون لديه أخ بالتبني يشاركه اهتمام أمه ورعايتها، لكننا لم نكن عدوين لدودين كذلك. أعتقد أننا كنا غير مباليين أحدنا بالآخر لا أكثر».

«لقد عملت نيللي على تبنيك بعد اختفاء نيلز أليس هذا صحيحاً؟»

«أجل، هذا صحيح. بعد مرور عام واحد».

«وقد ترافق ذلك مع حصولك على نصف المملكة».

«أجل، يمكنك قول ذلك».

لم يكن قد تبقى من السيجار الذي كان يدخن سوى القليل، وكان يهدد بحرق أصابع جان فأطفأه في المنفضة المبهرجة بحركة سريعة.

«ليس من المستحسن أن يكون ذلك قد حدث على حساب شخص آخر، لكن يسعني القول بصدق إني دفعت ما يجب علي على مدى السنوات الماضية. حين استلمت إدارة مصنع التعليب كان في حالة انهيار. وقد عملت على إعادة إعمار الشركة برمتها من البداية، وها إننا اليوم نصدر الأسماك المعلبة وثمار البحر إلى كل أنحاء العالم، بدءاً بالولايات المتحدة الأميركية إلى أستراليا وأميركا الجنوبية...».

«ما هو السبب الذي دفع بنيلز للهرب إلى الخارج برأيك؟»

«لا يجدر بي في الواقع التحدث عن هذا الأمر، إلا أن مبلغاً كبيراً من المال قد اختفى من المصنع مباشرة بعد حادثة اختفاء نيلز. إضافة إلى فقدان بعض ملابسه وحقيبته وجواز سفره».

«لماذا لم يتم إعلام الشرطة بالمال الذي فقد؟»

«رفضت أمي ذلك. ادعت أنه لا بدّ أن يكون هناك خطب ما في الأمر، وأنه لا يمكن لنيلز أن يكون قد أقدم على فعل شيء كهذا. تعلم كيف هن الأمهات، لا يمكن لهن إلا أن يرسمن أفضل صورة عن أبنائهن».

أشعل سيجاراً آخر. اعتقد باتريك أن جو الغرفة الصغيرة قد بدأ يكون مثقلاً بالدخان إلا أنه لم يقل شيئاً.

«هل ترغب في إشعال واحد بالمناسبة؟ إنه سيجار كوبي ملفوف يدوياً».

«لا أشكرك، فأنا لا أدخن».

أخذ جان يتمعن السيجار الذي يحمله جيداً بمتعة وقال: «يا للعار، إنك لا تعلم ما الذي تفوته».

«قرأت في الأرشيف الموجود لدينا عن حادثة الحريق التي أتت على والديك. لا بدّ أن الأمر كان فظيعاً. كم كنت تبلغ من العمر؟ أكنت في التاسعة أم في العاشرة؟»

«كنت في العاشرة من العمر وأنت محق بالفعل، كان الأمر فظيعاً، لكني كنت محظوظاً. لا يحصل معظم الأيتام على رعاية كهذه من عائلة كعائلة لورنتز».

ظن باتريك أنه من غير اللائق التحدث عن عامل الحظ في هذا الإطار.

«لقد فهمت أن كان هناك اشتباه في أن عملية إحراق المنزل كانت مدبرة بقصد إجرامي. هل تم العثور على شيء آخر؟»

«كلا، كما قرأت في التقارير. لم تتوصل الشرطة إلى كشف المزيد حول ملابسات الحادث ولم تذهب بعيداً في القضية. أعتقد شخصياً أن أبي كان يدخن في غرفة النوم كالمعتاد وغط في النوم».

للمرة الأولى أثناء الحديث يظهر جان قلة صبره وقد سأله: «هل لي أن أسأل ما علاقة هذا بجريمتي القتل الواقعتين؟ لقد سبق وقلت لك أنني لا أعرف أياً من الضحيتين فعلياً، ولا يسعني أن أرى في الواقع ما علاقة طفولتي الصعبة بما حدث».

«إننا ندقق في أصغر الدلائل والخيوط في هذه المرحلة. الاتصال

الهاتفي الذي أجراه أندرز بالمنزل دفعني للتحقق من الأمر، لكن لا يبدو أن ذلك يؤدي إلى أي مكان. أرجو أن تعذرني لأني أخذت من وقتك بما لا ضرورة له».

نهض باتريك من مكانه ومدّ يده. وقف جان أيضاً ووضع السيجار من يده في المنفضة قبل أن يمد يده لمصافحة يد باتريك الممدودة.

«لا مشكلة، لا مشكلة على الإطلاق. سرني لقاؤك». ظن باتريك أن العبارة أتت متملقة بأقصى ما يكون، لكنه لحق بخطوات جان على السلالم. لاحظ التناقض الواضح في الأثاث حين وصل إلى الطابق العلوي المفروش بذوق رفيع جداً. للأسف الشديد أن زوجة جان لم تحصل على رقم هاتف مصمم الديكور الذي استخدمته نيللي لفرش منزلها.

شكر جان وغادر المنزل يساوره شعور غريب، إذ كان يشعر أولاً وكأنه قد لمح شيئاً ما في جان لم يتمكن من حل لغزه، شيء ما لا يتلاءم مع الشقة المفروشة بسخاء. أضف إلى أنه لاحظ خطب ما حول جان لورنتز نفسه. عاد باتريك لفكرته الأولى بأن الرجل كان مثالياً تماماً مما يشير إلى أمر ما.

كانت الساعة قد قاربت السابعة مساءً وكانت العاصفة الثلجية قد اشتدت كثيراً في الوقت الذي كان يقف فيه باتريك أمام باب منزلها. دهشت إريكا لمدى قوة المشاعر التي أحست بها حين رأت باتريك، وكم بدا لها طبيعياً أن ترمي ذراعيها حول عنقه. ألقى بأكياس خضار كان قد اشتراها على الأرض في ردهة الاستقبال وعانقها بقوة بدوره وضمها إلى صدره لوقت طويل.

«لقد اشتقت إليك».

«وأنا أيضاً».

تبادلا القبل بحنان، إلا أن معدة باتريك أخذت تزمجر بعد برهة. كان ذلك مؤشراً إليهما فتناولا الأكياس وأخذاها إلى المطبخ. كان قد اشترى الكثير من الطعام، لكن إريكا وضعت الفائض منها في الثلاجة. وكأنهما متفقان ضمنياً على ألا يتحدثا عما حدث طوال ذاك اليوم بينما يقومان بتحضير طعام العشاء. بعد أن أشبعا الجوع الذي كانا يشعران به حتى بدأ باتريك الذي كان يجلس قبالة إريكا على الطاولة إخبارها بما حدث.

«مات أندرز نلسون. لقد تم العثور على جثته داخل شقته صباح هذا اليوم».

«هل كنت أنت من عثر على جثته؟»

«كلا، لكنني وصلت إلى هناك بعد فترة قصيرة من العثور على الجثة».

«وكيف مات؟»

تردد باتريك قبل أن يجيب بالقول: «لقد مات شنقاً».

«ماذا قلت؟ شنقاً؟ تقصد أنه تعرض للقتل، أليس كذلك؟» لم تتمكن إريكا من إخفاء حماستها، وتابعت قائلة: «هل هو الشخص ذاته الذي قتل ألكس؟»

تساءل باتريك في سره عن عدد المرات التي سمع بها هذا السؤال اليوم، لكنه من دون شك السؤال المفتاح للقضية برمتها.

«إننا نظن ذلك».

«هل تملكون المزيد من الخيوط؟ هل رأى أحدهم شيئاً؟ هل عثرتم على أي دليل حسي يثبت أن للقضيتين علاقة ما ببعضهما؟»

رفع باتريك يديه في الهواء، وقال: «رويداً رويداً يا إريكا، لا

يمكنني أن أطلعك على المزيد. تعلمين أنه يمكننا التحدث عن موضوع آخر أكثر هدوءاً. كيف كان نهارك على سبيل المثال؟»

افتر ثغر إريكا عن ابتسامة ملتوية. لو أنه يعلم كم كان نهارها سيئاً هي كذلك، لكن لا يمكنها الإفصاح عما حدث معها من أمور. يجب أن تفسح المجال لدان بأن يخبر القصة بنفسه.

«لقد استغرقت في النوم حتى وقت متأخر ثم عملت على الكتابة لفترة طويلة من النهار. من الواضح أن الأحداث التي مررت بها أقل تشويقاً بكثير مما حصل معك».

بحثت يد أحدهما عن يد الآخر وتشابكت الأصابع. كان غاية في الجمال والأمان الجلوس هناك معاً بينما يلف الظلام المنزل بأسره. كانت رقاقات الثلج الكبيرة لا تزال تتساقط بهدوء كما النجوم في صفحة سماء ليلة مظلمة.

«لقد أمضيت بعض الوقت كذلك في التفكير بآنا والمنزل كذلك. لقد انفجرت في وجهها عند التحدث معها على الهاتف في ذلك اليوم وإني أشعر بالسوء من حينها. لعلي كنت أتصرف بأنانية، ربما كنت أفكر فقط كيف سيؤثر بي بيع المنزل، على الأرجح أني لم أكن أفكر إلا بما عساي أخسر، لكن الأمور ليست بهذه السهولة بالنسبة إلى آنا في هذه الأثناء كذلك. إنها تحاول استغلال الفرصة المتاحة أمامها على أفضل نحو ممكن، وعلى الرغم من أني أعتقد أنها لا تقوم بما هو صائب، فهي لا تقصد أن تتصرف بشكل وضيع. يمكن لها بالطبع أن تكون سطحية وبسيطة التفكير أحياناً، لكنها عادة ما تعتبر شخصاً معطاء وكريم النفس، وإني لا أعمد مؤخراً إلا إلى صب غضبي وخيبتي عليها. لعله من الأفضل أن نعمل على بيع المنزل في نهاية المطاف والبدء من جديد. حتى أنه يمكن لي أن أشتري منزلاً آخر ربما أصغر مساحة بالمال الذي سأحصل عليه. لعلي أتصرف بشكل

عاطفي لا منطق فيه. لقد حان الوقت للمضي قدماً، والتوقف عن الشعور بالندم على ما يمكن أن يكون قد حصل والتطلع إلى ما لدي في الواقع».

فهم باتريك أنها لم تعد تتحدث عن المنزل وحسب.

«آسف لاضطراري أن أطرح هذا السؤال، لكن كيف حصل الحادث؟»

أخذت إريكا نفساً عميقاً وقالت: «لا بأس، كان والدي في شترومستاد يزوران شقيقة أبي. كان الطقس ممطراً والظلام مخيماً وكان البرد قد شكل طبقة من الجليد التي بدت سوداء فوق الطريق. لطالما كان أبي يقود بانتباه، لكنهم يظنون أن حيواناً قد قفز أمام السيارة. انعطف بالسيارة بقوة فتزحلقت بسرعة وارتطمت مباشرة بسيارة إلى جانب الطريق. على الأرجح أنهما توفيا على الفور. هذا ما أبلغونا به أنا وآنا على الأقل. ما من طريقة لنعلم ما إن كان ذلك صحيحاً».

دمعة وحيدة انسابت على وجنة إريكا فمال باتريك بجسمه إلى الأمام ومسحها لها ثم رفع ذقنها بيديه وجعلها تنظر إلى وجهه.

«ما كانوا ليقولوا لكما ذلك لو لم يكن صحيحاً. أنا واثق أنهما لم يتعذبا قبل وفاتهما قط. أنا واثق من ذلك تماماً إريكا».

هزت رأسها بصمت. كانت تثق بما يقول وشعرت أن حملاً ثقيلاً قد أزيل عن كتفيها. كانت النيران قد اشتعلت بالسيارة وقد أمضت إريكا ليال كثيرةً من دون أن يعرف النوم طريقاً لعينيها وهي تتساءل مرتعبة ما إن كان والديها قد عاشا بما يكفي ليشعرا بألسنة النيران تحرق جسديهما. طمأنت كلمات باتريك قلب إريكا وبرّدت أعصابها وقد شعرت للمرة الأولى بنوع من السلام حين كانت تفكر بالحادث الذي أودى بحياة والديها. كان الشعور بالأسى لا يزال

موجوداً، لكن الإحساس بالقلق كان قد زال. مسح باتريك بإبهامه المزيد من الدموع المنسكبة على وجنتي إريكا وقال: «يا لإريكا المسكينة. يا لإريكا المسكينة».

أخذت يده بكلتا يديها ووضعتها على وجنتها وقالت: «ما من سبب لتشعر بالأسى حيالي باتريك. لم أشعر في الواقع بمثل هذه السعادة التي أحس بها الآن في هذه اللحظة بالذات. إنه لأمر غريب لكنني أشعر بأمان لا يصدق معك. لا أشعر بأي من ذاك القلق الذي ينتابني عادة حين أنام مع أحدهم. لماذا يحدث هذا برأيك؟»

«أعتقد أنه مقدر لنا أن نكون أحدنا للآخر».

احمرت وجنتا إريكا لصدق كلماته، لكنها لم تتمكن من إنكار حقيقة شعورها بالأمر عينه. كانت وكأنها تتلمس الطريق إلى منزلها.

من دون أي كلمة وكأنهما متفقان على الأمر مسبقاً نهضا عن الطاولة وتركا الصحون حيث هي وصعدا إلى غرفة النوم يتأبط أحدهما ذراع الآخر غير آبهين بالعاصفة الثلجية التي تهدر في الخارج.

بدا غريباً بالنسبة إليها أن تكون في غرفة نومها القديمة مجدداً، سيما أن ذوقها قد تغير مع مرور السنوات إلا أن غرفة نومها كانت لا تزال كما هي. لم يعد اللون الزهري الذي يطغى على جميع أرجائها كما الكثير من التطريز يروق لها في الواقع.

استلقت جوليا على ظهرها فوق فراش سريرها الضيق وأخذت تحدق في سقف الغرفة ويداها مشبوكتين فوق معدتها. كان كل شيء على وشك أن يتحطم، وكان كل شيء في حياتها على وشك الانهيار والتكدس في كومة من الشظايا المحطمة. بدا وكأنها قد عاشت كل حياتها في منزل كبيت الألعاب مزود بمرايا وهمية خداعة، حيث لا يبدو كل ما ينعكس فيها على حقيقته. لم تكن لديها أدنى فكرة كيف

ستسير أمور دراستها. وقد فقدت كل حماسة كانت تشعر بها دفعة واحدة، وها هو الفصل الدراسي قد بدأ من دونها، لكن هذا لم يكن يعني أن أحدهم سيلاحظ عدم وجودها. لم تجد يوماً من السهل عليها تكوين صداقات.

أما في ما يتعلق بجوليا، فقد كان بإمكانها أن تستلقي كما هي هنا في غرفتها الزهرية وتحدق في السقف إلى أن تصبح عجوزاً ذات شعر رمادي. لن يجرؤ أي من كارل- إريك أو بريجيت إلا أن يدعاها تقوم بكل ما تريد كما يحلو لها. يمكنها أن تعيش على حسابهم لما تبقى من حياتها إذ إن الضمير المعذب والشعور بالندم يمكن أن يضمن لها حساباً مفتوحاً إلى الأبد.

بدا لها وكأنها تسير في المياه. كانت كل حركاتها ثقيلة وصعبة، وكانت الأصوات تصل إلى مسامعها وكأنها تأتي عبر مصفاة. لم يكن الأمر كذلك في البداية، إذ كان السخط الورع والكراهية العمياء يملآنها بشكل يسبب لها الخوف. كانت لا تزال تشعر بالكراهية ذاتها ممزوجة بشعور من الاستسلام بدلاً من الطاقة. كانت معتادة على احتقار ذاتها كثيراً، بحيث كانت تستطيع على المستوى الجسدي أن تشعر بكيفية تغيير الكراهية لمسارها. وبدلاً من أن تكون متجهة إلى الخارج، فقد تحولت إلى الداخل وكانت تترك فجوات كبيرة في أعماقها. كان يصعب كثيراً كسر العادات القديمة. وقد كان كره الذات فناً تعلمت كيف تتقنه حتى الاحتراف.

استدارت على أحد جانبيها. كانت على الطاولة بجانب السرير صورة لها ولألكس معاً. حرصت على أن تبقى متذكرة أن ترمي بها. ما إن تتمكن من النهوض من سريرها ستعمل على تمزيق الصورة إلى ألف قطعة وتتخلص منها. جعلتها نظرة التقدير التي رأتها في عينيها في الصورة تجفل. كانت ألكس هادئة وجميلة كالعادة في حين كانت

الإوزة البشعة التي تقف بجانبها تدير وجهها المستدير نحوها بتعابير يملأها الإعجاب والتقدير. ما كانت ألكس بنظرها لتقدم على أي أمر خاطىء مطلقاً. لطالما كانت جوليا تعيش على أمل دفين بداخلها بأن تخرج يوماً ما من الشرنقة التي تغلفها، وتبدو بجمال ألكس وثقتها بنفسها. هزأت من نفسها لمدى سذاجتها وبساطة تفكيرها. يا لهذه المهزلة المثيرة للسخرية. المهزلة التي كانت تتم دوماً على حسابها هي. لقد تساءلت في سرها ما إن كانوا يتهامسون عليها من وراء ظهرها كذلك. وما إن كانوا يهزأون من جوليا البشعة الغبية البسيطة.

جعل الطَّرق المتحفظ على باب غرفة جوليا تتكور في وضعية الجنين، لقد كانت تعرف تماماً من الطارق.

«إننا قلقان عليك يا جوليا، ألن تنزلي إلى الطابق السفلي قليلاً؟»

لم تجب عن سؤال بريجيت، بل أخذت بدلاً من ذلك تتأمل إحدى خصلات شعرها بتركيز مطلق.

«أرجوك جوليا، إني أرجوك».

دخلت بريجيت الغرفة وجلست على إحدى الكراسي الموضوعة بجانب الطاولة قبالة جوليا، وقالت: «أفهم أنك غاضبة منا وأنك على الأرجح تشعرين بالكراهية حيالنا، لكن يجب عليك أن تصدقيني لم تكن لدينا أي نية لإيذائك».

انتاب جوليا شعور بالرضا التام لما بدا على بريجيت من قلق وإنهاك وضيق. بدا وكأنها لم تنم منذ عدة أيام، وهو على الأرجح ما حدث لها فعلاً. كانت تجاعيد جديدة قد تكونت حول عينيها وبدت أشبه بقدم الغراب. وخطر لجوليا بشكل شرير أنه سيكون عليها أن تجري عملية شدّ الوجه التي كانت تنوي القيام بها في العام المقبل بمناسبة بلوغها عامها الخامس والستين في وقت أبكر. قربت بريجيت الكرسي قليلاً ووضعت يدها على كتف جوليا. نفضتها عنها فوراً

فتراجعت بريجيت إلى الوراء، وهي تشعر بالأذى، فقالت لها: «عزيزتي، نحن جميعاً نحبك، وأنت تعرفين ذلك».

كلا، إنها حتماً لا تفعل، فما نفع كل ذلك الادعاء؟ لقد كانا يعيان تماماً موقف كل منهما من الأخرى. أما الحب؟ فأي حب هذا؟ لم تكن تعرف ما هو أصلاً. الشخص الوحيد الذي كانت تحبه هو ألكس، دوماً ألكس.

«علينا أن نتحدث بهذا الشأن جوليا. علينا أن ندعم بعضنا بعضاً الآن».

كان صوت بريجيت يرتعش. وقد تساءلت جوليا كم من المرات تمنت بريجيت أن تكون هي جوليا التي ماتت بدلاً من ألكس. لاحظت كيف استسلمت بريجيت ورأت كيف ارتعشت يدها حين أعادتها إلى الكرسي. قبل أن تغلق الباب في طريقها إلى الخارج، رمقت بريجيت جوليا نظرة متوسلة أخيرة، فأبلغتها جوليا ردّها بأن أدارت وجهها لتواجه الجدار بدلاً من النظر إليها. أغلق الباب بهدوء خلف بريجيت.

لم تكن فترات الصباح هي المفضلة لدى باتريك، وقد تبين أن هذا النهار تحديداً سيكون مزرياً. فقد أجبر بدايةً على النهوض من فراش إريكا الدافىء والابتعاد عنها للمغادرة إلى العمل. ثانياً، كان مضطراً لأن يجرف لمدة نصف ساعة من أجل أن يعثر على سيارته تحت الثلج. ثالثاً، إن محرك السيارة اللعينة رفض أن يدور بعد أن جهد في إخراجها من الثلج. اضطر بعد عدد من المحاولات المتكررة أن يعود إلى الداخل ويسأل إريكا ما إن كان يستطيع أن يقترض سيارتها. لم يكن لديها مشكلة في ذلك ولحسن الحظ أن محركها قد دار من المحاولة الأولى.

دخل المكتب مسرعاً بعد أن تأخر نصف ساعة عن موعد بدء عمله. كانت عملية الحفر بالمجرفة قد تسببت في تبلله بالعرق، وقد كان مجبراً على التلويح بقميصه بضع مرات من أجل أن يحصل على بعض التهوئة. كان التوقف عند آلة صنع القهوة ضرورياً كخطوة أولى قبل أن يتمكن من التفرغ للعمل. لم يعاوده الشعور بأن نبضاته قد عادت إلى طبيعتها إلا بعد أن جلس على مكتبه يحمل فنجان القهوة في يده. سمح لنفسه أن يذهب مع أحلام اليقظة للحظة ويغرق في مشاعر الحب الأخاذة المستهترة. كانت الليلة السابقة رائعة كما الأولى، حتى أنهما تمكنا من التحلي ببعض المنطق، وحرصاً على أن يناما لبضع ساعات. الادعاء بأنه حصل على قسط كاف من الراحة سيكون أمراً مبالغاً فيه، لكنه لم يكن على الأقل في حالة تشبه الغيبوبة كما في اليوم السابق.

أول أمر اطلع عليه كان الملاحظات التي دونها من لقائه في اليوم السابق مع جان، إلا أن ذلك لم يتضمن أي تفاصيل جديدة تثير الاهتمام، ومع ذلك لم يعتبر ما فعله هدراً للوقت، فقد كان من الأهمية بمكان لعملية التحقيق جسّ نبض جميع المتورطين أو الذين يمكن أن يثبت تورطهم. لطالما كان أحد أساتذته في أكاديمية الشرطة يقول: «تدور جرائم القتل حول الأشخاص». وقد علقت تلك الكلمات جيداً في رأسه. كما أنه كان يعتقد أنه يصيب في حكمه على الناس. لطالما كان يحاول أثناء إجراء المقابلات والتحقيقات مع الشهود والمشتبه بهم أن يفصل نفسه عن الحقائق الباردة لبرهة ويركز على تشكيل الانطباعات الخاصة بالأشخاص الذين يقابلهم. لم يكن جان من أولئك الذين تركوا انطباعاً جيداً في نفس باتريك. وقد قفزت إلى رأسه كلمات المتملص والمسرف في الملذات وغير الموثوق، حين حاول جمع الصفات والانطباعات التي كونها عن شخصية جان.

كان من الواضح تماماً أن الرجل كان يخفي من المعلومات أكثر مما يفصح عنه. تناول باتريك مجدداً كومة الأوراق التي تتضمن معلومات حول عائلة لورنتز. كان لا يزال عاجزاً عن إظهار رابط حسي بين تلك المعلومات والجريمتين اللتين وقعتا مؤخراً عدا مسألة الاتصالات الهاتفية التي أجراها أندرز بجان، لكنه لم يتمكن أن يثبت أن قصة جان حول الرقم الخاطىء الذي ما انفك يصل إلى آلة المجيب الصوتي غير صحيحة. تناول باتريك الملف المتعلق بحادثة مقتل والدي جان ينتابه شعور قوي بأن شيئاً ما في نبرة الرجل عند الحديث عن الحادث قد أزعجته. لا بدّ أن كان هناك خطب ما. راودته فكرة مفاجئة، فرفع سماعة الهاتف وطلب رقماً كان قد حفظه عن ظهر قلب.

«مرحباً فيكي، كيف تسير الأمور؟»

أكد له الشخص على الطرف الآخر من الهاتف أن الأمور تسير على خير ما يرام. بعد تبادل اللياقات المعتادة، دخل باتريك في صلب الموضوع وبدأ الحديث عن العمل.

«إني أتساءل فيكي ما إن كنت تستطيعين أن تسديني خدمة. أود التحقق من رجل لا بدّ أن يكون قد ذكر على لوائح الخدمات الاجتماعية التي تعود إلى العام 1975 تقريباً. لقد كان يبلغ العاشرة من العمر وقد كان يدعى جان مورين في تلك الأثناء. هل تظنين أن هناك معلومات تتعلق بهذه المسألة؟ حسناً، سوف أنتظر على الخط».

أخذ يطرق بأصابعه فوق لوحة المفاتيح أمامه بنفاذ صبر بينما تقوم فيكي ليند من مصلحة الخدمة المدنية بالتحقق من السجلات الموجودة على شاشة الكومبيوتر أمامها. سمع بعد فترة صوتها على الهاتف وقد عادت للتحدث إليه، وقالت: «هل وصلتك المعلومات التي تريد؟ إنه أمر رائع. هل تستطيع أن ترى من هو الموظف

الاجتماعي الذي عمل على تلك القضية؟ إنها سيف بريسون. يا للروعة. هل لديك رقم هاتفها؟»

سجل باتريك بسرعة رقم الهاتف الذي تلته على مسمعه على قصاصة ورق تستعمل لتدوين الملاحظات وأقفل الخط بعد أن وعد فيكي بتناول الغداء معاً في أحد الأيام. نقر فوق الهاتق الرقم الذي أمامه وسرعان ما سمع صوت أحدهم على الطرف الآخر. تبين أن سيف لا تزال تتذكر قضية جان نورين، ولم تكن لديها أي مشكلة في أن يذهب إليها على الفور من أجل التحدث بالموضوع.

تناول باتريك سترته على عجل عن علاّقة المعاطف، وقد كان من الحماسة بحيث تمكن من قلب العلاّقة كلها أثناء قيامه بالمهمة. والأسوأ من ذلك أنها أزالت في طريقها إلى الأرض لوحة عن الحائط ومزهرية ورود عن رف المكتبة مما أحدث صوت تحطيم هائل. إلا أن باتريك ترك كل شيء في مكانه في الوقت الراهن. وحين خرج من مكتبه رأى رؤوساً قد امتدت تسترق النظر من الأبواب الممتدة على طول الرواق، فلوح لها ببساطة وهرع إلى الباب الأمامي تلاحقه النظرات الفضولية.

لم يكن مكتب الخدمات الاجتماعية يبعد سوى بضع ياردات عن مخفر الشرطة. أخذ باتريك يتخبط في شق طريقه بصعوبة عبر الثلوج ليجتاز الشارع الرئيس. حين وصل إلى آخر الشارع انعطف يساراً عند مقهى تانومشيد وتابع حتى منتصف الطريق نحو مجمع الأبنية. كان المكتب يقع في المبنى ذاته، حيث الخدمة المدنية وقرر أن يصعد السلالم. حيا عاملة الاستقبال التي تبين أنها إحدى زميلاته من الثانوية بابتهاج واضح قبل أن يستدل على مكتب سيف. لم تعبأ سيف بريسون بأن تنهض من مكانها لتصافحه عند دخوله مكتبها. لقد تقاطعت المسارات غالباً بينهما أثناء سنوات عمل باتريك في سلك

الشرطة، وكان كل منهما يحترم خبرة الآخر المهنية من دون أن يعني ذلك تحديداً أنهما يتشاركان الآراء ذاتها حيال أفضل الطرق الممكنة للتعاطي مع قضية ما. يعود السبب في ذلك جزئياً إلى أن سيف كانت من أكثر الناس الذين التقى لياقة إلا أن العاملين في مجال الخدمة الاجتماعية لا يمكن لهم أن يتوصلوا إلى النتائج الصائبة بمجرد النظر إلى أفضل النواحي في شخصية الآخرين. كما أنه كان يحترمها في الوقت ذاته لتمكنها من الحفاظ على نظرتها الإيجابية الأساسية للطبيعة البشرية على الرغم من الأمثلة العديدة المطروحة أمامها على مدى السنوات التي لا تكف عن إظهار الجانب المعاكس تماماً. شعر باتريك أنه قد ذهب في الاتجاه المغاير على ما يبدو.

«مرحباً باتريك، ها قد تمكنت إذاً من الوصول إلى هنا على الرغم من كل تلك الثلوج».

كانت ردة فعل باتريك غريزية على الحماسة غير الطبيعية في نبرتها حين أجاب: «لكن وجود سيارة مجهزة للثلوج كان ليساعدني كثيراً».

رفعت النظارات ذات الخيط المتدلي حول عنقها ووضعتها فوق رأس أنفها. كانت سيف تحب الألوان الزاهية وقد كانت النظارات الحمراء التي تضعها اليوم تتلاءم مع الملابس التي كانت ترتديها. كانت تعتمد تصفيفة الشعر ذاتها طوال الفترة التي عرفها فيها. إنها القصة القصيرة التي يعتمد فيها شكل السهم الذي يصل حتى مستوى الفكين وغرة قصيرة تصل فوق مستوى الحاجبين مباشرة. كان شعرها أحمر نحاسياً لماعاً، وقد جعلت الألوان الزاهية باتريك يشعر بمزيد من الحيوية والنشاط بمجرد النظر إليها.

«إذاً، أنت تود الاطلاع على واحدة من أقدم القضايا التي عملت عليها، كما قلت لي، أليس كذلك؟ إنها قضية جان نورين».

كان صوتها لا يزال يبدو مخنوقاً. لقد سبق أن نبشت المادة قبل وصوله، وكان هناك ملف سميك ينتظره فوق طاولة المكتب.

«حسناً، لدينا كمّ لا بأس به من المعلومات المتعلقة بهذا الشخص كما ترى. كان والداه مدمنين ولو لم يلاقيا حتفهما جراء الحادث لكان علينا أن نتدخل عاجلاً أم آجلاً. لقد تخليا عن الولد وكان عليه أن يعتمد على نفسه أساساً. كان يذهب إلى المدرسة بثياب رثة متسخة، وكان زملاؤه يضايقونه لأنه كان نتن الرائحة. من الواضح أنه كان مضطراً إلى أن ينام في الإسطبل القديم ذاته والذهاب إلى المدرسة بالملابس نفسها».

نظرت إلى باتريك من فوق حافة نظاراتها وتابعت: «افترض أنك لم تأت إلى هنا من أجل أن تسيء استعمال ثقتي، لكن لكي تحصل على طلب توكيل رسمي، بحيث تتمكن من كشف المعلومات المتعلقة بجان».

لم يصدر عن باتريك سوى إيماءة. كان يعلم أنه من المهم اتباع القوانين والتقيد بالقواعد لكن التحقيقات تتطلب أحياناً نوعاً معيناً من الفعالية لتدور بعد ذلك عجلة البيروقراطية تفتيشاً عن الحقيقة. لطالما كانت تربطه بسيف علاقة عمل براغماتية جيدة، لكنه كان يعلم أن عليه أن يطرح السؤال.

سألها باتريك: «لماذا لم تتدخلوا من قبل؟ كيف سمحتم للوضع أن يتطور ليصبح بهذا السوء؟ يبدو أن جان قد أهمل منذ الولادة، ومع ذلك فقد توفي والديه حين كان في العاشرة من العمر».

أطلقت سيف تنهيدة عميقة: «أجل، أعلم ما الذي تقصده، ولقد راودتني الفكرة ذاتها مرات كثيرة صدقني، لكن الزمن قد كان مختلفاً حين بدأت العمل هنا، أي قبل بضعة أشهر فقط من وقوع الحريق في

الواقع. وقد تطلب اعتماد إجراءات الأوضاع القصوى قبل أن تتدخل الدولة وتحدّ من حق الوالدين تربية الأولاد إن لم ترَ أنهما مؤهلين لذلك. العديد من الناس يدافعون عن تبني الطريقة الليبرالية لتربية الأولاد، ولسوء الحظ أن أولاداً كثر من أمثال جان يعانون عواقب هذا. لم تكن هناك أي آثار استعمال للعنف على جسده مطلقاً. لو أردت أن أكون متشددةً في رأيي لاعتبرت أنه من الأفضل ربما أن يكون قد تعرض للضرب وأرسل على إثر ذلك إلى المستشفى. كنا نتمكن هكذا على الأقل أن نبدأ بمراقبة وضع العائلة، لكن إما أنه تعرض لمعاملة السوء بطريقة لم تكن واضحة للعيان أو أن والديه كانوا يهملونه ببساطة». لوحت سيف بأصابعها لتضع إشارة استفهام على كلمة ببساطة.

شعر باتريك بموجة مفاجئة من التعاطف تجاه الصبي المدعو جان. كيف يمكن لأحدهم بحق السماء أن يكون شخصاً طبيعياً بعد أن ترعرع في ظل تلك الظروف؟

«لكنك لم تسمع الخبر الأسوأ. مع أننا لم نتمكن من الحصول على أي دليل قاطع في هذا المجال، فإن هناك أمارات تشير إلى أن والديه كانا يسمحان لرجال ما أن يضايقوا جان مقابل الحصول على المال أو على المخدرات».

أخذت الدهشة من باتريك كل مأخذ. كان هذا أسوأ بكثير مما كان يتصور.

«كما ذكرت لك، لم نتمكن من إثبات أي شيء، لكن بإمكاننا اليوم أن نلاحظ أن جان يتبع السياق النموذجي الذي بتنا نعلم أنه مرتبط بالأولاد الذين عانوا من استغلال جنسي. وقد تبين أنه يعاني أولاً من مشاكل جدية في الانضباط في المدرسة. لعل الأولاد الآخرين قد ضايقوه وتنمروه، لكنهم كانوا يخافون منه أيضاً».

فتحت سيف الملف وأخذت تتصفح الأوراق إلى أن عثرت على ما كانت تبحث عنه.

«ها هو، فقد جلب حين كان في الصف الرابع سكيناً إلى الصف وهدد بها أحد أسوأ المتنمرين. لقد سبب له هذا في الواقع جرحاً في وجهه إلا أن الإدارة تسترت على القصة برمتها. ووفقاً لما أرى أن المسألة مرت من دون عقاب. تتالت العديد من الحوادث المماثلة حين أظهر جان عدائية زائدة نحو زملائه، إلا أن حادثة استعمال السكين كانت الأكثر خطورة. كما أبلغ مدير المدرسة عن أفعاله عدداً من المرات بسبب تصرفاته غير الأخلاقية تجاه بنات صفه. كانت معرفته المتقدمة جداً في مجال السلوك الجنسي والتلميحات الخارجة عن الأخلاق مبالغاً بها بالنسبة إلى صبي صغير في عمره. لم تسفر التقارير التي رفعت إلى اتخاذ أي إجراءات. لم يتمكن أحد من أن يعرف كيف يتصرف مع ولد يعاني من كل تلك المشاكل السلوكية والتعاطي السيء مع جميع المحيطين به. إننا حتماً اليوم نتفاعل مع مثل تلك الإشارات الصارخة ونقوم باتخاذ إجراءات مناسبة وفقاً للحالة، لكن يجب أن تتذكر أن ذلك قد حصل في السبعينيات، حيث كان الزمن مختلفاً بالكامل، وكنا نعيش في عالم مغاير لهذا الذي نعيشه الآن».

شعر باتريك أنه يكاد يغمى عليه لقوة الغضب والتعاطف. كيف يمكن لأحدهم أن يعامل ولداً صغيراً على هذا النحو؟

سألها: «هل حصلت حوادث أخرى مشابهة. . . بعد حادثة الحريق تلك؟»

«كلا، إنه لأمر غريب، إذ إنه بعد حادث الحريق عمدت عائلة لورنتز مباشرة إلى تبني الولد ولم نتلق بعد ذلك أي تقارير تفيد عن حصول أي مشاكل مع جان. لقد ذهبت مرات كثيرة إلى منزل العائلة

لأتابع الحالة وعثرت على صبي مختلف بالكامل. كان يجلس هناك ببدلته وشعره المصفف، يحدق فيَّ من دون أن يرف له جفن، بينما يجيب عن كافة أسئلتي. لقد كان الأمر فظيعاً جداً في الواقع. لا يمكن لأحدهم أن يتغير إلى هذا الحد بين ليلة وضحاها».

دهش باتريك لكلامها. كانت تلك المرة الأولى التي يسمع فيها سيف تشير إلى مسألة سلبية ما حيال إحدى القضايا التي عملت عليها. وقد أدرك أن هناك شيئاً ما يستحق البحث فيه بعمق أكبر. كان هناك ما تود قوله، لكن كان ينبغي عليه أن يطرح السؤال المناسب.

«بالنسبة إلى موضوع الحريق...».

توقف عن الحديث وترك كلماته معلقة في الهواء لبرهة فلاحظ أن سيف استقامت في كرسيها، مما يعني أنه كان على المسار الصحيح.

رمق سيف بنظرة متسائلة مشككة، وقال: «لقد سمعت بعض الشائعات التي تدور حول موضوع الحريق».

«لا يمكن أن أتحمل مسؤولية الشائعات التي تدور، ما الذي سمعته بالضبط؟»

«إن الحريق كان مفتعلاً عن سابق تصور وتصميم، حتى أنه ذكر في التحقيقات التي أجريناها أنه يمكن اعتبار الحادث من نوع جرائم إحراق الممتلكات عمداً، لكن لم يتم وجود أي أثر ليدين المعتدي مطلقاً. بدأ اشتعال النيران في الطابق الأرضي من المنزل. كان الوالدان نائمين في إحدى غرف الطابق العلوي، ولم يحظيا بأي فرصة للنجاة. هل سبق لك أن سمعت أي شيء حول أحد يكنّ لعائلة نورين ما يكفي من الكراهية لكي يقوم بأمر كهذا؟»

«أجل». أتت إجابتها مباشرة وفورية وهادئة جداً، بحيث لم يكن واثقاً ما إن سمع فعلاً ما قالته.

كررت كلامها بصوت أعلى قليلاً: «أجل، أعلم من قد يكنّ لهم كل تلك الكراهية بما يكفي ليشعل النيران بهم».

جلس باتريك في مكانه بصمت وتركها تتابع حديثها كما تشاء.

«لقد رافقت الشرطة إلى المنزل. كان قسم الشرطة أول من حضر إلى المكان. ذهب أحد رجال الإطفاء لمعاينة الموقع والتحقق إذا ما كانت أي من الشرارات قد تتطايرت بعيداً عن المنزل ويمكن أن تؤدي إلى اشتعال مكان آخر. وجد رجل الإطفاء جان في الإسطبل. حين رفض الصبي المغادرة اتصلوا بنا هنا في مركز الخدمة الاجتماعية. كنت قد بدأت العمل حديثاً هنا، وعليّ أن أعترف أني ظننت أن الأمر بغاية التشويق حسب ما أذكر. كان جان يجلس عند مربط الأحصنة عند الطرف ويستند إلى الحائط تحت المراقبة المشددة من رجل الإطفاء الذي شعر بالارتياح لرؤيتنا نصل إلى المكان. أبعدت رجال الشرطة ودخلت إلى المكان، وحاولت مواساة الصبي كما ظننت أنه من الواجب أن أفعل، وأعمد بعد ذلك إلى إخراجه من هناك. لم تتوقف يداه عن الحركة في العتمة، حيث كان يجلس لكنني لم أتمكن من رؤية ما الذي كان يفعله. حين اقتربت منه أكثر رأيته يعبث بغرض ما موجود على حضنه. كان ذلك علبة كبريت. وبفرح لم يحاول تغطيته كان يصنف عيدان الكبريت فيضع المشتعلة منها في نصف العلبة والنصف الآخر أحمر الرأس غير المشتعل في النصف الآخر منها. كانت تعابير وجهه تنم عن سعادة بالغة. بدا وكأن السعادة نور ينبعث من داخله. كان ذلك المشهد أفظع ما رأيته طوال حياتي باتريك. لا زلت أستطيع أن أرى ذاك الوجه يظهر أمامي أحياناً حين أخلد للنوم. ذهبت إليه وأخذت منه علبة الكبريت على مهل. ثم رفع نظره إلي وسألني: «هل أصبحا ميتين الآن؟»، كان هذا كل ما قاله لي: «هل أصبحا ميتين الآن؟»، وتقهقه وسمح لي أن أخرجه من

الإسطبل العتيق بملء إرادته. آخر شيء رأيته قبل أن نغادر كان غطاءً ومصباح جيب صغير وكومة من الملابس في زاوية المزرعة. فهمت عندها أننا متآمرين في عملية موت أبويه. كان علينا اتخاذ الإجراءات المناسبة قبل سنوات عديدة عديدة».

«هل سبق أن أخبرت أحداً بالأمر؟»

«كلا، ما الذي يجدر بي قوله؟ بأني أظن أن الطفل قد أقدم على قتل والديه لأنه كان يلعب بعيدان الثقاب؟ كلا، لم أقل أي كلمة مطلقاً حول الموضوع قبل أن تأتي أنت وتسألني الآن، لكنني لطالما شككت في أنه سيدخل في نزاع مع الشرطة عاجلاً أم آجلاً. ما الذي ورط نفسه فيه الآن؟»

«لا يسعني أن أخبرك بشيء حتى الآن لكنني أعدك أن أطلعك على كل ما يجري في أقرب وقت ممكن. إني ممتن لك أكثر مما تتصورين لأنك أخبرتني بكل تلك المعلومات، وسأعمل على إنجاز كافة المعاملات وإحضار الأوراق المطلوبة، بحيث لا تتعرضين لأي مشاكل».

لوح لها بيده وغادر مكتبها. لم تتحرك سيف عن كرسيها خلف المكتب بعد أن غادر باتريك. كانت نظاراتها الحمراء تتدلى بحبل من حول عنقها، وكانت تفرك حافة أنفها بين سبابتها وإبهامها وتطبق عينيها.

رن هاتف باتريك الخليوي في اللحظة ذاتها التي غرقت فيها قدمه في الثلوج على الرصيف. كانت أصابعه قد غدت مقززة من البرد ووجد صعوبة في فتح غطاء الهاتف. كان يأمل أن تكون إريكا هي المتصل، لكن خاب أمله حين رأى رقم المخفر يضيء شاشة الهاتف.

«باتريك هيدشتروم يتحدث. مرحباً أنيكا. كلا، أنا أمام مبنى

الخدمة الاجتماعية. اتفقنا، لكن امنحيني دقيقة أو اثنين وسأكون في المخفر مجدداً».

أغلق هاتفه بسرعة، لقد فعلتها أنيكا ثانية لقد حصلت على معلومات لم تكن مذكورة في السيرة الذاتية لألكس.

شعر بالثلج يرص تحت قدميه ويصدر صوتاً خافتاً بينما يسرّع الخطى باتجاه مخفر الشرطة. كانت جرافة الثلوج قد اجتازت الطريق بينما كان في المكتب يزور سيف، ولم تكن طريق العودة إلى المخفر تستدعي الكفاح كما كانت في طريق المجيء. بضعة أفراد جسورين كانوا يجرؤون على الخروج في مثل هذا الطقس البارد، وكان الشارع مقفراً إلا من بعض المارين المسرعين الذين رفعوا ياقات ستراتهم وشدوا القبعات على رؤوسهم نزولاً ليحتموا من البرد.

داخل أبواب المحطة نفض باتريك الثلج الذي تكدس على حذائه مدركاً أن الأحذية العادية تجعل الجوارب تتبلل بشكل مزعج. كان عليه أن يتحسب للأمر مسبقاً.

توجه مباشرة إلى مكتب أنيكا التي كانت في انتظاره على ما يبدو. أدرك من النظرة على وجهه أن المعلومات التي حصلت عليها كانت مفيدة، مفيدة بالفعل.

«هل كل ملابسك في الغسيل أم ماذا؟»

لم يفهم باتريك بداية ما قصدته بسؤالها لكن بعد أن رأى ابتسامتها المستهترة أدرك أنها كانت تسخر منه. لم تمض لحظة واحدة إلا وسقطت منه قطعة نقدية فنظر إلى ما كان يرتدي. اللعنة، إنه لم يبدل ملابسه منذ يومين. وقد تساءل ما إن كانت رائحة كريهة تفوح منه أو رائحة مقرفة.

همهم بضع كلمات غير مفهومة في رده على التعليق الذي أدلت به أنيكا، وحاول أن يرمقها بأفظع نظرة شريرة يستطيعها، إلا أنها وجدت ما فعل أكثر إثارة للمتعة.

أجابها أخيراً: «حسناً، طيب فهمت قصدك. ادخلي في صلب الموضوع الآن. تكلمي يا امرأة هيا هات ما عندك!»

وبغضب مصطنع خبط باتريك قبضته على المكتب أمامها. فقفزت المزهرية على الفور وانسكب كل ما فيها من مياه على الطاولة والأرض.

«آه، أنا آسف لم أقصد ذلك. إني أخرق جداً...».

أخذ يبحث عن شيء ما يجفف به المياه، إلا أن أنيكا سبقته بخطوة كالعادة، وأحضرت كومة من المناشف من مكان ما خلف المكتب. وبدأت تجفف الطاولة أمامها بهدوء بينما تصدر أمراً له بلهجتها الخاصة وتقول: «اجلس!»

أطاعها في الحال وظن أنه لا عدالة في ألا تكافىء قبوله أومراها بقطعة حلوى.

«من أين عسانا نبدأ؟»، سألته أنيكا ومن دون أن تنتظر إجابته أخذت تقرأ ما هو مكتوب على شاشة الكومبيوتر أمامها.

«دعنا نبدأ الحديث الجدي. لقد شرعت البحث من الوقت الذي تلا موتها وعدت بالزمن إلى الوراء أنبش مراحل حياتها. يبدو أن كل شيء قد بدأ بالتراكم حتى فترة عيشها في غوتبرغ. افتتحت المعرض الفني مع صديقة لها في العام 1989. وقد ارتادت قبل ذلك الجامعة لمدة خمس سنوات في فرنسا وتخصصت في مجال التاريخ. لقد تلقيت عبر الفاكس اليوم نسخة طبق الأصل من طلب الانتساب، وكانت تجري امتحاناتها في المواعيد المحددة وتنجح فيها. كما ارتادت ثانوية هفيتفيدستكا في غوتبرغ، حتى أني حصلت على

العلامات التي كانت تنالها هناك. لم تكن تلميذة لامعة، لكنها لم تكن تعتبر كسولة في الوقت ذاته. كانت تثابر على بقائها على المعدل».

توقفت أنيكا عن الكلام قليلاً ونظرت إلى باتريك الذي كان يميل بجسمه إلى الأمام محاولاً أن يسبقها في قراءة السطور. أدارت الشاشة بعيداً عن مرآه، بحيث لا يتمكن من قراءة ما اكتشفته قبل أن يحين الوقت لذلك.

«قبل ذهابها إلى الثانوية كانت تتلقى دروسها في إحدى المدارس الداخلية في سويسرا. كانت ترتاد المدرسة الدولية المسماة ليكول دو شيفالييه التي يبلغ قسطها ثروة». شددت أنيكا كثيراً على الجملة الأخيرة.

«وفقاً للمعلومات التي حصلت عليها عندما اتصلت بالمدرسة تبين لي أنها تكلف حوالي مئة ألف كونور للفصل الواحد هذا من دون احتساب كلفة غرفة الإيجار والطعام والملابس والكتب. وقد تحققت فعلياً أن الأسعار كانت باهظة أيضاً أثناء سنوات تسجيل ألكسندرا ويكنر هناك».

كان باتريك يتأمل معنى ما تقوله جيداً وقد عبّر عن أفكاره بصوت عالٍ، وقال: «السؤال المطروح هنا إذاً كيف تمكنت عائلة كارلغرن من توفير ذهاب ابنتها ألكس إلى مثل تلك المدرسة. حسب ما فهمت أن بريجيت لطالما كانت ربة منزل ولم تعمل في حياتها قط، ومن المستحيل أن يكون كارل-إريك يكسب ما يكفي من مال لتغطية كل تلك النفقات. هل تحققت...؟»

قاطعته أنيكا بالقول: «أجل، لقد سألت من كان الشخص الموكل بدفع أقساط ألكسندرا، إلا أنهم لا يفصحون عن هذا النوع من المعلومات. الأمر الوحيد الذي يمكن أن يجعلهم أكثر تعاوناً هو إيعاز من الشرطة السويسرية، إلا أن اللجوء إلى مثل هذه الإجراءات

البيروقراطية سيكلفنا انتظار ستة أشهر على الأقل للحصول على المعلومات. بدأت من الطرف الآخر في المقابل، حيث أخذت أتحقق من أرصدة عائلة كارلغرن ومصادر تمويلها وتطورها على مدى السنوات. لعلهم قد ورثوا بعض المال، من يعرف؟ إني أنتظر تقرير المصرف لكن صدوره سوف يستغرق بضعة أيام قبل أن أتمكن من الحصول عليه. إلا أنه...»، هنا أيضاً تعمدت أنيكا التوقف عن الكلام قليلاً قبل أن تتابع وتقول: «لا يشكل الجزء الأكثر إثارة للأهمية. وفقاً لبيانات عائلة كارلغرن بدأت ألكس ارتياد المدرسة الداخلية خلال فصل الربيع من العام 1977. ووفقاً لسجلات المدرسة هي لم تبدأ ارتياد المدرسة فعلياً قبل العام 1978».

مالت أنيكا في كرسيها إلى الوراء تعلو وجهها نظرة الانتصار وشبكت ذراعيها فوق صدرها.

بالكاد تمكن باتريك من السيطرة على حماسته فسألها: «هل أنت متأكدة؟»

«لقد تحققت من الأمر مرتين بل ثلاث مرات. الفترة الممتدة بين ربيع عام 1977 حتر ربيع العام 1978 فترة مفقودة من حياة ألكس. لا نملك أدنى فكرة عن المكان الذي كانت موجودة فيه. انتقلت العائلة من هنا في شهر مارس من العام 1977 ثم بعد ذلك لم يحصل شيء، ولا يوجد حتى أدنى معلومة عن ألكس إلى حين بدأت ارتياد المدرسة الداخلية في سويسرا. لقد كان والداها يظهران في الوقت ذاته في غوتبرغ. اشتريا منزلاً وبدأ كارل-إريك عمله الجديد رئيساً تنفيذياً لإحدى الشركات المتوسطة المتخصصة في حقل بيع الجملة».

«إننا لا نعلم أيضاً إذاً أين كان الوالدان في تلك الفترة من الوقت، أليس كذلك؟»

«كلا، ليس بعد، لكنني أتابع البحث. الأمر الوحيد الذي نعرفه

هو عدم وجود أي معلومات تشير إلى وجودهما في السويد خلال ذلك العام».

أخذ باتريك يعد على أصابعه وقال: «ولدت ألكس في العام 1965، دعينا نرى إذاً، لقد كانت في الثانية عشرة من العمر في العام 1977».

تحققت أنيكا من المعلومات أمامها على الشاشة مجدداً، وقالت: «أجل، لقد ولدت في الثالث من شهر كانون الثاني، لذا أنت محق، لقد كانت تبلغ اثني عشر عاماً حين انتقلت العائلة إلى مسكن آخر».

أخذ باتريك يهز رأسه بتعمق ويفكر ملياً في ما قالته. لقد تمكنت أنيكا من العثور على معلومات قيمة، لكنها لا تفيد في الوقت الحاضر إلا في طرح مزيد من الأسئلة. أين كانت عائلة كارلغرن بين العامين 1977 و1978؟ لا يمكن لعائلة كاملة أن تختفي هكذا ببساطة؟ لا بدّ أنهم خلفوا أثراً ما. إنها مسألة لا تستدعي سوى الكشف عنها ليس إلا. كما لا بدّ أن يكون هناك المزيد في الوقت ذاته. كانت المعلومة التي تقول إن ألكس قد أنجبت طفلاً ما في السابق لا تزال تثير حيرته.

«ألم تعثري على أي ثغرة أخرى في تاريخ حياتها؟ كوجود شخص آخر على سبيل المثال قام بتقديم الإمتحانات عنها في الجامعة؟ أو أنه لم يكن بالإمكان أن تكون شريكتها قد أدارت شؤون المعرض لوحدها لفترة من الزمن؟ لا يعني ذلك أني لا أثق بما عثرت عليه من معلومات، لكن لربما يجدر بك أن تتحققي مرة أخرى من الحقائق. وتتحققي كذلك من سجلات المستشفيات لتري ما إن كانت ألكسندرا كارلغرن أو ويكنر قد وضعت مولوداً ما. ابدأي الجردة بالمستشفيات الموجودة هنا في غوتبرغ، وإن لم تعثري على أي شيء هنا وسعي دائرة البحث إلى مستشفيات المنطقة. لا بدّ أن يكون هناك وثيقة ولادة في مكان ما. لا يمكن لطفل أن يتبخر هكذا في الهواء».

«ألا يمكن أن تكون قد وضعت المولود في بلد ما في الخارج؟ خلال فترة ارتيادها المدرسة الداخلية مثلاً؟ أو في فرنسا على سبيل المثال؟»

«بالطبع، لماذا لم أفكر بذلك؟ تحققي ما إذا كان بالإمكان أن تحصلي على معلومات ما عبر القنوات الدولية. وما إن كنت تستطيعين أن تعثري على طريقة ما لتقفي أثر مكان ذهاب عائلة كارلغرن عبر جوازات سفر أو تأشيرات المرور أو حتى السفارات. لا بدّ أن يكون هناك في مكان ما سجل يوثق المكان الذي ذهبوا إليه».

كانت أنيكا تدون الملاحظات وكأنها مسألة حياة أو موت.

«بالمناسبة، هل عثر الآخرون على أي معلومات ذات فائدة في هذه الأثناء؟»

«تحقق إرنست من إفادة بنت لارسن وهي لا تفيد بشيء لذا يمكننا حذفه عن اللائحة. تحدث مارتن إلى هنريك ويكنر عبر الهاتف، لكنه لم يتمكن من الحصول على أي معلومات إضافية حول العلاقة التي تجمع بين ألكس وأندرز. لديه النية في الاستمرار باستجواب رفاق أندرز من السكيرين حول ما إن كان قد ذكر شيئاً أمام أي منهم. أما غوستا فهو يجلس في مكتبه طوال النهار يشعر بالأسف على نفسه ويحاول أن يستجمع طاقته للذهاب إلى غوتبرغ والقيام باستجواب عائلة كارلغرن. إني أراهن على أنه لن يرحل من هنا قبل نهار الإثنين على أقرب تقدير».

أطلق باتريك تنهيدة عميقة. لعله من الأفضل ألا يعتمد على زملائه إذا ما أراد حل هذه القضية. ينبغي عليه القيام بالعمل بنفسه.

سألته أنيكا: «أنتِ لم تفكر باستجواب عائلة كارلغرن مباشرة، أليس كذلك؟ على الأرجح أن ليس هناك أي أمر مريب حيالهم. لعل هناك تفسيراً ما لكل ما جرى».

«إنهم الوحيدون الذين زودونا بمعلومات حول ألكس. وقد حاولوا لسبب ما أن يخفوا ما فعلوه بين العامين 1977 و1978. سوف أتحدث إليهم لكن أريد أولاً أن نمضي في ما نفعل لبعض الوقت. لا أريد أن يحظوا بأي فرصة للتملص من هذا».

مالت أنيكا بكرسيها إلى الوراء وافتر ثغرها عن ابتسامة ماكرة حين سألت: «إذاً، متى سنسمع صوت أجراس الكنيسة ترن معلنة عن زفاف ما؟»

أدرك باتريك أن لا نية لديها للتوقف عن الحديث في هذا الموضوع الدسم قريباً. عليه أن يستسلم لفكرة أن يكون مصدر تسلية أفراد المخفر وموضوع الثرثرات لبعض الوقت.

«حسناً، لعله من المبكر قليلاً التحدث في هذا الموضوع. لربما يجدر بنا أن نمضي أسبوعاً معاً على الأقل قبل أن نحجز الكنيسة لإتمام مراسم الزفاف».

«أنتما تتواعدان إذاً في المرحلة الراهنة».

أدرك أنه قد وقع في الفخ الذي نصبته له تماماً من دون أن ينتبه.

«كلا، بل أجل نحن كذلك... لا أعلم نحن متفقان حتى الآن، لكن الأمر برمته جديد بالنسبة إلي، ولعلها ستعود إلى ستوكهولم قريباً... آه، لا أعلم. عليك أن تكتفي بهذا القدر من التطورات في الوقت الحالي». كان باتريك يتململ في كرسيه كالدودة بينما يتحدث إليها.

«حسناً سأفعل، لكن أريد أن أبقى على اطلاع بكل المستجدات حول ما يجري، أتسمعني؟»، قالت أنيكا ذلك وهي تلوح بإصبعها مهددة إياه.

هز رأسه باستسلام وأجاب: «موافق، سأبقيك على علم بكل ما يحدث. أعدك. هل أنت راضية الآن؟»

«حسناً، أفترض أن هذا يفي بالغرض».

نهضت أنيكا من مكانها واستدارت من حول الطاولة ووجد نفسه في لحظة وقبل أن يدرك ما الذي يحصل من حوله، وقد طوقته بذراعيها وضمته إلى صدرها في عناق حار طويل ساحق.

«أنا سعيدة جداً لأجلك باتريك. لا تفسد الأمور، عدني بذلك».

أضفت إلى العناق مزيداً من الضغط بما جعل أضلاعه تصدر احتجاجاً. بما أنه لم يكن من الممكن الوصول إلى مصدر الهواء لأخذ نفس في تلك اللحظة لم يتمكن من الإجابة، لكنها من الواضح أنها اعتبرت صمته إذعاناً، فحررته من عناقها من دون أن تنسى أن تتوج ما فعلت بقرصة على الوجنتين.

«والآن، اذهب إلى المنزل استحم وبدل ملابسك، أتسمعني؟ لأن رائحتك نتنة».

وجد باتريك نفسه بهذه العبارة مرمياً في الرواق مجدداً مع وجنتين متقرحتين وأضلاع متألمة. أخذ يتحسس قفصه الصدري على مهل، لا بدّ أنه كان يكن محبة كبيرة لأنيكا، لكنه كان يأمل في بعض الأحيان أن تكون أكثر رفقاً ورأفة بشاب مسكين يبلغ الخامسة والثلاثين ويملك قدرة جسدية لا تنفك تتراجع.

كانت جزيرة بادهولمن التي يقصدها الناس للسباحة تبدو مهجورة ومهملة. كانت في فصل الصيف تعج بالسابحين والأطفال المتحمسين، لكن ها هي الرياح الآن تعصف بشراسة فوق صفحة الثلوج التي شكلت غطاءً شتوياً سميكاً بين ليلة وضحاها. أخذت إريكا تشق طريقها بصعوبة وهي تسير ببطء على الثلوج التي تكسو الصخور. لقد شعرت بحاجة عميقة لأن تحصل على المزيد من الهواء المنعش، وكانت من هنا من بادهولمن تحظى بمنظر أخاذ للجزر

وصفحة الثلج اللامتناهية التي لا يحجبها شيء. كان يمكن سماع أصوات محركات السيارات الآتية من البعيد لكن المكان كان مسكوناً بالهدوء الرحيم، حتى أنها كادت تسمع نفسها تفكر. كان البرج الغارق في المياه يرتسم بالقرب منها غامضاً. لم يكن بالارتفاع الذي كانت تظنه وهي صغيرة، حيث كان يبدو وكأنه يصل إلى قلب السماء، لكنه كان لا يزال حتى الآن مرتفعاً بما يكفي لجعلها لا تمتلك الجرأة على القفز من فوقه في يوم صيفي حار.

كان باستطاعتها أن تقف حيث هي للأبد. كانت تشعر بالبرد يحاول التغلغل إليها عبثاً من خلال الفرو الذي كانت ترتديه، أما في أعماقها فكانت تشعر بالجليد يذوب. لم تكن تدرك مدى الوحدة التي كانت تعيشها إلا بعدما اختفت وحدتها وتبخرت، لكن ما الذي سيحل بها وبباتريك إن كانت ستضطر للعودة إلى ستوكهولم؟ كانت ستوكهولم تبعد أميالاً كثيرة عنها، وكانت تشعر أنها متقدمة جداً في السن لتعيش علاقة من بعيد.

هل كان هناك من إمكان لبقائها هنا إن كانت مجبرة لأن تذعن وتخضع لبيع المنزل؟ لم تكن تريد أن تطور علاقتها بباتريك قبل أن يتم اختبارها لفترة من الزمن، لذا إن البديل الوحيد المتوفر أمامها كان إيجاد مكان آخر لها في فيالباكا تعيش فيه.

المشكلة أنه لم يكن هناك من مكان آخر يغريها. إن أقدمت على بيع المنزل، فإنها تفضل أن تقطع كل الروابط التي تصلها بفيالباكا بدلاً من أن تبقى هنا وتشاهد الغرباء يعبثون بمنزل طفولتها. لم تكن تستطيع أن تتخيل حتى أنها قد تستأجر شقة ما. سيبدو ذلك غريباً بالفعل. أحست بالسعادة تهرب من بين ضلوعها وهي تكدس كل تلك الأفكار السوداوية في رأسها. سيكون ممكناً بالطبع التخلص من تلك المآزق، لكن يجدر بها أن تعترف ولو لنفسها أنها وإن لم تكن قد

أصبحت عجوزاً، فإن سنوات الوحدة التي عاشتها وهي لا تفكر إلا بنفسها قد تركت أثراً واضحاً عليها وإنها لم تعد تشعر أنها مرنة. بعد كثير من التأني قررت أنها كانت مستعدة للتخلي عن حياتها في ستوكهولم إن استطاعت فقط أن تحافظ على العيش ضمن أجواء مشابهة لتلك التي عايشتها في منزل الطفولة. وإلا سيكون ذلك تغييراً جذرياً هائلاً في عالمها يحصل مرة واحدة. لن تتمكن من مواجهته دفعة واحدة مهما كانت غارقة في الحب.

لعل موت والديها قد جعلها كذلك أقل ميولاً لإدخال تغييرات كبرى إلى حياتها، فالتغييرات التي عاشتها مؤخراً كانت تكفي لسنوات كثيرة قادمة. كان كل ما تبتغيه الآن هو أن تغرق في أحضان حياة آمنة ثابتة يمكن توقع كافة مجرياتها. كانت تخشى في الماضي الارتباط في أي علاقة، أما اليوم فهي لا تريد شيئاً في الدنيا أكثر من إدخال باتريك ضمن تلك الحياة الآمنة الهادئة. أرادت أن تكون قادرة على التخطيط للمراحل القادمة المعتادة، بدءاً بالعيش معاً إلى مرحلة الخطوبة والزواج وإنجاب الأولاد ومن ثم تمضية الكثير من الأيام العادية يوماً بعد آخر إلى أن ينظر أحدهما إلى الآخر ويكتشف أنهما كبرا معاً. لن يكون ما تطلبه كثيراً.

للمرة الأولى شعرت بموجة من الأسى حين خطرت ألكس ببالها، وكأنها الآن فقط أدركت أن حياة ألكس قد انتهت، وأنه واقع يستحيل تغييره. مع أن مساراتهما لم تتقاطع على مدى سنوات كانت لا تزال تفكر فيها من وقت إلى آخر. ولطالما كانت تعلم أن حياتها تسير بشكل موازٍ لحياتها هي. باتت هي وحدها الآن التي تملك مستقبلاً، الوحيدة بينهما التي ستختبر كافة المآسي والأفراح التي ستخبئها لها السنوات المقبلة. كل مرة ستفكر فيها بألكس الآن ولبقية عمرها سيتراءى لها الوجه الشاحب لتلك الجثة الهامدة المتجمدة في

حوض الاستحمام. كانت تتخيل الدماء على الأرض وشعرها الذي كان يحيط بوجهها كالهالة. لعل هذا هو السبب الذي حملها على اتخاذ القرار بتأليف كتاب عنها. كانت تلك طريقة لإعادة إحياء السنوات التي كانتا فيها مقربتين إلى بعضهما. والتعرف في الوقت ذاته إلى المرأة التي أصبحتها ألكس بعد أن فرقتهما الحياة.

أكثر ما كان يثير قلق إريكا في الأيام القليلة الماضية هو أن المعلومات الواردة في الكتاب كانت تافهة نوعاً ما. بدا وكأنها كانت تنظر إلى نموذج ثلاثي الأبعاد من جهة واحدة فقط. كانت الأبعاد الأخرى ستحمل الأهمية ذاتها لو كانت لديها أي فكرة كيف تبدو الصورة الإجمالية، لكن لم يكن يسمح لها برؤيتها. وقد عقدت العزم على أن تبحث أكثر في حياة الأشخاص المحيطين بألكس، ليس فقط بالشخصيات الرئيسة منهم بل بكافة الأفراد الذين شكلوا جزءاً من حياتها. ومن ثم خطرت على بال إريكا أفكار مبدئية تميل إلى ما كانت تحس به وتستشعره كطفلة من دون أن تكون قد فهمته مطلقاً.

كان أمر ما قد حصل قبل انتقال ألكس بعام واحد، إلا أن أحداً لم يزعج نفسه بإخبار إريكا به. كانت الهمسات تتوقف ما إن تقترب من الهامسين، لقد تم حجبها عن شيء ما كانت بحاجة لأن تفهمه الآن بشدة. كانت المشكلة تكمن في أنها لا تعرف من أين عساها تبدأ. الأمر الوحيد الذي تتذكره من محاولاتها استراق السمع إلى الأحاديث التي كان يجريها الكبار همساً هو أنها كانت تسمع كلمة مدرسة تذكر أكثر من مرة. لم يكن هذا بالشيء الكثير الذي تستطيع أن تعوّل عليه لكنه كل ما لديها. كانت إريكا تعلم أن المعلمة التي كانت تدرسها هي وألكس في المرحلة الدراسية المتوسطة لا تزال على قيد الحياة، وأنها تعيش هنا في فيالباكا. لعل هذا هو المكان الأفضل الذي تبدأ منه، إن كان هناك من مكان أصلاً تنطلق منه.

كانت سرعة الرياح قد تضاعفت وأخذ البرد يتسلل إلى جسدها على الرغم من الطبقات الكثيرة التي كانت ترتديها. شعرت إريكا أنه قد حان وقت التحرك. ألقت نظرة أخيرة على فيالباكا المحضونة في موقعها المحمي بالجبال التي ترتفع خلفها. عادة ما تكون في فصل الصيف مستحمة بالضوء الذهبي، لكنها الآن رمادية الهيئة مقفرة، إلا أن إريكا ظنت أنها تبدو أكثر جمالاً هكذا. كانت المنطقة في فصل الصيف أشبه بخلية نحل لكثرة نشاطاتها المستمرة. ها هي الآن السكينة تخيم على البلدة الصغيرة، وقد أمكن لها أن تتخيلها كدب غارق في سباته الشتوي، لكنها كانت تعلم في الوقت عينه أن هذا الهدوء مجرد وهم. فتحت السطح الهادىء كان يكمن الكثير من الشر كما في أي مكان مأهول من العالم. لقد سبق لإريكا أن عاينت الكثير من الشرور في ستوكهولم، لكنها كانت تؤمن أن هناك قدراً أكبر من الشر ها هنا، فالكراهية والحسد والطمع والرغبة بالانتقام كلها شرور مخفية وراء قناع كبير من العواطف التي تثيرها أسئلة مثل: «ما الذي عساه يقوله الناس؟» كان يسمح لكافة أنواع الشرور والأحقاد والتفاهات أن تنمو بهدوء تحت طبقة يجدر بها أن تكون دائماً لماعة ومرتبة. كانت إريكا تتساءل بينما تقف بصمت الآن على صخور بادهولمن وتنظر إلى البلدة الصغيرة المغطاة بالثلوج ما الأسرار الذي عساها تخبئها.

ارتعشت أوصالها برداً فدست يديها في قعر جيبيها وتوجهت عائدة إلى البلدة.

* * *

كانت الحياة تغدو أكثر تهديداً مع كل سنة تمضي. كان أكسل وينرشتروم لا ينفك يكتشف مخاطر جديدة. بدأ كل شيء حين أصبح يدرك تماماً ملايين بل مليارات العصيات والبكتيريا التي تحوم من

حوله. أصبح لمس أي شيء يشكل تحدياً بالنسبة إليه، وإن كان مجبراً على أن يلمس أي شيء فكان يرى جحافل من الباكتيريا تجتاحه مهددة باستحضار ما لا يحصى من الأمراض المعروفة وغير المعروفة التي قد تسبب له موتاً بطيئاً ومؤلماً. ومن ثم أصبح كل ما يحيط به يشكل تهديداً ما. كانت الأسطح الكبرى تمثل بعض المخاطر المحددة في حين تمثل الأسطح الصغيرة مخاطر أخرى. إذا ما انتهى به الأمر بين جمع كبير من الناس كان يتصبب العرق من كل مسام من جسمه وتصبح وتيرة تنفسه سريعة جداً وقصيرة. البيئة الوحيدة الذي يستطيع أكسل التحكم بها والسيطرة عليها هي منزله الخاص. سرعان ما أدرك أنه يستطيع أن يعيش كل حياته من دون أن يخطو خطوة واحدة خارج عتبة منزله مجدداً.

المرة الأخيرة التي خرج فيها أكسل من المنزل كانت منذ ثماني سنوات مضت. لقد عمل بجهد على كبت كل رغبة ممكنة له بالخروج، بحيث ما عاد يعلم ما إن كان هناك أي وجود للعالم الخارجي. كان مسروراً بنمط الحياة الذي يتبع، ولم ير أي سبب لإدخال تغيير عليه.

أمضى أكسل وينرشتروم أيامه يتبع روتيناً بات يتقن ممارسته الآن. كان كل يوم يسير وفق نظام معين، ولم يكن هذا اليوم تحديداً مختلفاً عن سواه من الأيام. لقد استيقظ في الساعة السابعة صباحاً وتناول فطوره. ثم شرع ينظف المطبخ باستعمال مساحيق تنظيف قوية من أجل التخلص نهائياً من أي باكتيريا محتملة يمكن لطعام الفطور أن يكون قد نشرها بعد إخراجها من الثلاجة. وأمضى الساعات القليلة التالية في القيام بمسح الغبار وإزالته عن الأسطح وترتيب بقية أرجاء المنزل. لم يكن يمنح نفسه أي فرصة من العمل قبل الساعة الواحدة من بعد الظهر، حيث يجلس على الشرفة ويقرأ الصحيفة. كان يحصل

على جريدته كل صباح ملفوفة بكيس بلاستيكي وفق الترتيب الذي أجراه مع سيني بائع الصحف. كان يتيح له ذلك على الأقل أن يكبت ولو جزئياً على الأقل مشهد كافة الأيادي البشرية المتسخة التي حملت الصحيفة قبل أن تصل في نهاية المطاف إلى صندوق بريده.

حلّق مستوى الأدرينالين في دمه إلى معدّل مرتفع جداً حين سمع طرقاً على الباب. لا يفترض بأحد أن يأتي إلى منزله في هذا الوقت من النهار، فالشخص الذي يسلم الطعام يحضر في وقت مبكر من أيام الجمعة عادة. كان هذا الزائر الوحيد الذي يمكن أن يأتي إليه. شق أكسل بجهد طريقه نحو الباب بصعوبة بالغة يتقدم خطوة تلو خطوة. كانت الدقات تتكرر بشكل أكثر إصراراً كل مرة. مدّ يداً مرتعشة نحو القفل الأعلى وفتحه. تمنى لو أن لديه عيناً ساحرة في الباب يرى من خلالها الزائر القادم إليه، تلك التي يمكن إيجادها في أبواب الشقق الأكثر عصرية، لكن المبنى القديم الذي كان يقطنه لم يكن هناك من نافذة حتى في الباب تمكنه من رؤية الدخيل. فتح قفل الباب السفلي أيضاً وفتح الباب وقلبه يدق بقوة. كان عليه أن يقاوم رغبة بإغلاق عينيه كي لا يرى الكائن الرهيب المجهول الهوية الذي يقف بالباب.

«أكسل؟ أكسل وينرشتروم؟»

ارتاح لما رآه قليلاً، فالنساء أقل تهديداً من الرجال بأي حال، لكن حرصاً منه أبقى سلسلة الأمان من دون أن يفكها.

«أجل، ما الأمر؟»

حاول أن يبدو غير مرحب. كل ما أراده هو أن يقرر هذا الشخص أياً كان أن يرحل ويدعه بسلام.

«مرحباً أكسل. لا أعلم ما إن كنت تتذكرني، لكنني كنت تلميذة في إحدى صفوفك في المدرسة. أنا أدعى إريكا فالك».

أخذ يبحث في ذاكرته عن هذا الاسم. لقد كان ذلك منذ سنوات

بعيدة، وقد مرّ على رأسه الكثير من الطلاب، إلا أن صورة مشوشة ما لفتاة شقراء صغيرة ظهرت في مخيلته. إنها هي ابنة عائلة تور.

«لا أعرف ما إن كنت أستطيع التحدث إليك قليلاً».

رمقته إريكا بنظرة ملحة من خلال شق الباب. أطلق أكسل تنهيدة عميقة ثم فتح قفل الباب ودعاها للدخول. لقد حاول ألا يفكر في كم الكائنات الصغيرة التي جلبتها معها إلى منزله النظيف. أشار إلى خزانة للأحذية ليلفت انتباهها أنه يجب عليها أن تخلع حذاءها قبل أن تدخل. أطاعت بتهذيب فنزعت الحذاء ووضعته داخل الخزانة وخلعت المعطف والوشاح وعلقتهما. أرشدها إلى الشرفة، حيث كراسي الخيزران ليتفادى أن تنشر ما جلبته معها من أوساخ في كافة أرجاء المنزل. جلست على إحدى الكراسي فقرر في سره أن يغسل الوسائد التي تغطيها ما إن تغادر منزله.

«لا شك في أن وقتاً طويلاً قد انقضى».

«أجل، لا بدّ أن تكون قد مضى حوالى خمس وعشرين عاماً منذ أن كنت في صفي إن كنت أحسب السنوات بشكل صحيح».

«أجل، هذا صحيح. أرأيت كيف تمضي السنوات بسرعة؟»

وجد أكسل هذا الحديث المليء باللياقات والمقدمات مثيراً للإحباط لكنه استسلم للواقع بتردد. كان يأمل أن تدخل في صلب الموضوع وتطلعه بسبب مجيئها إليه وأن ترحل بعدئذٍ وتدعه يشعر بأن المنزل ملكاً له وحده من جديد. لم يستطع أن يفهم بحق السماء ما الذي كانت تريده منه. لقد قدم إليه الطلاب القدامى ورحلوا بأعداد كثيرة على مدى السنوات، لكنه كان معفياً من رؤيتهم بشكل شخصي في الواقع منذ زمن، إلا أن إريكا فالك كانت تجلس الآن هنا قبالته. شعر وكأنه يجلس على الشوك وهو في الكرسي الخيزران أمامها. كان متلهفاً لأن يتخلص منها. كانت عيناه لا تفارقان الوسادة التي كانت

تجلس عليها، وقد تمكن بشكل مجازي من رؤية كل الباكتيريا التي جلبتها معها تزحف وتنتشر على الأريكة ومنها تنزل إلى الأرض. لعله لم يكن كافياً أن يغسل الوسادة وحسب بل عليه أن يقوم بتنظيف وتطهير المنزل كله بعد رحيلها.

«لعلك تتساءل عن السبب الذي أتى بي إلى هنا».

اقتصر رده على إيماءة من الرأس وحسب.

«لا بدّ أنك سمعت حول مقتل ألكسندا ويكنر».

كان قد سمع الخبر الذي حرّك في نفسه أشياء عمل لجزء طويل من حياته على محاولة نسيانها. تضاعف تمنيه الآن بأن تنهض إريكا فالك من مكانها وتخرج من الباب، لكنها كانت تجلس في مكانها هناك، وقد قاوم رغبة طفولية بأن يضع يديه فوق أذنيه ويدندن بصوتٍ عالٍ كي لا يسمع الكلمات التي كان يعرف أنها ستقول.

«لدي أسبابي الخاصة التي تجعلني أحقق في عدد من الأمور المتعلقة بألكس وحادث موتها، وإني أرغب في طرح بعض الأسئلة إن كنت لا تمانع».

أغمض أكسل عينيه مفكراً. لقد كان يعرف أن هذا اليوم آتٍ لا محالة، فقال: «حسناً، طيب. لابأس بذلك».

لم يشأ أن يسألها عن الأسباب التي دفعتها للسؤال عن ألكس، إذ يمكن أن تحتفظ بالأسباب لنفسها إذا ما رغبت بذلك. لم يكن الموضوع يعنيه أصلاً. يمكن لها أن تطرح الأسئلة التي تريد لكن ما من شيء يجبره على الإجابة، إلا أنه كان مندهشاً في الوقت ذاته من تلك الرغبة القوية بإخبار المرأة الشقراء التي تجلس قبالته كل شيء يعرفه، بأن يخفف عنه العبء الذي كان يثقل كاهليه والبوح بها لأي كان، لأن يفصح عن كل ما كان يخبئه في قلبه على مدى خمسة وعشرين عاماً. كان ذلك سراً يسمم حياته. كانت تنمو كحبوب

مزروعة داخل ضميره وتنتشر بطيئاً كالسم في جسده وعقله. في لحظات صفاء التفكير كان يدرك تماماً أن ذلك يقع في أساس هوسه للنظافة ورعبه المتزايد من أي شيء قد يهدد سيطرته على البيئة المحيط به. يمكن لإريكا فالك أن تطرح ما تشاء من أسئلة، لكنه سيفعل ما بوسعه ليتحقق من أجوبته. كان يعلم أنه إذا بدأ يفقد السيطرة ستنفجر جميع السدود وتهدد بإزالة الدرع الذي عمل على بنائه بعناية. لا يمكن لذلك أن يحصل.

«هل تتذكر ألكسندرا من أيام المدرسة؟»

افتر ثغره عن ابتسامة مريرة. معظم الأولاد الذين علمهم في المدرسة لم يخلفوا إلا ذكرى باهتة مشوشة وراءهم، إلا أن ذكرى ألكس وصورتها كانتا لا تزالان واضحتين في مخيلته كما كانتا منذ خمسة وعشرين عاماً مضت. مع أنه بالكاد كان يتمكن من الإفصاح عن ذلك بصوت مرتفع.

«أجل، إني أتذكر ألكسندرا. مع أني أتذكرها كألكسندرا كارلغرن وليس كألكسندرا ويكنر بالطبع».

«أجل، هذا واضح. ما الذي تتذكره منها من أيام المدرسة؟»

«كانت هادئة جداً، شاردة الذهن قليلاً وتتصرف كشخص أكبر من عمره».

لاحظ أن إريكا قد أصيبت بالإحباط لإجابته المقتضبة، لكنه كان يقوم بمحاولة واعية لأن يقول أقل كلام ممكن، وكأن الكلمات قد تستولي على لسانه وتبدأ بالتدفق على سجيتها إذا ما سمح لنفسه بقول الكثير منها.

«هل كانت تلميذة مجتهدة في المدرسة؟»

«حسناً، ليس كثيراً. لم تكن بين عداد الطلاب الأكثر طموحاً

الذين عرفتهم لكنها كانت تلميذة ذكية بطريقة هادئة. لقد كانت ربما من بين التلاميذ المتوسطي الاجتهاد في الصف».

ترددت إريكا قليلاً وأدرك أكسل أنهما كانا يقتربان من المسألة التي كانت تريد طرحها فعلياً.

لم تكن الأسئلة المطروحة حتى الآن سوى أسئلة تمهيدية لا أكثر بالنسبة إليها.

«لكن عائلتها انتقلت إلى مكان آخر في منتصف الفصل. هل تتذكر الأسباب التي قدمها والدي ألكس للانتقال؟»

ادعى أنه يفكر بالسؤال فوضع رؤوس أصابع يديه على بعضها، ملقياً ذقنه عليها في حركة توحي بأنه يحاول التذكر. لاحظ أن إريكا اقتربت قليلاً في جلستها على الأريكة مظهرة بذلك تلهفها لسماع الإجابة عن السؤال الذي طرحت. سوف يعمل على تخييب أملها. الأمر الوحيد الذي لا يمكنه إخبارها به هو الحقيقة.

«أجل، أعتقد أن والدها حصل على وظيفة في بلدة أخرى. لأكون صادقاً فأنا لا أتذكر تماماً لكنه شيء من هذا القبيل».

لم تتمكن إريكا من إخفاء خيبتها. وشعر أكسل مرة أخرى برغبة ملحة لأن يشق صدره ويفضح ما يخفيه فيه منذ تلك السنوات، لأن يزيل الحمل عن ضميره بقول الحقيقة المجردة كاملة، لكنه أخذ نفساً عميقاً ودفع بالفكرة التي كانت تهدد بفضح كل شيء.

تابعت إريكا بإصرار وقالت: «لكن القرار أتى مفجئاً نوعاً ما حسبما فهمت. هل سبق أن سمعت بالأمر، هل ذكرت ألكس أن العائلة كانت تريد الانتقال؟»

«حسناً، لا أظن أن الأمر مستغرب جداً. لقد أتى القرار مفاجئاً بالطبع نوعاً ما كما قلت إن كنت أتذكر بوضوح، لكن يمكن لتلك

الأمور أن تحصل بسرعة. لعل والدها تلقى عرضاً مع فترة إشعار قصيرة. كيف لي أن أعرف أنا؟»

رمى ذراعيه في الهواء في حركة تشير إلى أن ظن إريكا كان صحيحاً كما ظنه، وازداد عمق التقطيبة بين حاجبيها. لم تكن هذه الإجابة التي كانت تنتظر، لكنها ستكون مضطرة إلى أن تتقبلها. تابعت وقالت: «أجل، لكن أمر آخر حصل لاحقاً. أنا أتذكر ولو بشكل غير واضح من تلك الأيام أن الناس كانوا يتحدثون عن شيء ما له علاقة بألكس. كما أتذكر أيضاً أني سمعت الكبار يتحدثون عن أمر ما يتعلق بالمدرسة. هل تعلم ما قد يكون ذلك الذي كانوا يتحدثون عنه؟ لا أملك سوى ذكريات مشوشة كما قلت، لكنه كان أمراً تم كتمانه عنا نحن الأولاد الصغار».

شعر أكسل أن كافة مفاصل جسمه تتصلب. كان يأمل ألا يكون الذعر الذي كان يحسّ به جلياً ينعكس على ملامحه بقدر ما كان يشعر به. كان يعلم بالطبع أن الإشاعات كانت تنتشر من دون شك، لطالما كان هناك إشاعات. كان يستحيل إبقاء أي من الأمور سراً، إلا أنه كان يؤمن بأنه يمكن الحدّ من الضرر. حتى أنه ساعد على الحدّ منها بنفسه، كان هذا جزء من السبب الذي لا زال يتآكله حتى اليوم من الداخل. كانت إريكا تنتظر إجابته.

«كلا، لا يسعني أن أفكر في ما يمكن أن يكون ذلك، لكن هناك دوماً الكثير من الأحاديث التي تدور. أنت تعلمين كيف هم الناس. لا يكون هناك أي أساس لمعظم الإشاعات. لن أعلق أي أهمية لو كنت مكانك».

كانت الخيبة مرتسمة على كافة ملامح وجهها. لم تجد شيئاً مما أتت بحثاً عنه ها هنا. كان يتفهم ذلك تماماً، لكنه لم يكن يملك خياراً. كان الوضع أشبه بطنجرة ضغط. إن فتح الغطاء ولو قليلاً

فسينفجر كل شيء، إلا أن هناك ما بقي يصر على الخروج إلى العلن. لقد شعر وكأن أحدهم قد استولى على جسده. شعر بفمه ينفتح وبلسانه يبدأ بتكوين الكلمات، كلمات يجب أن تقال. غمره إحساس بالارتياح حين وقفت إريكا في مكانها ومرت اللحظة بصمت. وضعت معطفها عليها وانتعلت حذاءها ومدّت يدها نحوه. نظر إلى يده وابتلع ريقه بضع مرات قبل أن يصافحها. كان عليه أن يسيطر على رغبة له بالتكشير. كان الاتصال الجسدي عبر جلد شخص آخر يثير في نفسه قرفاً يتخطى كل وصف. خرجت أخيراً من الباب، لكنها استدارت في اللحظة التي كان يوشك فيها على إغلاقه.

«آه، بالمناسبة هل تعرف ما إن كانت هناك أي علاقة تربط بين كل من نيلز لورنتز وألكس أو بالمدرسة في ما يتعلق بهذا الأمر؟»

تردد أكسل للحظة، لكنه كان قد اتخذ قراره. سوف تعرف بالأمر عاجلاً أم آجلاً، إن لم يكن من خلاله هو فعبر شخص آخر لا محالة.

«ألا تذكرين؟ لقد كان هو يشغل منصب الأستاذ البديل في المدرسة المتوسطة وبقي لفصل واحد فقط».

أغلق أكسل الباب وأحكم القفل المزدوج ووضع الغلالات في مكانها واستند إلى الباب وأغلق عينيه.

أخرج بسرعة أدوات التنظيف وأخذ يمسح كافة الآثار التي خلفها الزائر غير المرحب به. لن يعود عالمه ينعم بالأمان إلا بعد الانتهاء من أعمال التنظيف.

كانت بداية الأمسية سيئة. كان لوكاس يشعر بمزاج متعكر حين أتى إلى المنزل، وحاولت أن تستبق كل طلباته وتلبيها له حتى لا تعطيه سبباً إضافياً لينزعج. كانت آنا تعلم أنه في هذه الحالة حين يأتي

إلى المنزل بمزاج متعكر كان يبحث عن أي عذر لإفراغ غضبه بوجهها.

كانت قد أولت عناية إضافية لإعداد الطعام. حضرت له طبقه المفضل وأعدّت المائدة بحيث بدت مثالية. كان عليها إبقاء الولدين بعيداً عبر حثهم على مشاهدة فيلم *The Lions King* على جهاز الفيديو في غرفة إيما وإطعام أدريان بحيث يغفو سريعاً. وضعت الموسيقى المفضلة لديه لشي بايكر واعتنت قليلاً بترتيب مظهرها فكرست جهداً إضافياً لتصفيف شعرها وترتيب تبرجها، لكن سرعان ما أدركت أن كل ما فعلته لم يكن مهماً الليلة. من الواضح أن لوكاس قد أمضى يوماً سيئاً جداً في العمل وأن الغضب الذي كان يزداد في داخله يجب أن يجد مخرجاً. رأت آنا الشرارة في عينيه، كان الأمر أشبه بانتظار قنبلة على وشك الانفجار.

أتتها الضربة الأولى من دون سابق إنذار. لقد وجه إليها صفعة من جهة اليمين جعلت رأسها يدور. أسندت وجنتها إلى يدها ورفعت نظرها إلى لوكاس وكأنها لا تزال تأمل أن شيئاً ما في داخله قد يدفعه إلى التراجع لدى رؤية الآثار التي تركها عليها، إلا أن ذلك لم يثر في نفسه إلا رغبة في إحداث المزيد من الضرر وإيذائها أكثر. لقد استغرقت أطول وقت ممكن لتفهم وتتقبل أنه يستمتع فعلياً في التسبب بالأذى لها. لقد آمنت على مدى سنوات طوال حججه القائلة بأن ضربه لها يؤذيه بقدر ما يؤذيها هي، لكن الأمر لم يعد كذلك الآن. لقد رأت الوحش الذي يسكن فيه من قبل، لكنه بات الآن مألوفاً جداً لها.

تكورت بطريقة غريزية من أجل أن تحمي نفسها من قوة الضربات التي كانت تعلم أنها ستنهال عليها. وحين بدأت الضربات تتوالى من دون توقف حاولت أن تصب كل تركيزها على نقطة ما في

داخلها، على مكان لم يتمكن لوكاس من الوصول إليه. إنه أمر باتت تتقن القيام به أكثر فأكثر. مع أنها كانت تعي قوة الألم كانت تستطيع إقصاء نفسها عنه معظم الأوقات. كانت وكأنها تطفو على السقف وتنظر إلى نفسها من فوق بينما تستلقي مكورة على الأرض ولوكاس يصب جام غضبه عليها.

صوت ما جعلها تعود بسرعة إلى أرض الواقع وتندس داخل جسدها من جديد. كانت إيما تقف بالباب تضع إبهامها داخل فمها وتحمل غطائها بين ذراعيها. كانت آنا قد جعلتها تتوقف عن مصّ إصبعها منذ أكثر من عام لكنها الآن كانت تمصه بقوة كبيرة لتشعر نفسها بالارتياح. لم يكن لوكاس قد لاحظ بعد وجودها بينما يقف مديراً ظهره لغرفة إيما، لكنه استدار فجأة حين لاحظ أن عيني آنا كانتا مسمرتين على شيء ما خلفه.

بسرعة هائلة وقبل أن تتمكن آنا من إيقافه وصل إلى ابنته ورفعها عن الأرض بعنف وأخذ يهزها بقوة لدرجة أن آنا تمكنت من سماع أسنانها تصطك في فمها. أخذت آنا تنهض عن الأرض لكن الأحداث بدت تسير على خطى بطيئة. كانت تعلم دوماً أنها تستطيع أن تعيد مجرى الأحداث ورؤية المشهد مجدداً بعين عقلها، مشهد لوكاس وهو يهز إيما التي كانت تنظر إلى أبيها العزيز الذي تحول فجأة إلى مجرد شخص غريب مثير للرعب.

رمت آنا بنفسها على لوكاس لتحمي إيما منه، لكن قبل أن تصل إليه راقبته مرتعبة كيف يخبط جسد ابنته الصغير على الحائط. سمعت آنا صوت الارتطام الفظيع وأدركت أن حياتها الآن قد تبدلت على نحو لا عودة فيه. كانت عينا لوكاس مغطاتين بما يشبه غشاء لماعاً. بدا وكأنه لا يفهم شيئاً حين نظر إلى الطفلة التي بين يديه قبل أن يضعها بعناية وحرص شديدين على الأرض. ومن ثم يرفعها بين ذراعيه

مجدداً كأنه يحمل طفلته الغالية، وينظر إلى آنا بعينين أشبه بعيني رجل آلي ويقول: «عليها الذهاب إلى المستشفى. لقد وقعت على السلالم وآذت نفسها. علينا أن نشرح لهم هذا. لقد سقطت على الدرج».

كان يطلق كلاماً غير مفهوم ويتوجه في الوقت ذاته نحو الباب الأمامي من دون أن ينظر خلفه ليرى ما إن كانت آنا سترافقه أو لا. لقد كانت هي بدورها في حالة ذهول تام وقد لحقت به على غير هدى. بدا لها وكأنها تسير في حلم ما لكنها تستطيع أن تستيقظ منه في أي لحظة.

لم يتوقف لوكاس عن تكرار الكلمات الآتية: «لقد وقعت عن الدرج. عليهم أن يصدقوننا طالما نحن نروي القصة ذاتها، لأننا سنخبرهم القصة ذاتها آنا. لقد وقعت عن الدرج، أليس كذلك؟»

كان لوكاس يهذي ويتحدث بشكل مفكك لكن كل ما فعلته كان أن أومأت برأسها. كانت تود انتزاع إيما التي تبكي بشكل هستيري من الحيرة والألم من بين ذراعي لوكاس، لكنها لم تجرؤ على فعل ذلك. في اللحظة الأخيرة وحين كانا قد أصبحا على الدرج استيقظت آنا من غفلتها وتذكرت أن أدريان لا يزال في الشقة وحيداً. عادت تهرع إلى الداخل وحملته بين ذراعيها وأخذت تهز له طوال الطريق نحو غرفة الطوارىء، إلا أن العقدة التي أحست بها في معدتها كانت لا تزال تكبر وتكبر.

«هلا تأتين لتناول الغداء معي؟»

«طبعاً، بكل سرور. متى يجب أن أحضر؟»

«يمكنني تحضير شيء ما في غضون ساعة واحدة فقط. هل يناسبك هذا؟»

«أجل، سيكون هذا رائعاً. سيتسنى لي الوقت بذلك أن أغتسل

قليلاً. أراك في غضون ساعة». توقفا قليلاً عن الكلام ومن ثم قال باتريك بتردد: «قبلاتي. إلى اللقاء».

شعرت إريكا بوجنتيها تحمران قليلاً من السعادة لأولى كلمات التحبب في علاقتهما. أجابت بالعبارة ذاتها قبل أن يقفلا الخط.

شعرت بنوع من الخجل مما كانت تخطط له بينما تعدّ طعام الغداء، لكنها شعرت أنها لا تستطيع فعل أي شيء آخر سوى التفكير في ذلك في حينها. حين رن الجرس بعد ساعة أخذت نفساً عميقاً ثم ذهبت لتفتح الباب. كان هذا باتريك وقد استقبلته بحرارة اضطرت إلى قطعها حين سمعت العداد يرن منذراً بنضوج المعكرونة.

«إنها المعكرونه على الطريقة البولونية».

«رائع، يبدو هذا شهياً. أنت حلم كل رجل، هل تعلمين ذلك؟»

تسلل باتريك من خلف إريكا ووضع ذراعيه حولها وأخذ يداعب عنقها بأنفه.

«أنت مثيرة وذكية ورائعة في الفراش وفوق كل ذلك والأهم أنك موهوبة جداً في المطبخ. ما الذي يمكن لرجل أن يطلب...؟»

رن جرس الباب فرمق باتريك إريكا بنظرة متسائلة. تفادت النظر في عينيه وذهبت لتفتح الباب بعد أن مسحت يديها بمنشفة المطبخ. كان دان يقف أمام باب منزلها. بدا متضايقاً جداً ويرتدي أسوأ ما لديه من ملابس. كان مطأطىء الرأس وكانت عيناه تخلوان من أي دلالة على الحياة. شعرت إريكا بالصدمة حين رأت حاله، لكنها تماسكت وحاولت ألا تظهر مشاعرها أمامه.

حين دخل دان المطبخ رمق باتريك إريكا بنظرة تساؤل. تنحنحت وقامت بتعريف أحدهما بالآخر.

«باتريك هيدشتروم - دان كارلسون. لدى دان أمر يخبرك به، لكن دعونا نجلس أولاً».

حملت وعاء مرق اللحم إلى غرفة الطعام. جلس الجميع إلى مائدة الطعام لكن التوتر كان يسيطر على الأجواء. شعرت إريكا بالكآبة للوضع السائد لكنها كانت تعرف أن ما تقوم به ضروري. كانت قد اتصلت بدان هذا الصباح وأقنعته بأن عليه أن يخبر الشرطة عن علاقته بألكس. وقد اقترحت أن يتم ذلك في منزلها هي مما يجعل المهمة الصعبة أكثر سهولة كما كانت تأمل.

تجاهلت نظرات باتريك الحائرة وبدأت الحديث تقول: «اسمع باتريك، دان هنا اليوم لأن لديه شيء ما يقوله لك بصفتك شرطي».

أومأت لدان في إشارة لأن يبدأ الحديث. كان دان يخفض نظره ويتأمل الصحن أمامه ولم يكن قد لمس شيئاً من طعامه. بعد مرور بضع لحظات أخرى من الصمت المشحون بالخجل بدأ دان كلامه بالقول: «أنا هو الرجل الذي كانت ألكس تقابله كما أني والد الطفل الذي كانت تتوقعه».

سمع صوت قرقعة حين أوقع باتريك الشوكة من يده على الصحن. وضعت إريكا يدها على ذراعه وأخذت تشرح: «دان واحد من أعز الأصدقاء إلى قلبي وأكثرهم قدماً باتريك. وجدت البارحة أن دان هو الرجل الذي كانت ألكس تلتقيه هنا في فيالباكا. لقد دعوت كلاكما إلى هنا لتناول العشاء لأني ظننت أنه من الأسهل التحدث في هذا الموضوع في ظل هذه الأجواء بدلاً من مخفر الشرطة».

لاحظت أن باتريك لم يحبذ كثيراً طريقة تدخلها في الأمر على هذا النحو، لكنها سوف تتعامل مع هذه المسألة لاحقاً. دان كان أحد أفضل أصدقائها وكانت تنوي أن تفعل ما بوسعها كي لا تسوء الأمور أكثر. حين تحدثت إليه عبر الهاتف أخبرها أن بيرنيللا قد أخذت الأولاد وذهبت إلى شقيقتها في مانكيدال. قال إنها كانت بحاجة لبعض الوقت لتفكر في الأمور. لم تكن تعرف ما الذي سيحدث ولم

يكن في وسعها أن تقدم أي وعود. كان دان يشاهد حياته تنهار برمتها. كان يريحه بطريقة ما أن يعترف للشرطة بما حدث، إذ إن الأسابيع القليلة الماضية كانت صعبة جداً عليه. وقد أجبر في الوقت ذاته على أن ينتحب على ألكس سراً، وقد كان يقفز من مكانه في كل مرة يرن هاتف المنزل أو يسمع طرقاً على الباب مقتنعاً أن الشرطة قد اكتشفت من هو الرجل الذي كانت ألكس تقابله وأتت لتأخذه. لم يعد دان يخشى إخبار الشرطة بالأمر طالما أن بيرنيللا أصبحت تعرف كل شيء. لا يمكن أن تصبح الأمور أسوأ مما هي عليه. لم يكن يأبه بما سيحل به طالما أنه لا يخسر عائلته.

«ليس لدان أي علاقة بالجريمة باتريك. سوف يطلعك على كل ما تريد أن تعرفه عنه وعن ألكس لكنه يقسم أنه لم يقم بإيذائها بأي طريقة، وأنا أصدقه تماماً. آمل أن تتمكن الشرطة من أن تحاول إبقاء الأمر طي الكتمان. تعلم كيف هم الناس وماذا يقولون، وقد عانت عائلة دان ما يكفي حتى الآن. كذلك الأمر بالنسبة إلى دان في ما يتعلق بهذه القضية. لقد ارتكب خطأً وإنه يدفع ثمناً باهظاً في المقابل صدقني».

لم يبدُ باتريك راضياً تماماً عما يحدث، لكنه أومأ في إشارة إلى أنه سيستمع إلى ما لديه ليقوله.

«أود التحدث إلى باتريك على انفراد إريكا».

لم تعترض على الأمر، بل نهضت من مكانها بتهذيب وذهبت إلى المطبخ لتغسل الصحون. تناهى إليها من هناك صوتي الرجلين يرتفعان وينخفضان. كانت تسمع صوت دان العميق الرخيم وصوت باتريك الذي كان أرفع نوعاً ما. كان النقاش يبدو حامياً من حين إلى آخر لكن حين أتيا إلى المطبخ بعد حوالى نصف ساعة كان الارتياح يبدو واضحاً على ملامح دان. أما باتريك فكانت معالم وجهه لا تزال

أكثر حزماً. حرص دان قبل مغادرته المنزل على أن يضم إريكا إليه ويصافح باتريك.

قال له الأخير: «سأدعك تعلم ما إن كان لدينا المزيد من الأسئلة لك. قد يكون عليك أن تحضر إلى المكتب وتدلي بإفادة مكتوبة كذلك».

هز دان رأسه بصمت وغادر بعد أن لوح لكليهما مودعاً.

لم تكن النظرة في عيني باتريك تبشر بالخير.

«إياك أن تفعلي هذا مجدداً أبداً إريكا، أتسمعين. إننا نحقق في جريمة قتل هنا وعلينا أن نقوم بكل شيء حسب الأصول».

كان يقطب جبينه حين يكون غاضباً واضطرت لأن تضبط نفسها وتتماسك لتمتنع عن طبع قبلة على ذاك الجبين تخفي بها تجاعيده.

«أعلم ذلك باتريك، لكنك كنت تضع والد الطفل المنتظر على رأس قائمة المشتبه بهم في تنفيذ الجريمة. أعلم أنه إن أتى دان إلى المخفر سوف تزجونه في غرفة التحقيق وقد تعاملونه بقسوة. لن يكون دان قادراً على تحمّل ذلك في الوقت الحالي، إذ إن زوجته قد أخذت الأولاد وغادرت بهم وهو لا يعرف ما إن كانوا سيعودون مجدداً. أضف إلى أنه قد خسر شخصاً يعني الكثير بالنسبة إليه كيفما كنت أنت تنظر إلى الأمور. لقد خسر ألكس في النهاية ولم يتمكن من إظهار حزنه عليها أمام أحد أو التحدث مع أي كان بالأمر. لهذا السبب ظننت أنه قد يبدأ من هنا في بيئة حيادية ومن دون أي تدخل لعناصر الشرطة. أفهم أن عليك أن تجري المزيد من التحقيق معه لكن الأسوأ قد انتهى الآن. أرجو أن تسامحني لخداعك باتريك، هل تظن أنه بإمكانك أن تغفر لي؟»

نفخت شفتيها بأكثر ما استطاعت من إغراء وتقدمت منه بدلال. أخذت ذراعيه ووضعتهما حول وسطها ورفعت نفسها على رؤوس

أصابعها لتتمكن من الوصول إلى شفتيه. مدّت رأس لسانها قليلاً تداعبه وما هي إلا لحظات حتى حصلت على الاستجابة المطلوبة. أبعدها عنه بعد لحظات وأخذ ينظر في عينيها بثبات وقال: «لقد حصلت على السماح هذه المرة لكن إياك أن تعيدي الكرة مطلقاً، أتسمعينني؟ أعتقد الآن أننا يجب أن نسخن ما تبقى من طعام في الميكروويف ونعالج مسألة قرقعة معدتي».

أومأت إريكا له وعادا يتأبط أحدهما ذراع الآخر إلى غرفة الطعام، حيث بقي طعام الغداء في الصحون من دون أن يمسه أحد.

عندما حان الوقت لعودة باتريك إلى المخفر وكان في طريقه نحو الباب تذكرت إريكا الموضوع الآخر التي تودّ أن تخبره به.

«كما تعلم، لقد سبق وأخبرتك عن الذكريات المشوشة التي لدي عن كلام سمعته يتعلق بألكس قبل انتقال عائلتها من البلدة مباشرة، وأن لديه ارتباط ما بالمدرسة. حاولت التحقق من الأمر لكنني لم أعثر على الكثير من المعلومات. لقد قام أحدهم بتذكيري بأنه كانت هناك علاقة ما بين ألكس ونيلز إضافة إلى واقع أن كارل- إريك قد عمل في مصنع التعليب لديهم. لقد كان نيلز يشغل منصب الأستاذ البديل في المدرسة المتوسطة في إحدى الفصول المدرسية. لم يسبق لي أن عرفته كأستاذ لكنه كان يعلّم الصف الذي فيه ألكس من وقت إلى آخر. لا أعلم ما إن كان لذلك أي أهمية لكنني فكرت بأن أطلعك على الموضوع في جميع الحالات».

توقف باتريك عن السير وتسمر عند عتبة الباب يفكر بصوت مرتفع وقال: «هكذا إذاً. كان نيلز أستاذ ألكس».

«لعل الأمر لا يحمل أي أهمية تذكر كما تقولين، لكن في الوقت الحالي جميع الروابط التي تجمع بين ألكس ونيلز لورنتز تعتبر مثار اهتمام. ليس لدينا الكثير من المعلومات التي نستطيع الإستناد إليها».

رمقها بنظرة جدية وتابع القول: «لقد قال دان أمراً ما علق في ذاكرتي. ذكر لي في نهاية الحديث أن ألكس قد تحدثت كثيراً عن أنها تريد أن تتصالح مع ماضيها وأنه من المهم أن تتحلى بالجرأة للاهتمام بالأمور الصعبة كي تتمكن من المضي قدماً بحياتها. أتساءل ما إن كان لهذا علاقة بما كنت تقولينه لي الآن إريكا».

صمت للحظة لكنه أعاد نفسه إلى الحاضر وقال: «لا أستطيع أن أحذف دان عن قائمة المشتبه بهم، آمل أن تتفهمي ذلك».

«أجل، أفهم ذلك باتريك، لكن أرفق به إذا استطعت. هل ستأتي الليلة؟»

«أجل، لكنني سأذهب فقط إلى المنزل لأبدل ملابسي وأحضر بعض الأغراض. سأكون هنا عند الساعة السابعة تقريباً».

قبّل أحدهما الآخر مودعاً وذهب باتريك إلى سيارته. وقفت إريكا عند مدخل المنزل وراقبته إلى أن اختفت السيارة عن ناظريها.

لم يعد باتريك مباشرة إلى العمل. ومن دون أن يعرف سبب ما يفعل وجد نفسه يحضر مفاتيح شقة أندرز ويغادر المخفر. قرر أن يذهب إلى هناك ويفتش في أرجاء الشقة بهدوء وسلام. كان يريد الآن أي شيء يزوده بخيط ما في القضية. بدا وكأنه كان يركض في ممرات مسدودة حيثما ذهب، وكأنهم لن يعثروا على القاتل أو القتلة أياً كانوا. كما قالت إريكا، فإن حبيب ألكس السري كان على رأس قائمة المشتبه بهم. لكن باتريك لم يعد واثقاً من ذلك الآن. لم يكن مستعداً بالكامل لأن يحذف اسم دان عن القائمة، لكن كان عليه أن يعترف أن هذا الخيط لم يعد مثيراً للحماسة كما في البداية.

كان الجو في شقة أندرز غريباً. كان باتريك لا يزال يحتفظ

بصورته في خياله وهو يتأرجح على الحبل ببطء إلى الأمام وإلى الوراء، مع أن الحبل كان قد قطع في الوقت الذي وصل هو فيه إلى الشقة حينئذٍ ورآه. لم يكن يعلم ما الذي يبحث عنه لكنه وضع زوجاً من القفازات كي لا يفسد أي من الإثباتات والدلائل. وقف تحت علاقة الحديد في السقف تماماً، حيث كان الحبل مربوطاً، وحاول أن يتخيل كيف تمت الأمور. كيف تم رفع أندرز على ذاك النحو؟ كان يستحيل تخيلِ الأمر ببساطة. كان السقف مرتفعاً جداً، حيث كانت الأنشوطة معقودة. لا بدّ أن رفع جسد أندرز كل هذه المسافة قد تطلب قوة كبيرة. لقد كان نحيلاً جداً بالطبع، لكن لا بدّ أنه كان لا يزال ثقيل الوزن نظراً إلى طول جسمه. سوف يتذكر باتريك أن يتحقق من وزن أندرز عندما يصله التقرير المتعلق بتشريح الجثة. التفسير الوحيد الذي وجده لما حصل هو أن عدداً من الأشخاص قد تعاونوا معاً من دون شك على رفعه، لكن كيف حصل أنه لم توجد أي علامات على جسد أندرز. حتى لو تم تخديره نوعاً ما فإن رفعه إلى هذا العلو لا بدّ أن يكون قد ترك علامات ما على جسده. لكن هذا لا يضيف شيئاً على القضية.

أخذ يفتش الشقة بتأن أكبر وينظر عن كثب إلى كل شيء يراه. بما أنه لم يكن هناك الكثير من الأثاث، سوى الفراش الذي كان ينام عليه في غرفة الجلوس والطاولة مع الكرسيين في المطبخ، لم يكن هناك الكثير من الأمور التي تتطلب معاينتها. لاحظ باتريك أن الأمكنة الوحيدة التي تتوفر فيها مساحة لحفظ أغراض ما كانت خزانات المطبخ، فشرع يفتش فيها واحدة تلو الأخرى. لقد سبق أن تم تفتيشها كل على حدة، لكنه كان يريد أن يحرص أنه لم يجر إغفال أي شيء.

فتش في الدرج الرابع فوجد دفتراً صغيراً لتدوين الملاحظات فأخرجه ووضعه على طاولة المطبخ لمعاينته عن كثب. رفع الورقة

الصغيرة في يده قبالة الضوء المتسلل من نافذة المطبخ ليرى ما إن كان عليها أي أثر لكتابة ما منقوشة. كان محقاً تماماً بما فكر فيه إذ تأكد أنه كانت هناك بالفعل آثار لنقش مما كتب على الصفحة السابقة، ولجأ إلى حيلة قديمة أثبتت فعاليتها في إظهار ما كتب. استعمل قلم رصاص وجده في الدرج ذاته الذي وجد فيه دفتر الملاحظات وأخذ يحف بخفة جانب القلم فوق الآثار الموجودة على الورقة. لم يتمكن إلا من رؤية بعض أجزاء من النص المدون، لكنه كان كافياً لإبراز مضمون الرسالة المنقولة من خلاله. أطلق باتريك صفارة بصوت خافت لما رآه، إذ كان ذلك مثيراً للاهتمام كثيراً. كانت الورقة تشكل الحافز الذي سيدير عجلة التحقيق، وضع ورقة الملاحظات بعناية في إحدى الأكياس البلاستيكة التي أحضرها معه في السيارة.

تابع البحث داخل الأدراج فوجد أن معظم محتوياتها تقتصر على الخردوات، لكن الدرج الأخير الذي بحث فيه عثر بداخله على شيء مثير للاهتمام. نظر إلى قطعة الجلد التي كان يحملها بين أصابعه. كانت تشبه تماماً تلك التي رآها في منزل ألكس حين كان هناك برفقة إريكا. كانت ملقية على الطاولة التي بقرب سريرها، وكان منقوشاً عليها الأحرف ذاتها التي كان يقرأها هنا أمامه الآن والتي تقول: ."1976 T.T.M"

حين قلبها على الجهة الأخرى لاحظ أنها كتلك التي في منزل ألكس، تحمل بعض بقع الدماء القاتمة اللون. لم تكن العلاقة الغامضة التي تجمع بين كل من ألكس وأندرز بالأمر الجديد، إلا أن أكثر ما كان يثير حيرته وارتباكه هو ذاك الشعور الذي كان يتآكله فيما ينظر إلى قطعة الجلد.

شيء ما في لاوعيه كان يتطلب كامل انتباهه. شيء ما في داخله كان يحاول أن ينبئه أن الرقعة الصغيرة كانت تحمل أهمية ما. من

الواضح أن باتريك كان يغفل شيئاً ما، لم يكن يستطيع رؤيته ببساطة، لكنه لم يكن يعرف أن التاريخ المنقوش على رقعة الجلد كان يخبره بأن العلاقة بين أندرز وألكس كانت تعود إلى ذاك الزمن. إلى العام 1976 على الأقل. إلى العام الذي سبق انتقال ألكس وعائلتها من فيالباكا واختفائهم من دون أن يتركوا أي أثر خلفهم لمدة اثني عشر شهراً. وقبل عام واحد من اختفاء نيلز لورنتز للأبد. نيلز الذي كان وفقاً لما قالته إريكا الأستاذ الذي علم في المدرسة التي كان يرتادها كل من ألكس وأندرز.

أدرك باتريك أن عليه التحدث حتماً إلى أفراد عائلة ألكس. إن كانت الشكوك التي بدأت تتخذ شكلها في رأسه صحيحة، فإنهم الوحيدون الذين يملكون الأجوبة النهائية لأسئلته، الإجابات التي يمكن أن تجمع قطع الأحجية التي بات قادراً على تخيلها في رأسه.

تناول ورقة الملاحظات ورقعة الجلد ووضعهما في كيسين وألقى نظرة أخرى على غرفة الجلوس قبل أن يرحل. تراءى أمامه مجدداً وجه أندرز الشاحب وجسده النحيل وهو يتأرجح في الفراغ. تعهد في نفسه أن يمضي قدماً في تقصي الحقيقة حتى النهاية وأن يكشف عن السبب الذي دفع بأندرز إلى وضع حدّ لحياته على حبل المشنقة. إن كانت التخيلات التي راودته حتى الآن صحيحة فسيكون ما حصل مأساة تفوق كل تصور. كان يأمل بصدق أن يكون مخطئاً.

عثر باتريك على اسم غوستا في دفتر أرقام الهاتف فاتصل به على هاتف المخفر مباشرة. لعله كان يقاطعه في هذه الأثناء عن لعبة solitaire التي كان مولعاً بها.

«مرحباً، معك باتريك».

بدا صوت غوستا متعباً، كما هو في العادة، على الطرف الآخر

حين أجاب: «أهلاً باتريك». كان الملل والقنوط اللذان يملآن حياته يمنحانه مظهراً متعباً من الداخل والخارج.

«اسمع، هل رتبت موعداً للقاء عائلة كارلغرن أم بعد؟»

«كلا، لم يتسن لي الوقت للقيام بذلك. كان علي الاهتمام بعدد من القضايا الأخرى العالقة».

بدا موقف غوستا دفاعياً على الهاتف. لقد وضعه سؤال باتريك على المحك. كان يشعر بالتوتر لخشيته من أن يتعرض للانتقاد لأنه لم ينفذ المهمة المطلوبة منه حتى الآن. لم يتمكن ببساطة من أن يجبر نفسه على القيام بذلك. بدت مهمة رفع سماعة الهاتف وإجراء الاتصال مستحيلةً بالنسبة إليه، أما أن يستقل سيارته ويقود إلى غوتبرغ فمهمة يستحيل التفكير بها حتى.

«هل لديك أي اعتراض إذا قمت أنا بهذه الزيارة بدلاً منك؟»

كان باتريك يدرك تماماً أنه سؤال عرضي بكل بساطة. كما كان يعي جيداً أن غوستا سيشعر بسعادة عارمة للتملص من المهمة. فكر غوستا للحظة ثم أجاب بصوت فيه نبرة فرح مستجدة وقال: «كلا، بالطبع لا! إن كنت تشعر أنك تود استلام المهمة بدلاً مني فلا بأس إنها لك. لدي أمور أخرى كثيرة أهتم بها لدرجة أنني لم أكن أعرف كيف سأتدبر بعض الوقت للقيام بهذه تحديداً».

كان كلاهما يعي أنه يمارس لعبة على الآخر إلا أن الأدوار التي يضطلع بها كل منهما منذ سنوات كانت تجديهما نفعاً وتناسبهما تماماً. يمكن لباتريك أن يفعل ما يشاء ويمكن لغوستا بعد أن اطمأن لمعرفته أن المهمة قد أوكلت إلى سواه أن يعود إلى اللعبة التي كان يمارسها على الكومبيوتر.

«إذا ما تمكنت من أن تعطيني رقم هاتفهم فسوف أتصل بهم في الحال».

«أجل، بالطبع إنه هنا أمامي، دعني أرى...» وقرأ له غوستا الرقم.

دونه باتريك على دفتر الملاحظات الصغير الذي يبقيه دوماً على لوحة عدادات السيارة. شكر غوستا وأقفل الخط كي يتمكن من الاتصال بعائلة كارلغرن. تضرع من أعماقه أن يجدهما في المنزل. وقد حالفه الحظ فعلاً إذ أجاب كارل-إريك على الهاتف بعد الرنة الثالثة. بدا الرجل متردداً قليلاً حين شرح له باتريك الأمر في البداية، لكنه وافق أخيراً على مجيء باتريك لطرح بعض الأسئلة. حاول كارل-إريك أن يستفسر عن نوع الأسئلة التي سيطرحها، إلا أن باتريك أجاب أن لديه بعض النقاط الغامضة التي يأمل أن يعملوا على إيضاحها. أخرج سيارته من المرآب أمام مجمع الشقق وانعطف عند أول مفترق إلى اليمين، ومن ثم إلى اليسار عند التقاطع التالي، متجهاً نحو الطريق السريع نحو غوتبرغ. كان الجزء الأول من الطريق بطيئاً ذا أزقة ضيقة متعرجة تجتاز الغابة لكن ما إن وصل إلى الطريق السريع أخذ يسرع قليلاً. اجتاز منطقة دينغل ووصل إلى مانكيدال وأدرك أنه قد قطع نصف المسافة حين أصبح في أودفيلا. كان صوت الموسيقى يملأ السيارة كما هي العادة حين يقود. كان يعتقد أن هناك شيئاً ما في القيادة يسبب الاسترخاء. بقي جالساً قليلاً في السيارة خارج الفيللا الكبيرة المضاءة باللون الأزرق في كالتروب يستجمع قدراته. إن كان حدسه صائباً، فإنه كان على وشك أن يعكر صفو العائلة ويشتتها لا محالة، لكن عمله كان يقتضي هذا منه أحياناً.

دخلت سيارة ما إلى الطريق الخاصة. لم تكن قد رأتها، لكنها سمعت صوت العجلات على الحصى. فتحت إريكا الباب الأمامي للمنزل ونظرت إلى الخارج. فتحت فمها دهشة حين رأت الشخص

الذي كان يخرج من السيارة. لوحت لها آنا متعبة ثم فتحت الباب الخلفي لترفع الطفلين من مقعديهما. انتعلت إريكا حذاءً في قدميها وأسرعت إلى الخارج لتقديم المساعدة لأختها. لم تقل آنا كلمة واحدة عن مجيئها وفهمت إريكا السبب الذي دفعها لذلك.

بدت آنا شاحبة اللون بمعطفها الأسود. رفعت إيما بهدوء وعناية ووضعتها على الأرض وعملت إريكا على فك حزام مقعد أدريان ورفعته بين ذراعيها. افتر ثغره عن ابتسامة شكر عريضة فبان الفك الخالي من الأسنان وشعرت بأن شفتيها تفتران عن ابتسامة كذلك في ردّ على شكره. ثم رمقت أختها نظرة استفسار وتساؤل، لكن آنا هزت برأسها بصمت، وكأنها تقول لها: «لا تسأليني». كانت إريكا تعرف شقيقتها بما يكفي لتدرك أنها ستتكلم على الأمر حين تشعر بتحسن وتصبح مستعدة للكلام وأنه سيتعذر عليها سحب أي كلمة منها قبل ذلك الحين.

«تخيلوا أي زارئين رائعين قد قدموا إليّ اليوم، تخيلوا أنكم قد حضرتم جميعاً لزيارة خالتكم العزيزة».

تمتمت إريكا شيئاً ما في أذن الطفل الذي بين ذراعيها وابتسمت له ثم نظرت نحو إيما لتلقي عليها التحية كذلك. لطالما كانت إيما تحبها كثيراً وتعتبرها المفضلة لديها، إلا أنها هذه المرة لم ترد على ابتسامتها، بل تمسكت بمعطف أمها بقوة وأخذت تحدق بإريكا بارتياب.

سبقتهما إريكا وأدريان إلى دخول المنزل وتبعت آنا خطواتهما على مسافة قريبة منهما تمسك إيما بيد وتجر حقيبة صغيرة باليد الأخرى. أصيبت إريكا بالدهشة حين رأت أن منطقة تحميل الأمتعة في الحافلة الصغيرة تعج بالحقائب، لكنها بذلت مجهوداً هائلاً لئلا تطرح أي أسئلة.

بطريقة تخلو من البراعة وبيدين غير متمرستين حاولت إريكا نزع المعطف عن أدريان في حين ساعدت آنا إيما على خلع معطفها بمهارة الأم طبعاً. وقد لاحظت إريكا عندئذٍ فقط أن إحدى ذراعي إيما كانت مضمدةً وملفوفةً بالجبس حتى المرفق. رمقت آنا نظرة ملؤها الصدمة. كانت إيما لا تزال تنظر إلى إريكا بعينين كبيرتين جديتين وتلازم أمها ولا تفترق عنها للحظة. كما كانت قد دست إبهامها في فمها مما أنبأ إريكا بأن أمراً خطيراً ما قد حصل. كانت آنا قد أبلغتها منذ عام تقريباً أنها قد خلصت إيما من عادة مصّ الإصبع.

ذهبت إريكا إلى غرفة الجلوس وجلست على الأريكة تضع أدريان في حضنها سعيدة بجسده الدافىء الذي ينعم بالاطمئنان بين ذراعيها. رفع الصبي نظره إليها بدهشة، وينير وجهه الصغير عدد من الابتسامات المتلاحقة، وكأنما لا يستطيع أن يقرر ما إن كان يريد الضحك أو لا. كان جذاباً جداً وعذباً بحيث كادت إريكا تلتهمه قطعة واحدة.

«هل كانت الرحلة مريحة؟»

لم تعرف إريكا ما الذي تقوله تحديداً لكن الدردشة قد تجدي نفعاً إلى أن تقرر آنا أن تخبرها بما يجري.

«أجل، لقد كانت رحلة طويلة نوعاً ما، فقد مررنا بدالسلاند. وأصيبت إيما بالدوار في السيارة لكثرة تعرج الطرقات التي تخترق الغابة، لذا اضطررنا إلى التوقف مرات عديدة على الطريق من أجل أن تحصل على بعض الراحة والقليل من الهواء المنعش».

«أفترض أن ذلك لم يكن مسلياً كثيراً بالنسبة إليك إيما، أليس صحيحاً؟»

حاولت إريكا أن تخلق حلقة تواصل ما مع إيما فهزت لها الطفلة

رأسها، إلا أنها ظلت تسترق النظر من تحت أهداب ثياب أمها وتتمسك بها.

قالت آنا: «أظن أنه يمكنك أن تأخذي قيلولة الآن إيما. أتظنين أن هذا يناسبك؟ فأنت لم تنامي لحظة واحدة ولم تغمض عيناك طوال الرحلة، لا بدّ أنك متعبة جداً».

أومأت إيما إيجاباً موافقة على كلام أمها، وبدأت تفرك عينيها بيدها السليمة، وكأنما طلبت إليها ذلك.

«هل أستطيع أخذ الولدين إلى الطابق العلوي وأضعهما في السرير ليناما إريكا؟»

«أجل، بالطبع. ضعيهما في غرفة ماما وبابا. إني أنام هناك في الوقت الحالي، لذا فإن السريرن جاهزان».

أخذت آنا أدريان من بين ذراعي إريكا التي شعرت بالسعادة أنه تذمر احتجاجاً على انتزاعه من حضن عمته الدافىء.

حين وصلوا إلى منتصف الطريق صعوداً على السلالم ذكرتها إيما قائلة: «أريد غطائي ماما». فعادت آنا أدراجها نزولاً بحثاً عن الحقيبة التي تركتها في ردهة الاستقبال.

«هل تريدين بعض المساعدة؟»

ظنت إريكا أنه من الصعب على آنا أن تحافظ على توازنها وهي تحمل أدريان على ذراع وتجر الحيبقة باليد الأخرى سيما أن إيما كانت ترفض بعناد أن تفلت أمها.

«كلا، أشكرك. فأنا متعودة على فعل ذلك».

افتر ثغر إريكا عن ابتسامة ملتوية مفعمة بالمرارة، وقد لاقت إريكا صعوبة بالغة في تفسير معناها.

بينما كانت آنا تضع الطفلين في السرير تعمدت إريكا أن تشغل نفسها بإعداد القهوة. اندهشت لكثرة فناجين القهوة التي تناولت في

الفترة الأخيرة. سرعان ما ستبدأ معدتها تعترض على ما تفعله بها. تجمدت في مكانها بينما تحمل ملعقة من البن لتضعها في الإبريق فوق المصفاة. لقد كانت ملابس باتريك منتشرة في كل أرجاء غرفة النوم وينبغي أن تكون آنا مطلقة الغباء كي لا تعرف ما الذي يعنيه ذلك. ولم تكن ابتسامتها الماكرة حين عادت تنزل السلالم بعد لحظات سوى تأكيداً كافياً على ما كانت تفكر فيه.

«إذااااااااا أختاه. ما الذي يحصل معك ولم تخبريني به؟ ومن هو ذاك الرجل الذي يلاقي صعوبة كبيرة في إعادة تعليق ملابسه ووضعها في مكانها؟»

شعرت إريكا أنها أخذت تحمر خجلاً وأجابت: «حسناً، لقد... لقد حصل كل شيء بسرعة، أنت تعلمين كيف تسير الأمور».

لاحظت إريكا أنها كانت تتلعثم كثيراً في ردّها، وأن آنا كانت تستمتع بما يحدث. باتت خطوط القلق التي تبرز في وجهها أخف ظهوراً، فلمحت إريكا حينئذٍ أطيافاً من أختها التي عرفتها قبل أن تلتقي لوكاس.

«حسناً، قولي لي من يكون؟ كفي عن الهذر وأخبري أختك الصغرى بتفاصيل مفيدة. يمكن لك أن تبدأي حديثك بالإفصاح عن اسمه على سبيل المثال. هل هو شخص أعرفه؟»

«أجل هو كذلك في الواقع. لا أعلم ما إن كنت تتذكرين شخصاً يدعى باتريك هيدشتروم؟»

أطلقت آنا صيحة تعجب وصفعت بكفها على ركبتها وقالت: «باتريك! بالطبع أنا أتذكر شخصاً يدعى باتريك! كان معتاداً على اللحاق بك من مكان إلى آخر كجرو صغير يمد لسانه خارج فمه لاهثاً. لقد حصل على فرصته أخيراً...».

«أجل، أعني إني كنت أعلم أنه كان يكنّ لي بعضاً من الإعجاب حين كنا أصغر سناً لكن لم أكن أعلم كيف كان يشعر حقاً. . .».

«بالله عليك! لا بدّ أنك كنت مصابة بعمى تام! لقد كان غارقاً في حبك من رأسه حتى أخمص قدميه. يا إلهي، كم هو أمر رومنسي. ها هو يتوق إليك كل تلك السنوات لتنظري أخيراً في عمق عينيه وتكتشفي أنه حب حياتك».

قبضت آنا بكفها على قلبها بشكل درامي، ولم تتمكن من أن تمنع نفسها من الضحك. تلك كانت الأخت التي تعرفها وتحبها.

«حسناً، لم يكن الأمر كذلك تماماً. لقد كان متزوجاً في تلك الفترة إلا أن زوجته تخلت عنه منذ بضعة سنوات وهو الآن مطلق ويعيش في تانومشيد».

«وما الذي يفعله إذاً في الحياة؟ لا تقولي لي إنه مجرد نجار. سأشعر بكثير من الغيرة إن كان كذلك بالفعل، فلطالما حلمت بإقامة علاقة جنسية حارة مع شاب يشتغل بالنجارة».

مدت إريكا لسانها خارج فمها بطريقة طفولية فبادرت آنا إلى القيام بالحركة ذاتها.

«كلا، إنه ليس نجاراً. إنه شرطي إن أردت أن تعرفي حقاً ما هي مهنته».

«شرطي إذاً. حقاً. . . حقاً. ماذا أسمع؟ أي إنه رجل يحمل هراوة، بكلام آخر. ليس هذا سيئاً جداً. . .».

كادت إريكا تنسى كم يمكن لأختها أن تكون مصدر إغاظة. هزت رأسها ببساطة بينما تسكب القهوة في فجانين. شعرت آنا أنها في منزلها، فذهبت إلى البراد وأخرجت منه قنينة الحليب وسكبت القليل في فنجانها والقليل في فنجان إريكا. كانت ابتسامة الإغاظة قد

اختفت عن وجهها وأدركت إريكا أنها بصدد أن تكتشف الآن السبب الذي جعل آنا وولديها يظهرون فجأة في فيالباكا على هذا النحو.

«حسناً، ها قد انتهت قصة الحب التي أخبرتك عنها. وبشكل نهائي. أفترض أنها امتدت على سنوات عديدة لكنني لم أدرك وجودها حتى اليوم».

غرقت آنا في الصمت وأخذت تحدق بعينين حزينتين إلى فنجان قهوتها.

«أعلم أنك لم تحبي لوكاس يوماً لكنني أنا أحببته بالفعل. لقد تمكنت وبطريقة ما أن أجد تفسيراً منطقياً للسبب الذي كان يدفعه إلى ضربي. لقد كان يطلب السماح مني دوماً وكان يقسم أنه يحبني أو أنه كان معتاداً أن يقول ذلك على الأقل. لقد تمكنت وبطريقة ما أن أقنع نفسي بأن الذنب كان ذنبي أنا. لو أني استطعت فقط أن أكون زوجة أفضل، وحبيبة أفضل وأماً أفضل فما كان ليضربني».

كانت آنا تجيب عن أسئلة إريكا الصامتة التي لم تسألها في العلن.

«أجل، أعلم أن الأمر يبدو تافهاً لكنني كنت أجيد خداع نفسي بما لا يصدق. وقد شفع له كثيراً أنه كان أباً صالحاً لكل من إيما وأدريان. لم أكن أريد أن أبعدهما عن والدهما».

«إلا أن شيئاً ما قد حدث، أليس كذلك؟»

كانت إريكا تحث آنا على متابعة حديثها. كان بإمكانها أن ترى كم كان يصعب عليها التحدث عن الأمر. لقد جرح كبرياءها، ولطالما كانت آنا شخصاً يتمتع بكبرياء كبير، ولا يعترف بخطئه إلا بعد تردد.

«أجل، لقد حصل شيء ما بالفعل. لقد جن جنونه عليّ الليلة الماضية كما اعتاد أن يفعل. كما جرت العادة بشكل متكرر جداً في الفترة الأخيرة في الواقع، لكن البارحة...».

خفت صوت آنا فجأة وابتلعت ريقها بضع مرات كي تتفادى انسياب دموعها فوق وجنتيها.

«لقد انقض الليلة الماضية على إيما. كان حانقاً جداً وفي خضم العراك الدائر دخلت الفتاة الغرفة ولم يتمكن من ردع نفسه». ابتلعت آنا ريقها مجدداً وتابعت: «لقد هرعنا إلى غرفة طوارىء المستشفى، حيث تأكدنا أنها تعاني من كسر في ذراعها».

«أفترضُ أنك أبلغت الشرطة عن تصرف لوكاس. ألم تفعلي؟»، شعرت إريكا بفورة من الغضب تثير أعصاب معدتها وتصيبها بعقدة لا تنفك تزداد حدة.

بالكاد سُمع صوت آنا وهي تقول: «كلا». وسالت الدموع من عينيها وانسابت على وجنتي وجهها الشاحب وتابعت: «كلا، لم أبلغ عنه بل قلنا إنها وقعت من فوق السلالم».

«لكن، بحق السماء، هل صَدقوا ذلك؟»

افتر ثغر إريكا عن ابتسامة ملتوية وقالت: «تعرفين كم يمكن للوكاس أن يكون جذاباً ومقنعاً. لقد تمكن من إقناع الأطباء والممرضات بالكامل وكادوا يتعاطفون معه ويشعرون بالأسف نحوه كما نحو إيما المسكينة».

«لكن آنا عليك أن تبلغي الشرطة عنه. لا يمكن لك حتماً أن تدعيه يفلت بفعلته».

نظرت إلى أختها الباكية بعطف. كان تشعر بصراع بين التعاطف والغضب. لقد كانت آنا تذوب أمام عينيها.

«لن يحصل ذلك مجدداً أبداً، سأحرص على أن يتم ذلك. لقد كنت أدعي أني كنت أصغي لأعذاره ومن ثم عملت على توضيب أغراضي ورحلت عن المنزل ما إن غادر إلى العمل. ولا أنوي مطلقاً العودة إليه مجدداً، لن يحظى لوكاس بأي فرصة لأن يؤذي طفليّ مرة

أخرى. لو كنت قد أبلغت الشرطة عنه لكانوا أحضروا أفراداً من هيئة الخدمة المدنية الذين كانوا سيأخذون الطفلين ويحرموننا إياهما لكلينا».

«لكن لوكاس لن يهدأ باله، لأنك أخذت الولدين منه آنا. كيف ستتمكنين من إثبات أنك أنت الوحيدة التي تملكين الحق في الحصول على حضانة الطفلين من دون أن يكون معك تقرير من الشرطة ومحاضر تحقيق؟»

«لا أعلم إريكا، لا أعلم. لا يسعني التفكير بالأمر الآن، كان عليّ أن أبتعد عنه وحسب. سيتم الترتيب للأمور المتبقية لاحقاً. أرجو ألا تصرخي في وجهي!»

وضعت إريكا فنجانها على الطاولة ونهضت عن الكرسي ووضعت ذراعيها حول كتفي أختها. أخذت تمسّد شعر أختها وتتمتم كلام مواساة. سمحت لآنا أن تبكي على كتفها وشعرت بكنزتها تصبح أكثر رطوبة. وكانت كراهيتها للوكاس في الوقت ذاته تزداد. كانت تود أن تسدد لكمة لوجه ذاك اللعين الحقير.

نظرت بريجيت إلى الشارع من وراء الستائر التي كانت تخفيها. استطاع كارل-إريك أن يدرك مدى توترها بسبب تقوس كتفيها. لم تتوقف تذرع الأرض ذهاباً وإياباً بتوتر منذ أن اتصلت الشرطة. للمرة الأولى منذ عقود كان يشعر بالسكينة التامة في داخله. كان كارل-إريك ينوي أن يزود الشرطي بكافة الإجابات التي يعرف إن طرح عليه الأسئلة المناسبة.

لم تكف الأسرار تحرقه من الداخل لسنوات عديدة. لقد كان الأمر أكثر سهولة بالنسبة إلى بريجيت بطريقة ما. لقد تصرفت مع الوضع بحالة من النكران التام وكأنه لم يحدث يوماً. كانت ترفض

التحدث بالموضوع، ومضت تتابع حياتها وكأن شيئاً لم يكن، لكنه قد حدث. لم يمض يوم واحد من دون أن يفكر بالموضوع، وكان العبء يبدو أكثر ثقلاً في كل مرة. كان يعلم أن ظاهر الأمور يبين بريجيت على أنها الأكثر صلابة بينهما. كانت تشرق في كافة المناسبات الاجتماعية كنجمة في حين كان يبدو هو إلى جانبها باهتاً خفياً وكأن لا وجود له. كانت ترتدي ملابسها الأنيقة وتضع مجوهراتها الباهظة وتتبرج وكأنها جندي يرتدي درعه.

حين كانت تعود من إحدى الأمسيات البراقة المنهكة التي لا تنتهي وتنزع الدرع عنها كانت تبدو وكأنها تنهار وتغرق في العدم. كل ما يتبقى من ذاك المظهر المبهرج كان طفلاً يرتعش يشعر بعدم الأمان ويتعلق به للحصول على الدعم. لقد عاش طوال فترة زواجه يتمزق بين شعورين متناقضين حيال زوجته، فجمالها وضعفها كانا يثيران فيه مشاعر الحنان وغريزة الحماية بما يجعله يشعر بأنه رجل، إلا أن انعدام إرادتها في مواجهة أصعب مواقف الحياة كان يقوده إلى حافة الجنون. أكثر ما كان يثير حفيظته هو علمه أنها لم تكن غبية إلا أن طريقة تربيتها قد علمتها بأنه على المرأة أن تخفي وبأي ثمن أنها تتمتع بأي نوع من أنواع الذكاء، فكانت تركز كل طاقتها بدلاً من ذلك على أن تكون جميلة وضعيفة كما على ضرورة أن ترضي الآخرين. حين كانا متزوجين حديثاً لم يكن يرى أي غرابة في ذلك لأن ذلك كان المزاج السائد الذي يحكم تلك الأوقات، لكن الزمن قد تغير ملقياً بمطالب مختلفة بالكامل على كل من الرجال والنساء. لقد تكيف هو مع التغيير الحاصل أما زوجته فلم تفعل مطلقاً. لهذا السبب سيكون هذا اليوم صعباً جداً بالنسبة إليها. كان كارل- إريك يؤمن في قرارة نفسه أنها تعلم ما الذي ينوي فعله وأنها لهذا السبب كانت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً لما يقارب الساعتين حتى الآن، لكنه كان يدرك أيضاً أنها

لم تكن تنوي أن تسمح له بأن يخرج أسرار العائلة إلى العلن من دون حصول شجار.

التفتت بريجيت إليه تهز يدها بقوة، وقد بدات عليها العصبية وسألته: «لماذا ينبغي على هنريك أن يكون هنا؟»

«الشرطة تريد التحدث مع العائلة وهنريك فرد من أفراد العائلة، أليس كذلك؟»

«أجل، لكنني أعتقد أنه من غير الضروري إقحامه في كل هذا. لعل الشرطة ستقوم بطرح أسئلة عامة ليس إلا. هل ينبغي علينا فعلاً أن نعذبه بالمجيء طوال الطريق إلى هنا لهذا السبب؟ كلا، أظن أن ذلك يبدو غير ضروري».

كانت نبرة صوتها ترتفع وتنخفض مشحونة بأسئلة لا تطرح علناً. لقد كان يعرفها حق المعرفة.

«ها قد أتى».

ابتعدت بريجيت بسرعة عن النافذة قبل أن يرن جرس الباب ببضع لحظات فقط. أخذ كارل-إريك نفساً عميقاً وذهب ليفتح في حين عادت بريجيت إلى غرفة الجلوس، حيث سبق لباتريك أن كان ينتظر على الأريكة مستغرقاً هو الآخر في أفكاره.

«مرحباً، أنا هو باتريك هيدشتروم».

«كارل-إريك كارلغرن».

تصافح الرجلان وتبادلا اللياقات بكل تهذيب وقد خمن كارل-إريك أن رجل الشرطة الذي أمامه كان من عمر ألكس تقريباً. لطالما كان يفعل ذلك هذه الأيام أي يفكر بالناس الآخرين بالمقارنة مع ألكس.

«تفضل بالدخول، لقد فكرت أنه بإمكاننا أن نشعر بمزيد من الراحة في غرفة الجلوس ونتحدث».

شعر باتريك ببعض الذهول حين رأى هنريك لكنه استدرك الأمر بسرعة وألقى التحية على كل من بريجيت وهنريك بلياقة. جلس الجميع حول الطاولة التي تتوسط الغرفة، حيث سادت بضع لحظات من الصمت المشحون قبل أن يقول باتريك أخيراً: «حسناً، أدرك أن الأمر كان مفاجئاً نوعاً ما لكنني ممتن أنكم وافقتم على مقابلتي في ظرف وقت قصير كهذا».

«كنا نتساءل إذا ما حصلت أي تطورات جديدة وما إن عثرتم على أي جديد في القضية؟ لم نسمع منكم أي شيء منذ مدة. . .»، تلاشى صوت بريجيت مع انتهاء الجملة ونظرت إلى باتريك يحدوها الأمل.

«إن التحقيق يتقدم ولو بخطى بطيئة وهذا كل ما يسعني قوله حول هذا الموضوع الآن. لقد أخذت جريمة قتل أندرز نلسون القضية في منحى مختلف تماماً».

«أجل، هذا واضح لكن هل حددتم إن كان الشخص الذي قام بقتل أندرز نلسون هو ذاته الذي قتل ابنتنا؟»

حمل هذر بريجيت ونبرتها شديدة الاهتياج كارل-إريك على السيطرة على نفسه كي لا يميل إلى الأمام ويضع يده على يدها للتهدئة من روعها. عليه أن يتحلى بالقوة اليوم كي لا يستسلم ويضطلع بدور الحماية الذي يتقنه تماماً. سمح لنفسه أن يسرح بأفكاره للحظة ويبتعد عن الحاضر ويعود بخياله إلى الماضي الذي كان يبدو بعيداً جداً بالنسبة إليه الآن. نظر من حوله إلى أرجاء الغرفة بشيء من القرف. لقد وقعوا ضحية سهلة للإغراء بحيث كان يمكن لأحدهم أن يشتم رائحة المال الملطخ بالدماء. كان المنزل الذي يملكون في كالستورب أبعد بكثير مما كانوا يتخيلون الحصول عليه حين كانت لا تزال طفلتيهما صغيرتين. لقد كان منزلاً كبيراً ومهوءاً يحتفظ بالتفاصيل

الدقيقة لأيام الثلاثينيات، على الرغم من إدخالهم جميع وسائل الراحة الحديثة، فالراتب الذي كان يحصل عليه من عمله موظفاً في غوتبرغ استطاع أن يوفر لهم كل ذلك أخيراً.

كانت الغرفة التي يجلسون فيها الآن من أكبر غرف المنزل. لقد كان مبالغاً في تأثيثها حسب ذوقه، لكن بريجيت كانت تتمتع بنزعة إلى امتلاك الأغراض اللماعة المبهرجة وإظهارها للعلن، وقد كان كل شيء يبدو بحالة جيدة كما لو أنه جديد. كانت بريجيت، كل ثلاث سنوات، تبدأ بالاعتراض مدعية أن كل شيء يبدو قديماً جداً ومهترئاً. وكانت لتحتج بأنها قد أخذت تشعر بالملل من كل شيء موجود في المنزل، وكان بعد مرور بضعة أسابيع من نظرات الاستعطاف والتوسل يسحب محفظة نقوده وينصاع لطلبها. بدا وكأنها تواظب على إعادة ابتكار نفسها وحياتها برمتها مراراً وتكراراً عبر تبديل كل شيء. كانت مولعة هذه الفترة بتصاميم لورا آشلي، وكانت الغرفة تعبق بالأشياء الزهرية اللون والكشاكش، بحيث كانت تصبح خانقة لمدى المظاهر الأنثوية. كان كارل-إريك يعلم أنه لن يضطر أن يحتمل الوضع لأكثر من عام واحد كحدّ أقصى. إن كان كارل-إريك محظوظاً فستعمد بريجيت عند إعادة ترتيب ديكور المنزل إلى وضع كراسٍ ذات ذراعين من طراز تشسترفلد إضافة إلى عناصر من الذوق الإنكليزي، أما إن لم يكن محظوظاً فلعل الديكور التالي سيكون على طراز التخطيط النمري في المرة المقبلة.

تنحنح باتريك وقال: «لدي عدد من الأسئلة وسأقدر لكم تعاونكم في إيضاح بعض المسائل».

لم يتفوه أي من الموجودين بكلمة رداً على طرحه فتابع يقول: «هل تعرفون أي شيء حول كيف يصدف أن ألكس وأندرز نلسون يعرفان بعضهما؟»

بدا هنريك مصدوماً، وكارل-إريك قال إنه لا يملك أدنى فكرة. لقد آلمه قول ذلك لكن لم يستطع أن يقول شيئاً آخر.

«لقد كانا في الصف ذاته لكن هذا كان قبل سنوات كثيرة».

أخذت بريجيت تتلوى مربكة ومتوترة على الأريكة بالقرب من صهرها.

قال هنريك: «إني أتذكر الاسم، ألم تكن ألكس تعلق بعضاً من لوحاته وتعرضها للبيع في المعرض؟»

أومأ باتريك فتابع هنريك كلامه بالقول: «لا أفهم. هل يفترض أنه كان يجمعهما أي نوع من العلاقات الأخرى؟ ما عساه يكون السبب الذي قد يدفع بأحدهم لقتل كل من زوجتي وأحد الرسامين الذين لهم لوحات في معرضها؟»

«هذا بالضبط هو ما أحاول أن أجده». صمت باتريك قليلاً عن الكلام قبل أن يتابع ويقول: «وقد تمكنا لسوء الحظ أن نثبت أن علاقة حميمة ما كانت تجمع بينهما».

لاحظ كارل-إريك في ظل أجواء الصمت التي خيمت على الغرفة بعد كلامه مجموعة من العواطف التي طبعت ملامح وجهي الشخصين اللذين يجلسان قبالته، هنريك وبريجيت تحديداً. كان هو يشعر بالدهشة بشكل متوسط لكن سرعان ما استسلم لتقبل الواقع. لا بدّ أن يكون ما قاله الشرطي صحيحاً. كان ليكون ذلك طبيعياً إذا ما فكر المرء بالظروف المحيطة بهما.

وضعت بريجيت يدها فوق فمها في دلالة على الرعب الذي شعرت به. وأخذ وجه هنريك يفقد لونه تدريجياً. لاحظ كارل-إريك أن باتريك هيدشتروم لم يكن سعيداً بدوره كمنذر بالأخبار السيئة.

«لا يمكن لذلك أن يكون صحيحاً». نظرت بريجيت من حولها إلى الآخرين، لكنها لم تلق أي دعم بأي حال، فتابعت: «لماذا عسى

ألكس تقيم علاقة مع شخص مثل ذاك؟»، رمقت كارل-إريك نظرة مستفسرة ملحة، لكنه رفض أن يلاقي نظراتها وأخذ يحدق بدلاً من ذلك بيديه. لم يتفوه هنريك بأي كلمة وبدا أنه قد غاب عن الوعي.

سأل باتريك: «ألا تعلمون ما إن كانا قد بقيا على اتصال أو إن استمرا يتقابلان بعد رحيلكم عن البلدة؟»

«كلا، لا يسعني أن أتخيل أنهما بقيا يتقابلان. فألكس قد قطعت جميع العلاقات التي تربطها بفيالباكا حين انتقلنا منها». كانت بريجيت أيضاً من تكلم هذه المرة في حين بقي كل من كارل-إريك وهنريك يجلسان بصمت.

«هناك أمر آخر أود أن أسأل عنه. لقد انتقلت العائلة إلى غوتبرغ في منتصف الفصل الدراسي وذلك حين كانت ألكس لا تزال في الصف الثامن. لماذا تم ذلك؟ لا سيما أن الخطوة التي تقضي بالرحيل بدت مفاجئة جداً».

«ما من شيء غريب في ذلك. لقد تلقى كارل-إريك عرض عمل رائع لم يتمكن من رفضه ببساطة. وكان عليه اتخاذ القرار بسرعة لأنهم كانوا يحتاجون لشخص ما يشغل المنصب فوراً. ولهذا السبب حصلت الأمور بسرعة تامة». كانت لا تكف تلوي يديها بينما تتحدث.

«إلا أنكم لم تقوموا بتسجيل ألكس في أي من مدارس غوتبرغ، أليس هذا صحيحاً؟ وقد عملتم بدلاً من ذلك إلى إرسالها إلى إحدى المدارس الداخلية في سويسرا. ما كان السبب وراء ذلك؟»

أجابت بريجيت: «لقد وجدنا أن أمورنا المالية قد تحسنت بشكل ملحوظ مع حصول كارل-إريك على تلك الوظيفة ورغبنا ببساطة أن نوفر لألكس أفضل الفرص المتاحة».

«لكن ألم تكن هناك أي مدارس تتمتع بالمستوى نفسه في

غوتبرغ؟»، كان باتريك يمطرهم بالأسئلة من دون هوادة. ولم يتمكن كارل-إريك إلا أن يشعر بالإعجاب لمدى التزامه. لقد كان هو نفسه يتمتع في أحد الأيام بهذا القدر من الحماسة والشباب، لكنه الآن كان يشعر بالتعب وحسب.

تابعت بريجيت في الإجابة عن أسئلته فقالت: «بالطبع كان يمكن إيجاد مدارس جيدة المستوى هناك، لكن تخيل المستوى الاجتماعي الذي كانت ستنخرط فيه بانضمامها إلى مدرسة داخلية كتلك. حتى أنه كان هناك بضع أمراء في عداد التلاميذ الذين يرتادون تلك المدرسة. تخيل فقط ماذا يمكن لتلك الصداقات والروابط أن تقدم لفتاة مثلها؟»

«هل ذهبت إلى سويسرا برفقة ألكس؟»

«من الطبيعي أن نكون قد ذهبنا إلى هناك لإتمام عملية التسجيل إن كان هذا ما تقصده من السؤال».

«أجل، لم يكن هذا تماماً ما كنت أقصده». نظر باتريك إلى دفتر الملاحظات من أجل أن ينعش ذاكرته قليلاً ثم قال: «غادرت ألكس من هنا في منتصف فصل الربيع من العام 1977. وقد تم تسجيلها في المدرسة الداخلية في ربيع العام 1978، وكان ذلك أيضاً حين بدأ كارل-إريك بعمله هنا في غوتبرغ. سؤالي هنا إذاً أين كنتم خلال ذلك العام؟»

تغضن جبين هنريك وظهر أخدود بين حاجبيه، فيما ينقل نظره بين كل من كارل-إريك وبريجيت. وقد كان كلاهما يتفادى النظر إليه مباشرة. شعر كارل-إريك بألم فظيع يعتصر قلبه ويتفشى في جميع أنحاء جسمه ببطء إنما بقوة متزايدة.

«لا أفهم ما الذي تلمّح إليه من وراء كل تلك الأسئلة. ما الفرق إن كنا قد انتقلنا في العام 1977 أو في العام 1978؟ ابنتنا نحن هي التي توفيت وأنت تأتي إلى هنا لتحقق معنا وتطرح أسئلة وكأننا نحن

المذنبين. لا بدّ أن يكون هناك خطب في مكان ما لعل أحدهم أخطأ في كتابة التواريخ في أحد السجلات في مكان ما، لا بدّ أن هذا جل ما في الأمر. لقد انتقلنا إلى هنا في ربيع العام 1977، وهو التاريخ الذي بدأت فيه ألكس ارتياد المدرسة الداخلية في سويسرا».

رمق باتريك بريجيت بنظرة ملؤها الاعتذار حين أخذت تزداد استياءً، لكنه قال: «أنا آسف سيدة كارلغرن إن كنت أسبب لك أي إزعاج. أعلم أنك تمرين بأوقات عصيبة، لكن ينبغي علي أن أقوم بطرح تلك الأسئلة. والمعلومات التي حصلت عليها صحيحة. كلاكما أنت وزوجك لم تنتقلا إلى هنا قبل ربيع العام 1978، وليس هناك ما يثبت قبل طوال ذلك العام أنكم كنتم هنا في السويد حتى. لذا عليّ أن أطرح السؤال مجدداً: أين كنتم خلال العام الممتد بين ربيع العام 1977 حتى ربيع العام 1978؟»

بيأس يملأ عينيها التفتت بريجيت إلى كارل-إريك تتوسل مساعدته، لكنه كان يعلم أنه ما عاد يستطيع أن يقدم إليها العون الذي كانت تطلبه. كان يؤمن أن ما يقوم به هو لخير العائلة على المدى الطويل، ولو أن ذلك على المدى المنظور قد يدمر زوجته، لكن لم يكن أمامه أي خيار. رمق زوجته نظرة حزينة، ثم تنحنح وقال: «لقد كنا جميعاً في سويسرا، ألكس وزوجتي وأنا».

«اصمت كارل-إريك، لا تقل أي كلمة إضافية».

تجاهل أوامرها وأضاف: «لقد كنا في سويسرا لأن ابنتنا البالغة من العمر اثني عشر عاماً كانت حاملاً».

لم يصب بالدهشة حين رأى باتريك يوقع قلمه بذعر بسبب ما قاله للتو. مهما كان الشرطي يعتقد أو يظن أو يتوقع، فقد كان يختلف تماماً عما سمعه للتو يقال بصوت مرتفع. كيف يمكن لأحد أن يتخيل شيئاً بمثل تلك الفظاعة؟

«لقد تم استغلال ابنتي وتعرضت للاغتصاب. لم تكن سوى طفلة».

شعر بصوته يختنق في حلقه وضغط بقبضة يده بقوة على شفتيه في محاولة لأن يستجمع نفسه. وقد تمكن بعد فترة من متابعة حديثه. وقد رفضت بريجيت النظر إليه حتى، لكن لم يكن هناك من مجال للتراجع فقد وصل إلى نقطة اللاعودة.

«استطعنا أن نعرف أن هناك خطباً ما، لكننا لم نعرف ما كان ذلك بالضبط. لطالما كانت تبدو سعيدة وآمنة. في وقت ما من بداية السنة الدراسية الثامنة بدأت تتغير. أصبحت هادئة جداً ولم تعد اجتماعية فكفت عن التواصل مع الآخرين. لم يعد يأتي لزيارتها أي من أصدقائها وكانت تفضل أن تبقى خارج المنزل لساعات. لم نكن نعرف أين كانت توجد، إذ لم نأخذ الأمر على محمل الجدّ، ظناً منا أنها كانت تعيش إحدى مراحل حياتها الطبيعية، وأنها أولى مراحل المراهقة ربما لا أعرف».

كان عليه أن يتنحنح مجدداً، ذلك أن الألم كان يكبر في صدره ويتضاعف، وقال: «لم نكتشف أمر حملها إلى أن أصبحت في الشهر الرابع. كان علينا أن نلاحظ الإشارات في وقت أبكر. لكن من كان ليصدق. . . لم يكن يسعنا أن نتخيل حتى. . .».

بدت بريجيت وكأنها تضع على وجهها قناعاً رمادي اللون حين قالت: «أرجوك كارل-إريك، أرجوك». أما هنريك فقد بدا وكأنه تحت تأثير مخدر ما، وكأنه لا يستطيع أن يصدق ما الذي يسمعه، لعله لا يصدقه فعلاً. حتى كارل-إريك لم يكن يصدق أذنيه، بدا الأمر لا يصدق حين قاله بصوت مرتفع. كان يشعر بتلك الكلمات تتآكله من الداخل على مدى خمسة وعشرين عاماً. كان حرصه على مشاعر بريجيت واحترامه لها يجعلانه يكبت رغبته التحدث بالأمر

بصوت مرتفع، لكن الكلمات كانت تتدفق من فمه الآن ولم يكن يستطيع إيقافها. «لم يكن في وسعنا أن نفكر بخيار الإجهاض. لم يكن باستطاعتنا أن نفكر بالأمر في ظل تلك الظروف ولم نكن لنمنح ألكس فرصة الاختيار حتى ولو كانت قادرة على فعل ذلك. لم نقم بسؤالها مطلقاً عما كانت تشعر به أو ما الذي كانت تريده حقاً، بل عمدنا بدلاً من ذلك إلى طمس كل شيء وإبقائه طي الكتمان. أخرجناها من المدرسة ورحلنا بها إلى خارج البلاد وبقينا هناك إلى أن أنجبت طفلتها. ما كان يمكن لأحد أن يعرف أي شيء حول الموضوع، لأنه ماذا عسى الناس يقولون؟»

كان يدرك جيداً مدى مرارة الجملة الأخيرة التي نطق بها. لم يكن هناك ما يضاهي أهمية ذلك في حينها. لقد احتل كلام الناس الأولوية على حساب سعادة ابنتهما الشخصية وصحتها. لم يكن في وسعه أن يلقي باللوم كاملاً على بريجيت لاتخاذها ذاك القرار. إذ لم تكن وحدها التي تهتم بالمظاهر وبكلام الناس وثرثراتهم. بعد مرور سنوات طوال من فحص الضمير أجبر على الإعتراف لنفسه بأنه تركها تسير بالأمور على هواها بناءً على رغبة ذاتية بألا يلطخ سمعته أي شيء كان. أمكنه أن يشعر بالمرارة تعتصر فؤاده وبحوامض معدته تتصاعد إلى حلقه. ابتلع ريقه بصعوبة وتابع حديثه: «بعد أن وضعت ألكس طفلها قمنا بتسجيلها في مدرسة داخلية ثم عدنا إلى غوتبرغ ومضينا في متابعة حياتنا».

كانت الكلمات تخرج بمرارة واستياء من فمه. أما عينا بريجيت فكانتا تمتلئان حنقاً وكراهية ربما. كانت تحدق فيه بشدة كأنها تستخدم قواها الكاملة لتحثه على التوقف عن الكلام، لكنه كان يعلم أن المسيرة قد بدأت منذ اللحظة التي وجدت فيها ألكس ميتة في حوض الاستحمام. كان يدرك جيداً أن الشرطة ستنبش الأمور وتعود إلى

الجذور وأنها لن تترك حجراً إلا وتقلبه وتسحب الحقائق المختبئة وتعلنها إلى الملأ. كان من الأفضل أن يقوموا هم بأنفسهم بالكشف عن الحقيقة كما هي وبكلامهم المباشر أو بكلامه المباشر حسبما يتبين، لعله كان يجب أن يقوم بذلك في وقت سابق، لكنه كان يحتاج إلى الوقت كي يستجمع شجاعته. وقد أتى اتصال باتريك هيدشتروم بمثابة الدفعة الأخيرة التي كان بحاجة لها.

كان كارل-إريك يدرك أنه قد أغفل الكثير من الأمور التي لم يفصح عنها لكن التعب كان قد أخذ منه كل مأخذ فترك باتريك يستلم رأس الخيط ويمضي في طرح الأسئلة التي يملأ بها الثغرات. استند في كرسيه إلى الوراء وأحكم قبضته على ذراعي الكرسي الذي كان يجلس فيه.

كان هنريك أول من تكلم قائلاً بصوت يرتعش بشكل واضح: «لماذا لم تخبرا أحداً بالأمر؟ لماذا لم تقل ألكس شيئاً؟ كنت أعلم أنها تخفي عني شيئاً ما لكن ليس هذا».

رمى كارل-إريك ذراعيه في الهواء في دلالة على الاستسلام. لم يكن لديه من كلام يستطيع قوله لزوج ألكس.

كان باتريك يعيش صراعاً لاستعادة حسّه المهني، لكنه كان واضحاً مدى تأثره بالخبر الذي نزل عليه كالصاعقة. تناول القلم الذي أوقعه أرضاً وحاول أن يصب تركيزه على دفتر الملاحظات الذي أمامه.

«من كان الشخص الذي اعتدى على ألكس؟ هل كان شخص ما من المدرسة؟»

لم تصدر عن كارل-إريك سوى إيماءة. تردد باتريك عندئذٍ قبل أن يقول: «هل كان ذلك . . . هل كان نيلز لورنتز من فعل ذلك؟»

أجابته بريجيت هذه المرة بصوت حديدي النبرة: «كان هو الأستاذ البديل. إنه ابن نيللي لورنتز».

بدا هنريك وكأنه يصارع جاهداً لاستيعاب ما قاله كارل-إريك للتو حين سأل: «لكن أين هو الآن؟ ينبغي أن يكون قد ذهب إلى السجن لما فعله بألكس ألا يجدر به ذلك؟»

شرح له باتريك بالقول: «لقد اختفى عن الأنظار منذ خمسة وعشرين عاماً. ولم يره أحد منذ ذلك الوقت لكن ما أود معرفته في الواقع هو سبب عدم وجود أي محضر للشرطة بهذا الصدد، لقد بحثت في أرشيف المخفر ولم أجد أي أثر لشكوى قدمت إلى الشرطة بحقه».

أغمض كارل-إريك عينيه مفكراً أن باتريك لم يكن يقوم بطرح الأسئلة مستخدماً صيغة الاتهام بل كان يعبر عما يختلجه من مشاعر. كانت كل كلمة أشبه بإبرة تخز جلده وتذكره بمدى فداحة الخطأ الذي ارتكبه منذ خمسة وعشرين عاماً.

«لم نتقدم بشكوى ضده أصلاً. حين أدركنا أن ألكس كانت حاملاً وأخبرتنا بما حدث معها هببت كالعاصفة إلى منزل نيللي لورنتز وأخبرتها بما أقدم عليه ابنها. كنت أنوي تماماً أن أتقدم بشكوى ضده وأبلغ السلطات عنه وقد أبلغت نيللي بذلك، لكن...».

كانت بريجيت تجلس مستقيمة الظهر كالعصا على الأريكة حين قالت: «إلا أن نيللي أتت إلى منزلي وتحدثت إلي مقترحة أنه بإمكاننا أن نحل هذه المشكلة من دون أن تدخل الشرطة بيننا. وقالت إنه ما من سبب لتعريض ألكس لمزيد من الإذلال عبر جعلها على لسان كل أهالي فيالباكا وموضوعاً للهمس والثرثرة، وأنه يمكن لنا أن نتفق في ما بيننا وقررنا أنه سيكون لمصلحتها إذا ما تمكنا من معالجة المسألة

ضمن إطار العائلة من دون تشهير وإذاعة للخبر. وعدتنا نيللي بأنها ستهتم بتدبر أمر نيلز بطريقة مناسبة».

تابع كارل-إريك بالقول: «وتدبرت لي نيللي وظيفة براتب مغرٍ جداً هنا في غوتبرغ. أفترض أننا لم نكن أفضل من معظم الناس الذين يذعنون لإغراء الوعود الذهبية التي تجعل منهم أثرياء».

لم يكن كارل-إريك بهذا القول سوى صادقاً جداً في فكرته عن نفسه. لقد مضى زمن النكران وولى إلى غير رجعة.

«ليس لهذا علاقة بالأمر. كيف يمكن لك أن تقول هذا كارل-إريك. لم نكن يومئذٍ نفكر إلا بمصلحة ألكس. ما كان سيجديها نفعاً لو انتشر خبر حملها على كل لسان؟ لقد منحناها فرصة للمضي في حياتها قدماً».

«كلا، بريجيت بل جلّ ما فعلناه هو أننا منحنا نفسينا فرصة للمضي في حياتنا قدماً من دون أن نسمح لأمر حملها أن يؤثر فينا. أما ألكس فقد خسرت فرصتها حين اتخذنا القرار بإبقاء خبر حملها طيّ الكتمان».

أخذ كل منهما يحدق بالآخر من فوق الطاولة وأدرك كارل-إريك أن هناك بعض الأمور التي لا يمكن إصلاحها متى كسرت. لن تستطيع أن تتفهمه مطلقاً.

سألهما باتريك: «ماذا عن الطفل؟ ماذا حلّ بالطفل الذي أنجبته؟ هل قامت إحدى العائلات بتبنيه؟»

خيم الصمت عندئذٍ على المكان، إلا أن الصوت الوحيد الذي أتى كان من الباب.

«كلا لم يمنح الطفل للتبني، بل قررا أن يحتفظا به ويكذبا عليه بشأن حقيقة من يكون».

«هذا أنت جوليا! كنت أظن أنك في غرفتك في الأعلى».

التفت كارل-إريك فلمح جوليا تقف بالباب. لا بدّ أنها كانت قد نزلت السلالم على رؤوس أصابعها لأن أحدهم لم يشعر بقدومها. وقد تساءل كم من الوقت مضى على وجودها هناك.

كانت تستند إلى عضادة الباب وذراعيها مشبوكتين فوق صدرها. كان كيانها المشعث يشع كراهية وحقداً. على الرغم من أن الساعة قد أصبحت الرابعة من بعد الظهر لم تكن قد بدّلت ملابس نومها. حتى أنه لم يبد عليها أنها استحمت منذ أسبوع على الأقل. شعر كارل-إريك بمزيج من الشفقة والألم في صدره. يا لفتاته المسكينة البشعة.

«لولا نيللي أو جدتي نيللي بالأحرى لما كنت لتقول لي شيئاً، أليس كذلك؟ هل كنت لتفعل؟ ما كنت لتتمكن يوماً من أن تقول لي إن أمي ليست أمي فعلياً بل جدتي وإن أبي ليس أبي بل جدي وفوق كل ذلك إن أختي ليست بأختي بل أمي. هل تفهم تسلسل الأمور أم أنه يجدر بي أن أكرر ما قلت؟ إن الأمر معقد نوعاً ما».

كانت الملاحظة التهكمية موجهة إلى باتريك. بدا وكأن جوليا كانت تستمتع لرؤية تعابير الرعب على وجهه.

«يا له من أمر منحرف، أليس كذلك؟»، خفضت جوليا صوتها حتى غدا أقرب إلى الهمس المصطنع ورفعت إصبعها ووضعته على شفتيها وتابعت تقول: «لكن صه، عليك ألا تخبر أحداً بالأمر. فماذا عسى الناس يقولون إن عرفوا بالموضوع؟ تخيل لو بدأوا يثرثرون عن حسن حال عائلة كارلغرن ومصادرها».

رفعت جوليا صوتها مجدداً وقالت: «لكن حمداً لله أن نيللي أخبرتني بكل شيء خلال الصيف الماضي حين كنت أعمل لديها في المصنع. أخبرتني بما لدي الحق بمعرفته. أخبرتني بمن أكون حقاً. لطالما شعرت طوال حياتي بأنني كنت مجرد دخيلة ليس إلا، وبأنني

لا أنتمي إلى هذه العائلة. أن يكون لدي أخت مثل ألكس لم يكن حتماً بالأمر السهل لكني كنت أعبدها. كانت تمثل كل ما كنت أريد أن أكون عليه وكل ما لم أكنه أنا. كنت أرى كيف كنتم تنظرون إليها وكيف كنتم تنظرون إلي أنا. أما ألكس فبدا أنها لم تكن تهتم لأمري البتة، وهذا ما جعلني أزداد تعلقاً بها وحباً لها. لقد فهمت السبب الآن. بالكاد كانت تطيق ربما أن تنظر إلي وأنا الطفلة اللعينة التي ولدت إثر عملية اغتصاب. وقد أجبرتموها مع ذلك أن تتذكر الحادثة كل مرة كانت تنظر إلي فيها. ألم تلاحظوا حقاً كم كان الأمر ظالماً؟».

جفل كارل-إريك لكلامها وكأنه تلقى صفعة على الوجه. كان يدرك كم كانت محقة في ما تقول. كان الاحتفاظ بجوليا فظيعاً جداً وظالماً جداً، وإجبار ألكس من خلال ذلك أن تعيش الذكرى المؤلمة التي وضعت حداً لطفولتها مرات ومرات. حتى أن الأمر لم يكن منصفاً بحق جوليا كذلك. لم يتمكنا مطلقاً هو وبريجيت أن ينسيا الطريقة التي حبلت ألكس بها. من الواضح أن جوليا قد شعرت بذلك منذ البداية لأنها أتت إلى هذا العالم تصيح وقد استمرت بالصراخ ومجابهة العالم بأسره طوال فترة طفولتها. لم تكن جوليا تفوت فرصة واحدة لتسيء التصرف، وقد كان هو وبريجيت قد أصبحا عجوزين جداً ليتمكنا من التعامل مع طفل صغير كجوليا مثلها، متطلب إلى هذا الحد.

كان مصدراً للراحة نوعاً ما أن عادت إلى المنزل في أحد أيام الصيف الماضي، وقد جنّ جنونها، وكانت تشتعل غيظاً وحنقاً حين واجهتهما بالحقيقة. لم يفاجئهم أن تكون نيللي اعتمدت وبقرار شخصي منها أن تطلع جوليا على الحقيقة. لقد كانت نيللي امرأة عجوزاً بغيضة لا تهتم سوى لمصالحها الشخصية. وإن كان يجديها

نفعاً بطريقة ما أن تخبر جوليا بما تعرف فلن تتوانى مطلقاً. لهذا السبب كانا يحاولان منع جوليا من أن تقبل العرض بالعمل لديها في فصل الصيف، إلا أن جوليا وكما العادة كانت تصر على موقفها بعناد.

حين أطلعت نيللي جوليا على قصتها الحقيقية فتحت لها أبواب عالم جديد بالكامل. لقد كان هناك للمرة الأولى في حياتها من يريدها فعلاً، من تشعر بالانتماء إليه. على الرغم من أنه كان لنيللي ولد اسمه جان، فقد كان رابط الدم هو ما يعنيها في الواقع. وقد أخبرت جوليا أنه عندما يحين الوقت المناسب فإنها سوف تترك لها كامل ثروتها. فهم كارل-إريك تماماً كيف ترك ذلك أثره على جوليا. لقد كانت تشعر بالغضب العارم تجاه الناس الذين كانت تظنهم أهلها وتكن لنيللي حباً جماً يضاهي ذاك الذي كانت تظهره لألكس يوماً. لقد تواردت تلك الأفكار جميعها إلى رأسه ما إن رأى جوليا تقف بباب الغرفة يحيط بها ضوء خفيف متسلل من المطبخ ويرسم معالم شكلها. المحزن في كل ذلك هو أن جوليا لن تتمكن يوماً من أن تدرك عمق حبهما لها على الرغم من حقيقة أنهما كانا ينظران إليها في معظم الأحيان ويتذكران حجم الرعب الذين عاشوه في الماضي، لكنها كانت أشبه بكائن غريب في ديارهم، وقد كانا يشعران بالعجز والخطورة أمامها. لا يزالان يشعران على النحو ذاته حتى اليوم، ولعلهما سيكونان مجبرين الآن على تقبل فكرة أنهما قد خسراها للأبد هذه المرة، إلا أنها كانت تعيش في منزلهما في الوقت الحاضر بجسدها، ولو كانت قد سبق وتخلت عنهما في عقلها وتفكيرها منذ زمن.

بدا هنريك وكأنه بالكاد يستطيع أن يتنفس. أمال برأسه إلى الأمام باتجاه حضنه وأغمض عينيه. وقد تساءل كارل-إريك ما إن كان قد اتخذ القرار الصائب بالطلب إلى هنريك المجيء والمشاركة. كان قد

دعا هنريك لأنه ظن أن من حقه أن يعرف الحقيقة. فهو أيضاً قد أحب ألكس يوماً.

مدّت بريجيت ذراعيها نحو جوليا على نحو مصطنع مثير للشفقة وقالت: «ولكن جوليا. . .».

إلا أن جوليا كانت قد أدارت ظهرها باستياء وسمعوا صوت وقع خطواتها الثائرة على السلالم.

قال باتريك بعد أن رمى ذراعيه في الهواء دلالة على الاستسلام: «أنا آسف حقاً. كنت أعلم أن هناك خطب ما لكنني لم أكن لأتصور ذلك. لا أعلم ما الذي أقوله».

نظر كارل-إريك إلى زوجته وقال: «نحن لا نعلم ما الذي سنقوله لأنفسنا لا سيما ما سيقوله أحدنا للآخر».

«كم استمرت فترة الاستغلال. هل تعلمان؟»

«لسنا واثقين من ذلك حقاً. لم تشأ ألكس التحدث بالأمر. لعله استمر لبضعة أشهر أو ربما لسنة كاملة».

ثم تردد الرجل قليلاً قبل أن يقول: «إليك الإجابة عن السؤال الذي سبق أن طرحته».

أجاب باتريك بسؤال: «أي سؤال تقصد؟»

«السؤال عن العلاقة التي كانت تجمع بين ألكس وأندرز، فأندرز كان ضحية أيضاً. في اليوم الذي سبق انتقالنا عثرنا على رسالة كانت ألكس قد تركتها لأندرز. يبدو أنه هو أيضاً كان قد تعرض للاعتداء من قبل نيلز. من الواضح أنهما قد فهما بطريقة ما أو اكتشفا أنهما كانا يعيشان الوضع ذاته، أما كيف تم ذلك فلا أعرف، وقد لجأ أحدهما إلى الآخر بحثاً عن المواساة. أخذت الملاحظة التي وجدتها إلى فيرا نلسون وأخبرتها بما حدث لألكس وما الذي قد يكون حصل لأندرز على الأرجح. كان ذلك أحد أصعب الأمور التي قمت بها يوماً.

فأندرز هو. . . أو كان بالأحرى. . .»، صحح كلامه بسرعة وتابع: «لقد كان هو كل ما لديها. أفترض أني كنت آمل أن تتمكن فيرا من أن تفعل ما لم نتحلَّ نحن بالشجاعة الكافية للقيام به، وأن تقوم بإبلاغ الشرطة عنه وتحمله مسؤولية أفعاله، إلا أن شيئاً من هذا لم يحصل، لذا أفترض أنها شعرت بالضعف الذي شعرنا به نحن».

بدأ بطريقة غير واعية يدلك صدره بقبضة يده. كانت الألم الذ يشعر به يزداد حدة. وقد بدأ يتسرب من داخله ويلامس أصابعه.

«ألا تملكون أدنى فكرة عن المكان الذي ذهب إليه نيلز؟»

«كلا، نحن لا نملك أدنى فكرة، لكني آمل أن يكون اللعين يعيش متألماً ومعذباً حيثما كان».

غدا الألم الذي يشعر به حاداً بما لا يحتمل وقد تسارعت وتيرة تطور الأمور كما انهيار التربة. أخذت أصابعه تصاب بالخدر فأدرك أن هناك خطب ما، أن هناك ما هو خطير جداً في الواقع. ضيّق الألم حقل نظره ومع أنه كان قادراً على رؤية أفواه الآخرين تتحرك فقد بدت كافة الأصوات والصور بالنسبة إليه وكأنها تسير على الموجة البطيئة. شعر بالسعادة بداية لرؤية الغضب وقد غادر عيني بريجيت، لكن حين لاحظ أنه استبدل بالقلق فهم بأن أمراً خطيراً كان يحصل. ومن ثم خيّم الظلام.

بعد رحلة سيارة الإسعاف المثيرة للرعب إلى مستشفى سالغرينسكا، جلس باتريك في سيارته وحاول التقاط أنفاسه. كان قد تبع سيارة الإسعاف بسيارته الخاصة ولازم كلاً من بريجيت وهنريك إلى أن أكد لهم الأطباء أنه على الرغم من أن النوبة القلبية التي أصيب بها كارل-إريك كانت خطيرة فإنه قد تخطى مرحلة الخطر.

لقد كان هذا اليوم أحد أكثر الأيام إثارة للحزن في نفسه. كان قد

رأى الكثير من حالات البؤس في حياته كشرطي لكن لم يسبق له أن سمع بقصة مأساوية ينفطر لها القلب كما تلك التي رواها كارل-إريك على مسمعه بعد ظهر هذا اليوم.

على الرغم من أن باتريك قد أدرك أن ما سمعه كان الحقيقة، كان لا يزال يجد صعوبة في تقبل ما سمع. كيف يمكن لأحد المضي في حياته بعد أن مرت ألكس بما مرت به؟ لم تتعرض للاعتداء وتسرق منها طفولتها وحسب، بل أجبرت أن تعيش طوال حياتها مع ما يذكرها بما حصل لها. لم يكن باتريك يستطيع أن يفهم تصرف أهلها مهما حاول. لم يكن ليتصور أنه قد يسمح للمعتدي أن ينفذ بجلده لو كان طفله هو من تعرض للإساءة ولا أمكنه أن يتخيل أنه قد يلجأ إلى خيار إبقاء الأمور طي الكتمان. كيف يمكن للحفاظ على المظاهر أن يكون أكثر أهمية من صحة ابنته وحياتها؟ هذا أكثر ما وجد صعوبة في فهمه وتقبله.

جلس في السيارة وأغمض عينيه وألقى برأسه على المسند الخلفي. كان الظلام قد بدأ يسدل بظلاله على المكان، وكان عليه أن يبدأ بقيادة السيارة والتوجه إلى المنزل، لكنه كان يشعر بالضعف واللامبالاة. حتى التفكير بأن إريكا كانت بانتظاره لم يغره بالعودة. كان الموقف الإيجابي الذي يتخذه من الحياة قد اهتز من الأعماق. لقد انتابه الشك للمرة الأولى حيال إمكانية أن يكون الخير في الكائنات البشرية أكبر من الشر.

وقد شعر من جهة أخرى بقليل من الذنب. كانت القصة التي تدعو للصدمة قد تركت في نفسه أعمق أثر، لكنه كان في الوقت نفسه يشعر بالرضا التام عن الحرفية التي تم فيها العمل سيما عندما أخذت قطع الأحجية تقع في المكان المناسب واحدة تلو الأخرى. لقد تمت الإجابة عن العديد من الأسئلة بعد ظهر هذا اليوم. ومع ذلك كان

شعور الإحباط الذي انتابه أكبر من قبل. كان قد وجد التفسير للكثير من الأمور، لكنه كان لا يزال يتخبط في الظلام في ما يتعلق بهوية الشخص الذي قتل كل من أندرز وألكس. لعل الدافع وراء عملية القتل يستتر في مكان ما من الماضي، أو ربما لا علاقة له بالماضي مطلقاً على الرغم من صعوبة تصديق ذلك. وبالرغم من كل شيء كانت تلك الصلة الوحيدة التي عثر عليها بين ألكس وأندرز.

لكن لماذا قد يرغب أحدهم في قتلهما بسبب عملية استغلال جنسي حصلت منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً مضى؟ إن كان هذا هو السبب وراء ذلك فلماذا عساه ينتظر إلى اليوم؟ ما الذي عمل على تحريك قصة نائمة منذ عدة سنوات وأدى إلى حصول جريمتي قتل في غضون بضع أسابيع فقط؟ أكثر ما كان يثير إحباط باتريك هو أنه لم يكن يملك أدنى فكرة عن الاتجاه الذي ينبغي أن يسير به الآن.

كانت فترة بعد الظهر تشكل علامة فارقة في عملية التحقيق، لكنها كانت تؤدي أيضاً إلى طريق مسدود. أخذ باتريك يكرر في عقله ما الذي سمعه وفعله خلال هذا اليوم، وقد صعق لوجود دليل حسي دامغ معه هنا في السيارة. شيئاً ما كان قد نسيه في خضم الصدمات الناجمة عن زيارته لعائلة كارلغرن والضوضاء التي تلت النوبة القلبية الدرامية التي أصيب بها كارل-إريك. شعر باتريك بالحماسة ذاتها التي اختبرها هذا الصباح. أدرك أنه يتمتع بفرصة فريدة من نوعها في التحقيق بخيط الدليل الذي بين يديه عن كثب. كل ما يحتاجه الآن كان قليلاً من الحظ.

أدار هاتفه الخلوي وطلب قسم المعلومات للحصول على رقم مستشفى سالغرينسكا متجاهلاً الرسائل الصوتية الثلاث التي على هاتفه. تم وصله بمركزية الهواتف فطلب الاتصال بالمستشفى.

«مستشفى سالغرينسكا نعم».

«مرحباً، أدعى باتريك هيدشتروم. أتساءل ما إن كان روبرت إك يعمل لديكم في قسم الطب الشرعي».

«لحظة واحدة من فضلك سأتحقق».

حبس باتريك أنفاسه بانتظار الردّ. كان روبرت ذاك أحد زملاء صفه القدامى في أكاديمية الشرطة وقد تابع دراساته ليصبح طبيباً شرعياً. كان الاثنان يتسكعان معاً أيام الدراسة لكن العلاقات بينهم قد انقطعت في ما بعد. خيّل لباتريك أنه تناهى إلى مسامعه من خلال الأحاديث المتداولة أن روبرت يعمل الآن في مستشفى سالغرينسكا، وقد تضرع للسماء أن يكون ما سمعه صحيحاً.

«لنر، أجل لدينا شخص باسم روبرت إك يعمل لدينا هنا. هل ترغب أن أصلك به».

ابتهج باتريك في سره وقال لها: «أجل، من فضلك».

سمع بضع رنات قبل أن يسمع صوت روبرت المألوف عبر الهاتف يقول: «الطبيب الشرعي روبرت إك».

«مرحباً روبان، هل تستطيع أن تحزر من الذي يتكلم؟»

ساد الصمت لبضع ثوانٍ. لم يعتقد باتريك أن روبرت قد يتعرف إلى صوته وكان على وشك أن يقدم له بعض التلميحات التي تساعده. لكنه ما لبث أن سمع صوته يزمجر عبر الهاتف: «باتريك هيدشتروم، أيها الصديق القديم! أهذا أنت بحق السماء؟ لقد مضى وقت طويل حتماً. كيف صدف أنك تذكرتني واتصلت بي؟ أقصد أن هذا غير متوقع منك كثيراً».

كان روبرت يغيظه بمعاتبته، وقد شعر باتريك بقليل من الخجل. كان يعلم أنه فظيع في المحافظة على علاقته بالآخرين. كان روبرت

أفضل منه بكثير في هذا الإطار إلا أنه استسلم أخيراً وكف عن المحاولة بعد فترة من المحاولات المتكررة. سيما حين لم يعد باتريك يتصل به مطلقاً. وقد ازداد شعوره بالخجل لأنه حين اتصل أخيراً كان يفعل من أجل طلب خدمة وليس بدافع الاشتياق، لكنه لم يكن يستطيع التراجع الآن.

«كلا، أنت محق أنا سيء جداً في الحفاظ على العلاقات مع الناس، لكنني أجلس في الوقت الحالي داخل السيارة في مرآب مستشفى سالغرينسكا، وقد تذكرت أني سمعت أحدهم يقول يوماً أنك تعمل هنا فخطر لي أن أتحقق من الأمر لأتأكد ما إن كنت فعلاً كذلك لأدخل المستشفى مجدداً وألقي التحية».

«تباً لك، بالطبع يمكنك أن تأتي. هيا أنا أنتظرك، لا مشكلة».

«كيف لي أن أجدك؟ أين يقع مكتبك؟»

«نحن في الطابق تحت الأرض. تعال من المدخل الأمامي وادخل المصعد واضغط الزر المناسب، ثم انعطف يميناً واسلك الممر طوال الطريق حتى النهاية حيث الردهة الكبيرة، ستجدني هناك. اقرع الجرس وسأفتح لك الباب. يسرني أن أراك مجدداً، سيكون ذلك ممتعاً».

«الأمر كذلك بالنسبة إلي. أراك في غضون بضع دقائق».

شعر باتريك بالخجل مجدداً لأنه كان على وشك أن يستغل صحبة صديقه القديم، لكن روبرت كان من جهة أخرى يدين له بالكثير، فأيام الدراسة الأكاديمية كان روبرت شريكه في الغرفة، وكان مخطوباً لفتاة تدعى سوزان، لكنه كان في الوقت ذاته يقيم علاقة حميمة جداً مع إحدى زميلاته التي تدعى ماري وهي مخطوبة بدورها. استمر ذلك لمدة سنتين تقريباً ولا يستطيع باتريك أن يحصي عدد المرات التي أنقذ فيها رأس روبرت. كان يوفر له العديد من

الأعذار ويلجأ إلى مخيلته الخصبة حين كانت سوزان تتصل وتسأله عن مكان وجود خطيبها.

عندما أعاد التفكير بالأمر وجد أن ذلك لم يكن تصرفاً أخلاقياً لا من قبله ولا قبل روبرت، لكنهما كانا شابين مراهقين حينئذٍ وغير ناضجين. وليكون صادقاً مع نفسه، كان باتريك يظن أن ما يفعله صديقه جميل، حتى أنه كان يشعر ببعض الغيرة منه لتمكنه من مصاحبة فتاتين في آنٍ واحد. لقد انفضح السر في نهاية المطاف بالطبع، فانتهى به الأمر من دون شقة ولا عشيقة. روبرت كان جذاباً ووسيماً بطبيعته فلم يضطر للنوم على أريكة باتريك إلا لأسابيع قليلة قبل أن يجد فتاة جديدة ويخرج معها وينام في شقتها.

في الوقت الذي علم فيه باتريك أن روبرت يعمل في المستشفى، سمع بأنه تزوج ورزق بأولاد مما وجد صعوبة في تصديقه، وكان ينوي التحقق من صحته بنفسه.

أخذ يسير في أروقة المستشفى اللامتناهية على ما يبدو. على الرغم من أن الأمر قد بدا سهلاً حين أرشده روبرت إلى الطريق فقد أضاع سبيله مرتين قبل أن وقف أخيراً أمام الباب الصحيح. رن الجرس وأخذ ينتظر. وسرعان ما كان الباب يفتح على مصراعيه.

«مرحباً! أهلاً».

تعانق الرجلان بحرارة قبل أن يتراجع كل منهما خطوة إلى الوراء ويرى ما الذي تركه الزمن من آثار على الآخر. لاحظ باتريك أن السنوات قد رأفت بروبرت وأمل أن تكون لروبرت الفكرة ذاتها عنه، لكنه ابتلع معدته قليلاً ونفخ صدره لمزيد من الحرص.

«تفضل، أدخل».

مشى روبرت أمامه متجهاً إلى مكتبه الضيق الذي بالكاد يتسع لشخص واحد. أخذ باتريك يدقق في ملامح روبرت عن كثب بينما

يجلس قبالته على كرسي المكتب. كان شعره الأشقر مصففاً كما اعتاد أن يراه أيام كان صديقه أكثر شباباً، كما كانت الملابس التي يرتديها تحت معطف المختبر الأبيض مكوية بشكل جيد كالعادة أيضاً. لطالما كان باتزيك يعتقد أن حاجة روبرت للترتيب والأناقة كانت تعمل كقوة موازية للفوضى العارمة التي كان يميل إلى خلقها في حياته الخاصة. لفت نظره إلى إحدى الصور على الرف خلف المكتب.

لم يفلح تماماً في إخفاء الدهشة في نبرة صوته حين قال: «أهذه هي عائلتك؟»

ابتسم روبرت بفخر وتناول الصورة عن الرف وأجاب: «أجل، إنها كذلك. هذه كارينا زوجتي، وولدي أوسكار وماجا».

«وكم يبلغ عمرهما؟»

«أوسكار يبلغ سنتين وماجا ستة أشهر».

«هذا رائع. كم مضى على زواجك؟»

«ثلاث سنوات حتى الآن. أراهن أنك ما كنت لتصدق أنه ما كان يمكن لأحد أن يجعل مني والداً».

ضحك باتريك قائلاً: «كلا، يجب أن أعترف أني ما كنت لأصدق ذلك. عليك أن تعذرني في هذا المجال فأنت تعرف أسبابي».

«أفعل، لكنك تعرف كيف تنقلب الأمور حين يصبح المرء عجوزاً ويغدو متديناً. ماذا عنك أنت؟ على الأرجح أن لديك عدد من الأولاد».

«كلا، لا ينطبق الأمر ذاته علي. أنا رجل مطلق في الواقع ولا أولاد لدي. مما يعتبر أفضل بكثير في ظل الظروف الراهنة».

«آسف لسماع ذلك».

«ليس الأمر بهذا السوء. أنا اليوم أسير في علاقة تبدو واعدة جداً، سنرى».

«كيف حدث أني خطرت على بالك بعد كل تلك السنوات».

تلوى باتريك في مكانه مربكاً قليلاً. خطر له مجدداً كم شعر بالإحراج لأنه لم يتصل به أو يعرف أخباره منذ وقت طويل، وها هو الآن يأتي إليه ليطلب منه خدمة.

«لقد أتيت إليك في مسألة بوليسية وسمعت أنك تعمل في مجال الطب الشرعي هنا. لدي قضية أعمل عليها وأريد أن تساعدني فيها، وببساطة لا أملك الوقت الكافي للسير بها عبر القنوات المعتادة. سوف يستغرق الأمر أسابيع عديدة قبل أن أحصل على الإجابة وأنا لا أملك الوقت أو الصبر لذلك».

بدا روبرت وكأنه أصيب بالفضول لمعرفة ما الأمر. وضع رؤوس أصابعه على بعضها وأخذ ينتظر باتريك ليتابع حديثه.

أمال باتريك بجسمه إلى الأمام وتناول ورقة ملفوفة بكيس وسلمها إلى روبرت الذي وضعها تحت ضوء المصباح القوي لينظر إليها بوضوح ويعرف ما تكون.

«لقد أخذت الورقة من دفتر صغير لتدوين الملاحظات من منزل الضحية التي تعرضت للقتل. أستطيع أن أرى أن هناك آثاراً لكلام ما قد كتب على الصفحة السابقة، لكنها باهتة جداً بالنسبة إلي ولا أستطيع أن أميز سوى طيفها. لعلكم تملكون هنا بعض المعدات التي توضح هذا النوع من الآثار أليس كذلك؟»

«أجل، إننا نملكها بالفعل».

كانت إجابة روبرت مترددة قليلاً بينما استمر في معاينة قطعة الورق الصغيرة تحت ضوء المصباح، وقد قال أخيراً: «لكن كما قلت هناك الكثير من القوانين الصارمة حول كيفية التعامل مع الطلبات وأي

نظام نتبع كما أي ترتيب. لدينا الكثير من الأمور المكدسة هنا بانتظار البتّ فيها».

«أعلم ذلك بالطبع، لكنني ظننت أن ذلك لن يستغرق الكثير من الوقت وسيكون التحقق منه أمراً بغاية البساطة. كما اعتقدت أنه إذا طلبت منك القيام بذلك خدمةً لي، وألقيت نظرة سريعة عليه وأخبرتني ما إن كان مضمونه يدل على شيء ما، فلربما يمكن...».

قطب روبرت جبينه حين فكر مجدداً بما قاله له باتريك للتو، ثم نهض من كرسيه ترتسم على وجهه ابتسامة ماكرة.

«حسناً، طيب. أفترض أنه لا يجدر بي أن أكون بيروقراطياً إلى هذا الحد. لن يستغرق الأمر أكثر من بضع دقائق. هيا لنفعل ذلك...».

خرج برفقة باتريك من المكتب المكتظ وعبر الباب المواجه لباب مكتبه. كانت الغرفة التي دخلا إليها أكبر مساحة وأكثر إضاءة تحتشد بكافة أنواع المعدات والآلات الغريبة الشكل. كانت الغرفة بغاية النظافة وكأنها غرفة عيادة طبية بجدرانها الناصعة البياض ومناضدها وخزائنها المصنوعة من الكروم اللماع. كان الجهاز الذي يحتاجه روبرت موجود في آخر الغرفة. أخرج الورقة من الكيس بعناية فائقة ووضعها على رقاقة زجاجية. ضغط زر التشغيل على الجهاز فاشتعل ضوء يميل إلى الزرقة. ظهرت الكلمات التي على الورقة فوراً بوضوح تام.

«ألق نظرة. هل هذا ما كنت تأمل أن تراه؟»

أخذ باتريك يقرأ النص بسرعة وقال: «إنه تماماً ما كنت آمل أن أجده. هل يسعك أن تتركه هنا لدقيقة كي أتمكن من كتابة النص؟»

ابتسم روبرت وقال: «يسعني أن أقوم بما هو أفضل من ذلك. يمكن لي عبر هذه الآلة أن أقوم بتصوير نسخة لك تأخذها معك».

افتر ثغر باتريك عن ابتسامة عريضة وقال: «رائع! سيكون ذلك رائعاً، أشكرك كثيراً».

بعد مرور نصف ساعة غادر باتريك المستشفى حاملاً نسخة من النص الذي كان مدوناً على دفتر ملاحظات أندرز. قطع وعداً على نفسه أن يبقى على اتصال بروبرت أكثر مما اعتاد أن يفعل وأمل أن يتمكن من الحفاظ على ذاك الوعد، إلا أنه كان يعرف نفسه جيداً لسوء الحظ.

أخذ يفكر بعمق طوال طريق عودته إلى المنزل. كان يحب القيادة في العتمة. كان الصمت المغلف بغطاء مخملي من عتمة الليل التي لم تكن تخترقها إلا أضواء السيارات القليلة التي صادفها في الطريق يجعله يفكر بوضوح أكبر. رويداً رويداً، أخذ يضيف ما كان يعرفه من معلومات إلى تلك التي قرأها للتو على قطعة الورق. حين أوقف السيارة في المرآب أمام المبنى الذي يقطن فيه في تانومشيد كان متأكداً أنه قد قام بحل واحدة على الأقل من الأحجيات التي كانت تعذبه.

بدا غريباً بالنسبة إليه أن ينام وحيداً في السرير من دون إريكا. كم كان غريباً أن يتعوّد المرء على شيء ما بهذه السرعة طالما أنه يعجبه ويرضيه. لقد اكتشف أنه كان يجد صعوبة في أن ينام وحيداً. وقد دهش لمدى خيبة الأمل التي شعر بها حين اتصلت به إريكا وهو في طريق العودة لتبلغه أن أختها قد قدمت إلى منزلها في زيارة مفاجئة وأنها تعتقد أنه من الأفضل أن ينام هذه الليلة في منزله. كان يريد أن يطرح المزيد من الأسئلة ليعرف ما الذي يجري لكن صوت إريكا عبر الهاتف أنبأه أنها لن تتمكن من إيضاح الأمور له فاكتفى بالقول إنه سيتصل بها في الغد وأنه يفتقدها كثيراً.

كان نومه الآن تملأه صور إريكا إضافة إلى أفكار حول ما عليه

أن يفعله صباحاً. لقد كانت ليلة طويلة جداً في الواقع بالنسبة إلى باتريك.

حين خلد الولدان لنوم عميق أخيراً سنحت الفرصة لهما بالتحدث. قامت إريكا سريعاً بتسخين بعض الطعام الجاهز المجلد، لأنه بدا أن آنا كانت تحتاج لتناول شيء ما وتسد جوعها. كانت إريكا قد نسيت أن تأكل كذلك، وكانت معدتها الآن تهدر جوعاً.

بالكاد لامست آنا الطعام في صحنها بالشوكة. انتاب إريكا شعور مألوف من القلق حيال أختها الصغرى. تماماً كما كانت تشعر وهما لا تزالان أصغر سناً. كانت تود لو تأخذ آنا بين ذراعيها وتهز لها وتخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام وتطبع على جبينها قبلاً تمحو بها الألم والجراح، لكنهما كانتا قد أصبحتا كبيرتين الآن وناضجتين، وكانت مشاكل آنا التي تمر بها حالياً تفوق الألم الذي كان يسببه لها خدش على ركبتها. شعرت آنا بأنها عاجزة ومغلوب على أمرها بمواجهة تلك المشكلة. كانت أختها الصغرى تبدو للمرة الأولى في حياتها غريبة عنها. كانت تجد نفسها خرقاء وغير واثقة مما تقوله لها أو كيف تتحدث إليها. لذا جلست بصمت تنتظر آنا أن تبدأ الحديث. وقد فعلت بعد فترة طويلة من الصمت.

«لا أعلم ما الذي أفعله إريكا. ما الذي سيحل بي وبالولدين؟ إلى أين عسانا نذهب؟ كيف عساي أقوم بإعالتنا؟ لقد عشت فترة طويلة لا أفعل شيئاً سوى أن أكون ربة منزل، لذا أنا لا أتقن شيئاً آخر أقوم به».

لاحظت إريكا أن مفاصل أصابع آنا قد ابيضت لكثرة ما كانت تقبض على الطاولة بقوة وكأنها تحاول بشكل رمزي أن تحكم قبضتها على زمام الأمور.

«اصمتي، لا تفكري بهذا الآن. سوف يسير كل شيء على خير ما يرام. كل ما عليك فعله هو أن تعيشي يومك ويمكنك أن تبقي هنا مع الولدين قدر ما تشائين. المنزل ملك لك أيضاً، أتذكرين هذا؟»

سمحت لنفسها أن تبتسم بقليل من المكر ولاحظت سعيدة أن آنا قد تجاوبت مع الابتسامة وافتر ثغرها عن واحدة مماثلة. مسحت آنا أنفها بظاهر كفها وتناولت إحدى محارم الطاولة شاردة الذهن.

«لا يسعني أن أسامح نفسي لأني سمحت له أن يذهب إلى هذا الحدّ. لقد تسبب بالأذى لإيما، كيف أمكنني أن أسمح له بإيذاء إيما؟»

سال أنفها من جديد، لكنها استعملت منديلاً ورقياً هذه المرة بدلاً من يدها.

«لماذا سمحت له أن يسبب الأذى لإيما؟ ألم أكن أعرف في أعماقي أن هذا سيحصل يوماً ما؟ هل اخترت أن أغلق عيني حفاظاً على راحتي الشخصية؟»

«سمعي آنا، إن كان هناك من أمر واحد أنا متأكدة منه حتماً فهو أنه لا يجدر بك ألا تسمحي لأي كان أن يؤذي ولديك».

مدّت إريكا يدها من فوق الطاولة وحضنت بها يد آنا. كانت هزيلة بما يثير الصدمة، كانت عظام يدها أشبه بعظام عصفور، وكأنها قد تنكسر بسرعة ما إذا ضغطت عليها بقوة.

«ما لا أفهمه هو أنه بالرغم مما فعل لا يزال هناك جزء مني يحبه. لقد أحببت لوكاس مدة من الزمن لدرجة أن حبه صار مغروساً فيّ يسير في دمي، إنه جزء مني. ولا أستطيع أن أتخلص من ذلك الجزء مهما فعل بي. أتمنى لو أني أستطيع أن أستل سكيناً وأقتطع ذاك الجزء بيدي. أشعر أني متسخة ومثيرة للقرف».

لامست صدرها بيد مرتعشة وكأنما لتظهر مكمن الشر.

«ليس هذا بالأمر غير الاعتيادي آنا. ليس عليك أن تشعري بالخجل من ذلك. الأمر الوحيد الذي ينبغي عليك فعله الآن هو التركيز على التعافي مجدداً». توقفت قليلاً عن الكلام قبل أن تتابع بالقول: «لكن عليك أن تقدمي بلاغاً بلوكاس للشرطة».

«كلا، إريكا، كلا. لا أستطيع أن أفعل ذلك».

انسكبت الدموع فوق وجنتيها وعلقت بعض القطرات على ذقنها قبل أن تسقط وتشكل بقعاً رطبة على غطاء الطاولة.

«أجل، آنا، عليك فعل ذلك. لا يمكن أن تسمحي له بأن ينفذ بفعلته. لا تقولي لي إنك ستتمكنين من أن تعيشي مرتاحة الضمير إن سمحت له بأن يكسر ذراع ابنتك من دون أن تجعليه يتحمل العواقب ويدفع ثمن ما فعل!»

«كلا، أجل، لا أعرف إريكا، لا أعرف. لا يسعني أن أفكر بشكل واضح وكأن رأسي محشو بالقطن. لا يسعني أن أفكر بالأمر في الوقت الحاضر، ربما لاحقاً».

«لا آنا، ليس لاحقاً أبداً. لاحقاً سيكون الوقت قد فات. عليك أن تفعلي ذلك الآن! سوف أرافقك غداً إلى مخفر الشرطة، لكن عليك أنت أن تفعلي ذلك، ليس من أجل الطفلين فقط بل من أجلك أنت أيضاً».

«أنا لست واثقة أني أمتلك الشجاعة للإقدام على هذه الخطوة».

«أعلم أنك تفعلين، فخلافاً لي ولك، لدى إيما وأدريان أم تحبهما، أم مستعدة لأن تفعل أي شيء من أجلهما».

لم تتمكن من منع المرارة من الظهور في صوتها.

أطلقت آنا تنهيدة وقالت: «عليك أن تسامحي في هذا الشأن، إريكا. لقد تقبلت منذ وقت طويل أن أبي كان هو الأهل وحده الذي نملك حقاً. كما كففت عن القلق بشأن السبب الذي يكمن وراء

ذلك. كيف لي أن أعرف ما كان السبب؟ لعل ماما لم تكن ترغب بأن يكون لها أولاد قط. لعلنا لم نكن أولئك الأطفال الذين حلمت بهم. لن نتمكن من معرفة ذلك الآن. ولا يجدينا أي نفع أن نتمسك بأفكارنا عنها. مع أني أنا كنت أكثر حظاً ربما من بيننا نحن الاثنتين، ذلك لأنه كان لدي أنت. لعلي لم أخبرك بهذا من قبل مطلقاً لكني لم أكن أدرك كم فعلت أنت من أجلي. علمت ما الذي تعنينه بالنسبة إلي بينما كنا نكبر. أنت لم يكن لديك أحد إريكا يهتم بك سوى ماما التي لم تفعل، لكن لا تشعري بالمرارة، عديني ألا تفعلي. ألا تدركين أني كنت ألاحظ كيف كنت تنسحبين ما أن تلتقي أحدهم وتدخلين معه في علاقة قد تتطور لتصبح جدية؟ كنت تتراجعين قبل أن تتعرضي لخطر الإصابة بأذى من تلك العلاقة. عليك أن تتعلمي أن تدعي الماضي وشأنه إريكا. يبدو أن هناك شيئاً مبشراً حقاً في الوقت الراهن. يجب ألا تتراجعي هذه المرة. أريد أن أصبح خالة يوماً ما».

بدأت كلاهما تضحك من خلال دموعها، وقد حان الآن دور إريكا لتجفف دموعها وتمسح أنفها. غدت أجواء الغرفة مشحونة بالعواطف الجياشة، لكن بدا وكأنهما تقومان بعملية غسل نفوس كما حين يتساقط المطر ويغسل الطبيعة قبل مجيء فصل الربيع. كان هناك الكثير من الكلام الذي لم يُقَل بينهما من قبل والكثير من الغبار الراكد في الزوايا، وقد شعرت كل منهما أن الوقت قد حان لإخراج الممسحة والبدء بإزالة ذاك الغبار.

أمضيتا الليل بطوله تتحدثان إلى أن حلّ ضباب الصباح الرمادي واستبدل عتمة الشتاء. نام الولدان لوقت أطول من المعتاد وحين أطلق أدريان صرخة تبشر باستيقاظه أخيراً عرضت إريكا أن تهتم هي بالولدين لتسمح لآنا بالحصول على بضع ساعات من النوم.

شعرت أنها تتمتع بمعنويات مرتفعة أكثر من أي وقت آخر يمكنها

أن تتذكره. من الطبيعي أنها كانت لا تزال تشعر بالغضب العارم حيال ما حصل لإيما، لكنها هي وآنا قد قالتا أثناء الليل الكثير مما كان يجب أن يقال منذ وقت طويل. بعض الحقائق كانت مريرة لكن ضروري أن تسمع. وقد تفاجأت لمدى السهولة التي تستطيع أختها أن تقرأها بها وكأنها كتاب مفتوح أمامها. كان على إريكا أن تعترف بأنها قد قللت من قدر آنا على ما يبدو. لعلها كانت تبالغ قليلاً في رعاية أختها وما عادت ترى فيها سوى الطفلة الكبيرة التي لا تتمتع بالمسؤولية. لقد كانت في الواقع أكثر من ذلك بكثير وقد سرت إريكا كثيراً لأنها تمكنت أخيراً من رؤية آنا على حقيقتها.

لقد تحدثتا كثيراً أيضاً عن باتريك وها هي تتصل به الآن بينما تحمل أدريان بين ذراعيها. لم يردّ على الاتصال حين رنت على هاتف المنزل فاتصلت على هاتفه الخلوي بدلاً من ذلك. تبين لها أن إجراء اتصال ما تحدٍّ أصعب مما كانت تعتقد لأن أدريان كان مبتهجاً بالهاتف الذي يظنه لعبة رائعة تحملها بيدها ويحاول جاهداً الحصول عليها لنفسه. حين أجاب باتريك عند الرنة الأولى هذه المرة اختفى كل تعب الليل بسحر ساحر.

«أهلاً حبيبتي».

أجابت إريكا: «كم أحب أن تناديني على هذا النحو».

«كيف تسير الأمور؟»

«جيدة شكراً. ها إننا نعيش نوعاً من أزمة عائلية هنا. سأخبرك بكل ما يجري حين أراك. لقد حصلت الكثير من الأمور وبقينا أنا وآنا مستيقظتين طوال الليل نتحدث. أما في الوقت الراهن فإني أهتم بالولدين لكي تتمكن من الحصول على قسط من النوم والراحة».

سمعها تكبت تثاؤبها عبر الهاتف، فقال لها: «تبدين متعبة».

«أنا متعبة بالفعل بل أكاد أنهار من التعب، لكن آنا تحتاج إلى

النوم أكثر مما أفعل أنا، لذا يجب أن أبقى مستيقظة لبضع ساعات إضافية بعد لأهتم بشؤون الولدين فهما لا يزالان صغيرين جداً للاعتناء بنفسيهما».

تمتم أدريان كلاماً غير واضح موافقاً على ما قالته.

خرج باتريك بقرار فوري قائلاً: «هناك حل آخر للمشكلة».

ضحكت متسائلة: «آه، حقاً؟ ما هو؟ هل أقوم بربطهما بالدرابزين لبضع ساعات؟»

«بل سأحضر أنا وأهتم بهما».

أطلقت إريكا صيحة غير مصدقة ما سمعت: «أنت؟ أنت تريد الاهتمام بالولدين؟»

أجاب بنبرة مفعمة بالأسى المصطنع: «هل تقصدين أني لست رجلاً بما يكفي للقيام بالمهمة. يمكنني تولي أمر لصّين من دون مساعدة أحد، ويمكنني حتماً الاهتمام بكائنين صغيرين قصيرين جداً. أم أنك لا تثقين بأني قادر على ذلك؟»

توقف عن الكلام ليمنح ما قاله التأثير المطلوب، وسمع إريكا تطلق تنهيدة من الأعماق على الطرف الآخر من الخط.

«حسناً، قد تكون قادراً على التعامل مع الأمر، لكنني أحذرك بأن هذين أقرب إلى حيوانين صغيرين مفترسين حقاً. هل أنت متأكد فعلاً أنك تستطيع تهدئتهما والتماشي معهما وأنت في هذا العمر أقصد؟»

«سأحاول. لعله يجب أن أحضر معي دواء القلب فقط في حال استجد طارىء ما».

«حسناً، العرض مقبول. متى تستطيع الحضور إلى هنا؟»

«حالاً، في الواقع. أنا كنت أصلاً في طريقي إلى فيالباكا لأقوم

بعمل ما ولقد اجتزت ملعب الغولف الصغير للتو. لذا أراك في غضون خمس دقائق».

كانت تقف بالباب تنتظر قدومه حين خرج من باب السيارة. كانت تحمل على ذراعها صبياً ذا وجنتين منفوختين متوردتين، يلوح بذراعيه. أما خلفها تقف فتاة صغيرة بالكاد يمكن رؤيتها وإبهامها داخل فمها وذراعها الأخرى ملفوفة بالجبس ومعلقة في رقبتها. كان لا يزال يجهل سبب ظهور آنا المفاجىء، لكن بعد الكلام الذي قالته له إريكا عن صهرها ومشهد الطفلة الصغيرة بذراعها المضمدة بالجبس، بات ينتابه الشك قليلاً، لكنه لم يسأل لأن إريكا سوف تخبره بما حصل حين تتسنى لها الفرصة لذلك.

ألقى باتريك التحية على كلٍّ منهم بمفرده؟ أما إريكا فقد حصلت إضافة للتحية بقبلة على شفتيها وأدريان على تربيت على الكتف قبل أن يركع على الأرض ليلقي تحية خاصة على إيما الرصينة. تناول يدها السليمة وقال لها: «مرحباً، أنا أدعى باتريك. ما اسمك؟»

أجابت بعد فترة من الصمت المتعمد: «إيما». لم تلبث أن أنهت كلمتها حتى أعادت إصبعها إلى داخل فمها.

سلمته إريكا أدريان وقالت له: «سوف تتذمر حتماً».

ثم التفتت إلى إيما وقالت: «ماما وعمتك ناعستين ويجب أن تأخذا قيلولة لهذا السبب أتى باتريك ليقوم بالاهتمام بكما لبرهة. هل يناسبكما ذلك؟ إنه صديقي وهو لطيف جداً جداً. وإن كنتما لطيفين أنتما كذلك فقد يجلب لكما باتريك لوحي آيس كريم من البراد».

رمقت إيما إريكا نظرة ارتياب، إلا أن فرصة الحصول على لوح آيس كريم كانت مغرية بشكل لا يقاوم، فأومأت موافقة بتردد.

«سأتركهما لك إذاً وسأراك بعد برهة. حاول أن تحرص على أن يكونا سليمين عندما أصحو، هذا إن تمكنت من ذلك».

اختفت إريكا على السلالم المؤدية إلى الطابق العلوي.

التفت باتريك إلى إيما التي كانت لا تزال تنظر إليه بارتياب.

«ما هو قولك إذاً؟ ما رأيك في أن نلعب الشطرنج؟ أو لا؟ ما رأيك لو نتناول القليل من الآيس كريم على الغداء؟ أتظنين أن هذا يناسبك؟ حسناً من يصل أخيراً إلى البراد يحصل على جزرة بدلاً من الآيس كريم».

أخذت آنا تكافح رويداً رويداً لتعود إلى وعيها. بدت وكأنها كانت نائمة منذ مئات السنين وكأنها الأميرة النائمة. وقد وجدت صعوبة كبرى في أن توجه نفسها نحو الهدف حين فتحت عينيها، لكنها سرعان ما تعرفت إلى ورق الجدران الذي اعتادت رؤيته في طفولتها فصعقها الواقع بقوة وكأنها رزحت تحت طن من الأحجار. جلست في السرير على الفور. تناهى إلى مسامعها من الطابق السفلي صوت إيما التي تصرخ من الفرح وتذكرت أن إريكا كانت تهتم بهما أثناء نومها. استلقت من جديد وقررت أن تغط لبضع دقائق إضافية في السرير الدافىء. كانت تدرك أنه ما إن تنهض من السرير سيكون عليها التعامل مع عدد من الأمور، هكذا تكسب بعض الدقائق مع نفسها هرباً من الواقع.

أخذ عقلها يستجيب ببطء لما يحيطها فأدركت أن الصوت الذي تسمعه في الأسفل ممزوجاً بضحكات إيما وأدريان لم يكن صوت إريكا. تجمدت أوصالها للحظة حين خطر لها أن لوكاس قد يكون هنا، لكنها استدركت أن إريكا تفضل أن تطلق النار عليه لحظة تراه قبل أن تسمح له الاقتراب من الباب الأمامي للمنزل. انتابها حدس ما أنبأها من عساه الزائر يكون فدفعها الفضول للنهوض من السرير والذهاب لاستراق النظر إلى ما يحصل عبر قضبان الدرابزين. بدت

غرفة الجلوس من الأعلى وكأنها قد تعرضت لانفجار قنبلة ما. كانت وسائد أرائك الغرفة إضافة إلى كراسي غرفة الطعام الأربعة وأحد الأغطية قد تحول إلى قلعة. كانت قطع قلعة أدريان مبعثرة على الأرض في كل مكان. على الطاولة التي تتوسط الغرفة كان هناك العديد من أغلفة الآيس كريم بحيث أملت آنا أن يكون باتريك محباً للمثلجات وألا يكون ولداها قد تناولا كل تلك الكمية. أطلقت تنهيدة من أعماقها حين أدركت أنه سيكون من الصعب جداً إقناع ابنتها تناول الغداء أو العشاء. ابنتها تلك كانت تركب على كتفي رجل داكن الشعر جميل الوجه صاحب عينين بنيتين دافئتين. كانت غارقة في الضحك لدرجة كادت تختنق. من الواضح أن أدريان كان يشاركها فرحها بينما يستلقي على الأرض لا يضع عليه سوى حفاظ، لكن أكثر من كان يبدو مستمعاً بوقته هو باتريك وفي تلك اللحظات بالذات حظي بمكان في قلب آنا للأبد.

وقفت وتنحنحت لتلفت نظر اللاعبين الثلاثة.

«انظري ماما، لقد حصلت على حصان لي».

أوضحت إيما مدى قدرتها على التحكم بحصانها عبر شدّ باتريك من شعره، لكن احتجاجاته على تصرفها كانت عادية لن يأبه لها أي طاغ صغير مثلها.

«عليك أن تكوني لطيفة في التعامل مع الحصان وإلا لن تعودي قادرة على الركوب على ظهره مرة أخرى».

حفزت هذه الملاحظة حيطة الراكب فأخذت حرصاً منها تربت على شعره وتداعب خصلة منه بيدها السليمة لتحرص على ألا تخسر امتياز ركوب حصانها مجدداً.

«مرحباً آنا، مضى زمن طويل لم أرك فيه».

«أجل، صحيح. أعلم هذا. آمل أن الولدين لم ينهكاك كثيراً».

بدا عليه القلق فجأة، وقال: «لقد استمتعنا بوقتنا كثيراً. كما كنت حذراً جداً في التعامل مع ذراعها».

«أجل، هذا واضح. يبدو أنها مستمتعة بوقتها ومسرورة. هل إريكا نائمة؟»

«أجل، لقد بدت لي متعبة جداً حين تحدثنا على الهاتف هذا الصباح فعرضت عليها خدماتي بالمجيء والاهتمام بالولدين».

«وبحيوية بالغة حسبما أرى واضحاً».

«أجل، مع أننا أحدثنا القليل من الفوضى في المكان. آمل ألا يجنّ جنون إريكا حين تستيقظ وترى كيف خربت غرفة الجلوس كلياً».

وجدت آنا قلقه جذاباً جداً. من الواضح أن إريكا قد أطلعته على القواعد وفرضت التقيد بها.

«سأساعدك في ترتيب كل شيء وإعادته إلى مكانه، لكنني أحتاج لفنجان قهوة في البداية، هل ترغب بتناول واحد أنت؟»

تناولا القهوة وتحدثا كصديقين قديمين. كانت الطريق إلى قلب آنا تمر عبر ولديها. وما كان الحب في عيني إيما يقبل الشك حين تسلقت كتفي باتريك وقضت على كل محاولات آنا إقناع ابنتها بأن تترك باتريك وشأنه لفترة. في الوقت الذي نزلت فيه إريكا إلى الأسفل بعد حوالى الساعة بعينين متعبتين من النوم كانت آنا قد تحققت من كل تفصيل في حياة باتريك بدءاً بقياس حذائه وصولاً إلى سبب طلاقه. حين أعلن أخيراً أنه يجب أن يغادر قامت الفتيات جميعاً بالاعتراض وكان أدريان ليفعل لو لم يكن يأخذ قيلولة فترة الظهر.

ما إن سمعتا صوت هدير المحرك التفتت آنا إلى إريكا بعينين

متسعتين وقالت مندهشة: «يا إلهي! يا له من حلم كل حماة. أليس لديه أي إخوة أصغر منه سناً؟»

لم تجب إريكا بأي كلمة بل أخذت تضحك بفرح.

أعطي باتريك مهلة بضع ساعات تعفيه من تنفيذ المهمة التي كان يعرف أن عليه القيام بها، والتي قضّت مضجعه طوال الليل. بالكاد كان يخشى أي شيء في الحياة كما كان يخشى القيام بذلك، لكنه كان يعلم أنه جزء من المهنة التي اختار ولا يمكن تفاديه. بات يعلم الآن حلّ إحدى عمليتي القتل لكن تلك المعرفة لم تجعله يشعر بالسعادة.

قاد باتريك سيارته ببطء من سالفيك نزولاً حتى مركز البلدة. كان يود تأجيل ذلك قدر المستطاع لكن المكان لم يكن بعيداً ووصل إلى هناك بأسرع مما كان يريد. ركن السيارة في مرآب متجر إيفا للأغذية وتابع ما تبقى من الطريق سيراً على القدمين. كان المنزل يقع على رأس إحدى الطرقات التي تنحدر بشكل قوي نزولاً نحو منازل المرافىء التي تمتد على طول المياه.

كان منزلاً قديماً جميلاً حسن المظهر، لكنه كان قد أهمل منذ زمن طويل على ما يبدو يمتد على سنوات. أخذ نفساً عميقاً قبل أن يطرق على الباب، لكن ما إن لامست أصابعه الخشب حتى تحول إلى محترف يتقن مهنته. لم يكن ليسمح لمشاعره وعواطفه التدخل. لقد كان شرطياً وذلك يحتم عليه لأن يقوم بعمله كما يجب مهما كان باتريك المواطن العادي يشعر حيال المهمة.

فتحت فيرا الباب فوراً تقريباً. رمقته نظرة تساؤل، لكنها تنحت جانباً ما إن طلب إليها الإذن بالدخول. سبقت خطاه إلى المطبخ، حيث جلسا إلى الكراسي حول الطاولة التي تتوسطه. صعق باتريك لواقع أنها لم تسأله عن سبب مجيئه، وقد ظن للحظة أن ذلك يعود إلى

معرفتها بالسبب مسبقاً، لكن بغض النظر عن السبب الذي أتى لأجله، كان على باتريك أن يعرض ما يريد قوله بأكثر الطرق مراعاة للشعور.

كانت قد سمرت نظراتها عليه بهدوء، لكنه كان يرى هالات سوداء تحيط بتلك العينين مما يشير بشكل واضح إلى حزنها وتفجعها على موت ابنها. كان على الطاولة ألبوم صور قديم وخطر له أنه إذا فتحه سيرى صوراً لأندرز وهو طفل. كان يصعب عليه كثيراً أن يأتي إلى هنا في زيارة لأم تتفجع على ولدها الذي لم يمض على وفاته إلا بضع أيام، إلا أنه كان على باتريك أن يدفع جانباً بغريزة الحماية الطبيعية ويصب بدلاً من ذلك كل تركيزه على المهمة التي جاء من أجلها ويكشف النقاب عن حقيقة موت أندرز.

«اسمعي فيرا، أعلم أننا التقينا آخر مرة في ظل ظروف صعبة جداً وحزينة وأود أن أبدأ كلامي بالقول إني آسف حقاً لموت ابنك».

كل ما فعلته كان أن أومأت وأخذت تنتظر بصمت لأن يتابع كلامه.

«لكن وبالرغم من أنني أتفهم مدى صعوبة الأمر بالنسبة إليك، فعملي يقتضي أن أحقق في ما حدث لأندرز. آمل أنك تتفهمين».

«كان باتريك يتكلم ببطء وهدوء وكأنه يتحدث إلى ولد ما. لم يكن يعرف السبب وراء قيامه بذلك، لكن كان من المهم جداً بالنسبة إليه أن تفهم ما الذي يقوله تماماً».

«لقد أجرينا تحقيقاتنا في جريمة مقتل أندرز كما بحثنا عن ارتباط عملية قتله بجريمة قتل ألكسندرا ويكنر، وهي امرأة بتنا نعلم أنه كان يقيم علاقة معها. لم نجد أي أثر لقاتل محتمل ولن نجد أي دليل حول كيفية تنفيذ الجريمة. وصدقاً أقول لك إن ذلك قد تركنا بالفعل في حيرة من أمرنا. لم يتمكن أي كان من أن يأتي بتفسير جيد حول تطور مسار الأحداث، إلى أن وجدت هذه في شقة أندرز».

وضع باتريك النسخة التي قام بتصويرها لقطعة الورق على طاولة المطبخ أمام فيرا بحيث تتمكن من قراءة النص بوضوح. سيطرت على وجهها ملامح الدهشة والتعجب وهي تنقل نظرها عدة مرات بين الورقة ووجه باتريك. حملت الورقة بيدها وقلبتها إلى الجهة الأخرى. مررت أصابعها فوق الأحرف ثم أعادت وضعها على الطاولة أمامها مجدداً من دون أن تغادر ملامح الذهول وجهها.

كان صوتها أجشاً من الأسى حين سألته: «أين عثرت على هذه؟»

«في شقة أندرز. لقد فوجئت لأنك ظننت أنك أخذت النسخة الوحيدة من هذه الرسالة، أليس هذا صحيحاً؟»

أومأت مجدداً.

تابع باتريك كلامه قائلاً: «إنها كذلك بالفعل، أنت أخذت النسخة الوحيدة بالفعل، لكنني وجدت دفتر الملاحظات الصغير الذي دوّن عليه أندرز الرسالة، فبينما كان يضغط بالقلم لكتابتها تركت الكلمات أثراً في الصفحة التي تحتها. هكذا تمكنت من الحصول على نص الرسالة».

افتر ثغر فيرا عن ابتسامة ماكرة وقالت: «لم يخطر لي ذلك حتى بالطبع. كان ذكاءً منك أن تقدم على هذه الخطوة».

«أظن أنني بت أعرف ما حصل على وجه التقريب، لكنني أود فعلاً أن أسمعك تخبرينني الأمر بلسانك».

أخذت تتلمس الورقة للحظة تتحسس الأحرف برؤوس أصابعها شاردة الذهن وكأنها تقرأ أحرف نافرة وتدرك معناها من دون أن تراها بعينيها. أطلقت تنهيدة من أعماقها وتجاوبت مع طلب باتريك الودود والصارم في آنٍ معاً.

«لقد ذهبت إلى شقة أندرز أحمل له حقيبة من الطعام. كان الباب غير مقفل كما كان يكون معظم الأحيان بأي حال فناديته

وحسب ودخلت. كان الهدوء يخيم على المكان ويحرسه بالكامل. رأيته في الحال. وشعرت أن قلبي قد توقف عن الخفقان في تلك اللحظة. هذا كان ما شعرت به تماماً في تلك اللحظات. وكأن دقات قلبي قد صمتت فجأة ولم يتبق إلا الصمت. كان يتأرجح قليلاً إلى الأمام وإلى الوراء، كما لو كانت هناك رياح تعصف داخل الغرفة، وهذا ما أدرك أنه مستحيل الحصول».

«لماذا لم تقومي بإبلاغ الشرطة؟ أو تتصلي بسيارة الإسعاف على الأقل؟»

هزت كتفيها وحسب قائلة: «لا أعلم لماذا لم أفعل. قادتني غريزتي إلى أن أهرع وأنزله عن الحبل بطريقة ما، لكن حين اقتربت منه وهو في غرفة الجلوس عرفت أن الوقت قد فات كثيراً. كان ولدي قد مات».

للمرة الأولى منذ أن بدأت الكلام شعرت فيرا بصوتها يرتعش قليلاً، لكنها أخذت تبتلع ريقها بصعوبة وأجبرت نفسها بهدوء غريب أن تتابع قائلة: «وجدت هذه الرسالة على طاولة المطبخ. وقد قرأتها لذا فإنك تعرف مضمونها وأنها تقول بأنه ليس قادراً على متابعة حياته، وإن الحياة أصبحت سلسلة من العذابات التي لا تنتهي وأنه ما عاد يستطيع مواجهتها أكثر من ذلك. لقد اختفت كافة الأسباب التي كانت تجعله يعيش. لا بدّ أني جلست في المطبخ لساعة أو ساعتين ربما لا أعرف. دسست الرسالة في حقيبة يدي على الفور، وكان كل ما عليّ فعله بعد ذلك هو أن آخذ الكرسي التي استخدمها للصعود عليها وإدخال عنقه في حبل المشنقة وإعادتها إلى مكانها في المطبخ».

«لكن لماذا فيرا؟ لماذا فعلت ذلك؟ ما كان الهدف مما فعلت؟ ما كان قصدك؟»

كانت نظراتها ثابتة وثاقبة لكن أمكن لباتريك أن يدرك أن ارتعاش

يديها ليكذّب هدوءها الظاهري. لم يكن في وسعه أن يتخيل حتى مدى الرعب الذي لا بدّ اختبرته عند رؤية ابنها معلقاً من السقف ولسانه الأزرق متدل من فمه وعينيه جاحظتين. لا بدّ أن النظر إليه كان صعباً ما يكفي بالنسبة إليها. وها هي أمه الآن ستضطر لأن تعيش بقية حياتها وهي تحمل صورته تلك في مخيلتها.

«كنت أريد أن أجنبه المزيد من الإذلال. لطالما نظر إليه الناس طوال تلك السنوات بازدراء وقلة احترام. لطالما كانوا يشيرون إليه بأصابعهم ويضحكون منه. لطالما كانوا يرفعون أنوفهم في الهواء حين يمرون بالقرب منه ويشعروه بفوقيتهم وأهميتهم. ما الذي عساه الناس يقولون حين يسمعون بأن أندرز قد أقدم على شنق نفسه؟ أردت أن أجنبه ذاك العار. وقد فعلت ذلك بالطريقة الوحيدة التي خطرت لي».

«لكنني ما زلت لا أفهم. لماذا قد يكون إقدامه على الانتحار أكثر سوءاً من تعرضه للقتل على يد شخص آخر؟»

«لا زلت شاباً صغيراً لا تقدر على فهم الفرق. لا يزال الازدراء حيال المنتحرين الذين يأخذون حياتهم بأيديهم متجذراً في نفوس الناس الذين يقطنون المناطق الساحلية. ما كنت أريد أن يتحدث الناس عن صغيري على هذا النحو. لقد قالوا ما يكفي من التفاهات عنه طوال تلك السنوات».

كانت نبرة فيرا تحمل شيئاً من التصلب والقسوة. لقد كرّست ما مضى من سنوات لحماية ابنها وتقديم المساعدة له. كان باتريك مع ذلك لا يزال عاجزاً عن فهم دوافعها. لعله كان من الطبيعي أن تمضي في حمايته حتى بعد مماته.

مدّت فيرا يدها نحو ألبوم الصور على الطاولة وفتحته، بحيث يمكن لها ولباتريك أن يريا الصور فيه. وفقاً للملابس التي تعكسها الصور فلا بدّ أنها التقطت أيام السبعينيات. كان وجه أندرز يبتسم

لعدسة الكاميرا في كافة الصور التي قد بدأت تميل قليلاً إلى الاصفرار بكل انفتاح ولامبالاة.

«كان بحالة رائعة، ابني الحبيب أندرز».

كان صوت فيرا حالماً وأخذت تداعب الصور وتمرر أصابعها بحنان عليها.

«لطالما كان ولداً رائعاً ولطيفاً. لم يكن يعاني من أي مشكلة».

أخذ باتريك ينظر إلى الصور باهتمام بالغ. كان يستحيل عليه أن يصدق أنه ينظر إلى الشخص ذاته الذي لم يقابله إلا مريضاً محطماً. كان الصبي الموجود في الصور محظوظاً لعدم معرفته بالمصير الذي كان ينتظره. أثارت إحدى الصور التي رأى اهتمامه أكثر من سواها. كانت هناك فتاة نحيلة شقراء تقف بجانب أندرز، وقد كانت تجلس فوق دراجة هوائية ذات مقعد يشبه الموزة ومقودين أشبه بالساطور. كان يظهر على ثغرها طيف ابتسامة بينما تسترق النظر بخجل من تحت الحافة.

«لا بدّ أن تكون هذه ألكس، أليس كذلك؟»

أتت إجابة فيرا مقتضبة: «أجل».

«هل كانا يلعبان معاً كثيراً حين كانا صغيرين؟»

«ليس كثيراً، لكنهما كانا يلعبان معاً أحياناً بالطبع، فقد كانا في الصف ذاته في النهاية».

كان باتريك يقترب بحذر من موضوع حساس، وكأنه كان نظرياً يتحسس المياه برؤوس أصابع قدميه قبل أن يخطو خطوته.

«لقد علمت أن نيلز لورنتز كان أستاذهما لفترة من الزمن، صحيح هذا؟»

أخذت فيرا تنظر إليه بعينين باحثتين متسائلتين قبل أن تجيب: «أجل، هذا ممكن. لقد كان ذلك منذ زمن طويل في الأخير».

«لقد سادت بعض الأقاويل التي طالت نيلز لورنتز حسبما سمعت، سيما حين اختفى عن الأنظار ببساطة في فترة لاحقة».

«لا يترك الناس هنا في فيالباكا موضوعاً إلا ويثيرون حوله الأقاويل. لذا من المحتمل أن يكونوا قد تناولوا نيلز لورنتز بأحاديثهم كذلك».

من الواضح أنه كان ينكأ الآن جرحاً متقيحاً، لكنه كان مجبراً على الاستمرار في الغوص عميقاً في الموضوع.

«لقد تحدثت إلى والدي ألكس اللذين كانت لهما بعض الادعاءات حول نيلز لورنتز. ادعاءات طالت أندرز على حدّ سواء».

كان من الواضح أيضاً أنها لا تنوي أن تجعل الأمور سهلة بالنسبة إليه: «لقد فهمت».

«بالنسبة إليهما، قام نيلز لورنتز بالاعتداء جنسياً على ألكس ويزعمان أن أندرز قد تعرض للاستغلال كذلك».

جلست فيرا على حافة الكرسي وقد أصيبت بالتصلب، ولم تتفوه بكلمة واحدة رداً على ما قاله باتريك أو بالأحرى على سؤاله. قرر أن ينتظرها وبعد بضع لحظات من الصراع الداخلي أطبقت ألبوم الصور على مهل ونهضت عن الكرسي.

«لا أريد التحدث عن أمر أصبح من الماضي البعيد. أريد منك أن ترحل الآن. إن كنت تود أن تسوق اتهاماً ضدي بسبب ما فعلته حين وجدت جثة أندرز بتّ تعرف أين تجدني، لكنني لا أنوي مساعدتك في نبش الماضي والكشف عن أمور من الأفضل أن تبقى مدفونة».

«سؤال واحد بعد: هل سبق أن تحدثت إلى إريكا ولو مرة واحدة عن هذا الأمر؟ فقد فهمت أنها كانت قد اتخذت القرار بأن

تتعامل مع ما حصل من دون أن تستمر بإنكاره ومن الطبيعي أنها كانت لتتحدث معك أيضاً بهذا الشأن».

«أجل، لقد فعلت. لقد جلست في منزلها ما يقارب الأسبوع قبل وفاتها أصغي لأفكارها التافهة حيال تصالحها مع الماضي، وإخراج الهياكل العظمية إلى الضوء وما إلى هنالك من أمور. مجرد كلام فارغ يتماشى مع العصر برأيي. يبدو أن الجميع اليوم بات مهووساً بغسل ملابسه المتسخة في العلن، مدعياً أن كشف جميع الأسرار والإعلان عن الخطايا مؤشر صحي، إلا أن بعض الأمور يجب أن تبقى شخصية وسرية. وقد أخبرتها بذلك أيضاً. لا أعلم ما إن كانت قد أصغت إلي أصلاً، لكنني كنت آمل أنها قد تفعل. في المقابل ظهر لدي التهاب عنيد في المثانة بسبب المكوث هناك في منزلها البارد».

أعلنت فيرا بذلك نهاية الحديث وتوجهت نحو الباب الأمامي. فتحته أمام باتريك وألقت عليه تحية الوداع بتحفظ بالغ.

حين وجد نفسه يقف خارج باب منزلها في الصقيع مجدداً وقد أغرق القبعة حتى أذنيه ووضع القفازات في يديه لم يكن يعرف ما الذي يفعله عملياً أو على أي قدم يقف. فقفز في مكانه بضع مرات ليبث الدفء في جسده، ثم توجه إلى داخل سيارته بخطى سريعة.

توصل بنهاية حديثه مع فيرا إلى أنها امرأة بغاية التعقيد. كانت تنتمي إلى جيل مختلف بالكامل، إلا أنها كانت في الوقت ذاته تناقض مبادىء ذلك الجيل بمختلف الطرق، فقد كانت تعيل ابنها في طفولته من عملها، حتى أنه حين بلغ سن الرشد وكان من المفترض أنه أصبح قادراً على الاهتمام بنفسه ظلت تعتني به وتبقيه تحت جناحيها. كانت على طريقتها الخاصة إمرأة متحررة أمضت سنوات حياتها وحيدة من دون رجل يساندها. وكانت في الوقت ذاته تلتزم بالقواعد الخاصة بنساء ذاك الجيل والرجال بطبيعة الحال. لم يكن في وسعه إلا أن

يشعر رغماً عنه بنوع من الإعجاب حيال تلك المرأة. لقد كانت امرأة قوية من دون شك، امرأة معقدة التركيبة تحمّلت أكثر ما يمكن لإنسان احتماله طوال حياته.

لم يكن يعرف أي شيء بشأن ما قد تكون العواقب التي ستتحملها فيرا بسبب ما قامت به من تدخل لتجعل عملية انتحار أندرز تبدو وكأنها جريمة قتل. كان يتحتّم عليه طبعاً أن ينقل ما يعرفه من معلومات إلى مخفر الشرطة، لكنه لم يكن يملك أدنى فكرة عما قد يحصل بعد ذلك. لو كان القرار يعود إليه في تلك المسألة لاختار أن يغض الطرف لكنه لم يكن قادراً على إطلاق وعد بأن ذلك سيحدث فعلاً. من وجهة قانونية بحتة كان ممكناً توجيه تهمة إليها بإعاقة مسار التحقيق على سبيل المثال، لكنه كان يأمل بصدق ألا يحدث ذلك فعلاً. ما كان يستطيع أن ينكر أنه قد أحب فيرا. لقد كانت امرأة محاربة وأمثالها من النساء لم تكنّ كثراً.

حين وصل إلى سيارته فتح هاتفه المحمول ورأى أن هناك رسالة ما بانتظار أن يقرأها. كانت من إريكا. تبلغه أن هناك ثلاث سيدات وسيد صغير جداً يأملون في أن يتناول العشاء برفقتهم الليلة. نظر باتريك إلى الساعة فوجد أنها قد تجاوزت الخامسة مساءً فقرر من دون أن يخوض أي صراع داخلي أن الوقت قد تأخر ربما للذهاب إلى المخفر. وتساءل في سره عما قد يجعله يذهب إلى منزله إذ لم يكن لديه ما يفعله هناك. قبل أن يدير محرك سيارته اتصل بأنيكا وزودها بتقرير مختصر عما حققه من إنجازات في ذلك اليوم، إلا أنه أغفل التفاصيل الصغيرة بما أنه كان ينوي أن يقدم تقريراً كاملاً حول الوضع برمته حين يقابل ملبرغ وجهاً لوجه. كان يريد تفادي إساءة تفسير الوضع بأي ثمن وأن يتجنب كذلك قيام ملبرغ بالتخطيط لعملية تعبئة ضخمة لمتعته الشخصية وحسب.

بينما كان باتريك يقود سيارته عائداً إلى منزل إريكا ظلت تراوده أفكار تتعلق بجريمة قتل ألكس. لقد شعر بالإحباط لسلوكه طريقاً مسدوداً آخر، فحدوث جريمتي قتل كان يعني وجود احتمال مضاعف بقيام القاتل بخطأ ما. أما الآن فقد عاد إلى نقطة البداية مرة جديدة وقد خطر له للمرة الأولى أنه لن يعثر على قاتل ألكس مطلقاً. وقد أصابه ذلك بحزن غريب. شعر وكأنه بطريقة ما كان يعرف ألكس أفضل مما كان يعرفها أي شخص آخر. كان ما اكتشفه عن طفولتها وحياتها عموماً بعد الاعتداءات التي تعرضت لها قد أثر فيه بشكل عميق. يريد العثور على قاتلها أكثر من أي شيء آخر في الحياة.

إلا أنه كان عليه تقبل الوضع كما هو. كان قد وصل الآن إلى طريق مسدود آخر ولم يكن يعلم من أين عساه ينطلق من حيث هو أو أين يبحث. أجبر باتريك نفسه على أن يتناسى الأمر في الوقت الراهن لأنه كان ذاهباً في هذه الأثناء لرؤية إريكا وأختها لا سيما الولدين، وهذا ما كان يحتاج إليه تحديداً هذا المساء. لقد جعلته كل تلك المآسي، وجعله ذلك البؤس أيضاً، متوتراً ومنهكاً في آن معاً.

كان ملبرغ يطرق بأصابعه على طاولة مكتبه بنفاذ صبر يفكر أين عساه قد كان ذلك الشاب المدعي التافه. هل كان يظن أن المخفر مركز رعاية نهاري أم ماذا؟ هل كان يعتقد أنه يمكن الحضور والمغادرة كما يحلو له؟ لقد كان نهار سبت بالطبع، لكن كل من كان يظن أنه يمكن له أن يأخذ نهار عطلة واحد قبل أن ينتهي هذا كله كان يرتكب خطأً فادحاً. حسناً، سوف يحرص على تبديد وهمه بإمكان حصول ذلك وتحريره من تلك الفكرة. كان من الأهمية بمكان أن تراعى القواعد الصارمة في المخفر الذي كان يديره ويتم التقيد بالنظام. القيادة الصادقة الجيدة كانت الشعار الأبدي الذي يصلح لكل

الأزمنة، وإن كان هناك من أحد قد ولد يتمتع بصفات القيادة فإنه حتماً هو. لطالما كانت أمه تقول له إنه سيغدو شخصاً ذا اعتبار يوماً ما. حتى لو اضطر لأن يعترف أن الأمور ربما تستغرق أكثر بقليل مما كان أحدهما يتوقع، إلا أنه لم يساوره الشك يوماً بأن المميزات الرائعة التي كان يتمتع بها ستكافىء وتحصل على التقدير المناسب عاجلاً أم آجلاً.

لهذا السبب كان يشعر بذلك القدر من الإحباط لعدم إحرازهم أي تقدم في التحقيقات التي يجرون حالياً. شعر ملبرغ أن الفرصة الكبرى كانت قاب قوسين أو أدنى، بحيث كان قادراً على تذوق طعم تحقيق الانتصار. لكن إن لم يتمكن هذا الفريق المزري من بدء تقديم التقارير قريباً فسيكون عليه أن يكف عن الأمل بالحصول على ترقية ما والانتقال مجدداً إلى غوتبرغ. مجموعة من الكسالى الخاملين، هذا ما كانوا عليه بنظره مجرد شرطيين قرويين بالكاد يعرفون إيجاد الطريق إلى مؤخراتهم، مستعملين كلتا يديهم ومصباح جيب. كان يعلق قليلاً من الأمل على هيدشتروم الشاب، لكن على ما يبدو أنه هو أيضاً سيخيب أمله فيه. لم يكن باتريك حتى الآن قد قدم تقريره حول زيارته إلى غوتبرغ لذا قد يتبين بأن الأمر لا يعدو مدخلاً إلى جهة المدفوعات. كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق ولم يلمح أثراً له في المخفر!

«أنيكا!» أطلق صرخةً باتجاه الباب المفتوح وشعر بمستوى الانزعاج لديه يزداد أكثر فأكثر حين استغرقت مدة دقيقة كاملة لتتكرم وترد على النداء.

«أجل، ما الأمر؟»

«هل حدث أن اتصل هيدشتروم؟ هل لا يزال نائماً في سريره الدافىء أم ماذا؟»

«يصعب علي التفكير بالأمر على هذا النحو. اتصل وقال إنه قد عانى من بعض المشاكل في تشغيل محرك سيارته هذا الصباح إلا أنه في طريقه إلى هنا في هذه الأثناء». نظرت إلى ساعة يدها وتابعت: «يجب أن يكون هنا في غضون ربع ساعة من الوقت أو ما شابه».

«ما خطبه بحق السماء؟ كان يمكنه أن يصل إلى هنا مشياً على قدميه لو أراد ذلك؟»

كانت أنيكا مترددة نوعاً ما، وقد دهش لرؤية طيف ابتسامة يحوم فوق زاويتي فمها.

«حسناً، لا أظن أنه كان في منزله».

«أين كان إذاً بحق السماء؟»

أجابت أنيكا: «سيكون عليك أن توجه هذا السؤال إلى باتريك شخصياً»، ثم استدارت على عقبيها وعادت إلى مكتبها.

بدا أن وجود عذر جيد ما يشفع لباتريك تأخره قليلاً عن المكتب قد زاد من انزعاج ملبرغ لسبب ما. ألم يكن باستطاعته أن يخطط للأمر مسبقاً ويمنح نفسه بعض الوقت الإضافي في الصباح في حال تعرض لعطل ما في السيارة؟

بعد مرور خمس عشرة دقيقة أخرى كان باتريك يطرق بخفة على باب ملبرغ المفتوح قبل أن يدخل. كان يبدو لاهثاً، مقطوع الأنفاس أحمر الوجنتين، وقد ظهر على ملامحه السرور من دون أن يخجل من نفسه لتأخره على مكتبه وجعل رئيسه في العمل ينتظره لما يقارب نصف ساعة من الوقت.

«هل تظن أن هذا عمل بدوام جزئي أو ماذا؟ وأين كنت يوم أمس بحق السماء؟ ألم يمض يومين على ذهابك إلى غوتبرغ؟»

جلس باتريك في الكرسي المخصصة للزائرين، وبدأ يجيب عن سيل الأسئلة التي وجهها إليه ملبرغ بشكل هادىء.

«أعتذر على المجيء متأخراً. لم يعمل محرك السيارة هذا الصباح وقد استغرق إصلاح المشكلة لجعله يعمل ثانية ما يزيد عن نصف ساعة. أجل، لقد ذهبت إلى غوتبرغ في الأول من أمس وأظن أني سأقدم تقريراً بذلك في البداية قبل أن أخبرك بما فعلته بالأمس».

دمدم ملبرغ في إشارة إلى موافقته المترددة. أخبره باتريك بما اكتشفه عن طفولة ألكس موردأ في حديثه كافة التفاصيل المثيرة للقرف والاشمئزاز. شعر ملبرغ بفكه الأسفل يكاد يصل إلى مستوى صدره من الدهشة لدى سماعه بأن جوليا كانت ابنة ألكس. لم يكن قد سمع شيئاً مماثلاً من قبل. تابع باتريك كلامه فأخبره عن زيارة كارل-إريك الطارئة إلى المستشفى كما عن كيفية إيجاده قطعة من الورق في شقة أندرز وإخضاعها للتحليل. شرح له كيف تبين في النهاية أنها ملاحظة تثبت أنه أقدم على الانتحار ثم أعطاه تقريراً عما فعله بالأمس والسبب وراء قيامه بذلك. أخيراً قام باتريك بتلخيص الوضع كله إلى ملبرغ الهادىء على غير عادة.

«إذاً واحدة من الجريمتين التي نحقق فيهما تبين أنها عملية انتحار. أما الجريمة الأخرى فلا نزال لا نملك أدنى فكرة عمن ارتكبها أو السبب وراء ارتكابها. ينتابني شعور بأن للجريمة تلك علاقة بما أخبرني به والدي ألكسندرا، لكنني لا أملك أي دليل بالمطلق أو أي حقائق فعلية تدعم تلك النظرية. هكذا أصبحت الآن تعرف كل ما أعرفه أنا. هل لديك أي أفكار قد تساعد في التقدم بسير عملية التحقيق؟»

بعد مرور لحظة أخرى من الصمت تمكن ملبرغ من استعادة تماسكه وقال: «لقد كانت تلك قصة مذهلة بالفعل. كنت لأستثمر في الشاب الذي قلت إنها كانت تقيم علاقة معه بدلاً من أستند إلى حادثة قديمة مضى خمسة وعشرون عاماً على حصولها. أقترح عليك أن

تتحدث إلى الشاب حبيب ألكس وتقوم بالاستفسار عن بعض الأمور العالقة هذه المرة. أعتقد أن هذا يشكل استثماراً أفضل لمصادرنا».

ما إن أخبر باتريك ملبرغ عن هوية والد الطفل الذي كانت تحمله ألكس في أحشائها حتى نقل دان إلى رأس قائمة المشتبه بهم. أومأ باتريك، لكنه كان مطيعاً جداً بما يثير الريبة بالنسبة إلى تفكير ملبرغ، ونهض من مكانه يستعد للمغادرة.

قال له ملبرغ متردداً: «عمل جيد هيدشتروم. هل تتابع العمل على القضية في الوقت الحاضر؟»

«حتماً سيدي، اعتبر الأمر منتهٍ».

هل شعر بنفحة من التهكم في إجابته؟ إلا أن باتريك كان يرمقه بنظرات بريئة جعلته يبدد شكوكه. لعل الرجل يمتلك ما يكفي من رهافة حسّ ليتعرف إلى صوت الخبرة حين يسمعه.

كان الهدف من التثاؤب عموماً الحصول على مزيد من الأكسيجين للدماغ، إلا أن باتريك كان يشك في أن كثرة التثاؤب لا تجديه أي نفع. كان الإرهاق الناجم عن التقلب في الفراش في الليلة التي أمضاها في منزله قد أخذ منه كل مأخذ، كما أن نومه مع إريكا قد طغى على كثير من هواجسه. أخذ ينظر إلى كومة الأوراق المكدسة على مكتبه، وكان عليه أن يكبت رغبة بتحميل كافة المستندات ورميها في سلة المهملات. كان قد بدأ يصاب فعلياً بالسقم من عملية التحقيق برمتها الآن. يشعر أن شهوراً قد مرّت مع أنه لم يمض في الواقع على الموضوع أكثر من أربعة أسابيع. لقد حدثت الكثير من الأمور خلال ذلك الوقت، ولم يحرز مع ذلك أي تقدم. مرت أنيكا بمكتبه فلمحته يفرك عينيه فعادت إليه بكوب من القهوة كان أكثر ما يحتاجه ووضعته أمامه على المكتب.

«هل تشعر أنك غارق في مستنقع وعاجز عن التقدم؟»

«أجل، عليَّ أن أعترف أن التقدم بات صعباً جداً في هذه الأثناء، لكن كل ما علي فعله هو البدء من نقطة الصفر من جديد. وفي مكان ما من هذه الأوراق تكمن الإجابة، أنا أعرف ذلك. كل ما أحتاج إليه هو خيط دليل لم أنتبه له سابقاً». رمى قلم الرصاص الذي كان يحمله على كومة الأوراق في دلالة على استسلامه.

«هل هناك من شيء آخر؟»

«ماذا؟»

«أعني، كيف تسير أمور الحياة معك؟ بعيداً عن العمل والوظيفة؟ أنت تعلم ما الذي أقصده؟»

«أجل، أنيكا، أعلم ما الذي تقصدينه تماماً. ما الذي تودين معرفته تحديداً هذه المرة؟»

«هل لا تزال الأمور بينكما تسير على خير ما يرام؟»

لم يكن باتريك واثقاً مما كانت تريد أن تعرف حقاً، لكنه أعاد طرح السؤال عليها بجميع الأحوال رغماً عنه. «على خير ما يرام؟»

«أجل، أنت تعلم ما الذي أقصده بقولي جميع الأمور...»، قالت هذا وغادرت مكتبه وأغلقت الباب خلفها تعلو شفتيها ابتسامة ماكرة.

ضحك باتريك في سره وقال في نفسه، أجل، يمكنك اعتبار الأمر كذلك.

أجبر نفسه على العودة بأفكاره إلى الواقع، إلى المهمة التي بين يديه وأخذ يفرك جبينه بقلم رصاص مستغرقاً في التفكير. هناك شيء ما لا يتناسب مع الصورة الكبرى. شيء مما قالته فيرا كان يبدو غير صحيح. تناول دفتر الملاحظات الذي كان يكتب عليه في أثناء

إجرائهما الحديث وأخذ يعيد قراءة الملاحظات بشكل منهجي كلمة كلمة. فكرة ما كانت تتخذ شكلاً ما في رأسه. لم تكن سوى عبارة عن تفصيل صغير وحسب، لكنه قد يكون مهماً. تناول ورقة ما من الكومة التي على مكتبه. كان الانطباع الفوضوي الذي يولده مشهد الأوراق مخادعاً، إذ كان يعرف تماماً أين يعثر على ما يريد.

أخذ يعيد قراءة المضمون بتأنٍّ كبير وتدقيق تام بالتفاصيل، ثم مدّ يده وتناول سماعة الهاتف.

«أجل، مرحباً. أدعى باتريك هيدشتروم من قسم الشرطة في تانومشيد. كنت أتساءل ما إن كنت في المنزل في الوقت الراهن، لدي بعض الأسئلة أود أن أطرحها عليك. هل أنت هناك؟ هذا رائع، سأكون هناك إذاً في غضون عشرين دقيقة تقريباً. أين يقع المنزل تحديداً؟ مباشرة على الطريق إلى فيالباكا. أنعطف إلى اليمين مباشرة بعد التل شديد الانحدار. إنه البيت الثالث إلى اليسار. أجل، منزل أحمر اللون مع زخرفة باللون الأبيض. لا بأس بذلك. يجب أن أتمكن من إيجاده بسهولة وإلا سأعاود الاتصال بك. أراك في القريب العاجل».

بالكاد كانت عشرون دقيقة تمر حتى كان باتريك يقف أمام الباب الخارجي. لم تصادفه أي مشكلة في العثور على المنزل الصغير الذي يعتقد أن إيليرت يعيش فيه مع عائلته منذ سنوات طويلة جداً. ما إن طرق الباب حتى فتحت له على الفور امرأة ذات وجه مقروص على ما يبدو. عرفت عن نفسها بشكل مستفيض نوعاً ما قائلة إنها تدعى سفيا بيرغ، زوجة إيليرت التي قادته إلى غرفة الجلوس الصغيرة. لاحظ باتريك أن اتصاله قد حفز على العمل بنشاط. كانت الآنيات الخزفية قد عرضت على طاولة غرفة الطعام وسبعة أنواع من الحلويات قد توزعت على صينية للكعك مؤلفة من ثلاث طبقات. أطلق باتريك

تنهيدة متحسراً، إذ سوف تجعله هذه القضية لا يكف عن تبديل إطارات عجلات سيارته مع انتهائها.

مع أن سفيا بيرغ تلك لم ترق له، ولم يحبها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها، فإنه قد أعجب على الفور بزوجها ما إن رأى العينين الزرقاوين الصافيتين اللتين تمتلئان بالحياة بينما كان يصافحه ويشد على يده. أمكنه أن يتحسس مدى القوة في يد إيليرت ويدرك أنه قد قابل للتو رجلاً عمل طوال حياته بكدّ.

بدا غطاء الأريكة متجعداً حين نهض إيليرت من مكانه ليرد التحية. تغضن جبينها وبانت عليه تجاعيد عميقة حين انحنت لترتب الأريكة بينما ترمق زوجها نظرة تأنيب. كان المنزل يلتمع لكثرة نظافته لم يكن ليرى فيه ذرة غبار، وكان يصعب على أحدهم أن يصدق بأن أشخاصاً ما يعيشون في هذا المنزل. شعر باتريك بالأسى حيال وضع إيليرت الذي كان يشعر بالضياع في منزله الخاص.

انقلب الوضع إلى كوميدي نوعاً ما حين أخذت سفيا تبدل بين الابتسامة المتملقة حين كانت تنظر باتجاه باتريك والتقطيبة المعاتبة حين تلتفت إلى زوجها. تساءل باتريك ما الذي قام به زوجها يا ترى ليستجلب عدم رضاها إلى هذا الحد. ساورته الشكوك في أن يكون وجود إيليرت وحده هو مصدر غيظ سفيا وحنقها.

«حسناً أيها الشرطي تفضل بالجلوس وتناول بعض القهوة والكعك».

جلس باتريك مطيعاً على الكرسي التي تواجه النافذة، وتحرك إيليرت من مكانه ليجلس في الكرسي الآخر قبالة ضيفه.

«تعلم إيليرت أنه يجب ألا تجلس في ذلك الكرسي. اجلس هناك».

أشارت سفيا بشكل ديكتاتوري إلى إحدى الكراسي الموجودة على رأس الطاولة، فأطاعها إيليرت بكل لياقة وتهذيب. أخذ باتريك ينظر من حوله بينما تندفع سفيا وتتنقل في الأرجاء كالطيف وتسكب القهوة وتقوم في الوقت ذاته بتمسيد التجاعيد المنتشرة على غطاء الطاولة والستائر. من الواضح أن من قام بترتيب ديكور المنزل أراد أن يضفي عليه طابع ازدهار ليس موجوداً أصلاً. كان كل شيء يمثل نسخة سيئة عن الأصلي، بدءاً بالستائر التي كان يفترض بها أن تبدو من الحرير المزدان بالكثير من الكشاكش والورد الصغيرة التي تتخذ تصميماً متقدماً إلى وفرة الحلي الصغيرة التافهة المصنوعة من الصفائح الفضية والذهب المقلد. بدا إيليرت كسمكة خارج المياه وسط هذه الأبهة المصطنعة.

أصيب باتريك بالإحباط حين استغرق الكثير من الوقت للوصول إلى صلب الموضوع الذي جاء من أجله. كانت سفيا لا تكف عن الثرثرة بينما ترشف القهوة من فنجانها بصوت مرتفع.

«كما تعلم فإن عدة القهوة هذه هدية أرسلتها لي أختي من أميركا. لقد تزوجت من رجل ثري هناك وهي ترسل لي دوماً هدايا ثمينة كهذه. إنها ثمينة جداً هذه القطع».

رفعت فنجان القهوة المزخرف بشكل أنيق بمباهاة بالغة. كان باتريك يشعر بالارتياب حيال القيمة الحقيقية لمثل تلك الفناجين، لكنه كان من الحكمة بما يكفي ليختار ألا يدلي بأي تعليق.

«أجل، كنت سأذهب إلى أميركا أنا أيضاً لو لم تكن صحتي ضعيفة على هذا النحو. ولولا ذلك أيضاً لكنت تزوجت ربما من رجل ثري هناك كذلك بدلاً من المكوث هنا في مثل هذا الكوخ الحقير لخمسين سنة».

رمقت سفيا إيليرت نظرة اتهامية، لكنه سمح للتعليق أن يمر

بهدوء. لا بدّ أنها كانت سيمفونية تكررت على مسامعه لعدد من المرات.

«يجب أن يعلم الشرطي أنني مصابة بداء المفاصل. مفاصلي كلها مستهلكة وأنا أشعر بألم دائم من الصباح حتى المساء. لحسن الحظ أنني من النوع الذي لا يتذمر. كما أنه بوجود ألم رأسي الفظيع، هناك الكثير لأتذمر بشأنه، لكن ليس من طبيعتي أن أفعل. أنت تفهم ما أقول أليس كذلك؟ على المرء أن يحتمل الآلام برباطة جأش كما يقال. لا أعلم كم مرة سمعت الآخرين يقولون: «كم أنت امرأة قوية يا سفيا تمضين في حياتك يوماً بعد يوم مع كل تلك الأوجاع»، لكن هذا ما أنا عليه».

أخفضت عينيها بتواضع بينما تقدم عرضاً هائلاً فتلوي بيديها في دلالة على كم تشعر بالألم، إلا أنها كانت تبدو في عيني شخص عادي مثل باتريك امرأة لا تعاني من أي شيء، وأبعد ما يكون عن الإصابة بداء المفاصل. يا لها من عجوز طفيلية لعينة. كانت قد دهنت نفسها وتأنقت ووضعت العديد من المجوهرات البخسة الثمن وتقنعت وراء طبقة سميكة من التبرج. الأمر الإيجابي الوحيد الذي استطاع أن يراه في مظهرها كان يتناسب على الأقل مع ديكور المنزل. كيف يمكن لثنائي غير متناسق إلى هذا الحدّ مثل إيليرت وسفيا أن يجتمع تحت سقف واحد ويبقى متزوجاً لمدة خمسة وعشرين عاماً؟ لكنه افترض أن ذلك أمر يتعلق بالجيل الذي ينتميان إليه، لأن أبناء جيلهم يلجأون إلى الطلاق حلاً فقط لأسباب تفوق الاختلافات الفردية بكثير، فالطلاق في أيامهم كان يعتبر عاراً. لم يتمكن إيليرت من أن يحظى بالكثير من المتعة في حياته.

تنحنح باتريك ليقاطع سيل الكلام الذي لم تتوقف عن هذره. أطاعت وصمتت وتسمرت عيناها على شفتيه بانتظار المعلومات

المثيرة للاهتمام التي سيبوح بها، فالقيل والقال والثرثرات ستبدأ ما إن تطأ قدماه خارج باب منزلهما.

«حسناً، لدي بعض الأسئلة التي تتعلق بالأيام التي سبقت عثورك على جثة ألكسندرا ويكنر حين كنت هناك تهتم بشؤون المنزل».

توقف عن الكلام وأخذ ينظر إلى إيليرت ينتظر أن يسمع منه ما قد يقول، إلا أن سفيا سبقته إلى الكلام، وقالت: «أجل أن أعلن عن ذلك، أن شيئاً كهذا قد حدث وأن زوجي الحبيب قد عثر على الجثة. لقد كان هذا الموضوع مثار أحاديث البلدة من دون سواه على مدى الأسابيع القليلة الماضية».

كانت وجنتاها تشعان تشويقاً، وكان على باتريك أن يمنع نفسه من أن يدلي بتعليق حادّ اللهجة. إلا أنه بدلاً من ذلك ابتسم بمكر، وقال: «آمل أن تعذريني لكنني أتساءل ما إن كان ممكناً أن نتحدث أنا وزوجك على انفراد من دون إزعاج لبرهة. أحد البروتوكولات المتبعة في الشرطة تقتضي الحصول على الإفادات والشهادات فقط في عدم حضور أشخاص آخرين غير المعنيين مباشرة بالموضوع».

كانت تلك كذبة تامة، لكنه شعر بالرضا لرؤية سفيا تخضع لسلطته في تلك المسألة، وتنهض عن الطاولة مترددة على الرغم من انزعاجها الكبير من استثنائها من مركز الأحداث المشوقة. حصل باتريك على مكافأته فوراً حين رمقه إيليرت بنظرة تقدير واستمتاع لما يحدث، وقد كان بالكاد قادراً على إخفاء سعادته لرؤية سفيا تسلب حكاياتها وثرثراتها بطريقة مخزية إلى هذا الحدّ.

تابع باتريك كلامه بينما كانت تجر نفسها مترددة من المطبخ: «والآن، أين كنا قد وصلنا في حديثنا؟ أجل، لقد كنت على وشك أن تبدأ بإطلاعي على أحداث الأسبوع الذي سبق ذهابك إلى منزل ألكسندرا ويكنر».

«لماذا يعتبر ذلك مهماً؟»

«لست واثقاً من ذلك بعد؟ لكنه قد يكون مهماً. لذا حاول أن تتذكر قدر ما استطعت من تفاصيل حدثت في تلك الفترة».

أخذ إيليرت يفكر للحظة مستغلاً الوقت في حشو غليونه بعناية من علبة تبغ تحمل إشارة مراسٍ ثلاث. لم يتفوه بكلمة واحدة إلا بعد أن أشعل الغليون ونفخ فيه بضع مرات.

«حسناً، دعني أرى، لقد عثرت على جثتها يوم الجمعة. لقد اعتدت الذهاب دوماً إلى هناك أيام الجمعة لأتحقق من أن كل شيء يسير على ما يرام قبل وصولها إلى المكان في مساء اليوم ذاته. لذا، فإن المرة الأخيرة التي كنت فيها هناك كانت يوم الخميس الذي يسبق يوم الجمعة الذي نتحدث عنه. كلا في الواقع، لقد اضطررنا إلى الذهاب يوم الجمعة إلى حفلة عيد مولد ابننا الأصغر سناً الذي يبلغ الأربعين من العمر، لذا فقد ذهبت إلى هناك عشية الخميس بدلاً من الجمعة».

«كيف وجدت المنزل حينئذٍ؟ هل لاحظت وجود شيء ما غير اعتيادي؟»، كان باتريك يجد صعوبة كبرى في إخفاء حماسته.

تساءل إيليرت بينما ينفخ في غليونه على مهل مفكراً: «هل لاحظت شيئاً غير اعتيادي؟ كلا، كان كل شيء على ما يرام. لقد قمت بجولة على أرجاء المنزل والقبو، لكن كل شيء كان يبدو طبيعياً. أقفلت أبواب المنزل جيداً حين غادرت كما جرت العادة. كانت قد أعطتني مفاتيحي الخاصة».

شعر باتريك بأنه مجبر على طرح السؤال الذي كان يتآكله من الداخل بشكل مباشر: «ماذا عن السخان؟ هل كان يعمل؟ هل كان هناك من حرارة داخل المنزل؟»

«آه، أجل بالطبع كانت هناك حرارة. لم يكن هناك من خطب في

السخان حينها. لا بدّ أنه تعطل في وقت ما بعد ذهابي إلى هناك. لا أفهم ما أهمية ذلك. متى تعطل السخان؟»، أخرج إيليرت الغليون من فمه مؤقتاً.

«لأكون صادقاً معك أقول لك إني لا أعلم ما إن كان لذلك أي أهمية، لكن أشكرك لتقديم المساعدة. قد يكون ذلك مهماً فعلاً».

«أسألك بداعي الفضول فقط، أما كان يمكن لك أن تطرح علي هذا السؤال عبر الهاتف؟»

ابتسم له باتريك، وقال: «أفترض أنني قديم الطراز نوعاً ما. لا أعتقد أنني أحصل عبر الهاتف على القدر من المعلومات الذي أحصل عليه حين أقابل الآخرين وجهاً لوجه. أتساءل أحياناً ما إن كان يجب أن أولد قبل مئة عام بدلاً من اليوم، عصر الاختراعات الحديثة».

«هذا كلام فارغ يا بني. لا تصدق تلك التفاهات التي تقول إن أيام الماضي كانت أفضل من اليوم، فالعيش في الفقر والتعرض للبرد والعمل من الثامنة صباحاً حتى الغروب ليس أمراً نحسد عليه. كلا، إني أستخدم كافة وسائل الراحة العصرية التي أستطيع امتلاكها. حتى أنني أملك كومبيوتراً موصولاً على شبكة الإنترنت. أراهن أنك لا تصدق ذلك نظراً إلى رجل عجوز مثلي». كان يشير بغليونه نحو باتريك بفطنة.

«لا يسعني أن أقول إني متفاجىء في الواقع. حسناً، عليّ أن أذهب الآن».

«آمل أني كنت ذو فائدة لك، وأنك لم تقد سيارتك طوال الطريق إلى هنا من أجل لا شيء».

«على الإطلاق. لقد حصلت تماماً على المعلومات التي أريدها بالضبط. كما أنني قمت بتذوق الحلويات اللذيذة التي تقوم زوجتك بتحضيرها».

أطلق إيليرت تشخيرة متردداً، وقال: «يمكنها حقاً أن تحضر حلويات لذيذة، هذا ما أستطيع أن أوكده لك عنها»، ثم غرق في صمت بدا أنه يختزن مشقة خمسين عاماً.

لم تعد سفيا التي كانت حتماً تقف ملصقة أذنها بالباب أن تحتمل الوضع لفترة أطول فدخلت الغرفة، وقالت: «إذاً، هل عثرت على كل ما كنت تحتاج إليه؟»

«أجل، شكراً لك. لقد كان زوجك متعاوناً جداً. وأود أن أشكرك على القهوة والحلويات اللذيذة».

«لا داعي لأن تشكرني أبداً، يسرني أنها أعجبتك. إذاً إيليرت، إن بدأت بتنظيف الطاولة وإزالة الأغراض عنها يمكنني أن أرشد حضرة الشرطي إلى الباب».

أطاعها إيليرت على الفور وبدأ بجمع فناجين القهوة والصحون بينما رافقت سفيا الشرطي باتريك إلى الباب الأمامي من دون أن تتوقف عن الكلام للحظة.

«اغلق الباب جيداً خلفك. لا أستطيع أن أحتمل الجفاف».

أطلق باتريك تنهيدة ارتياح حين أغلق الباب خلفه حقاً. يا لها من امرأة مخيفة، لكنه على الرغم من ذلك حصل على التأكيد الذي كان يبتغيه. لقد بات واثقاً الآن أنه يعرف من هو قاتل ألكس ويكنر.

لم يكن الطقس يوم دفن أندرز جميلاً بقدر ما كان يوم مأتم ألكس. كانت الرياح تمزق البشرة العارية مما جعل وجنات الجميع تصبح زهرية لكثرة البرد. كان باتريك قد ارتدى أكثر الملابس التي تمنحه الدفء، لكن ذلك لم يكن كافياً بوجه البرد القارس. كان يرتجف من البرد بينما يقف فوق القبر المفتوح أثناء القيام بتنزيل

النعش ببطء. كانت مراسم الجنازة مختصرة وكئيبة. لم يحضر إلى الكنيسة سوى قلة من الناس، وقد جلس باتريك بتكتم على إحدى المقاعد الخشبية الطويلة في الخلف. وحدها فيرا كانت تجلس على المقعد الأمامي.

لقد كان متردداً حيال مرافقة الوفد إلى موقع الدفن، لكنه قرر في نهاية المطاف أن هذا أقل ما يستطيع فعله لأندرز. لم تتغير التعابير على وجه فيرا طوال الوقت الذي كان يراقبها فيه، إلا أنه لم يكن يظن أن حزنها على موت ابنها وتفجعها كان أقل مما يجب أن تشعره أم حيال موت ولدها. لقد كانت ببساطة شخص لا يحب إظهار مشاعره في العلن.

لقد أمكن لباتريك أن يتفهم الوضع ويتعاطف معها. كان يكنّ لها الإعجاب بطريقة ما، لقد كانت بنظره امرأة قوية جداً.

بعد انتهاء مراسم الجنازة تفرق الحضور القليل الذي كان موجوداً، وذهب كل منه في طريقه. أخذت فيرا تمشي ببطء فوق الطريق المغطاة بالحصى متجهة إلى الكنيسة. كان الهواء البارد يلفحها بقوة بينما تربط الوشاح على رأسها كمنديل. تردد باتريك للحظة، وبعد صراع داخلي أخذ يزداد مع اتساع المسافة بينه وبين فيرا، اتخذ باتريك قراره وأسرع ليلحق خطاها.

«لقد كانت جنازة حميمة».

ابتسمت بمرارة وقالت: «أنت تعلم بقدر ما أفعل أن مأتم أندرز كان مثيراً للشفقة بقدر ما كانت حياته بمعظم مراحلها، لكنني أشكرك بأي حال. كان لطفاً منك أن تقول ذلك».

كان صوت فيرا يحمل تعب السنوات الكثيرة التي عاشتها وهي تقول: «لعله يجدر بي أن أكون ممتنة في الواقع. لم يكن ليسمح لنا قبل سنوات قليلة أن ندفن هنا في حديقة الكنيسة العامة. كان سيمنح

مكاناً جانبياً خارج أرض الكنيسة المقدسة، وهي مساحة مخصصة تحديداً لحالات الانتحار. لا يزال هناك الكثير ممن يعتقدون أن الذين يقدمون على الانتحار لا يذهبون إلى الجنة». صمتت فيرا للحظات فانتظرها باتريك أن تتابع كلامها: «هل ستكون هناك أي تبعات قانونية لما فعلته لتغطية عملية انتحار أندرز؟»

«كلا، يمكنني أن أضمن لك أنه لن تكون هناك أي تبعات لذلك. لقد شعرت بالأسف لأنك فعلت ما فعلته، وهناك حتماً قوانين تعاقب على ذلك لكن لا، لا أظن أنه ستكون هناك أي تبعات لذلك».

اجتازا الأبرشية معاً وأخذا يمشيان بخطى بطيئة نحو منزل فيرا الذي لم يكن يبعد عن الكنيسة سوى بضع مئات الياردات. أصيب باتريك طوال الليل بقلق حيال كيفية التطرق للموضوع، لكنه توصل في النهاية إلى حل قاسٍ، أمل أن يكون ناجحاً.

قال لها بلامبالاة: «أظن أن ما هو أكثر مأساوية في قصة ألكس وأندرز برمتها هو أنه كان على طفلٍ أيضاً أن يموت كذلك».

التفتت فيرا إليه تنظر بعينين متقدتين، ثم توقفت عن المشي في مكانها وشدته من كمّ قميصه وسألته: «أي طفل هذا؟ ما الذي تتحدث عنه؟»

شعر باتريك بارتياح لما حدث، فبالرغم من كل المعطيات بقيت هذه المعلومة طيّ الكتمان، ولم يفصح عنها.

«طفل ألكسندرا. لقد كانت حاملاً حين تعرضت لجريمة القتل. كانت في شهرها الثالث».

«لكن زوجها. . ..»

تلعثمت فيرا في الكلام إلا أن باتريك تابع يقول، وقد أجبر نفسه على أن يكون بارداً لامبالياً: «لا علاقة لزوجها بالأمر مطلقاً. من

الواضح أنه لم تكن تجمع بينهما أي علاقة جسدية منذ عدة سنوات. كلا، فالوالد على ما يبدو هو شخص اعتادت أن تلتقيه هنا في فيالباكا».

كانت فيرا تتمسك بكم قميصه بشدة، بحيث ابيضت مفاصل أصابعها.

«يا إله السموات. يا إله السموات».

«أجل، لا بدّ أن الأمر كان قاسياً. إنه قتل طفل لم يولد. من الواضح أنه كان صبياً صغيراً وفقاً لتقرير التشريح».

كان يتلوى من الداخل، لكنه أجبر نفسه على ألا يقول أي كلمة أخرى، إلا أنه بدلاً من ذلك كان ينتظر ردّ الفعل الذي كان يعتمد على الحصول عليه.

كانا يقفان تحت شجرة كستناء كبيرة تبعد خمسين ياردة عن منزل فيرا. أصيب بالدهشة حين تحركت من مكانها فجأة. أخذت تركض سريعاً بما يثير الدهشة بالنسبة إلى امرأة بعمرها، ولم يصح باتريك من الصدمة إلا بعد بضع ثوانٍ، حيث لحق بها يركض خلفها. حين وصل إلى منزلها كان الباب الأمامي مفتوحاً على مصراعيه فدخل المنزل بحذر. سمع صوت شهقات قوية تتناهى إليه من الحمام بعد الردهة ومن ثم سمعها تتقيأ بقوة.

بدا له أنه من الخطأ الوقوف في الردهة منتظراً يحمل القبعة بيده ويستمع إلى صوتها تتقيأ، فخلع حذاءه المبلل وقام بتعليق معطفه وذهب إلى المطبخ. حين خرجت فيرا من الحمام بعد بضع دقائق، كانت آلة صنع القهوة تصدر صوت فقاعات، وكان هناك فنجانان من القهوة على طاولة المطبخ. كانت شاحبة اللون وقد رأى دموعها للمرة الأولى. لم ير سوى طيف دموع تلتمع في زاويتي عينيها، لكن ذلك كان كافياً. جلست فيرا متصلبة على واحدة من كراسي المطبخ.

كانت قد كبرت في العمر سنوات كثيرة في غضون دقائق، وقد كانت تتحرك ببطء مثل عجوز أكبر سناً منها بكثير. تركها باتريك تحصل على بضع دقائق راحة إضافية بينما يسكب القهوة لكل منهما، لكنه رمقها لحظة جلست على الكرسي بنظرة حازمة جعلها تدرك أن لحظة الحقيقة قد أتت. كانت تعلم أنه يعرف ولم يكن هناك من مجال للعودة.

«لقد قتلت حفيدي إذاً».

اعتبر باتريك السؤال خطابياً فلم يدل بأي إجابة، فإن فعل سيكون مجبراً على أن يكذب. لا يمكنه أن يتراجع الآن بعد أن وصل إلى هذا الحدّ. سوف تعرف الحقيقة مع الوقت، لكن كان دوره هو أن يعرفها أولاً.

«لقد علمت أنك أنت من قام بقتل ألكس حين كذبت عليّ بشأن وجودك هناك في منزلها خلال الأسبوع الذي سبق وفاتها. لقد قلت إنك مكثت في منزلها البارد وشعرت بأنك تتجمدين من البرد، إلا أن السخان لم يتعطل إلا في الأسبوع التالي، أي الأسبوع الذي توفيت فيه».

كانت فيرا تحدق في الفراغ، وبدا لها أنها لم تسمع ما قاله باتريك حتى.

«إنه لأمر غريب. لم أدرك حتى الآن فعلاً أني قد أنهيت حياة شخص آخر. لم يكن موت ألكسندرا يوماً أمراً حقيقياً بالنسبة إلي. لكن بوجود طفل أندرز... أكاد أراه هنا أمام عيني...».

«لماذا كان على ألكس أن تموت؟»

رفعت فيرا يدها في وجهه في إشارة له أن يتوقف عن الكلام. كانت ستخبره كل شيء لكن على طريقتها الخاصة وبالتسلسل الذي تراه.

«كانت لتكون هناك فضيحة. كان الكل سيشير بإصبعه نحوه ويتكلم عنه. لقد قمت بما ظننته صائباً. لم أكن أعلم أنه سيظل مع ذلك موضع استهزاء الجميع، وبأن صمتي سيتآكله من الداخل ويجرده من كل ما له قيمة. كان الأمر بغاية البساطة. أتى كارل-إريك إلي وأخبرني بما حدث. كان قد تحدث إلى نيللي قبل أن يأتي إلي وكان الاثنان قد توصلا إلى اتفاقية معاً. لن يجديه نفعاً أن تتحدث كل البلدة عن الموضوع. كان ذلك ليكون سرنا وأني إن كنت أريد ما هو الأفضل كان عليّ أن أبقي فمي مقفلاً، لذا أبقيته مقفلاً فعلاً. بقيت صامتةً طوال تلك السنوات. لكن كل سنة كانت تسلب أندرز مني أكثر فأكثر. كان يضيع عاماً بعد آخر في جحيمه الخاص، وقد اخترت ألا أرى الدور الذي قد لعبته في كل ذلك. كنت أنظف له وأدعمه بأفضل ما استطعت، لكن الأمر الوحيد الذي لم أكن أستطيع أن أفعله له هو أن أمحو ما قد حصل. لا يمكن للصمت أن يسترد».

تناولت قهوتها ببضع رشفات سريعة شرهة ورفعت فنجانها نحو باتريك. نهض من مكانه وجلب إبريق القهوة وسكب لها المزيد منها. بدا وكأن عادة شرب القهوة كانت تساعدها في البقاء على أرض الواقع والسيطرة على زمام الأمور.

«أحياناً ما كنت أظن أن الصمت أسوأ من الاتهامات. لم نتحدث بالأمر مطلقاً، ولا حتى داخل هذه الجدران الأربعة ولم أفهم حتى الآن ما الذي قد فعله هذا به. لربما كان يفهم صمتي على أنه تأنيب له. ذاك كان الأمر الوحيد الذي لم أستطع احتماله، وهو أنه كان يظن بأنني كنت ألقي باللوم عليه لما حدث. لم تخطر لي الفكرة مطلقاً، ولم أفكر بها ولو للحظة واحدة، لكنني لن أتمكن الآن من أن أعرف ما إن كان يدرك هو ذلك أو لا».

بدا للحظة أنها على وشك أن تنهار إلا أن فيرا استقامت في

جلستها مجدداً وأجبرت نفسها على متابعة حديثها. لم يكن لباتريك إلا أن يتخيل أي جهد جبار يتطلبه ما كان تفعل.

«لقد وجدنا بمرور السنوات المتلاحقة نوعاً من التوازن. على الرغم من أن الحياة كانت مزرية بالنسبة إلى كلينا، إلا أننا كنا نعلم ما الذي لدينا وما هو موقف أحدنا من الآخر. من الطبيعي أني كنت أعلم أنه لا يزال يرى ألكس من وقت إلى آخر وأن كلاً منهما يشعر بانجذاب غريب من نوعه نحو الآخر، لكن كنت لا أزال أؤمن بأنه يمكن لنا أن نمضي قدماً كما كنا نفعل دوماً. إلى أن أبلغني أندرز أن ألكس كانت تنوي أن تفضح ما حصل لهما. أعتقد أنه قال لي بأنها كانت تريد رمي العظام القديمة وتنظيف خزانتها. بدا لامبالياً تقريباً عندما ذكر الموضوع أمامي إلا أن الخبر شكل لي صدمة كهربائية. كان ذلك ليغير كل شيء. ما كان شيء ليعود كما هو إن نبشت ألكس الأسرار القديمة بعد مرور كل تلك السنوات عليها. ما الجدوى من وراء فعل ذلك؟ وما الذي سيقوله الناس؟ أضف إلى أنه على الرغم من أن أندرز كان يدعي بأنه لا يتأثر بالموضوع فإنه لم يكن صادقاً في ما قال، فأنا أعرفه جيداً. أعتقد أنه ما كان يريدها أن تعلن الخبر على الملأ تماماً كما كنت أنا أريد. فأنا أعرف، أو كنت أعرف ابني بالأحرى».

«لهذا السبب قمت بزيارتها، أليس كذلك؟»

«أجل. لقد ذهبت إلى هناك يوم الجمعة مساءً على أمل أن أتحدث إليها وأعيدها إلى رشدها. أن أجعلها تفهم وتدرك أنه لا يسعها أن تتخذ بمفردها قراراً يؤثر فينا جميعاً».

«لكنها لم تفهم هذا».

افتر ثغر فيرا عن ابتسامة مفعمة بالمرارة وقالت: «كلا، لم تفعل».

كانت قد أنهت فنجان قهوتها الثاني قبل أن يتمكن باتريك من إنهاء نصف الفنجان الأول، لكنها الآن قد أزاحت الفنجان جانباً وثنت ذراعيها فوق الطاولة.

«حاولت أن أقدم لها بعض المغريات. شرحت لها كم سيكون الأمر صعباً على أندرز إذا أخرجت ما حصل لهم إلى العلن، لكنها نظرت في عيني وادّعت أني كنت أفكر في نفسي وحسب وليس بأندرز. لقد أعلنت أنه سيكون سعيداً إذا ما فضح الأمر في نهاية المطاف، وأنه لم يطلب إلينا يوماً أن نبقي الموضوع طي الكتمان، وقالت لي إني أنا وكارل-إريك وبريجيت لم نفكر في مصلحتهما حين قررنا نحن الثلاثة أن نبقي الأمر سراً. لم نكن نهتم إلا لأن نحافظ على سمعتنا ونمنعها من التشويه. هل يمكن أن تتخيل أن هذا ما فعلته تلك الوقحة؟»

كانت شرارة الحنق التي ظهرت قبل لحظة واحدة في عيني فيرا قد انطفأت بالسرعة ذاتها التي بدت فيها وحل مكانها النظرة اللامبالية التي تخلو من الحياة. وقد تابعت بلهجة مطردة رتيبة: «شيء ما في داخلي انفجر حين سمعتها تقوم بهذا الإعلان الشائن، سيما بعد أن فعلت ما فعلته لأحفظ مصالح أندرز. كدت أسمع طرق الجنون في رأسي وأقدمت على الفعل من دون تفكير. كنت أحتفظ بالحبوب المنومة في حقيبة يدي، وما إن ذهبت إلى المطبخ حتى حللت بضعاً منها في كأس عصير التفاح الذي كانت تتناوله. كانت قد سكبت لي كأس نبيذ حين وصلت إلى منزلها. حين عادت من المطبخ تظاهرت أني قبلت بما طرحت وعرضت أن أشرب نخباً معها كصديقتين قبل أن أغادر منزلها. بدت ممتنة لذلك وشربت ما في كأسها من عصير لتشاركني النخب، فسقطت بعد برهة على الأريكة تغط في نوم عميق. لم أكن قد فكرت فعلاً بما عساي أقوم به لاحقاً. كان القيام بوضع

الحبوب المنومة في كأسها أمراً مرتجلاً ابن ساعته، لكن خطرت لي فكرة أن أجعل الأمر يبدو وكأنه عملية انتحار. لم يكن لدي ما يكفي من الحبوب المنومة لأعطيها جرعة قاتلة منها. الأمر الوحيد الذي خطر لي كان أن أشق معصميها لتنزف حتى الموت. كنت أعلم أن الكثير من الناس يقومون بهذه الخطوة في حوض الاستحمام فبدا لي أنها فكرة ممكنة».

كان صوتها يخلو من أي نبرة مميزة. بدا الأمر وكأنها تروي قصة عادية تحدث كل يوم في الحياة وليس تفاصيل جريمة شنيعة.

«جردتها من جميع ملابسها. ظننت أنه بإمكاني حملها بما أنني أمتلك ذراعين قويتين نتيجة سنوات من العمل الشاق في التنظيف، لكن الأمر كان مستحيلاً، فاضطررت بدلاً من ذلك لأن أسحبها إلى الحمام وألجا إلى المناورة والدهاء لوضعها داخل حوض الاستحمام. ومن ثم عمدت إلى قطع شرايين معصمي يديها بواسطة شفرة حلاقة عثرت عليها داخل خزانة الأدوية في الحمام. بعد العمل لسنوات طويلة في تنظيف المنزل مرة واحدة في الأسبوع كنت على علم بموضع كافة الأغراض فيه. غسلت الكأسين اللتين شربنا فيهما وأطفأت جميع الأنوار في المنزل وقفلت الباب وأعدت وضع المفتاح الإضافي في مكانه».

كان باتريك مصعوقاً لما سمع إلا أنه أجبر نفسه على أن يحافظ على هدوئه وهو يقول لها: «أنت تدركين بأن عليك أن تأتي معي الآن، أليس كذلك؟ لن تجعليني مضطراً لاستقدام التعزيزات، هل ستفعلين؟»

«كلا، لن يكون عليك فعل ذلك، هل تسمح لي فقط بأن أحضر بعض الأغراض لآخذها معي؟»

هز لها رأسه: «أجل، أسمح لك. لا بأس بذلك».

نهضت من مكانها ومشت إلا أنها التفتت إليه حين وصلت إلى الباب وسألته: «كيف كان لي أن أعرف أنها كانت حاملاً؟ لم تكن تشرب النبيذ مثلي طبعاً، لقد خطر لي ذلك، لكن لم أكن أملك أدنى فكرة عن السبب وراء ذلك. لعلها كانت تشرب باعتدال وحسب، أو أنها كانت مضطرة لقيادة السيارة إلى مكان ما، ما أدراني أنا؟ كيف كان لي أن أعرف؟ كان يستحيل علي إدراك ذلك، ألا تظن؟»

كانت نبرة صوتها متوسلة ولم يكن يسع باتريك إلا أن يومىء بصمت.

يمكن له أن يخبرها بعد فترة أن الطفل لم يكن من ابنها أندرز لكنه لم يشأ في الوقت الحالي أن يخل بتوازن علاقة الثقة التي كانت قد بنيت بينهما حديثاً. سيكون هناك عدد من الأشخاص الآخرين الذي سينبغي عليها إخبارهم بالقصة قبل أن يتم إغلاق ملف قضية ألكسندرا ويكنر للأبد، إلا أن شيئاً ما في داخله كان يسبب له الانزعاج، كان حدسه ينبئه أن فيرا تلك لم تخبره بكل ما في جعبتها.

لاحقاً، حين دخل سيارته تناول أندرز نسخته من الرسالة التي كان أندرز قد تركها خلفه كرسالته الأخيرة إلى العالم. أخذ يعيد قراءة ما كان أندرز قد كتبه مجدداً على مهل هذه المرة متحسساً الألم الذي كانت تخفيه تلك الكلمات على الصفحة أمامه.

الفصل السادس

لطالما كان يصعقني كم السخرية التي يطبع حياتي. كيف أمكن لي أن أبتكر الجمال بأصابعي وبعيني في حين أنني لم أكن قادراً إلا على خلق البشاعة والدمار في كل شيء من حولي عدا ذلك. لذا، فإن آخر أمر سأقوم به هو أن أعمد إلى تدمير لوحاتي الخاصة. وذلك من أجل أن أحافظ على بعض الاتساق في حياتي. من الأفضل لي أن أبدو متصالحاً مع نسق حياتي ولا أخلف ورائي سوى القرف بدلاً من أن أبدو شخصاً أكثر تعقيداً وفلسفة مما أستحق أن أكون فعلاً.

أنا شخص بسيط جداً في الواقع. الأمر الوحيد الذي كنت أريد القيام به هو محو بعض الأشهر والأحداث من حياتي. لا أظن أني كنت بذلك أطلب الكثير، لكن على الأرجح أنني كنت أستحق ما نلته في حياتي. لعلي قد قمت بعمل فظيع ما في حياتي السابقة جعلني أدفع الثمن في الحياة الحالية. لا يعني ذلك أن الأمر يشكل أي فارق بالنسبة إلي، لكن إن كان الأمر كذلك فسيكون جميلاً أن أعرف ما الذي كنت أدفع ثمنه.

لعلكم تتساءلون لماذا أختار هذه اللحظة بالذات لأغادر حياةً لطالما كانت لا معنى لها؟ أجل هيا قولوا ذلك. لماذا قد يقدم أحدهم على فعل شيء ما في مرحلة ما من حياته؟ هل إني كنت أحب ألكس لدرجة أن الحياة قد فقدت بعدها أي معنى لها على الإطلاق؟ لعل

هذا يشكل إحدى التفسيرات التي قد تخطر لكم. لست أعلم في الواقع ما إن كان ذلك صحيحاً بالكامل. الموت صديق تعايشت معه لفترة طويلة من الزمن، لكنني الآن فقط أشعر أنني مستعد للقيام بهذه الخطوة. لعل حقيقة موت ألكس تحديداً هي ما جعلت حريتي أمراً ممكناً. لطالما كانت دوماً الشخص الذي لا يمكن الحصول عليه. كان يستحيل إحداث أقل شق في القوقعة التي كانت تحتمي بداخلها. وحقيقة إمكانية موتها المفاجىء قد فتحت باب إمكانية سلوكي الدرب ذاته على مصراعيه. لقد عشت لزمن طويل معلباً ومستعداً للذهاب ولم يكن يبقى علي سوى الصعود إلى متن المركب الذي ينقلني إلى الضفة الأخرى وحسب.

سامحيني أمي...

أندرز

لم يتمكن مطلقاً من أن يتخلص من عادة النهوض باكراً يوماً أو في منتصف الليل كما يحلو لبعضهم القول، لقد كانت تلك عادة أثبتت جدواها في هذه الحال. لم تكن سفيا تبدي أي ردّ فعل عند نهوضه في الساعة الرابعة من فجر كل يوم، لكنه كان حرصاً منه يتسلل بحذر على السلالم نزولاً حاملاً ملابسه بيده. ارتدى إيليرت ملابسه بهدوء وصمت في غرفة الجلوس، ثم أخرج الحقيبة التي كان قد أخفاها جيداً في مؤخرة حجرة المؤن. كان قد وضع الخطط للقيام بذلك منذ أشهر عديدة ولم يترك أي تفصيل للصدفة. يعتبر هذا اليوم الأول له في ما تبقى من حياته.

دار محرك السيارة من المرة الأولى على الرغم من البرد القارس وعند الساعة الرابعة والعشرين دقيقة كان يغادر تاركاً خلفه المنزل الذي عاش فيه خمسين سنة من حياته. قاد سيارته على طرقات فيالباكا النائمة ولم يسرع كثيراً إلا بعد أن اجتاز الطاحونة القديمة وانعطف متجهاً نحو دينغل. كان لا يزال أمامه مسافة مئة وخمسة وعشرين ميلاً كاملاً للوصول إلى غوتبرغ وتحديداً إلى مطار لاندفيتير ويمكن له أن يجتازها بسهولة، فالطائرة المتجهة إلى إسبانيا لن تغادر المطار قبل الثامنة صباحاً تقريباً.

كان يعيش حياته أخيراً كما تمنى دوماً أن يفعل.

لقد خطط لحصول ذلك منذ زمن طويل، منذ سنوات طويلة جداً. كانت الأوجاع والآلام تزداد سوءاً عاماً بعد عام، تماماً كما كان إحباطه يفعل بسبب حياته مع سفيا. كان إيليرت يعتقد أنه يستحق أفضل من ذلك. كان قد عثر على موقع على الإنترنت على منزل متواضع في بلدة صغيرة تقع على منطقة كوستا ديل سول التي تبتعد قليلاً عن الشواطىء والمنطقة السياحية لذا فإن سعرها كان مقبولاً. كان قد بعث بعدة رسائل إلكترونية وتحقق أن بإمكانه أن يعيش هناك على مدار السنة إذا ما أراد ذلك. حتى أن المالكة كانت لتعطيه سعراً أفضل في الواقع إن فعل. لقد استغرق ادخار المبلغ وقتاً طويلاً سيما تحت أنظار سفيا ومراقبتها المشددة لكل ما كان يفعل، إلا أنه تمكن في النهاية من جمع المبلغ المطلوب. كان يعتقد أن باستطاعته أن يعيش عامين كاملين معتمداً على الادخار الذي كان لديه، إن كان سيتبع نمط حياة بسيط وسيجد بعد ذلك ببساطة طريقة أخرى ليعيش بها. أما في الوقت الحالي فما كان يمكن لأي شيء مهما كان أن يلجم حماسته.

للمرة الأولى منذ خمسين عاماً يشعر بالحرية فوجد نفسه فجأة يدوس من الفرح بقوة أكبر على الوقود في سيارة الفولفو القديمة. كان ينوي أن يترك السيارة في المرآب الذي يضم آلافاً سواها. وسرعان ما ستجد سفيا مكانها، لكنه لم يكن يعير ذلك أي اهتمام. لم تحصل يوماً على رخصة قيادة إلا أنها كانت تستخدم إيليرت كسائق مجاني الخدمات يأخذها ساعة تشاء إلى أي مكان تريد الذهاب إليه. الأمر الوحيد الذي كان يعذبه ضميره لأجله هم الأولاد. إلا أنهم كانوا من جهة أخرى أولاد سفيا أكثر مما كانوا أولاده هو. وقد غدوا للأسف تافهين وضيقي الأفق مثلها تماماً. لقد كان يقع عليه اللوم جزئياً من دون شك، بما أنه كان يعمل لساعات طويلة بعيداً عنهم ويختلق

جميع أنواع الأعذار التي تبقيه بعيداً عن المنزل لأطول وقت ممكن، إلا أنه كان لا يزال على قراره بأن يرسل إليهم بريداً من لاندفيتير يبلغهم فيه أنه قد رحل بملء إرادته وأن ليس عليهم أن يقلقوا عليه. وأنه يريد منهم كذلك ألا يبادروا إلى إبلاغ الشرطة القيام بعملية بحث واسعة للعثور عليه.

كانت الطرقات خالية من السيارات، بينما يقود وحيداً في العتمة، لكنه مع ذلك لم يشغل جهاز الراديو. لقد أراد أن يستمتع بالسكينة والصمت. الآن وقد بدأت حياته للتو.

«لقد وجدت صعوبة بالغة في فهم الأمر. لا يسعني أن أصدق بأن فيرا قد أقدمت على قتل ألكس كي تمنعها من أن تتكلم على الاعتداءات التي لحقت بها وبأندرز منذ ما يزيد عن خمسة وعشرين عاماً».

أخذت إريكا تدير كأس النبيذ في يدها شاردة الذهن.

قال باتريك: «لا يجدر بك أن تقللي من أهمية عدم خلق بلبلة في بلدة صغيرة كهذه، فإن خرجت قصة حصول الاعتداءات القديمة إلى العلن فسيتوفر للناس سبب يتحدثون فيه ويشيرون بأصابعهم إليه. كما أنني من جهة أخرى لا أصدق فيرا حين تقول إنها فعلت ما فعلته لمصلحة أندرز. لعلها كانت محقة في أن أندرز لم يشأ أن يعلم الجميع بما حدث لهما. إن فيرا هي على الأرجح من لم يكن يحتمل فكرة أن يهمس الناس عن ابنها من وراء ظهرها. سيما حين يصبح معلوماً أن أندرز لم يكن الولد الوحيد الذي تعرض لمثل تلك الاعتداءات الجنسية، بل إن أمه لم تقم بشيء حيال الأمر وإنها قد ساعدت في الواقع على إبقاء الأمر طيّ الكتمان. أظن أن السبب يكمن في أنها لم تكن لتحتمل العار. أقدمت على قتل ألكس من دون

تفكير أو تردد حين أدركت أن المغدورة لم تكن لتغير رأيها. كانت فيرا تملك الدافع لما قامت به وقد نفذت جريمتها بطريقة منهجية ودم بارد».

«كيف تتعامل مع الأمر الآن؟ الآن وقد انكشف أمرها أعني؟»

«إنها هادئة على نحو مدهش. أظن أنها قد شعرت بارتياح عميق حين أخبرناها بأن أندرز لم يكن والد الطفل الحقيقي، وبأنها لم تقم في النهاية بقتل حفيدها الذي لم يولد. يبدو أنها لا تكترث الآن لما سيحل بها. ولماذا عساها تفعل أصلاً؟ فابنها قد مات وليس لديها أي أصدقاء ولا حياة. لقد تم الكشف عن كل شيء ولم يعد لديها ما تخسره. لم يعد لديها سوى حريتها وهو أمر لا يعني لها الكثير في الوقت الحاضر أو هكذا يبدو».

كانا يجلسان في شقة باتريك يتشاركان قنينة نبيذ بعد أن تناولا العشاء معاً. كانت إريكا تستمتع بالسكون والهدوء. كانت تحب بقاء آنا وولديها معها في المنزل ذاته، لكنها كانت أحياناً لا تعود قادرة على الاحتمال. لقد كان هذا النهار أحد تلك الأيم. كان باتريك عالقاً في عمليات التحقيق التي امتدت على ساعات النهار، لكنه حين انتهى من ذلك مرّ بمنزلها لاصطحابها إلى شقته مع حقيبة ملابسها الصغيرة. وها هما الآن يجلسان متكورين على الأريكة كثنائي كادح أكبر سناً منهما بكثير.

أغمضت إريكا عينيها. كانت تلك اللحظة رائعة ومخيفة في آنٍ واحد. كان كل شيء مثالياً ولم تتمكن مع ذلك إلا من أن تشعر بأن طريق النزول يبدأ من هنا. لم تشأ أن تفكر حتى بما قد يحصل ما إذا عادت إلى ستوكهولم. كانت كل منهما قد تجنبت الحديث حول المنزل ومصيره لعدة أيام وكأنما ضمن اتفاقية غير معلنة. كانتا قد قررتا عدم التعامل مع الموضوع. كما أن إريكا كانت تؤمن بأن وضع

آنا لا يسمح لها بعد باتخاذ أي قرارات كبرى كهذه فتركت الأمور تسير من دون فتح الموضوع أو التطرق إليه.

قالت لباتريك: «لقد تكلمت إلى الناشرين اليوم وذكرت الكتاب الذي أضعه حول حياة ألكس».

أعجبتها نظرة الترقب التي لمحتها في عيني باتريك وهو يسألها: «وما الذي قالوه لك؟»

«يظنون أن الفكرة تبدو رائعة وهم يريدون أن أرسل لهم المادة التي بين يدي على الفور. لا يزال ينبغي علي أن أنهي العمل على الكتاب المتعلق بسيرة حياة سيلما لاغرلوف لكنهم منحوني شهراً إضافياً لإتمامه. لذا فإنني قد وعدت بإنجاز الكتاب في شهر أيلول المقبل. أعتقد أنه يسعني في الواقع أن أعمل على الكتابين معاً في الوقت ذاته. الأمور تسير بشكل عادل حتى الآن».

«ما الذي قاله الناشرون حيال المظهر القانوني للكتاب؟ هل يظنون أن هناك من خطر في رفع عائلة ألكس شكوى ضدهم؟»

«إن قانون حرية الصحافة واضح جداً. لدي كامل الحق بأن أكتب عنها حتى من دون موافقة عائلتها، لكنني آمل طبعاً أن يتخذوا موقفاً داعماً للكتاب بعد أن أحظى بفرصة لشرح المشروع الذي أعمل عليه والتصور الذي كونته عنه. لا أود فعلياً أن أكتب قصة عظيمة من دون مادة حقيقية ترتكز إليها. أريد أن أكتب ما حصل في الواقع ومن كانت ألكس تلك».

«ماذا عن السوق؟ هل يظنون أن هذا النوع من الكتب سيكون محط اهتمام؟»

كانت عينا باتريك تلمعان بفرح. وكانت إريكا تشعر بالرضا بأنه كان متحمساً لها. كان يعلم كم يعني هذا الكتاب بالنسبة إليها وأراد أن يشاركها اهتمامها به.

«كلانا يعلم أنه يجب أن يكون محط اهتمام كبير. والطلب على الكتب من نوع الجرائم الحقيقية هائل في الولايات المتحدة. الكاتبة الأعلى شأناً في هذا المضمار وهي آن رول تبيع ملايين النسخ من كتبها، أما هنا في السويد فهي ظاهرة جديدة بالكامل. هناك القليل من الكتب الذي يدور في هذا الفلك كما ذلك الذي وضع منذ بضع سنوات على سبيل المثال حول قضية الطبيب واختصاصي علم الأمراض، لكن الأحداث لم تكن مستقاة من عالم الجريمة الحقيقية. أود على طريقة آن رول أن أبذل جهداً كبيراً في القيام بالأبحاث ذات الصلة. أريد التأكد من الحقائق وإجراء المقابلات مع كل من لهم علاقة وأضع بعدئذٍ كتاباً ينقل بأمانة قدر المستطاع ما حدث على أرض الواقع».

«هل تظنين أن عائلة إريكا ستوافق على إجراء المقابلة؟»

لفَّت إريكا خصلة من شعرها حول إصبعها وأجابت: «لا أعلم. لا أعلم حقاً لكنني سأسألهم حتماً ما إن كانوا يوافقون على ذلك. وإن كانوا لا يرغبون بالمشاركة فسوف أجد طريقة أتدبر بها أمري. إنني أملك أفضلية كبرى إذ إنني أعرف الكثير عنهم نوعاً ما. عليّ أن أعترف أنني مترددة قليلاً بالطلب إليهم المشاركة لكن سيكون عليّ أن أتعامل مع الأمر. إن حقق هذا الكتاب مبيعات جيدة فلن يكون لدي شيء ضد المضي قدماً في وضع كتب تدور أحداثها حول مسائل قانونية مثيرة للاهتمام. وسأضطر حينئذٍ لأن أعتاد على أن أكون انتهازية قليلاً مع أقاربي. إن هذا جزء من توصيف العمل. أظن أيضاً أن الناس يشعرون بحاجة لأن يعبروا عما يدور في خلدهم وإخبار قصصهم من كل من وجهة نظر المعتدي والضحية في آنٍ معاً».

«أي إنك وبكلام آخر ستحاولين التحدث إلى فيرا كذلك».

«أجل، حتماً سأفعل. لا أملك أدنى فكرة ما إن كانت سترضى

بالتحدث إلي، لكنني أنوي أن أحول مهما كانت النتيجة. قد تتكلم وقد لا تفعل. لا يسعني أن أجبرها على أي شيء».

هزت إريكا كتفيها في إشارة إلى اللامبالاة، لكن من الواضح أن الكتاب سيكون أفضل مما لو تمكنت من جعل فيرا تشارك في رواية الأحداث، فما كتبته حتى الآن لا يعدو كونه تصميماً لكتاب أو رؤوس أقلام وعليها أن تنهمك الآن في البدء برواية الأحداث في قالب قصصي.

غيرت وضعيتها قليلاً على الأريكة ووضعت قدميها على حضن باتريك الذي تلقى الرسالة على الفور وبدأ يدلكهما لها وسألته: «ماذا عنك أنت؟ كيف كان نهارك؟ هل أصبحت البطل الكبير في المخفر الآن؟»

التنهيدة العميقة التي أطلقها باتريك كانت تدل بوضوح أن الحال ليس كذلك.

«كلا. أنت لا تعتقدين حتماً بأن ملبرغ سوف يمنحني ذاك الشرف الذي أستحق، أليس كذلك؟ لقد أمضى النهار بطوله متنقلاً كالمكوك بين غرف التحقيق والمؤتمرات الصحفية المتنوعة. أما الضمير الذي غلب على صيغه أثناء الحديث إلى الصحفيين فقد كان ضمير المتكلم «أنا». وسأتفاجأ حقاً في ما لو علمت أنه أتى على ذكر اسمي. لكن ما الفرق. من ذا الذي يريد أن يرى اسمه مذكوراً على صفحات الجرائد؟ لقد أوقفت قاتلاً بالأمس، وهذا أمر كاف بالنسبة إلي».

وجهت إليه إريكا لكمةً ممازحة على ذراعه، وقالت: «إنك تتصرف بنبل بالغ حيال الموضوع. اعترف أنك كنت تستمتع بالوقوف أمام الميكروفون خلال المؤتمر الصحفي الموسع تنفخ صدرك تباهياً

وتخبرهم كيف تمكنت بذكاء من تصور من قد يكون المجرم الذي كان وراء عملية القتل».

«حسناً، كان ليكون جميلاً أن يتم ذكر اسمي على صفحات الصحف المحلية على الأقل، إلا أن ذلك لن يحصل. سوف يعمد ملبرغ إلى سرقة أضواء المجد والاحتفاظ بها لنفسه، وما من شيء يسعني فعله حيال ذلك الأمر اللعين».

«هل تظن أنه سيحصل على عملية النقل التي يريدها بقوة؟»

«يا ليته يفعل، لكنني أشك في أن المسؤولين في غوتبرغ راضون تماماً عن مكانه حيث هو. وإني أخشى أنه سيكون علينا تحمله إلى أن يتقاعد، ويبدو لي ذلك اليوم بعيداً جداً في الوقت الحاضر».

«يا لباتريك المسكين». قالت ذلك بينما تمرر يدها على شعره ففهم ذلك على أنه إشارة ليقفز عليها ويسمرها إلى الأريكة.

كان النبيذ الذي تناولته قد جعل أطرافها ثقيلة وكانت حرارة جسده قد بدأت تتسلل إليها ببطء. تغيرت وتيرة تنفسه إذ بات يتنفس بصعوبة أكبر الآن، إلا أنه كان لا يزال لدى إريكا بعض الأسئلة التي تود أن توجهها إليه. كافحت لتعود إلى وضعية الجلوس وتمكنت بعد بذل القليل من القوة والجهد من أن تزيحه عنها قليلاً وتعيده إلى حيث كان.

«لكن هل تشعر بالرضا عن كل شيء حدث إلى الآن؟ ماذا عن حادثة اختفاء نيلز لورنتز على سبيل المثال؟ ألم تتمكن من الحصول على مزيد من المعلومات من فيرا؟»

«كلا. إنها تزعم أنها لا تعرف شيئاً عن الموضوع. وإني لا أصدقها لسوء الحظ. أظن أنه كان لديها سبب أكثر خطورة تقوم بحماية أندرز منه، أمر يتعدى اكتشاف الناس مسألة اعتداء نيلز لورنتز

عليه جنسياً. أظن أنها تعلم ما الذي حدث لنيلز على وجه التحديد وأن ذلك سر يجب إبقاءه طيّ الكتمان بأي ثمن، لكن عليّ أن أعترف بأنه يزعجني أن يبقى الأمر مجرد تصور بالنسبة إلي. لا يمكن للناس أن يتبخروا هكذا ببساطة. إنه هنا في مكان ما وهناك من يعلم بمكان وجوده، لكن لدي نظريتي الخاصة بهذا الشأن».

أخذ باتريك بعدئذٍ يفصل مسار الأحداث خطوةً خطوة، ويشرح الظروف التي تستند إليها فكرته. لاحظت إريكا أنه كان يرتعش على الرغم من الحرارة العالية في الغرفة. بدت الفكرة لا تصدق إلا أنها كانت مع ذلك جديرة بأن تصدق ظاهرياً بشكل غريب، لكنها فهمت أيضاً أن باتريك لن يتمكن مطلقاً من أن يثبت أياً مما كان يقوله. وحتى لو تمكن من ذلك فإن ذلك لن يجدي على الأرجح أي نفع. لقد مضت سنوات عديدة على الحادثة. وسبق أن قُضي على حياة الكثيرين. ولن يجدي أي نفع القضاء على حياة أخرى بعد.

«أعلم أن ذلك لن يؤدي إلى أي مكان، لكني أريد أن أعرف مع ذلك لإرضاء فضولي الشخصي. إنني أعيش مع تفاصيل هذه القضية منذ أسابيع وأريد أن أجد نوعاً من الحل».

«ما الذي تنوي القيام به إذاً؟ ما الذي تستطيع فعله في هذا الإطار؟»

أطلق باتريك تنهيدة وأجاب: «سوف أعمد ببساطة إلى طرح بعض الأسئلة للحصول على إجابات لها. ما من ربح يأتي من دون مجازفة، أليس كذلك؟»

نظرت إليه إريكا باحثة في عينيه وقالت: «لا تبدو لي فكرة جيدة، لكنني واثقة أنك تعرف ما هو الأفضل».

«آمل ذلك. هل لنا أن نترك الأسى والموت خلف ظهرينا لما تبقى من الأمسية ونركز على بعضنا بدلاً من ذلك؟»

«أظن أن تلك تبدو فكرة عبقرية».
زحف فوقها مجدداً إلا أن أحداً لم يبعده هذه المرة.

حين غادر باتريك المنزل كانت إريكا لا تزال نائمة. أشفق عليها ولم يشأ أن يوقظها فنهض من السرير وارتدى ملابسه على مهل وغادر.

كان يشعر بشيء من الدهشة وبقليل من التوقع الحذر كذلك حين أخذ هذا الموعد. كان الشرط أن يلتقيا بشكل سري، ولم تكن لدى باتريك أي مشكلة في ذلك. كان هذا هو السبب وراء استيقاظه عند الساعة السابعة من صباح نهار الإثنين. لم يلتق إلا بقليل من السيارات على الطرقات، بينما كان يقود سيارته في الظلام متجهاً إلى فيالباكا. انعطف عند الإشارة التي تقول **فادّو**، وقاد مسافة قصيرة قبل أن يركن سيارته في الموقف. كانت سيارته وحيدة هناك، ثم أخذ ينتظر. بعد مرور عشر دقائق كانت هناك سيارة أخرة تركن في الموقف بجانب سيارته. خرج السائق منها وفتح باب الراكب إلى جانب السائق في سيارة باتريك وصعد. كان باتريك قد ترك محرك سيارته يعمل، بحيث يتمكن من تشغيل السخان وإلا كانا سيتجمدان من البرد حيث هما.

«يبدو الأمر مشوقاً، لقاؤنا هنا سراً تحت جنح الظلام، لكن السؤال الوحيد لدي هو لماذا؟ لقد ظننت أن عملية التحقيق قد انتهت. لقد ألقيت القبض على قاتل ألكس، ألم تفعل؟»، كان جان مرتاحاً تماماً، لكن كانت هناك نظرة حائرة على ملامحه.

«أجل. هذا صحيح، لقد فعلت. إلا أن هناك بعض الأجزاء التي لم تتخذ مكانها في الواقع، وهذا ما يثير انزعاجي».

«فهمت. ما القطع التي لم تتخذ مكانها؟»

لم تظهر على وجه جان أي انفعالات. وتساءل باتريك في سره ما إن كان قد استيقظ في هذه الساعة المبكرة من أجل لا شيء، لكن بما أنه كان هنا الآن فسينهي ما كان قد بدأ به.

«لعلك سمعت بأن شقيقك قد اعتدى جنسياً على كل من ألكسندرا وأندرز».

«أجل، لقد سمعت ذلك. إنه لأمر فظيع، لا سيما بالنسبة إلى أمي».

«مع أن الأمر لم يكن جديداً على مسامعها. كانت تعلم بالأمر مسبقاً».

«لقد كانت تعلم بالطبع. لقد تعاملت مع الأمر بالطريقة الوحيدة التي تعرف، أي بأكبر قدر ممكن من التحفظ. من الواضح أنه كان على اسم العائلة أن يظل مصاناً. كل ما عدا ذلك كان ثانوياً».

«وما هو شعورك حيال ذلك؟ كيف تشعر حيال واقع أن شقيقك كان يستغل الأطفال جنسياً وبأن أمك كانت تعرف بالأمر وتحميه مع ذلك؟»

لم يسمح جان للسؤال بأن يفقده توازنه فقام بمسح بعض الغبار الوهمي عن كتفه ثم رفع أحد حاجبيه حين أجاب بعد أن فكر بالأمر لبضع ثوانٍ، فقال: «من الطبيعي أن أفهم تصرف أمي. لقد تصرفت وفق الطريقة الوحيدة التي تعرف. كما أن الضرر كان قد وقع، أليس كذلك؟»

«أجل، أفترض أنه يمكن للمرء النظر إلى الأمر على هذا النحو، لكن السؤال المطروح هو أين ذهب نيلز بعد ذلك؟ هل سمع أحد من أفراد العائلة أياً من أخباره؟»

«على حدّ علمي أنه كان من الطبيعي أن نقوم بإعلام الشرطة بالأمر كما يفعل أي مواطن صالح». كانت نبرة التهكم في صوته في

غاية الإتقان، وقد امتزجت بنبرة صوته العادية، بحيث باتت ملاحظتها بالكاد ممكنة. وقد تابع كلامه بالقول: «لكنني أستطيع أن أتفهم لماذا اختار أن يختفي عن الأنظار. فما الذي بقي له هنا؟ كانت أمي قد باتت تعرف أي نوع من الأشخاص هو ولم يكن باستطاعته الاستمرار في العمل في المدرسة. كانت أمي قد حرصت على ألا يفعل، فرحل. لعله يعيش الآن في أحد البلدان الحارة الجميلة التي يسهل الوصول فيها إلى الصبية والفتيات الصغار».

«لا أظن ذلك».

«ألا تظن؟ لماذا؟ هل عثرت على هيكله العظمي الذي يضرب به المثل في الخزانة في مكان ما؟»

تجاهل باتريك النبرة المازحة في صوت محدثه، وقال: «كلا، لم نفعل، لكنني أملك نظرية ما، أنت ترى...»

«يا له من أمر مشوق».

«لا أعتقد أن نيلز قد قام بالاعتداء على ألكس وأندرز وحسب. أظن أن أولى ضحاياه كان شخصاً يستطيع الوصول إليه بسهولة. شخص يمكن وصفه بالأسهل منالاً. أظن أنك قد تعرضت للاعتداء عليكَ أيضاً».

لمح باتريك للمرة الأولى طيف تشقق ما في المظهر اللماع المتأنق لجان، لكنه ما لبث أن استعاد رصانته في لحظات أو أنه بدا كذلك على الأقل.

«إنها نظرية مثيرة للاهتمام. علام تستند في بنائها؟»

«ينبغي أن أعترف أنني لا أستند إلى الكثير، إلا أنني عثرت على قاسم مشترك بينكم أنتم الثلاثة. قاسم يعود إلى مرحلة الطفولة. لقد رأيت رقعة جلدية صغيرة في مكتبك حين قمت بزيارتك. أفترض أنها

مهمة بالنسبة إليك، أليس كذلك؟ إنها تمثل شيئاً ما. معاهدة، تضامن، قسم على الدم. لقد احتفظت بها لما يزيد عن خمسة وعشرين عاماً. حتى أن ألكس وأندرز احتفظا بالرقعتين اللتين تخص كل منهما. على الجهة الخلفية لكل من الرقع الثلاث توجد بصمة إصبع مغمس بالدماء، وهذا ما يجعلني أعتقد أنكم قد أقسمتم جميعاً على الدماء بطريقة ميلودرامية كما يفعل الأولاد عادة، ثم إن هناك الأحرف الثلاث التي حفرت عبر الحرق على الجهة الأمامية للرقعة، وهي: T.T.M، لم أتمكن من تفكيك لغزها ومعرفة ما الذي تعنيه. لعلك تستطيع مساعدتي في هذا الموضوع».

أمكن لباتريك أن يلاحظ كيف تتصارع قوتين مختلفتين داخل جان. كان المنطق من جهة يقول له بألا يفصح عن أي شيء على الإطلاق. في حين أن الرغبة بمشاركة السر مع أحدهم لم يكن بالإمكان التقليل من قيمتها من الجهة الأخرى. إنها الحاجة الملحة لأن يثق بأحدهم ويسلمه سره. كان باتريك واثقاً من أنانية جان، وكان يسعه أن يراهن بالمال على واقع أنه لن يتمكن من مقاومة الرغبة بأن ينزل الحمل الثقيل عن كاهليه بالإفصاح عما يعرفه لشخص قد يصغي باهتمام. وقد اختار أن يسهل اتخاذ القرار على جان، فقال: «كل ما نقوله هنا اليوم يبقى سراً بيننا. لا أملك لا الطاقة ولا المصادر لملاحقة قضية حدثت منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً. وبالكاد يسعني أن أعثر على أي دليل حتى لو حاولت ذلك. أريد أن أعرف عن الأمر بصفتي الشخصية. يجب أن أعرف».

كان الإغراء جذاباً جداً بالنسبة إلى جان.

«الفرسان الثلاثة هذا ما تمثله الأحرف T.T.M. إنه لأمر تافه ورومنسي جداً، لكن هكذا كنا ننظر إلى أنفسنا. كنا نحن وحدنا بمواجهة العالم كله. حين كنا نكون معاً كان بإمكاننا أن ننسى ما الذي

حصل لنا. لم نكن نتكلم بالأمر مطلقاً في ما بيننا، لكننا لم نكن بحاجة إلى ذلك. كنا نفهم ما يجري من دون حاجة لأي كلمات. لقد عقدنا معاهدة تقضي بأن نكون دوماً أحدنا وفياً للآخر. وبقطعة من الزجاج المكسور أحدث كل منا جرحاً في إصبعه ومزجنا دماءنا وختمنا بها على الجهة الخلفية لرقعة الجلد. كنت أكثر الثلاثة قوة. كنت مجبراً على أن أكون الأقوى. كان يمكن للآخرين أن يشعروا بالأمان في منازلهم، لكنني كنت دوماً أضطر لأن أكون حذراً. كنت أستلقي ليلاً وأسحب الأغطية حتى مستوى الذقن وأصغي لوقع الأقدام التي كنت أعرف أنها تقترب، كنت أسمعها في الردهة أولاً ثم كانت تقترب أكثر فأكثر».

وكأن سدّاً قد انفجر. كان جان يتكلم بنبرة تمتلىء غضباً. وبقي باتريك صامتاً مخافة أن يقاطعه ويوقف تدفق الكلمات. أشعل جان سيجارة أنزل النافذة التي بجانبه قليلاً كي يسمح للدخان بالهرب من الشق الصغير وتابع الحديث، يقول: «كنا نحن الثلاثة نعيش في عالمنا الخاص. كنا نلتقي سراً بعيداً عن أعين الناظرين ونسعى إلى إيجاد الراحة والتعزية مع بعضنا. الغريب في الأمر أنه بدلاً من أن يشكل كل منا رمزاً يذكر الآخر بمصدر الشرور كان يمكننا سوياً الهرب من الواقع البغيض لبعض الوقت. لم أكن أعلم كيف أننا كنا نعرف بالمصيبة التي تجمعنا. كان من المحتم أن يسعى أحدنا إلى الآخر. كنت أنا وحدي من قرر أنه يجب إيجاد حلٍّ للمشكلة على طريقتنا، أما ألكس وأندرز فقد كانا ينظران إلى الأمر في البداية على أنه مجرد لعبة لكنني كنت أعلم أن الأمور ستتخذ منحى خطيراً. لم يكن هناك من طريقة أخرى للخروج. في يوم شتوي بارد صافٍ خرجت إلى الجليد أنا وأخي بالتبني. لم يكن من الصعب إقناعه بالمجيء. كان يشعر بفرح عارم لأنني كنت أنا من أتخذ المبادرة، وكان يتطلع بشوق كبير للقاء الوفد

الصغير. لقد أمضيت ساعات عديدة على الجليد في ذلك اليوم، وكنت أعرف إلى أين آخذه تحديداً. كان كل من ألكس وأندرز ينتظراننا. كان نيلز متفاجئاً لرؤيتهما، لكنه كان من الغرور بحيث لم يرَ فينا أي تهديد له. لم نكن سوى أولاد في حينها. أما الباقي فكان سهلاً. حفرة في الجليد دفعة بسيطة وها هو يختفي.

«لقد انتابنا شعور عميق بالارتياح بداية. كانت الأيام الأولى بعد الحادثة رائعة. كاد يجن جنون نيللي قلقاً على مكان ذهاب نيلز، لكنني كنت أنام في السرير مبتسماً. كنت أصغي إلى غياب وقع الأقدام. ثم خرجت الأمور عن السيطرة. اكتشف والدَي ألكس الأمر لا أعرف كيف وذهبا إلى نيللي. لعل ألكس مثقلة بعبء الضغط الذي مورس عليها والأسئلة التي انهالت فوق رأسها استسلمت وأخبرتهم بكل شيء عني وعن أندرز. لم تخبرهم مع ذلك بأي مما فعلنه لنيلز على الرغم من بوحها بكل ما حصل قبل ذلك. وإن كان قد خطر لي أني سألقى بعض التسامح من أمي التي تبنتني فقد علمت أنني كنت مخطئاً، وقد تعلمت الدرس جيداً في حينها. لم تعد نيللي تنظر في عيني مباشرة منذ ذلك الحين. ولم تسأل مجدداً أين كان نيلز. أحياناً ما أتساءل ما إن كانت تشتبه بشيءٍ ما».

«فيرا أيضاً علمت بأمر الاعتداءات».

«صحيح، لكن أمي كانت ذكية. لعبت على وتر حاجة فيرا لأن تحمي أندرز والحفاظ على المظاهر. لم تضطر لأن تدفع ثمن صمتها أو تقدم لها الرشوة عبر تأمين عمل جيد لها يبقيها صامتة».

«هل تظن أن فيرا عرفت بما حصل لنيلز كذلك عاجلاً أم آجلاً؟»

«أنا مقتنع بذلك تماماً. لا أظن أن أندرز قد تمكن من إخفاء أمرٍ كهذا عن فيرا طوال تلك السنوات».

كان باتريك يفكر بصوت مرتفع حين قال: «إذاً على الأرجح أن

فيرا قد قامت بقتل ألكس ليس فقط لتضمن صمتها حيال الاعتداءات، بل لأنها كانت تخشى كذلك من أن تتم إدانة أندرز بارتكاب الجريمة».

كانت ابتسامة جان تشع فرحاً: «يكاد الأمر يكون كوميدياً. أولاً، فإن الجريمة قد سقطت بفعل تقادم الزمن، ثانياً، ما من أحد سيعبأ بسوق الاتهامات ضدنا الآن بعد مرور كل تلك الفترة وفي ظل تلك الظروف وواقع أننا كنا أولاداً في حينها».

كان باتريك مجبراً على أن يوافقه الرأي ولو متردداً. لن يكون هناك من تبعات لو أن ألكس اختارت الذهاب إلى الشرطة وإخبارهم بكل ما حدث، لكن فيرا على الأرجح لم تدرك ذلك. كانت تؤمن أن هناك خطراً حقيقياً يحدق بأندرز من أن يدان بارتكاب جريمة قتل.

«هل بقيتم على اتصال في ما بعد؟ أنت وألكس وأندرز».

«كلا، فألكس غادرت مباشرة تقريباً بعد الحادثة أما أندرز فانعزل في عالمه الخاص. كنا نرى بعضنا طبعاً من حين إلى آخر، لكن أحدنا لم يتحدث مع الآخر طوال خمسة وعشرين عاماً إلى أن اتصل بي أندرز بعد موت ألكس يصرخ ويشتم مدعياً أني أنا من قتلها. ومن الطبيعي أن أكون قد أنكرت ذلك. لم تكن لي أي علاقة بموتها، لكنه لم يكن ليستسلم أو يكف عن اتهامي».

«ألم تكن تعرف بأنها كانت تفكر بالذهاب إلى الشرطة والتبليغ بموت نيلز».

«ليس قبل أن تموت، كلا لم أكن أعلم بالأمر. أخبرني أندرز بذلك في ما بعد».

كان جان ينفخ دخان سيجارته خارج النافذة بلامبالاة.

«ما كان ليحصل لو علمت بالأمر مسبقاً؟»

التفت إلى باتريك وأخذ يحدق فيه بعينين زرقاوين باردتين، وقال: «افترض أنه ما كنا لنعرف ما قد يحدث أليس كذلك؟»

ارتجف باتريك وقال في نفسه أنه فعلاً ما كان ليعرف.

«كما قلت لك، ما كان أحدهم ليكترث بإرسالنا إلى السجن لما فعلنا، لكنني بالطبع كنت لأكون أول من سيعترف أن ذلك قد جعل علاقتي بأمي أكثر تعقيداً».

ثم عمد جان إلى تغيير الحديث فجأة: «وفقاً لما سمعت بأن ألكس وأندرز كانت تجمع بينهما علاقة. كما جميلة والوحش. لعله كان يفترض بي أن أجرب حظي معها تكريماً للأيام الخوالي...».

لم يشعر باتريك بأي نوع من التعاطف مع الرجل الذي يجلس بجانبه. كان صحيحاً أنه قد عاش طفولة معذبة لكن كان هناك شيء ما يفوق ذلك في شخصية جان. كان هناك شيء ما شرير وعفن يفوح من كل مسام في جسمه. وقد قال باتريك بشكل عفوي: «لقد مات والديك بشكل مأساوي جداً. هل تعرف المزيد من المعلومات المتعلقة بطريقة موتهما عدا تلك التي كشفت عنها التحقيقات؟»

ظهرت ابتسامة خبيثة على زاويتي فم جان. أنزل النافذة أكثر بقليل مما كان يفعل وقذف بعقب سيجارته منها.

«يمكن للحوادث أن تقع بسهولة، أليس كذلك؟ كأن يسقط مصباح ما على إحدى الستائر التي يتلاعب بها الهواء مثلاً؟ إنها حوادث بسيطة تجمع قوى موجودة وتسبب حدثاً أساسياً، ثم مجدداً يمكن القول إن إرادة الله الخالصة هي ما تجعل الحوادث تحصل للأشخاص الذين يستحقونها».

«لماذا وافقت على مقابلتي؟ لماذا تخبرني بكل هذه الأمور؟»

«لقد تعجبت من نفسي في الواقع. لم أكن أنوي المجيء أصلاً، لكن الفضول استولى عليّ وأخذ مني كل مأخذ على ما أظن. سيما

لقاء شخص لا يسعه أن يفعل شيئاً حيال الأفعال التي يسمع عنها. فموت نيلز يعود إلى زمن بعيد وإنها كلمتي مقابل كلمتك، وأخشى أن أحداً لن سيصدقك».

خرج جان من السيارة إلا أنه استدار في مكانه ومال بجسمه نحو الداخل وقال: «أعتقد أن الجريمة تعود بالنفع على بعض الناس، إذ إني سأرث يوماً ما ثروة طائلة. لو كان نيلز حياً لما كنت بهذه الحال. أشك في ذلك».

حيّاه بمرح مستخدماً إصبعيه وأغلق الباب وعاد يمشي نحو سيارته. أمكن لباتريك أن يشعر بالضحكة الخبيثة التي ترتسم على ثغر جان الذي من الواضح أنه لا يعلم عن علاقة جوليا بأمه أو بالدور الذي ستؤديه يوم الإعلان على الوصية. إن لله في خلقه شؤون. وهي حتماً مبهمة وغامضة بما لا يقبل الشك.

كان الهواء الدافىء العليل يداعب وجنتيه المثلَّمتين بالتجاعيد بينما يجلس على الشرفة الصغيرة. كانت الشمس تبعث الدفء في مفاصله المتألمة وتشفيها. لقد كان يمشي كل يوم بسهولة أكبر. كان يذهب إلى عمله كل يوم في سوق السمك، حيث يساعد على بيع الصيد الذي وصل في الصباح المبكر على متن قوارب الصيد.

لم يكن هناك من أحد هنا يحاول أن يحرم الأكبر سناً من حقوقهم في أن يكونوا أفراداً منتجين.

لقد وجد نفسه هنا أكثر احتراماً وتقديراً من أي وقت مضى في حياته. وقد بدأ بخطى بطيئة إنما ثابتة يكوِّن صداقات له في هذه البلدة الصغيرة. لعله قد وجد صعوبة ما في اللغة، لكن أمكنه أن يقول إنه كان يتدبر أموره جيداً بواسطة الإشارات والنوايا الحسنة. كما أن مخزون المفردات كان ينمو بشكل ثابت. كما أن تناول كأس أو اثنين

بعد يوم عمل طويل كان يسهِمُ في حلحلة عقد الخجل حتى أنه تفاجأ حين وجد أنه قد بدأ يتحول تدريجياً إلى آلة لا تكف عن الثرثرة.

بينما كان يجلس على الشرفة ينظر إلى العشب الأخضر الذي يتزاوج مع مياه البحر الأكثر زرقة التي قد رآها يوماً شعر إيليرت أنه لا يمكن أن يكون أكثر اقتراباً من الجنة.

ما كان يضفي نكهة إلى حياته كان المغازلة اليومية التي يقوم بها لمالكة المنزل الصغير الممتلئة التي تدعى روزا. حتى أنه كان يسمح لنفسه بأن تداعب خياله فكرة تطوير العلاقة مع الوقت لتصبح أكثر من مجرد مغازلة عادية. كان الانجذاب بينهما موجوداً من دون أدنى شك ولم يولد الناس ليعيشوا لوحدهم.

صادف أن مرت في خياله للحظة سفيا التي تعيش في بلده السويد، إلا أنه محا الفكرة البشعة من رأسه وأغمض عينيه لينعم بقيلولة يستحقها.

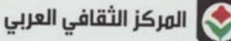
كاميلا لاكبيرغ

أميرة الجليد

اكتشفت إريكا فالك، شابة ثلاثينية تشتغل بتأليف التراجم، وتعيش في مدينة ساحلية هادئة في السويد، جثّة إحدى صديقات طفولتها مقطوعة اليدين في حوض حمام مليء بالماء البارد، فوجدت نفسها مقحمة رغماً عنها في التحقيقات. وما لبثت أن اقتنعت بأن الأمر لا يتعلق بانتحار، وهي الفكرة التي أيّدها فيها مفتش الشرطة المتيّم بها باتريك هيدشتروم. انخرطت إريكا مدفوعة بهذا الحب الناشئ في البحث عن الحقيقة، فكشفت عن أسرار فظيعة داخل المجتمع المحلي الذي كانت تعتقد أنها تعرفه جيدا. عُثر بعد ذلك على جثة رسام متشرد في مشهد آخر يوهم بالانتحار...

إن رواية **أميرة الجليد** تعلن عن دخول إريكا فالك، المحققة الهاوية التي تمزج في مغامراتها بين التشويق والفكاهة وعواطف كوميديا الأخلاق، دخولاً مدوّياً إلى ساحة الرواية البوليسية العالمية.

وقد حاز هذا العمل الرائع الذي نال كثيراً من الاستحسان، الجائزة الكبرى للأدب البوليسي لسنة 2008 وجائزة الرواية البوليسية العالمية للسنة نفسها.

الدار البيضاء: ص.ب 4006 (سيدنا)
بيروت: ص.ب 113/5158
markaz@wanadoo.net.ma
cca_casa_bey@yahoo.com

ISBN 978-9953-68-585-4
